كتاب أبحاث
المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية

خلال الفترة ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٤٣هـ الموافق ١٧ - ١٩ يونيو٢٠٢٢ م

المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة

جميع الأراء المطروحة في البحوث والدراسات المشاركة في المؤتمر تعبر عن أراء أصحابها ولا تعبرعن رأى اللجنة المنظمة واللجنة العلمية للمؤتمر

إدارة وتنظيم

إثراء المعرفة للمؤتمرات والأبحاث والنشر العلمي

كتاب أبحاث

المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية

خلال الفترة ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٤٣هـ الموافق ١٧ - ١٩ يونيو٢٠٢٢ م

المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة

إدارة وتنظيم

قال تعالي: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

[الشورى: ٣٨]

المقدمة

تمثل جهود العلماء والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية فتح أفاق للاجتهاد والتجديد في العلوم الإسلامية بمختلف مجالاتها ،ووضع الحلول لكثير من المشكلات التي يعاني العالم الإسلامي والمجتمعات الإنسانية الأخرى، ان البحث العلمي في الدراسات الإسلامية، يعتبراهم سبل تحريرها من قيود الماضي، و استثمار نتائج تلك البحوث في معالجة واقع المسلمين يزيد من فرص مواكبة قضايا العصر، ويعزز من جهود الأئمة والدعاة في نشر الدعوة الإسلامية.

يتناول المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة العديد من الموضوعات والدراسات والأبحاث في مختلف مجالات الدراسات الإسلامية، من خلال الجلسات والملصقات العلمية وورش العمل التي يقدمها الباحثين والمختصين المشاركون في المؤتمر من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الحكومية والأهلية بالعالم العربي و الإسلامي والباحثين والمختصين في هذا المجال من الدعاة ،الأئمة ،العلماء ،أساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا من أجل إبراز أثر الجهود العلمية الحديثة في الدراسات الإسلامية. .

ويتطرق المؤتمر ايضاً من خلال العروض البحثية لعدد من القضايا والمشكلات في الدراسات الإسلامية ودراسة الواقع الحالي المعاصر في العالم العربي والإسلامي، استشراف رؤية إسلامية أصيلة للقضايا الإسلامية المعاصرة.

رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر

د. عبد الرحمن محمد الزهراني

الفهـــــرس

تسلسل	الاسم	عنوان البحث	رقم الصفحة
1	د. ناجي حسين علي اليحيري	خصائص النصوص القرآنية الاحتمالية وموقف العلماء والباحثين منها (دراسة تأصيلية)	1
2	د. عواد عبد الرحمن الرويلي	المفسر والتفسير بين الأهمية والتأثير	19
3	د. أمل سالم باصهيب	عقود السمسرة في تطبيقات الاقتصاد التشاركي المعاصرة "دراسة فقهية مقارنة"	38
4	د. محمد فتحي محمد أبو العنين	الأمن الصحي بين الشريعة والقانون	56
5	أ. لجين فيصل أمين السليماني	القيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠	75
6	أ. وفاء علي إبراهيم هزازي	الثقافة الإسلامية ومواجهتها للتحديات المعاصرة.. العولمـة أنموذجـاً	100
7	أ. نوير مبارك ناصر العميري	"الأهمية التاريخية والاجتماعية لفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قضايا الزواج والطلاق أنموذجًا"	117
8	د. عائشة مرشود حميد الحربي	الكتاب والسُّنَّة ودورهما في تأصيل القيم الأخلاقية	131
9	أ. محمد هيجان الصحبي	أثر استخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم على مستوى تحصيل التلاميذ الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية من وجهة نظر معلمي ومعلمات معاهد وبرامج الصم في المملكة	143
10	د. فاطمة محمد عيسى محنشي	القيم الجمالية في عمارة القباب والمآذن الإسلامية (المئذنة التوأمية وقبة الخزن أنموذجاً دراسة تاريخية حضارية)	162
11	د. وفاء حمد الخميس	الانحرافات العقدية التي ذكرها ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار)	172
12	أ. شريفة عبد العزيز العمري*(١) أ. جملا ناجم المطيري *(٢)	التحدِّي العَقَديُّ الإلحاديُّ في الفكر الغربيّ وأثرُه على الفكر التربويّ الإسلاميّ في العصر الحديث	189
13	أ. سمية عبد الحفيظ تركستاني	التدافع بين الحق والباطل في مجال الفكر	207
14	د. ساره سعود مطيران العنزي	منهج القرآن في التصدي للشائعة وأثره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع	228
15	أ.د. سليمان عبد الله العقيل	من أسس بناء النظام الاجتماعي في المجتمع المسلم قراءة سوسيولوجيـــة (المؤاخـــاة) كأساس لبناء المجتمع الإسلامي	246

16	د. رُفيدة عدنان حامد الأنصاري	معالم مدرسة المستقبل رؤية من منظور مدرسة النبوة	269
17	أ. نسيبة ممدوح السيد	مفهوم الشمول الاعتقادي عند أهل السنة والجماعة.. صوره وثمراته (دراسة في ضوء النصوص القرآنية)	282
18	أ. طارق محمد بش	دور العلماء في النوازل المتعلقة بالأوبئة -وباء كورونا نموذجا-	302
19	د. مبروك بهي الدين الدعدر	التجديد الفقهي - فقه الاستشراف ضوابطه وضرورته المعاصرة	316
20	أ. عبد الرحمن بن فايز الأسمري	كتاب تاريخية الفكر العربي الإسلامي لمحمد أركون "دراسة نقدية إسلامية "	335
21	د. حمود بن محسن الدعجاني	التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية	352
الملصقات العلمية			
1	أ. مناهل سليمان حسن هوساوي	التَّرْبِيَة الصِّحِّيَّة عِنْدَ ابْنِ الْقَيِّمِ الجَوّزي وتطبيقاتها في الواقع المعاصر	
2	أ. سلمى إبراهيم الزهراني	آداب الخلاف التربوي	
3	أ. جواهر عبد الله حسن الزهراني	المضامين التربوية المستنبطة من آيات الاصطفاف في القرآن الكريم وتطبيقاتها في المدرسة	
4	أ.هناء حامد بخيت الجهني	الفكر التربوي عند القاضي عياض وتطبيقاته التربوية	

خصائص النصوص القرآنية الاحتمالية وموقف العلماء والباحثين منها (دراسة تأصيلية)

Characteristics of probabilistic Qur'anic texts and the views of scholars and researchers (Fundamental Study)

د. ناجي حسين صالح علي اليحيري - باحث في التفسير وعلوم القرآن والدراسات الإسلامية -اليمن
Email: najialyahri@gmail.com

ملخص البحث:

بعد الإشارة إلى مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني، ومسوغاته العلمية، في بحوث سابقة، يهدف هذا البحث إلى دراسة خصائص هذه النصوص الاحتمالية، وأبرز السمات التي اتصفت بها، وكيف تأثرت أقوال العلماء والباحثين بسبب هذه الخصائص، وما هي أبرز المسببات لتباين مواقفهم من التفسير الاحتمالي واختلافها، حيث أساغها بعض الباحثين وردّها آخرون؛ لعدة اعتبارات: إما عقدية، أو منهجية، أو استدلالية، أو انتمائية، أو أصولية، وغير ذلك من النوازع والبواعث الداعية لرفض القول بالتفسير الاحتمالي والعمل به عند بعض الباحثين: كالتأويل الخاطئ، والتنازع الاصطلاحي في مفاهيم التأويل والاحتمال، واختلاف مصادر العلماء بين النقل والرأي، والتقليد، والأخطاء المنهجية الاستدلالية، والتركيب المعنوي والصرفي، والبغي والتعصب الطائفي، والمذهبي، وغيرها. ويوصي الباحث بتولية التفسير الاحتمالي مزيد أهمية ودراسة، لفهم مقاصده، وتقرير قواعده وضوابطه.

Research Summary:

After referring to the concept of probabilistic interpretation of the Qur'anic text, and its scientific justifications, this research aims to study the characteristics of these probabilistic texts, the most prominent features that characterized them, and how the sayings of scientists and researchers were affected by these characteristics, and what are the most prominent causes for the different and different positions of their positions on probabilistic interpretation. What are the most prominent motives for rejecting the probabilistic interpretation of some scholars and researchers, as some researchers justified it and others rejected it; For several considerations: doctrinal, methodological, deductive, affiliation, fundamentalist, and other impulses and motives calling for rejecting the saying of the probabilistic interpretation and working with it for some researchers: such as misinterpretation, idiomatic conflict in the concepts of interpretation and probability, and the difference in sources of scholars between transmission and opinion, imitation, and methodological errors Deductive reasoning, moral and morphological structure, oppression and sectarian and sectarian fanaticism, and others. The researcher recommends giving the probabilistic interpretation more importance and study, to understand its purposes, and to determine its rules and controls.

مقدمة

الحمد لله الذي لا إله غيره، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، والصلاة والسلام على النبي الأمين وآله وصحبه ومن اتبع هداه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد:

لقد اختص سبحانه وتعالى كتابه العزيز، بخصائص عديدة تفرد بها وامتاز بها عن غيره من الكتب، أجلها وأعظمها: أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تتالت العلماء في تفريد خصائص، مفردة ومجملة، في نظمه، وشرعه، في بيانه وفصاحته، وكل جوانبه وعلومه، وكل مقاصد ذلك ومدلولاته.

ومن هذا المنطلق رأيت أن أسوق بعض خصائصه المتمثلة في اكتساء بعض نصوصه بدلالات الاحتمال، التي تأثرت بها مذاهب العلماء والباحثين ومواقفهم تأثرا كبيرا، فتباينت آراؤهم ومواقفهم من التفسير الاحتمالي، من خلال هذا البحث الذي قدمته للمؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية، المنعقد في المملكة العربية السعودية، بمكة المكرمة في نسخته الثانية، بعنوان: (خصائص النصوص القرآنية الاحتمالية ومواقف العلماء والباحثين منها) (دراسة تأصيلية).

مرتجيا من المولى -ﷻ وتقدست أسماؤه- أن يسدد جهدي، وأن يمنّ علي بكمال توفيقه على تخريجه ضمن سلسلة أبحاث تهدف في مجملها إلى توجيه الاختلاف في معاني ومدلولات النصوص القرآنية الاحتمالية وتشريعاتها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أن بعض النصوص القرآنية التي قصد الشارع سبحانه وتعالى من خلالها توسيع المعاني وتنويع الأحكام على خصائص ومميزات أثرت في موقف العلماء والباحثين ومايزت بين مواقفهم من التفسير الاحتمالي للنص القرآني، ويمكن صياغة هذا الإشكال من خلال السؤال الآتي:

- ما هي أبرز خصائص النصوص القرآنية الاحتمالية، وكيف يمكن التسويغ للقول بمدلولاتها، والعمل بالقول الاحتمالي، وتوجيهه، ويتفرع سؤالان:

- كيف اختلفت مواقف العلماء والباحثين بسبب هذه الخصائص، وما هي أبرز المسببات لتباين مواقفهم من التفسير الاحتمالي واختلافها.

- ما هي أبرز النوازع الباعثة على رفض التفسير الاحتمالي عند بعض العلماء والباحثين.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه سيبحث عن أهم خصائص النصوص الاحتمالية القرآنية من خلال دراسة البواعث والمسوغات العلمية الملجئة إلى تقريره والعمل به، وإيضاح مواقف العلماء والباحثين من هذا الضرب من التفسير، ومن أبرز الأسباب التي بعثتني للبحث في هذا الموضوع أيضا:

١- أن هذا البحث مقدم للمؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية، في دورته الثانية، وسوف يتمحور البحث حول أبرز خصائص النصوص القرآنية الاحتمالية المؤدية لاختلاف العلماء والباحثين وتباين مواقفهم منها، لا سيما تلك الآراء الاجتهادية التي تَبَنَّى أصحابها أحكاما عقدية غير دقيقة الاحتجاج، ولكنها كبيرة الأثر مُفْضية إلى القدح في اعتقاد المخالفين.

٢- دراسة المسببات لاختلاف مواقف العلماء والمفسرين من النص القرآني الاحتمالي بين مؤيد له ومعارض، ومتوسط، وأثر اختلاف مناهجهم على محامل النصوص، ومدلولاتها، ومعانيها.

٣- الإشارة إلى أبرز النوازع الباعثة على رفض التفسير الاحتمالي عند بعض العلماء والباحثين.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١- إيضاح الخصائص العامة للنصوص القرآنية الاحتمالية، والبواعث والمسوغات العلمية والأصولية المؤدية لوقوع المدلولات الاحتمالية المعنوية والتكليفية في النصوص القرآنية.

٢- محاولة تبيين الأصول اللغوية، والمنهجية المؤدية إلى تقرير العمل بالمدلول الاحتمالي للنص القرآني.

٣- هذا البحث حلقة من سلسلة بحوث محورها التفسير الاحتمالي للنص القرآني، وهو مشروع كتاب تأصيليٍ يعمل عليه الباحث.

الدراسات السابقة:

الاحتمال كاصطلاح وقع لفظه وتصريفه في كثير من كتب التفسير، ولعل بعضها أظهر من بعض من حيث كثرة الاستعمال وقلتها، وقد وقع بين يديّ رسالة جامعية في التفسير والحديث قُدمت لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية في جامعة الملك سعود، بعنوان: **(التفسير بالقول المحتمل منزلته وأثره في البيان)**، تقدم بها الباحث: عقيل بن سالم بن عقيل الشمري، وقد اقتصر الباحث في الرسالة على سرد كثير من أقوال السلف في بعض الأقوال الاحتمالية وناقش بعض مدلولاتها وعللها، مقسما الأقوال إلى قسمين: قسم موافق لمذهب أهل السنة على اعتبار تسمية الباحث لهم، وقسم لمخالفيهم، ومع ما في الرسالة من محاسن إلا أنها افتقرت للحيادية والتأصيل.

والدراسة الثانية: (مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني)، د/ ناجي حسين صالح علي اليحيري، نشرته مجلة القلم، في اليمن، وهي عبارة عن بحث محكم تناول المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتفسير الاحتمالي للنص القرآني، وقد جعله الباحث قسما من أقسام التفسير وصنّفه على أنه لاحق بأقسام التفسير المجمل، والموضوعي، والتحليلي، والمقارن، والإشاري.

الدراسة الثالثة: (أهمية التفسير الاحتمالي للنص القرآني وبواعثه، ومسوغاته العلمية)(دراسة تأصيلية)، بحث مقدم للمؤتمر الدولي للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية، في نسخته الأول في المملكة العربية السعودية، بمكة الكرمة، المنعقد في الفترة بين(٢١-٢٣ ربيع الثاني١٤٤٣هـ، الموافق٢٦-٢٨نوفمبر ٢٠٢١م)، إعداد: د/ ناجي حسين صالح علي اليحيري.

وقد تناول فيه الباحث أهمية التفسير الاحتمالي، وأبرز المسوغات العلمية الداعية إلى تقريره والعمل به، مع ذكر شواهد من استعمالات المتقدين للفظ الاحتمال ومشتقاته.

ومن هنا رأيت أن أشرع في تبيين خصائص النصوص القرآنية المؤثرة في اختلاف مواقف العلماء والباحثين من التفسير الاحتمالي، فتفرد هذا البحث بهذه الأهمية، وبكونه من أوائل البحوث التأصيلية المطروحة في باب دراسة التفسير الاحتمالي للنص القرآني وأهميته في توجيه الاختلاف في التفسير المحتمل والمشكل، وما يلحق بهما ويتفرع عنهما.

منهجية البحث:

وقد اتبعت في سلوك هذا البحث المنهج الوصفي، والاستقرائي، غير أنه يجدر الإشارة إلى:

- عند التمثيل سأكتفي بالتمثيل لما رأيته مشكل فقط، وأما ما هو ظاهر معروف فرأيت أنه لا حاجة للإطالة فيه.
- عند التوثيق، سأكتفي بذكر المؤلف واسم الكتاب مختصرا في جميع المواضع، وأما الترجمة المفصلة للكتاب ففي فهرس المراجع والمصادر.

تمهيد، وفيه:

مفهوم التفسير الاحتمالي ومسوغاته العلمية:

أولا: مفهوم الاحتمال لغة، واصطلاحا[١]:

الاحتمال لغة: من حَمَلَ، والحاء والميم واللام: مصدر، واحْتَمَلَ الشيء: أمكن جوازه ورجحانه بين أمرين، وعكسه اليقين، واحتملَ، يحتمل، احتمالاً، فهو مُحتمِل[٢].

وحمله على ظهره: رفعه عليه، وحمل الغضب: أظهره، وحَمَلَ الشيء على الشيء: ألحقه به في حكمه[٣].

واحتملَ الشَّخصُ: تجلَّد وصبَر، واحتمل الأمرُ أن يكون كذا. واحتمل الشَّكَّ: تقبَّله، وجاز فيه الشكُّ، واحتَمَلَ القَوم: إرتَحَلُوا[٤].

والناظر في المعاني اللغوية للمصدر(حَمَلَ) تتبين له عدة دلالات معنوية منها[٥]:

- إمكان وقوع المحتمل، وعدمه.
- جواز الشيء، وعدمه.
- التكلف والمشقة في حمل الشيء الظاهر على مقاصده ودلالاته التأويلية المحتملة.
- التنازع في الأمر بين الشك واليقين.
- الانتقال من حال كائنة إلى غيرها.
- إلحاق الشيء بغيره لعلة مشتركة.

الاحتمال في الاصطلاح: اختُلف في تعريفه على العموم إلى معان، منها[٦]:

عرفه الكوراني(ت:٨٩٣هـ) بأنه: "اتِّساع الأمر لقبول عدّة وجوه من التأويل"[٧].

وعلى هذا التعريف بنيت كثير من قواعد الاجتهادات الفقهية، كقولهم: "الدليل إذا تطرَّق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال"[٨].

وقيل الاحتمال: " اقتضاء الفعل، أو القول، أو الدليل حكمين مختلفين"[٩].

ثانيا: مفهوم التفسير والتأويل الاحتمالي، للنص القرآني كمركب إضافي[١٠]:

من خلال مفهوم الاحتمال في اللغة وبيان اتساع معانيه اللغوي بين إمكان وقوع المحتمل وعدمه، وجواز الشيء وعدمه، والتكلف والمشقة في حمل الشيء الظاهر على مقاصده ودلالاته التأويلية المحتملة، وما في الاحتمال من تنازع في الأمر

---

(١) ينظر: مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها)

(٢) ينظر: كتاب العين، للفراهيدي: (٣/٢٤٠-٢٤١).

(٣) ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع، لابن أبي الفضل البعلي: (ص:١٣).

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار: (١/ ٥٦٢).

(٥) ينظر: مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها).

(٦) ينظر: مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها)

(٧) ينظر: الدرر اللوامع، للكوراني: (٤/ ٢٤٣)، معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار: (١/ ٥٦٣).

(٨) ينظر: الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، للكوراني: (٤/ ٢٤٣).

(٩) مُوْسُوعَة القَوَاعِدُ الفِقْهِيَّة، لـ محمد الغزي: (٤٦٧/٧).

(١٠) على اعتبار جعل التفسير والتأويل بمعنى واحد. وعطفها هنا للبيان. ينظر: مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها)

بين الشك واليقين، والانتقال من حالٍ كائنة إلى غيرها، وإلحاق الشيء بغيره لعلة مشتركة، ونحوه، وانعكاس ذلك على دلالاته الاصطلاحية، تبين مدى ارتباط هذه المدلولات بكثير من العلوم كالفقه واللغة والتفسير، وغيرها[١١].

ومن هنا يمكننا أن نعرف التفسير الاحتمالي على العموم كمركب إضافي كنوع من أنواع التفسير المعتبرة باعتبار المنهج ودلالة النصوص وخصائصها بأنه: **(ضرب من التفسير يعنى باتساع معاني النصوص القرآنية الاحتمالية، وصرفها[١٢]، وعللها، وخصائصها، ومبتنياتها العقدية، والعملية، واللغوية، ونحوها، وقبولها عدة وجوه محتملة غير متمايزة، لعلة ظاهرة)**[١٣].

من خلال تعريف التفسير والتأويل الاحتمالي، وخصائص النص القرآني، وموقف العلماء والباحثين منه، وتقرير أنه ما من أحد من المفسرين إلا وقد استعمل التفسير المحتمل إما تصريحا أو تعريضا، أو تضمينا، كليا أو جزئيا، ولو لم يشر إلى ذلك، بل وإن كان ممن يعارض القول به؛ وذلك لأسباب ومسوغات شرعية، وأصولية، ولغوية، واجتهادية أدت إلى اتساع الدلالات الاحتمالية، وتنوع وجوه التفسير الاحتمالي، ومن أبرز الأسباب والمسوغات العلمية التي بنيت عليها الدلالات الاحتمالية للنصوص القرآنية ما يأتي:

أولا: المسوغات والبواعث الأصولية[١٤]، وتنقسم إلى:

- اختلاف معاني النصوص القرآنية ودلالاتها بين المحكم، والمتشابه[١٥].
- اختلاف دلالات النصوص القرآنية بين القطعية، والظنية الاجتهادية[١٦].
- اختلاف الدلالات بين العقدية، والتشريعية، وغيرها.
- تنوع الاختلاف في احتمال معاني القراءات:
- اختلاف دلالات النصوص بين التقييد، والإطلاق:
- أسباب تعود إلى المراد تأويله، وكيفية تحققه ووقوعه:

ثانيا: المسوغات والبواعث اللغوية، وتنقسم إلى[١٧]:

- اختلاف دلالات النصوص بين الحقيقة، والمجاز[١٨].
- الاختلاف في حمل مرجع الضمائر والأدوات ومدلولاتها[١٩].
- الاشتراك اللفظي، والمعنوي في النص القرآني[٢٠]:
- اختلاف القرائن، اللفظية، أو المعنوية[٢١]:

---

(١١) ينظر: مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها)

(١٢) أي: مدلولاتها على اعتبار اختلاف مصدرها التصريفي.

(١٣) ينظر: لشرح معنى التعريف، مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها)

(١٤) ينظر: مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها).

(١٥) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط، للواحدي: (٣١/٥-٤٥)، التفسير والمفسرون، د/ فضل عبَّاس: (٢/ ٢٦٥-٢٦٦).

(١٦) ينظر: الاجتهاد، لجويني: (ص:٢٣-٢٤).

(١٧) ينظر: مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها).

(١٨) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١/ ٢٧٣). البحر المحيط، لأبي حيان: (١/ ١٩٦)، (١/ ٣٧١)، وينظر: الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله، لابن تيمية: (ص: ٧).

(١٩) ينظر: روح المعاني للألوسي: (١٥/ ٣٥٨).

(٢٠) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١/ ٢٧٣)، والدر المصون، للسمين الحلبي: (٢/ ٤٣٩)، والتفسير والمفسرون، د/ فضل عبَّاس: (١/ ٢٦٤-٢٦٥).

(٢١) ينظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، لابن سلام: (ص: ١٧-٢٤). البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢/ ٢١٤).

ـــ الاختلاف في مفهوم الوجوه والنظائر ومدلولاتها [٢٢].

ـــ اختلافهم في معاني الأضداد [٢٣].

ثالثا: المسوغات والبواعث المنهجية (وجوه الاستدلال) [٢٤]، وتنقسم إلى:

ـــ حمل دلالات النصوص، ومعانيها على العموم، والخصوص [٢٥].

ـــ الاختلاف في الناسخ والمنسوخ [٢٦].

ـــ تنوع المعاني بين مأثور منقول، ومسكوت عنه[٢٧]

ـــ الاختلاف في أسباب النزول [٢٨].

ـــ أسباب خاصة بالنصوص من حيث قابلية النصوص القرآنية للاحتمالات المعنوية، والشرعية[٢٩].

ـــ سمات خاصة بالمفسرين، والعلماء من حيث التباين في القدرات البلاغية، واللغوية، واستنباط الدلالات ومقاصد النصوص [٣٠]

خصائص النصوص الاحتمالية في القرآن الكريم:

يختص النص القرآني بخصائص عديدة تَميّز بها عن غيره من النصوص، إذ إنه كلام رب العالمين، وما دونه كلام بشر يعتريه النقص، والخلل في كثير من جوانبه، وليس هنا موضع مناقشة الفروق بين كلام المولى جل جلاله، وكلام غيره، وإن كان الأصل عدم صحة المقارنة بينهما، وإنما المراد محاولة إبراز بعض دلالات النصوص الاحتمالية في القرآن الكريم، وخصائصها[٣١].

وسأكتفي هنا بذكر بعض أبرز مميزات النصوص القرآنية، وخصائصها مما له تعلق بمقاصد التأويل وأثرت تأثيرا كبيرا في تنوع التأويلات، والاحتمالات التشريعية، والمعنوية، وهي كالآتي[٣٢]:

١- الاختلاف في مفهوم المحكم، والمتشابه من النصوص القرآنية، حيث أوجد ذلك كثيرا من وجوه الاحتمال في النصوص، ودلالاتها[٣٣].

٢- كثرة النصوص الظنية الدلالة، حيث أدى ذلك إلى فتح باب الاجتهاد، والبحث، والاستقراء[٣٤].

٣- تنوع دلالات النصوص الاحتمالية، وهذه من أبرز سمات النصوص القرآنية فإن كثيرا من نصوص القرآن لها دلالات احتمالية عديدة في مجملها، أو بتعبير آخر: وقوع الاحتمالات في نصوصه بشكل ملحوظ حتى غدت سمة بارزة فيه، فإن القرآن حمَّالُ وجوه[٣٥].

---

(٢٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (١/ ١٠٢).

(٢٣) ينظر: القروء في القرآن، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٥-٤٤)، وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١/ ٢٧٣-٢٧٤)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي: (٨/ ٤٥٠)، جلال الدين السيوطي عصره وحياته، طاهر حمودة: (ص: ٢٩٠).

(٢٤) ينظر: مفهوم التفسير، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها).

(٢٥) ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين: (١/ ٤٧- ٥٤). لمزيد من البسط والتمثيل، ينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين: (١/ ٥٤-٥٨).

(٢٦) ينظر: الفصول في الأصول، للجصاص: (٢/١٩٧-٢٥٣).

(٢٧) أما المذموم فلا شك في عدم جواز وتأثّم فاعله ومتقوله، ولذلك لم ألق إليه بالا هنا.

(٢٨) ينظر: الفوز الكبير، للدهلوي: (ص: ١٧٥-١٧٧)، التحرير والتنوير، لابن عاشور: (١/ ٤٦-٥٠).

(٢٩) ينظر: تفسير مقاتل: (٥/٦٤-٦٧)، تفسير الشافعي: (١/ ٤٩٦). دَرْجُ الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسُّوَر، للجرجاني: (٢/٥٠)، مَصَاعِدُ النَّظَر ، للبقاعي: (٣/٢٤٤).

(٣٠) ينظر: مقدمة الكشاف، للزمخشري: (١/١-٢)، التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي: (١/ ١٨٩-١٩٢).

(٣١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: (٢/ ١٢٧).

(٣٢) ينظر: مفهوم التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها).

(٣٣) أحكام القرآن، ، ابن الفرس: (٢/ ٥).

(٣٤) ينظر: الاجتهاد، للجويني: (ص:٢٣-٢٤).

(٣٥) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي: (٢٤/١).

٤- تنوع صيغ الدلالات ما بين الخصوص، والعموم، وحمل كثير من وجوه الخصوص على العموم بناء على قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[٣٦].

٥- كثرة الاشتراك اللفظي، والمعنوي في النصوص القرآنية، واتساع معانيها، ودلالاتها[٣٧].

٦- شمول الألفاظ، ودلالاتها لأكثر من معنى، مع تكامل هذه المعاني، وتوافقها، وهو ما يعرف اصطلاحا باختلاف التنوع[٣٨].

٧- الاتساع في مقاصد الآيات، ودلالاتها المعنوية، والتشريعية، والعقلية[٣٩].

٨- اشتمال نصوص القرآن على دلالات، ومعانٍ لا بد من إعمال العقل فيها، وفتح باب التدبر، والاجتهاد، لإدراك مقاصدها، وقد صرح القرآن في كثير من المواضع على ذلك، وحث على التفكر، والتدبر لفهم معانيه، ومقاصده[٤٠].

موقف العلماء والمفسرين من التفسير والتأويل الاحتمالي:

الإشكال في مفهومي التفسير والتأويل مشهور في كتب المتقدمين ولا حاجة لذكره هنا، وإنما الذي يعنينا هنا هو موقفهم من التفسير الاحتمالي، فمن جعل التفسير والتأويل –المحمود- بمعنى واحد، فإنه قد توسع في ذكر الاحتمالات الواردة في المعاني والأحكام، وأما من جعل التفسير غير التأويل فقلل من استعمال الألفاظ، واعتنى بظاهر المعاني وإن كان ظاهر تفاسيرهم معارضة الاحتمال عموما والتأويل خصوصا، إلا أن تفاسيرهم لم تخل من هذين الاصطلاحين إما صراحة أو تضْمينا[٤١].

وأما الفريق الثالث، وخاصة المتكلمة ومن قرروا التأويل ووضعوا له القواعد فهم من أكثر من استعمل الاحتمال واستفاض فيه، وذلك لعد اعتبارات منها الاسترسال في المعاني وفنون اللغة والبلاغة، والنحو، والانتصار لأصول المذاهب، وغيرها[٤٢].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن جميع هؤلاء لم تخل تفاسيرهم من التفسير الاحتمالي، أو القول الاحتمالي –على اصطلاح بعض الباحثين[٤٣]- وإن قلَّ عند البعض وكثر عند آخرين، والله أعلم.

وينبغي لنا قبل الخوض في مواقف علماء التفسير خصوصا والعلوم الشرعية وما يلحق بها من علوم الآلة عموما أن نشير إلى العلماء التطبيقيين والمختصين في العلوم التجريبية المبنية على التخمينات والافتراضات، إذ إنهم يعرِّفون الاحتمال على أنه: (نوع من التخمين من خلال عملية تشكيل فرضية معقولة تشرح مجموعة معينة من الحقائق أو البيانات)[٤٤]، فهو بهذا المعنى عبارة عن صورة أولية لافتراضات حدسية قد يترتب عليها نتائج إيجابية أو سلبية، ويطلقون عليه أيضا: الفرضية، أو الاستدلال الافتراضي، والمراجعات، وغيرها، ولهم في ذلك قواعد وضوابط، منشأها العلوم الفلسفية اليونانية[٤٥].

---

(٣٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١٢٣/٥)، وتفسير الراغب الأصفهاني: (٤١٥/١)، والأشباه والنظائر، السبكي: (١٤٣/٢).

(٣٧) ينظر: الكشف والبيان، للثعلبي: (١/ ٢٧٣)، الدر المصون، للسمين الحلبي: (٢/ ٤٣٩).

(٣٨) ينظر: التفسير البسيط، للواحدي: (٦٣١/٦)، ومقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية: (ص:١١).

(٣٩) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي: (١٥/١)، وفتحُ البيان، للقنوجي: (٢٤/١-٢٥).

(٤٠) ينظر: دَرْجُ الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسور، للجرجاني: (٣٢/٢)، وتفسير النيسابوري: (٢/ ٢٤٣).

(٤١) ينظر: مفهوم التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها).

(٤٢) ينظر: مقدمة تفسير الماوردي: (١/ ١-٣٥).

(٤٣) ينظر: التفسير بالقول المحتمل، عقيل الشمري: (١-٣٠).

(٤٤) ينظر: الاحتمال كاستدلال منطقي، د/ مايسة عبده: (ص:٢٠٦).

(٤٥) ينظر: الاحتمال كاستدلال منطقي، د/ مايسة عبده: (ص:٢٠٦).

وهذا لا شك أنه مخالف لما عليه مفهوم الاحتمال في العلوم الشرعية إذ إنه مبني على نصوص لها دلالات ومسوغات شرعية وعلمية واضحة[٤٦]، وله مقاصده وقواعده التي يبتنى عليها[٤٧].

إلا أن بعض العلماء وخاصة المعاصرين- قد ينظرون إلى معنى الاحتمال ومفهومه من منظور معناه الفلسفي فينكرونه ويغلظون على من يقول به، بل إن كثيرا منهم قد يجعله من ملازمات مذهب المعتزلة وفريق المتكلمة[٤٨]، وعلى هذه الاعتبارات يمكن بصورة عامة أن نقسم موقف العلماء من التفسير الاحتمالي إلى عدة صور:

الأولى: على اعتبار العقيدة على العموم، وهم على قسمين: علماء المسلمين الشرعيين والتجريبيين، والقسم الثاني: الفلاسفة، والعلماء التجريبيين من غير المسلمين.

ــ فأما علماء المسلمين – الشرعيين ومن يلحق بهم من أهل العلوم المتعلقة بالقرآن- فإنهم منضبطون بقواعد التفسير وأصوله، وإن كان هناك من شذَّ عن هذه الطائفة إلا أنهم أيضا في العموم ملتزمون بقواعد قعَّدوا لها، وأصول أصَّلوا لها التأصيلات ووضعوا لها التفصيلات[٤٩].

ــ وأما العلماء التجريبيين –من المسلمين- فإنهم في الغالب مقلدة – أي يقلدون مناهج الفلاسفة- وإن كان لهم عذرهم إذ إن اختصاصاتهم والعلوم التي يختصون بها في غالبها علوم مبنية على التجربة، والتطبيق ووضع الافتراضات وتحليلها[٥٠].

الصورة الثانية: على اعتبار مناهج المفسرين وأنواع مصنفاتهم:

وهم على صنوف:

ــ فمنهم من اعتمد التفسير الإجمالي واكتفى بظاهر المعاني والتشريعات ولم يرفع لغيرها رأسا، ولا ألقى لها بالا، فهذا مع ما يحسب له محاسن تيسير التفسير وتقريب التفهيم، إلا إنهم ضيقوا واسعا، وأهملوا لازما[٥١].

ــ ومنهم من انتهج التفسير التحليلي التفصيلي، فوقف على النصوص حرفا حرفا وعلى المعاني معنىً معنىً، وعلى الأحكام بكل تفاصيلها – كل بحسب علمه وقدرته- حتى إنهم في بعض المواضع افترضوا الفرضيات ووضعوا الاحتمالات لما لم يرد قبلا ولن يرد مستقبلا.

ومع ما لهذا الصنف من التفاسير من محاسن يصعب حصرها، إلا أن المآخذ عليها كثيرة، إذ إن بعضهم قد حمّل النصوص ما لم تحتمل، ووسع ما ليس حقه التوسيع وخاض فيما ليس فيه نص من النصوص العقدية، وأوّل ما ظاهره أصوب من محامله، ونحو ذلك من المآخذ، حتى قيل عن بعضها: " فيه كل شيء إلا التفسير"[٥٢] لفرط ما ذكره مصنفه من الشاردات والواردات[٥٣].

---

(٤٦) ينظر: أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها).

(٤٧) ينظر: مفهوم التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٨-٤٩)، أهمية التفسير الاحتمالي، د/ ناجي اليحيري: (ص: ١٢٧، وبعدها).

(٤٨) ينظر مقال نشر على ملتقى أهل التفسير، https://vb.tafsir.net/forum.

(٤٩) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية: (ص: ٧ ، ٤٦)

(٥٠) ينظر: الاحتمال كاستدلال منطقي، د/ مايسة عبده علي: (ص:٢٠٦).

(٥١) ينظر: مناهل العرفان الزُّرْقاني: (٢/ ١١٨)، التفسير والمفسرون، د/ الذهبي: (١/ ٣٠، ٧٣)

(٥٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (٤/ ٢٤٣)، التفسير والمفسرون، د/ الذهبي: (٢/ ٣٧٩)

(٥٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (٤/ ٢٤٣)، التفسير والمفسرون، د/ الذهبي: (٢/ ٣٧٩).

وأما بعض من جعل منهجه التفسير بالمأثور – فقط[٥٤]- فإن موقفهم من الاحتمال كان واضحا، إذ إنهم كانوا يوردون المرويات من غير ذكر ما فيها من احتمالات، وإن كان البعض قد يذكر الروايات مقدما الأصوب والأصح على ما يراه ضعيفا[٥٥].

قال الزرقاني(ت: **١٣٦٧هـ): "...** وكلمة الإنصاف في هذا الموضوع أن التفسير بالمأثور نوعان: **أحدهما:** ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله وهذا لا يليق بأحد رده ولا يجوز إهماله وإغفاله ولا يجمل أن نعتبره من الصوارف عن هدي القرآن بل هو على العكس عامل من أقوى العوامل على الاهتداء بالقرآن. **ثانيهما:** ما لم يصح لسبب من الأسباب الآنفة أو غيرها وهذا يجب رده لا يجوز قبوله ولا الاشتغال به اللهم إلا لتمحيصه والتنبيه إلى ضلاله وخطئه حتى لا يغتر به أحد ولا يزال كثير من أيقاظ المفسرين كابن كثير يتحرون الصحة فيما ينقلون ويزيفون ما هو باطل أو ضعيف ولا يحابون ولا يجبنون"[٥٦].

الصورة الثالثة: على اعتبار الانتماء إلى الفرق والجماعات:

اختلف موقف العلماء والمفسرين من التفسير الاحتمالي، باختلاف انتماءاتهم العقدية ومذاهبهم، وفرقهم في تقرير وتحرير النصوص العقدية خصوصا، فمن ذهب إلى إنكار الأسماء والصفات –كلها أو بعضها – فقد قال باحتمال النصوص لخلاف ظاهرها، واحتج لذلك بالقرائن وافترض له الفرضيات، وأما من ذهب إلى تقرير الصفات وأثبتها فذهب إلى موافقة ظاهر النصوص، وجرّم تأويلها، ومنهم من قال باحتمال اللفظ للظاهر، ويلحق به ما آلت إليه القرينة كما في إثباتهم لصفة علو المولى -جل جلاله وتقدست أسماؤه- فجعلوها في علو المكان على ما جاءت به بعض النصوص وظواهرها، وعلى علو القدر والمنزلة على ما احتملته بعض النصوص الأخرى وظواهرها، والفريق الثاني أقرب للصواب من الأول والأخير قريب من الثاني؛ لأن الأخذ بظواهر النصوص سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والأخذ بالاحتمال فيه تكامل وتناسب بين نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة[٥٧]، والله أعلى وأعز وأجل وأعلم.

إذن فمواقف المفسرين خصوصا والعلماء عموما من التفسير الاحتمالي تتراوح بين مؤيد له، ومعارض، ومتوسط بين ذلك على اعتبار التقسيمات الآنفة الذكر.

إلا أن هناك طائفة من الباحثين المعاصرين نحت منحىً لم يخل من التعصب لأحد طرفي الخلاف – المؤيدين أو المعارضين- حتى أَبْلَغ جهده فتتبع المآخذ والمطاعن، وقد وقع بين يدي نقاش لبعضهم نشر على موقع أهل التفسير حول مقال[٥٨] نسب إلى بعض الأساتذة، انقسم فيه الفريقان إلى مؤيد لورود الاحتمال عن سلف الأمة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما، وبين منكرا لذلك مجرِّم له، بل إن الفريق الثاني وصف القائلين به والداعين له باتباع مناهج المعتزلة والفرق الضالة بحسب تعبيره، حيث يقول: (... وإنما بدأت ظاهرة الاحتمال والتجويز لكل ما يمكن

---

(٥٤) قال الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن: (٢/ ٢٥): "...وليس في تفاسير هؤلاء إلا ما هو مسند إلى الصحابة والتابعين وتابعيهم ما عدا ابن جرير فإنه تعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض وذكر الإعراب والاستنباط".

(٥٥) ينظر: مناهل العرفان، للزرقاني: (٢/ ١١، ٢٥، ٢٨)

(٥٦) مناهل العرفان: (٢/ ٢٥)

(٥٧) ينظر: لوامع الأنوار البهية، السفاريني: (١/ ٢٣٧)، الرسالة التدمرية، ابن تيمية:: (٢/ ٤٧)، تقريب التدمرية، العثيمين: (ص: ٥٥)

(٥٨) [الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه يقول الشيخ مساعد الطيار ـ حفظه الله في إحدى مداخلاته ـ: " ...وأما الاحتمال في التفسير، فهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة؛ إذ هو بابٌ خطير في القول على الله بغير علم، ومنه ولجَ الخوارج والرافضة والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع لَحمْلِ بدَعهم على آيات القرآن. ولم يقع التعبير بالاحتمال في طبقة مفسري الصحابة والتابعين وأتباعهم الذين هم القدوة في هذا الباب وفي غيره من أبواب العلم، بل كانوا يفسرون على أن ما يذكرونه هو المراد من الآية، وهذا يعني أنهم حينما يتحرون الصواب في المعنى يقولون به على سبيل الجزم، وما استدراكاتهم على بعضهم إلا بيان لذلك، إذ لو كان باب الاحتمال مفتوحًا كما هو عند المتأخرين = لما استدركوا من المعاني ما يحتمله الكلام، واعترضوا عليه بعدم مناسبته لهذا المقام...] ملتقى أهل التفسير، https://vb.tafsir.net/forum.

أن تحتمله الآية من غير النظر - في بعض الأحيان- إلى صحة هذا الاحتمال في نفسه، أو صحة دلالة السياق عليه، أو غير ذلك من الدلالات التي تدلُّ على صحة هذه التفاسير الحادثة القائمة على الاحتمال عند أهل البدع)، إلى أن قال: (...من خلال هذا النص يتبين أن الاحتمال ظاهرة حادثة في التفسير وأنه ذريعة لأهل البدع والأهواء في تفاسيرهم)[٥٩].

والحق أن الفريقين قد جانبا الصواب، فإن علم الاحتمال أو ما نسميه هنا بـ (التفسير الاحتمالي) له قواعده وضوابطه كصحة الاحتمال في نفسه، وصحة دلالة السياق عليه، ودلالة القرينة الصحيحة على صحته، وغيرها من القواعد والضوابط التي سار عليها المتقدمون ومن لحقهم، وإن شذَّ عن هذا الطريق أقوام، إذ لا حجة لمن جرَّم القول به، ولا لمن بالغ في تقريره والعمل به على كل وجه وحال من غير تحرير وتدقيق، والله المستعان.

الصورة الرابعة: على اعتبار مناهج تحقيق النصوص وتحريرها:

كوضع الاصطلاحات، والمعتقدات، ومن ثَم بناء الأحكام العقدية، والتشريعية على مقتضى المصطلح، لا على دلالات النصوص، ومقاصدها، كأن يكون الخلاف لفظيا راجعا إلى الاختلاف في الاصطلاح بين العلماء، أو أن يكون خلافا مبنيا على معنى يختلف فيه العلماء[٦٠].

النوازع الباعثة على رفض التفسير الاحتمالي عند بعض العلماء والباحثين:

من هنا يمكن الإشارة إلى بعض النوازع الباعثة على رفض التفسير الاحتمالي عند بعض العلماء والباحثين، وهي كثيرا جدا، إلا أن من أكثرها شيوعا وتأثيرا، ما يأتي:

١- التأويل الخاطئ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"[٦١]:

حيث إن دلالات الحديث يراد بها عامة الناس دون علمائهم، فهذا من جهة، ومن جهة أخرى من حيث نوعية الآيات، ودلالاتها، فالكلام في الأمور الغيبية، والتقول على الله فيها بغير علم عواقبه خطيرة، كالكلام في صفات الله، وأسمائه، وتكييفها، وتمثيلها، أو إنكار ظواهرها مما أكدته النصوص، أو الخوض فيما سكت عنه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وما أشبه ذلك من علوم القرآن التي حصرها ابن عباس في أربعة أقسام: علم يعلمه الله، ولا يعلمه غيره، والكلام فيه رجم بالغيب، وعلم تعلمه العلماء، وقول العامة فيه غير جائز، وعلم تعلمه العرب، وعلم لا يعذر أحد بجهله[٦٢]، وكل قسم له ضوابطه وحدوده[٦٣]، وأما دلالات الآيات التكوينية، والظواهر العلمية، والتجريبية، وما شابهها من فاضل العلم فلا حرج في الاجتهاد فيه لأهل الاختصاص، على شرط لزوم الضوابط العلمية، والشرعية[٦٤].

٢- التنازع الاصطلاحي في مفاهيم التأويل والاحتمال:

الاختلاف في مفهوم التأويل واسع، وكل ينظر إليه بحسب مذهبه ومعتقده، ولا حاجة إلى التوسع في سرد الاختلاف وعلله، إذ هو باب لو فتح لم ينقفل[٦٥]، وإنما يعنينا هنا ذكر مواقف الرافضين للتفسير الاحتمالي بجملته، وبواعثهم لذلك.

---

(٥٩) ملتقى أهل التفسير https://vb.tafsir.net/forum .

(٦٠) ينظر: القطعية من الأدلة الأربعة، محمد دمبي دكوري: (ص:٢١٢)، والتكلف في التفسير، محمد بامؤمن: (ص:٢٠١).

(٦١) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: (٢٠٠/٥)، وقال حديث غريب وفي أحد رواته مقال، وضعفه أبو يعلى في مسنده: (٩٠/٣)، وقال الألباني في ضعيف سنن الترمذي، صحيح الإسناد مقطوع، ينظر: ضعيف سنن الترمذي، الألباني: (ص:٣٦٠).

(٦٢) ينظر: جامع البيان، للطبري: (٧٥/١).

(٦٣) ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، التُّورِبِشْتِي: (١٠٩/١).

(٦٤) ينظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية: (ص:٣١١).

(٦٥) للعلماء والأصوليين في تفصيلات يصعب حصرها، من جهة ويصعب ضبط آراء القائلين به والمعترضين عليه من وجوه كثيرة، لذلك نحيل من أراد التفاصيل إلى مظانه في غير هذا الكتاب، ففيها الغنية عن هنا.

وخلاصة ذلك أن من جعل الاحتمال رديف التأويل ألحقه به وألبسه أحكامه، فرد الاحتمال برد التأويل، جملة وتفصيلا، وفي المقابل من قرر التأويل ودعا إليه وجعل الاحتمال قرينه، فقد أقر الاحتمال بتقرير التأويل وسوغه بمسوغاته. ومن توسط بين الفريقين سوغ للاحتمال في مواضع دون مواضع؛ لعلل قبلتها النصوص والمعاني، ومنعه في مواضع تعذر حمل معانيها ونصوصها على خلاف ظواهرها لضف القرائن، أو شذوذ المعاني والدلالات، ومخالفتها مقاصد القرآن وأساليبه(٦٦).

٣- اختلاف مصادر المفسرين بين النقل والرأي:

عرف د/ الذهبي التفسير بالرأي فقال: "يطلق الرأي على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس"(٦٧).

والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، أي: تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد، وذلك بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم في القول، ومعرفة الألفاظ العربية، ووجوه دلالتها، والوقوف على أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وآراء العلماء واجتهاداتهم، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر(٦٨).

قال د/ الذهبي: "...فقوم تشددوا في ذلك فلم يجرؤوا على تفسير شيء من القرآن، ولم يبيحوه لغيرهم، وقالوا: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وإن كان عالما، أديبًا، متسعًا في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضي الله عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين. وقوم كان موقفهم على العكس من ذلك، فلم يروا بأسًا من أن يفسروا القرآن باجتهادهم، ورأوا أن من كان ذا أدب وسيع فموسع له أن يفسر القرآن برأيه واجتهاده"(٦٩).

٤- التقليد، وترك النظر:

سواء كان التقليد لمذهب، أو طائفة، أو فرقة، أو لما عليه الفلاسفة، وأصحاب العلوم التجريبية، من غير إعمال كلا الفريقين -المقلدة للمأثور أو مقلدي الفلاسفة، وأصحاب العلوم التجريبية- للعقل، وبناء الحقائق على أصول علمية، تشريعية، وأصول علمية، تجريبية، فجانب الفريقان الصواب، فوقع الصنف الأول في الجمود، ووقع الثاني: في الزلل، ومخالفة الكتاب والسنة، وأصول التفسير(٧٠).

٥- الأخطاء المنهجية، والموضوعية في سرد الاحتمالات المعنوية:

فأما الأخطاء الموضوعية فأبرز ما تتمثل فيه: حشو التفاسير، بتأويلات لمواضيع لا تتعلق بمقاصد الآيات، ودلالاتها، وحمل معاني القرآن على غير وجهها، وتكليفها ما لا تسعه، كتفسير كثير من الظواهر التكوينية وتعليق آثارها وجريانها على مدلولات النصوص ومعانيها(٧١).

وأما المنهجية فتتمثل بالخلط في مناهج الاستدلال، وتنزيل الشواهد المتشابهة على غير موضعها، أو تنزيلها على صور تتعارض فيما بينها، كمن ذهب إلى أن نصوص القرآن معلومة لدى الراسخين في العلم، ثم وقع في معارضة كثير من

---

(٦٦) ينظر: النكت والعيون، الماوردي: (١/ ١-٣٥)، مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية: (ص: ٧ ، ٤٦)، مناهل العرفان، للزُّرْقاني: (٢/ ١١٨)، التفسير والمفسرون، د/ الذهبي: (١/ ٣٠، ٧٣)

(٦٧) التفسير والمفسرون، للذهبي: (١/ ١٨٣).

(٦٨) ينظر: التفسير والمفسرون، للذهبي: (١/ ١٨٣).

(٦٩) التفسير والمفسرون، للذهبي: (١/ ١٨٣).

(٧٠) ينظر: فتح القدير، الشوكاني(ت:١٢٥٠هـ): (٦٠٧/١)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم، سويلم: (١١/١).

(٧١) ينظر: التكلف في التفسير، بامؤمن: (ص:٧٤، ١٧٣)، وينظر: فتح القدير، للشوكاني: (١/ ٦٠٧)، والتفسير والمفسرون أساسياته، د/ فضل عبَّاس: (٢٦٦/٢).

النصوص المتشابهة التي لم يجد لها تفسيرا واضحا، كالحروف المقطعة في فواتح السور، وما شابهها من نصوص الآيات التكوينية[٧٢].

ومن الأخطاء المنهجية، أيضا:

ـ الخلط بين محامل اللغة وتصريفاتها، وبين معان الآيات ومقاصدها:

وقع في هذا الإشكال كثير من المشتغلين بالتفسير، وخاصة المعاصرين، فمنهم من حمل معان اللغة على غير مقاصد الآيات وسياقها، متجاوزا أصول التفسير المعلومة بل وحتى أصول اللغة والنحو ومدلولاتها العربية، فأفردوا بعض الكلمات القرآنية، أو الآيات، أو أجزاء منها وفسروها تفسيرا حرفيا بعيدا عن سياقها العام ومقاصدها التشريعية والقرآنية، كأمثال د/ محمد شحرور، د/ علي منصور كيالي، وعدنان إبراهيم، وغيرهم.

وإن كان قد وقع مثل ذلك كما جاء في معاني بعض الألفاظ، مثل: سكارى، والضحك، وغيرها[٧٣]، إلا أن له صورا ومعاني يمكن إيرادها وحملها عليها، مع ما في بعضها من الضعف ومخالفة رأي جمهور المفسرين، إلا أن ما يذكره الآنفو الذكر – شحرور والكيالي- لا يمكن حمله على مقاصد الآيات لا من قريب ولا من بعيد، بل إنه قائم على شذوذ فكر، وجهل بأصول التفسير وقواعده جملة وتفصيلا.

مما دفع فريقا آخر من المعترضين على هذا الصنف من التفسير والتأويل إلى دفع ورفض التأويل عموما، والتفسير الاحتمالي خصوصا، ولا ريب أن كلا الفريقين قد جانب الصواب، إذ الأول وإن كان لمقاله جذور لغوية إلا أن الكلام العربي يفهم من سياقه ومقاصد المتكلم ومراده، وليس الأمر اعتباطا حيثما وجدت كلمة ما، أو آية فسرناها بجميع ما تحتمل من صواب وخطأ[٧٤].

وأما الفريق الثاني فقد بالغ في رد الاحتمال الوارد في معاني بعض الكلمات أو الآيات وأجزائها، إذ الأمر محل روية وبحث ودراسة، والاحتمال إما مقبول بشروطه، أو مردود بعلله، وقبول الجميع كله ورده كله فيه كثير تجوز وخروج عن الصواب، والله أجل وأعلم.

ـ التركيب المعنوي والصرفي:

ونعني به تركيب المعاني والنصوص وحملها على غير وجهها، وهو قريب من الخلط في جوه ونقيضه من وجوه، فأما التشابه بينهما فإن التركيب يكون بخلط معاني النصوص القرآنية الاحتمالية، وصرفها عن ظواهرها لغير قرينة بينة، من جهة، ومن جهة أخرى، حملها على معنى واحد في جميع المواضع التي ذكرت فيها وإن خالفت مقاصد الآيات وسياقها، كمعنى: (الكرسي) في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حيث حمل معناه على أنه موضع القدمين، وقيل هو بمعنى العلم، وكذلك: يتلو، في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ونظائرها، الذي بمعنى القراءة والترتيل،

---

(٧٢) ينظر: فتح القدير، للشوكاني: (١/ ٦٠٧)، والتفسير والمفسرون أساسياته، د/ فضل عبّاس: (٢٦٦/٢).

(٧٣) ينظر: النكت والعيون، للماوردي: (٤٨٩/١)، (٤٨٤/٢).

(٧٤) ينظر: فتحُ البيان، القِنَّوجي: (١٨١/٢)، والتفسير والمفسرون، د/ الذهبي: (٢/ ٣٨٣).

وقوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) ﴾ [البقرة: ١٢١]،ونظائره الذي جاء بمعنى الاتباع، وكليهما يمكن حمله على الآخر، قال الماوردي:﴿يتلونه حق تلاوته ﴾ فيه تأويلان : أحدهما : يقرؤونه حق قراءة . والثاني: يتبعونه حق اتباعه، فيحللون حلاله ، ويحرمون حرامه ، وهذا قول الجمهور"[٧٥].

وأما وجه التخالف بين الخلط والتركيب، فإنه يكمن في كون التركيب أعم من الخلط، إذ أن التركيب قد يكون نحويا أو صرفيا، أو بلاغيا، أو عقديا، أو نحو ذلك، ومن ذلك ما جاء في معان بعض الألفاظ كالقرو والقروء ويؤلون ويولون، والأوليان[٧٦].

قال ابن القيم: "وينبغي أن يتفطن ههنا لأمر لا بد منه وهو أنه لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن ... فتدبر هذه القاعدة ولتكن منك على بال فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه...فهذا أصل من أصوله بل هو أهم أصوله، فالرواية هي الأصل، وقواعد اللغة العربية تبع لها لا العكس"[٧٧].

ـــ **البغي، والتعصب الطائفي، والمذهبي، والانتصار للفرق:**

وهذا يشمل جميع الدلالات الاحتمالية في القرآن الكريم خصوصا، والسنة عموما، سواء الدلالات العقدية، أو التشريعية، أو تأويل الدلالات التكوينية[٧٨].

حيث يعمد بعض المفسرين لتقرير الآراء والمذاهب الفقهية، أو اللغوية، أو النحوية، أو العقدية، ثم يبحث لها عن شواهد من القرآن فإن لم يجد لوى أعناق النصوص وكيفها لتوافق ما ذهب إليه، ويمكن أن يلحق بهذا النصف من التفسير تقرير الاصطلاحات وحصر المعاني على ما وافقها ورد ما دون ذلك، وكل ذلك دفع هؤلاء لإهمال دلالات النصوص واحتمالاتها، وتقييده في ضوء ما قرروه من القواعد[٧٩].

- التفريق بين دلالات نصوص القرآن والسنة، وتغليب أحدهما على الأخرى:

من المجمع عليه عند الأصوليين أن القرآن قطعي الثبوت بالجملة نقلا، ودلالة، وإنما الاختلاف في مدلولات بعض النصوص الاحتمالية، وبعض أصول التفسير الظنية الدلالة، كتفسير القرآن بالسنة، أو بأقوال الصحابة والتابعين، أو الاختلاف بسبب أسباب النزول، ونحو ذلك مما يعتريه الوهم في بعض وجوهه، كالإعلال بضعف الأسانيد، أو الوقوع في التأويل الاحتمالي، أو تعارض الأقوال، والاجتهادات، وهكذا.

---

(٧٥) النكت والعيون: (١/ ١٨٢).

(٧٦) لمزيد من التفصيل يراجع، القروء في القرآن دلالته التفسيرية والحكمية في ضوء اختلاف القراءات القرآنية، د/ ناجي اليحيري: (ص:٢٥)، ومعنى الإيلاء ودلالاته الحكمية في ضوء اختلاف القراءات القرآنية، د/ ناجي اليحيري: (ص:١١١-١٤٦).

(٧٧) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: (٣/ ٢٧)

(٧٨) مناهج المفسرين، منيع محمود: (ص:١٠٦)، والفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبد الكريم بن صالح: (ص١-٤٦٦).

(٧٩) ينظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام: (ص: ٣٧٥)، مناهل العرفان، للزرقاني: (٢/ ١١، ٢٥، ٢٨)، التفسير والمفسرون، د/ الذهبي: (١/ ١٧، ٦٤، ٨٩)، والتكلف في التفسير، محمد بامؤمن: (ص: ٧٣، ١٧٣، ٢٠١).

فمن المفسرين من اعتمد في تأويله لنصوص القرآن على اللغة ومدلولاتها، والعقل واجتهاده، متجاهلا ما جاء في تفسيرها وتأويلها من الأحاديث الصحيحة، ومنهم من اقتصر على ظاهر النصوص، وتجاهل مقاصد الآيات، ودلالاتها اللغوية، والبيانية[٨٠].

فالمعتزلة يرون أن العقل أصل والسمع -أي النقل- فرع، ولا يجوز تقديم الفرع على الأصل، ومن هنا كان تقديمهم العقل على النقل. ويتمثل النقل عندهم في ثلاثة أدلة: الكتاب، والخبر المجمع عليه، والإجماع[٨١].

فعولوا في تفسيراتهم على دلالات ألفاظ اللغوية في القرآن، أما الحديث الذي هو الأصل الثاني من أصول التفسير فقد اختلفوا في موقفهم منه، فمنهم من لم يقبل منه إلا المتواتر أو المشهور، وبعضهم طعن في الرواية والرواة، وبعضهم لا يقبل حتى المتواتر[٨٢].

وبلغت هذه النزعة أوجها عند النظام الذي أنكر بعض الأحاديث، ورفض الإجماع، ولكن هذه النزعة قد خفت ومالت إلى الاعتدال عند المتأخرين من المعتزلة، وخاصة القاضي عبد الجبار وتلاميذه الذين اعتدوا بالحديث[٨٣].

وعلى نقيض المعتزلة هناك طوائف عمدت في تفسير القرآن إلى المأثور، فبالغت في جمع الأحاديث صحيحها وسقيمها، وضعيفها وموضوعها، ففسرت المعاني، وقيدت الألفاظ على ظواهر هذه الأحاديث والمأثورات من غير تحقيق ولا تدقيق، فألبس المعاني ما ليس فيها، وأَضِف إلى ذلك ما اتصفت به هذه المأثورات، وأُلبسته من أمارات التبجيل والتعظيم، فاكتست أقوالهم بذلك صفة الصحة والأحقية لانتسابها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وأصحابه رضوان الله عليهم. ولا شك أن في هذا من التدليس والتلفيق والكذب على الله تبارك وتعالى وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام من الإثم والوزر ما فيه.

غير أن القول الفصل والحق المبين في هذه المسألة مبنيٌ على ركنين أساسيين:

الأول: صحة الإسناد، واتصاله بالنبي عليه الصلاة والسلام، وأصحابه رضوان الله عليهم، على اختلاف بعض الأصوليين في التابعين رحمهم الله مع الأخذ باعتبار طبقاتهم[٨٤].

والثاني: الاعتبار في دلالة المأثورات وقطعية معانيها، فإن كانت قطعية الدلالة والمعنى، فقبل الاحتجاج بها وقدم على غيره، وإلا نظر في القرائن والنظائر، وما يلحق بها[٨٥].

قال الزرقاني: "إذا تقرر هذا فإن التفسير بالمأثور الثابت بالنص القطعي لا يمكن أن يعارض بالتفسير بالرأي؛ لأن الرأي إما ظني وإما قطعي، أي: مستند إلى دليل قطعي من عقل، أو نقل، فإن كان قطعيا فلا تعارض بين قطعيين بل يؤول المأثور ليرجع إلى الرأي المستند إلى القطعي إن أمكن تأويله، جمعا بين الدليلين، وإن لم يكن تأويله حمل اللفظ الكريم على ما يقتضيه الرأي والاجتهاد تقديما للأرجح على المرجوح..."[٨٦].

---

(٨٠) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (٥/١٦-١٧)، وتفسير الإمام الشافعي: (١/٢٣٢).

(٨١) ينظر: التفسير والمفسرون، د/ الذهبي: (١/ ٢٦٥)، وينظر: مقدمة تحقيق تفسير الماتريدي: (١/ ١٣٤).

(٨٢) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية: (ص: ٣٤-٤٧).

(٨٣) ينظر: مقدمة تحقيق تفسير الماتريدي: (١/ ١٣٤).

(٨٤) مناهل العرفان، للزرقاني: (٢/ ٦٤-٦٥).

(٨٥) ينظر: مناهل العرفان، للزرقاني: (٢/ ٦٤-٦٥).

(٨٦) مناهل العرفان، للزرقاني: (٢/ ٦٤-٦٥).

الخاتمة:

الحمد لله لا شريك له، واحدٌ، أحدٌ، فردٌ، صمدٌ، أولى فأَنعَم، وفتح فعلَّم، والصلاة والسلام في نبيه ومصطفاه، محمد وآله وصحبه، ومن تبع هداه، وفَّق وأعان على إتمام هذه الصفحات، وقبل طيَّها كان لزاما أن أُلملِم شعثها ببعض أبرز ما نتج مما خَلصتُ إليه، وصية لم جَدَّ وشَغف بالبحث والدراسة عموما، والنصوص الاحتمالية وتأصيلها خصوصا، ومن أبرزها:

أولا: النتائج:

١- من أبرز خصائص النصوص القرآنية التي تميزت بها النصوص الاحتمالية، ما يلي:

- تنوع الدلالات بين قطعيٍ وظنيِ الدلالة.
- الاتساع في معاني النصوص وشمولها، مع تكامل المعاني والدلالات، معنويا، ولغويا، وتشريعيا.

٢- اختلفت مواقف العلماء والباحثين من النصوص الاحتمالية بين مؤيد لها ومعارض، وذلك لعدة اعتبارات: عقدية، ومنهجية، واستدلالية، وانتمائية، وأصولية، وغير ذلك.

٣- كان من أبرز النوازع والبواعث الداعية لرفض القول بالتفسير الاحتمالي والعمل به عند بعض الباحثين: التأويل الخاطئ، والتنازع الاصطلاحي في مفاهيم التأويل والاحتمال، واختلاف مصادر العلماء بين النقل والرأي، والتقليد، والأخطاء المنهجية الاستدلالية، والتركيب المعنوي والصرفي، والبغي والتعصب الطائفي، والمذهبي وغيرها.

ثانيا: أهم التوصيات، والمقترحات:

يوصي الباحث بتولية التفسير الاحتمالي مزيد أهمية ودراسة، كما أنه يوصي:

- بدراسة مقاصد التفسير الاحتمالي للنص القرآني.
- دراسة القواعد والضوابط التي قررها العلماء للقول بالتفسير الاحتمالي والعمل به.
- دراسة المدلولات اللغوية والاحتمالية، والصرفية وبيان أثرها في المعاني، والأحكام.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٢. الاجتهاد، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، إمام الحرمين(ت:٤٧٨هـ)، تحقيق: د/ عبد الحميد أبو زنيد، الناشر: دار القلم, دارة العلوم الثقافية ـ دمشق، ١٤٠٨ه.

٣. الاحتمال كاستدلال منطقي، د/ مايسة عبده علي، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات، جامعة عين شمس، مصر، العدد(٢٠) الجزء(١٠)، ٢٠١٩م.

٤. أحكام القرآن، عبد المنعم بن عبد الرحيم، ابن الفرس(ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: د/ طه بن علي بو سريح، وآخرون، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٥. الأشباه والنظائر، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي(ت:٧٧١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١م.

٦. أهمية التفسير الاحتمالي للنص القرآني، وبواعثه ومسوغاته العلمية، د/ ناجي حسين صالح علي اليحيري، الناشر: مؤتمر الدراسات الإسلامية ودورها في خدم الإنسانية، المنعقد بمكة المكرمة، السعودية، الفترة(٢١-٢٣ ربيع الثاني،١٤٤٣ه، الموافق٢٦-٢٨ نوفمبر، ٢٠١٢م.

٧. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٩. ١٠.البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله بن بهادر، الزركشي(ت:٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، الناشر: دار إحياء الكتب، ط١، ١٩٥٧م.

١٠. تأويلات أهل السنة(تفسير الماتريدي)، محمد بن محمد بن محمود، الماتريدي(ت:٣٣٣هـ)، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١١. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت:١٣٩٣هـ) الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٢. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي(ت:٧٤١هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

١٣. التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني(ت: ٢٠٠هـ)، قدمت له وحققته: هند شلبي، الناشر: الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.

١٤. تفسير الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧ ـ ٢٠٠٦م.

١٥. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي(ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٦. تفسير الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد(ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: د/ محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب ـ جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٧. تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي(ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م.

١٨. تفسير الماوردي، (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان.

١٩. تفسير النيسابوري(غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري(ت:٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٠. التفسير بالقول المحتمل، عقيل بن سالم بن عقيل الشمري، رسالة دكتوراه قدمت لجامعة الملك سعود، السعودية، ١٤٣٤ه.

٢١. تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان بن بشير، أبو الحسن، الأزدي(ت:١٥٠هـ) تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢٢. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، د/ فضل حسن عبَّاس الناشر: دار النفائس، الأردن، ط١، ٢٠١٦م.

٢٣. التفسير والمفسرون، تأليف: د/ محمد حسين، الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧.
٢٤. تقريب التدمرية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، ط١، ١٤١٩هـ.
٢٥. التكلف في التفسير عند المعاصرين، الأسباب والآثار، محمد مؤمن محمد بامؤمن، الناشر: دار التفسير، السعودية جدة، ١٤٣٥ه-٢٠١٤م.
٢٦. تيسير البيان لأحكام القرآن، لابن نور الدين، محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني(ت:٨٢٥هـ)، اعتنى به: عبد المعين الحرش، الناشر: دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٢٧. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٨. جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.
٢٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي(ت:٧٥٦هـ)، تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
٣٠. دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني(ت: ٤٧١هـ) دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَلِيد بِن أحمد بن صَالِح الحُسين، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ٢٠٠٨م.
٣١. الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، أحمد بن إسماعيل الكوراني(ت:٨٩٣هـ)، تحقيق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢٠٠٨م.
٣٢. الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية الحراني(ت:٧٢٨هـ)، الناشر: دار ترجمان السنة، باكستان، ط٣، ١٩٧٦م: (ص:٣١١).
٣٣. الرسالة التدمرية، ابن تيمية:، الناشر: المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٣٤. الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي(ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط٦.
٣٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ه.
٣٦. سنن الترمذي، محمد بن عيسى، الترمذي، أبو عيسى(ت:٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، آخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٥م.
٣٧. ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني(ت:١٤٢٠هـ)، تعليق: زهير الشاويش، الرياض، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٣٨. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان، القِنَّوجي(ت:١٣٠٧هـ)، قدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المكتبة العصريَّة، بَيروت، ١٩٩٢م.
٣٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد، الشوكاني(ت:١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ه.
٤٠. الفرقان في بيان إعجاز القرآن، عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد، الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ٢٠٠٢م.
٤١. فضائل القرآن للقاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير، (دمشق - بيروت)، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٤٢. الفوز الكبير في أصول التفسير، أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (ت: ١١٧٦هـ)، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، الناشر: دار الصحوة – القاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٤٣. القروء في القرآن دلالته التفسيرية والحكمية في ضوء اختلاف القراءات القرآنية(دراسة تحليلية)، د/ ناجي حسين صالح علي اليحيري، الناشر: مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، جامعة: تعز، اليمن، العدد: (٩)، المجلد: (٤)، أبريل، ٢٠٢٠م.
٤٤. القطعية من الأدلة الأربعة، محمد دمبي دكوري، الناشر: الجامعة الإسلامية، السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.
٤٥. كتاب العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، الفراهيدي(ت:١٧٠هـ) تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٤٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر، أبو القاسم، الزمخشري، الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت:٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٤٨. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٤٩. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي(ت:١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٥٠. المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم(ت:١٤٠٣هـ)، الناشر: مكتبه السنة – القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣م.
٥١. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي(ت:٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون، دمشق، ط١، ١٩٨٤م.
٥٢. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، إبراهيم بن عمر، البقاعي (ت:٨٨٥هـ)، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٥٣. المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي(ت:٧٠٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م.
٥٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت:١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٥٥. معنى الإيلاء ودلالاته الحكمية في ضوء اختلاف القراءات القرآنية(دراسة تحليلية)، د/ ناجي حسن صالح علي اليحيري، الناشر: مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، اليمن، العدد: (١٥)، أكتوبر، ٢٠١٩م.
٥٦. مفهوم التفسير الاحتمالي للنص القرآني(دراسة تأصيلية)، د/ ناجي حسين صالح علي اليحيري، الناشر: مجلة القلم، اليمن، issn2410-5228، العدد(٢٧)، ٩-١٠، ٢٠٢١م.
٥٧. مقدمة في أصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.
٥٨. مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم محمود(ت:١٤٣٠هـ)، الناشر: دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ٢٠٠٠م.
٥٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني(ت: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
٦٠. مُوسُوعَة القَوَاعِدُ الفِقهِيَّة، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٦١. الميسر في شرح مصابيح السنة، فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف ، التُّورِبِشْتِي(ت:٦٦١هـ)، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٢، ٢٠٠٨م.
٦٢. ملتقى أهل التفسير، https://vb.tafsir.net/forum.

المفسر والتفسير بين الأهمية والتأثير

The explainer and the explanation between importance and effect

د. عواد عبد الرحمن صياح الرويلي - كلية العلوم والآداب بالقريات - جامعة الجوف – المملكة العربية السعودية
Email: aasalrowaili@ju.edu.sa

ملخص

يتناول البحث موضوع " المفسر والتفسير بين الأهمية والتأثير" من خلال ثلاث محاور رئيسة، هي: المحور الأول ويدرس المقصود بعلم التفسير في اللغة والاصطلاح، والمحور الثاني بعنوان: أهمية المفسر والتفسير في ضوء القرآن الكريم، ويبحث في : أهمية المفسر وشروطه وصفاته، وأهمية علم التفسير في ضوء القرآن الكريم، ومناهج علم التفسير وأساليبه ومدارسه، ثم المحور الثالث بعنوان: تأثير المفسر والتفسير على الفرد والمجتمع، وما يقدمه هذا الأثر من منافع جمة على الفرد والمجتمع.

ومن نتائج البحث: بيان أهمية المفسر وعلوم التفسير للفرد والمجتمع، وكذلك أثرهما عليهما، وأوصى الباحث بدراسة تطبيقية لقياس أثر المفسر وعلوم التفسير على الفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: المفسر – التفسير – القرآن.

summary

The research deals with its topic o through three main axes: the first axis is examines the meaning of the science of interpretation in language and terminology, and the second axis entitled: the importance of the explainer and the interpretation in the light of the Holy Qur'an, and examines: the importance of the explainer and its conditions and recipes, the importance of the interpretation in the light of the Qur'an, the methods of interpretation and its schools, and then the third axis entitled: the effect of the Explainer and interpretation on the individual and society, and its great benefits.

Keywords: the Explainer, the Interpretation, Qur'an.

من الدراسات السابقة:

- كتاب "مشكل القرآن الكريم" للمنصور، والذي تناول فيه موضوع مشكل القرآن الكريم بالتعريف عنه وذكر أسبابه، كما تعرض لطرح نماذج توضح مواضع الاشكال والخلط، ولم يتطرق لمنهجية تحول دون الوقوع في مشكل عند تلاوة وتفسير آيات القرآن الكريم بشكل دقيق متخصص. [٨٧]

- دراسة الشايع بعنوان "التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين"، وقد تناولت الدراسة قضية التفسير بمكتشفات العلم التجريبي على وجه الاختصاص، وبيان العلاقة بين تفسير القرآن الكريم والاكتشافات العرصية الحديثة، مع بيان الرأي المؤيد والرأي المعارض لهذا التفسير. [٨٨]

---

٨٧. المنصور، عبد الله بن حمد. مشكل القرآن الكريم. الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦ه، ص٤٥.

٨٨. الشايع، محمد بن عبد الرحمن صالح. التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين. بحث منشور بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، العدد الرابع، رجب ١٤١١ه.

أهمية البحث:

وتتمثل في حاجة كل مسلم الماسة لعلوم التفسير والمفسرين أنفسهم، ومعرفة أهميتهم وأثرهم عليهم كأفراد وعلى المجتمع ككل.

مشكلة البحث:

وتنبع من ضرورة معرفة أهمية مفسر القرآن الكريم وشروطه وآدابه، وكذلك الوقوف على أهمية علم التفسير، وعرفة مناهجه وأصوله ومدارسه.

أهداف البحث:

- بيان أهمية المفسر وعلوم التفسير للفرد والمجتمع.
- توضيح صفات وآداب وشروط المفسر.
- الكشف عن أثر المفسر ومعرفة علوم التفسير على الفرد والمجتمع.

أسئلة البحث وفرضياته:

س/ ما المقصود بعلم التفسير؟

س/ ما أهمية المفسر ومعرفة علم التفسير للفرد والمجتمع؟

س/ ما أثر المفسر وعلوم التفسير على الفرد والمجتمع؟

منهج البحث:

استندت في بحثي هذا على أدوات المنهج الوصفي في جمع المعلومات وما يتعلق بموضوع البحث من أقوال أهل العلم وتحليلها بغية تحقيق أهداف البحث، ثم استندت إلى المنهج الاستنباطي بغية استخلاص أهمية المفسر وعلوم التفسير للفرد والمجتمع، وكذلك أثرهما عليهما، وعلى هذا اتخذت هذه الاجراءات:

- جمع المعلومات والأدلة من كلام أهل العلم حول ما يتعلق بموضوع البحث.
- جمع ما يتعلق بموضوع البحث من آيات قرآنية سواء بالتصريح أو بالتلميح وتحليلها.
- عزو الآيات القرآنية باسم السورة ورقم الآية في متن البحث.
- الحرص على توثيق الاقتباس من أقوال أهل العلم في متن البحث.
- توثيق التراجم والمراجع في ختام البحث وفق معايير APA للتوثيق العلمي.
- تأصيل منهجية لضبط البحث تنطلق من جمع المعلومات ثم تحليلها ثم استنباط ما يخدم البحث.

نتائج البحث وتوصياته:

لله الحمد فقد خرج البحث بالنتائج المرجوة، محققًا أهدافه، ومجيبًا عن أسئلته وفرضياته، ومنها:

- الوقوف على معنى مصطلح (علم التفسير) في اللغة والاصطلاح،
- الكشف عن أهمية علم التفسير والحاجة إليه ومناهجه وأساليبه، ومدارسه.
- تحديد تأثير المفسر والتفسير على الفرد والمجتمع.

ومن توصيات البحث:

- دراسة تطبيقية لقياس أثر المفسر وعلوم التفسير على الفرد والمجتمع.

المقصود بعلم التفسير لغةً واصطلاحًا:

المقصود بعلم التفسير في اللغة:

لفظة (تفسير) مشتقة من الفعل (فَسَرَ) أي: أبان ووضّح، ويقول صاحب اللسان:" فسر: الفسر: البيان. فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسرا وفسره: أبانه، والتفسير مثله. ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد.

الفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر. واستفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي."[٨٩]

وعلى هذا يكون المراد بلفظة (التفسير) في اللغة، هو: الإيضاح والإبانة، وكشف المراد بلفظ أيسر وأسهل.

المقصود بعلم التفسير في الاصطلاح:

تعرض أهل العلم والاختصاص إلى تعريف (التفسير) كعلم من علوم القرآن من وجوه عدة، ذكرها الإمام السيوطي باستفاضة في كتابه (الإتقان في علوم القرآن)، حيث قال: " واختلف في التفسير أو التأويل، فقال أبو عبيد وطائفة: هما بمعنى: وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري، فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه.

وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل؛ وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها، بما ظهر من الأدلة.

وقال الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله.

وقال أبو طالب التغلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة، أو مجازا، كتفسير الصراط: بالطريق والصيب: بالمطر والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد.

وقال الأصبهاني في تفسيره: اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد، أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتأويل أكثره في الجمل، والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة، والوصيلة، أو في وجيز يتبين بشرح، نحو أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وإما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها، كقوله: ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر**﴾ وقوله: ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** ﴾؛ وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا، نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود البارئ عز وجل خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة، نحو لفظ "وجد" المستعمل في الجدة والوجد والوجود.

وقال غيره: التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية.

وقال قوم منهم البغوي والكواشي: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.

---

٨٩. ابن منظور،محمد بن مكرم بن على. (المتوفى: ٧١١هـ). لسان العرب. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت –لبنان - ١٤١٤هـ، ط:٣، ج٥- ص٥٥.

وقال أبو حيان: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك، قال: فقولنا "علم" جنس، وقولنا: "يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن" هو علم القراءة، وقولنا: ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: "وأحكامها الإفرادية والتركيبية"، هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع وقولنا ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالته بالحقيقة، وما دلالته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل عليه صاد، فيحمل على غيره، وهو المجاز وقولنا: "وتتمات لذلك"، هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك

وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد (ﷺ) وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول".[٩٠]

ونرى من الناحية البحثية أن الإمام السيوطي قد ألم بالعديد من أقوال أهل العلم في تعريف (التفسير) اصطلاحًا، إلا أن بعض التعريفات ترتكز على نواحٍ معينة دون أخرى، فعلى سبيل المثال نجد أن التعريف الأخير وهو للإمام الزركشي، لم يذكر السنة النبوية الشريفة كركيزة هامة في تفسير القرآن الكريم، كما أن النحو والتصريف وعلم البيان، كلهم فروع لعلم اللغة، كما لم يتعرض إلى ضرورة معرفة الناسخ والمنسوخ ومشكل القرآن والمتشابهات وغير ذلك من علوم القرآن، التي يجب على المفسر أن يكون ملمًا بها.

وقال الفقيه تعريف مصطلح (تفسير القرآن)، بأنه:" علم يفهم به مراد الله –تعالى- في كتابه المنزل على محمد (ﷺ) من بيان لمعانيه، واستخراج للحكم والأحكام عبر علوم وضوابط حددها العلماء في بيان أنواع النفسير".[٩١]

ويتفق الباحث مع هذا التعريف لرؤيته جامعًا ملمًّا لضوابط واشتراطات علم تفسير القرآن الكريم.

الفرق بين تفسير القرآن وتأويل القرآن:

الفرق بين المصطلحين ذكره الإمام السيوطي كما أوردنا سلفًا، وقد أجملها الإمام الذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) في سبعة أقوال، هي:

١ ـ قال أبو عبيدة وطائفة معه: "التفسير والتأويل بمعنى واحد" فهما مترادفان. وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.

٢ ـ قال الراغب الأصفهانى: "التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يُستعمل التفسير فى الألفاظ، والتأويل فى المعانى، كتأويل الرؤيا. والتأويل يُستعمل أكثره فى الكتب الإلهية. والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها. والتفسير أكثره يستعمل فى مفردات الألفاظ. والتأويل أكثره يستعمل فى الجمل، فالتفسير إما أن يُستعمل فى غريب الألفاظ كـ "البَحيرة والسائبة والوصيلة" أو فى تبين المراد وشرحه كقوله تعالى فى الآية [٤٣] من سورة البقرة: ﴿**وَأَقِيمُواْ الصلاة وَآتُواْ الزكاة**﴾ .. وإما فى كلام مضمن بقصة لا يمكن تصوره إلا بمعرفتها نحو قوله تعالى فى الآية [٣٧] من سورة التوبة: ﴿**إِنَّمَا النسياء زِيَادَةٌ فِي الكفر**﴾.. وقوله تعالى فى الآية [١٨٩] من سورة البقرة: ﴿**وَلَيْسَ البر بِأَن تَأْتُواْ البيوت مِن ظُهُورِهَا**﴾.

---

٩٠. السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي (المتوفى: ٩١١ه). الإتقان في علوم القرآن. ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ط٢، ج:٢، ص:١٩٢-١٩٥.

٩١. الفقيه، أحمد حسن صالح محمد الفقيه. تفسير الجملة القرآنية في ضوء التأسيس والتوكيد. بحث منشور لنيل درجة الدكتوراة في تخصص التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، بجمهورية السودان، ١٤٣١ه، ص ٨.

وأما التأويل: فإنه يُستعمل مرة عاماً، ومرة خاصاً، نحو "الكفر" المستعمل تارة فى الجحود المطلق، وتارة فى جحود البارى خاصة. و "الإيمان" المستعمل فى التصديق المطلق تارة، وفى تصديق دين الحق تارة، وإما فى لفظ مشترك بين معان مختلفة، نحو لفظ "وجد" المستعمل فى الجد والوجد والوجود".

٣ - قال الماتوردى: "التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأى، وهو المنهى عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله"، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

٤ - قال أبو طالب الثعلبى: "التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير "الصراط" بالطريق، و "الصَيِّب" بالمطر. والتأويل تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأول، وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى فى الآية [١٤] من سورة الفجر: {إِنَّ رَبَّكَ لبالمرصاد} .. تفسيره أنه من الرصد، يقال: رصدته: رقبته، والمرصاد مفعال منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه. وقواطع الأدلة تقتضى بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ فى اللغة" وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

٥ - قال البغوى ووافقه الكواشى: "التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسُّنَّة من طريق الاستنباط. والتفسير هو الكلام فى أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها" بتصرف. وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

٦ - قال بعضهم: "التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية"، وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

٧ - التفسير هو بيان المعانى التى تُستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعانى التى تُستفاد بطريق الإشارة. فالنسبة بينهما التباين، وهذا هو المشهور عند المتأخرين، وقد نبَّه إلي هذا الرأى الأخير العلامة الألوسى فى مقدمة تفسيره حيث قال بعد أن استعرض بعض أقوال العلماء فى هذا الموضوع: "وعندى أنه إن كان المراد الفرق بينهما بحسب العُرْف فكل الأقوال فيه - ما سمعتها وما لم تسمعها - مخالف للعُرْف اليوم إذ قد تعورف من غير نكير: أن التأويل إشارة قدسية، ومعارف سبحانية، تنكشف من سجف العبارات للسالكين، وتنهل من سُحُبِ الغيب على قلوب العارفين. والتفسير غير ذلك.

وإن كان المراد الفرق بينهما بحسب ما يدل عليه اللفظ مطابقة، فلا أظنك فى مرية من رد هذه الأقوال، أو بوجه ما، فلا أراد ترضى إلا أن فى كل كشف إرجاعاً، وفى كل إرجاع كشفاً، فافهم".

هذه هى أهم الأقوال فى الفرق بين التفسير والتأويل. وهناك أقوال أخرى أعرضنا عنها مخافة التطويل.

والذى تميل إليه النفس من هذه الأقوال: هو أن التفسير ما كان راجعًا إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعًا إلى الدراية، وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان. والكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله (ﷺ)، أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحى وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالطوا رسول الله (ﷺ)، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

وأما التأويل.. فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل.[٩٢]

ويقول ابن تيمية:" وأما " التأويل " في لفظ السلف فله معنيان:

---

٩٢. الذهبي. محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ). **التفسير والمفسرون.** مكتبة وهبة، القاهرة. ٢٠٠٠م، ط:٧، ج:١، ص:١٧-١٩.

" أحدهما " تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا وهذا - والله أعلم - هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره: القول في تأويل قوله كذا وكذا واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك ومراده التفسير.

و" المعنى الثاني " في لفظ السلف - وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقا -: هو نفس المراد بالكلام فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به".[٩٣]

وطالما أن التأويل ملحوظ فيه الترجيح، فإنه يعتمد على الاجتهاد في رد النصوص والألفاظ إلى غايتها المراد منها، وذلك بعد حسن فهمها وإيضاحها، ونلحظ هنا أن مصطلح (التأويل) قائم على شقين اثنين، هما:

الشق الأول: وهو المقصود به الإيضاح والإبانة وهذا يوازي معنى التفسير.

الشق الثاني: وهو إزالة الإبهام والغموض عن النصوص بردها إلى غايتها المراد منها، وهذا يعني الاجتهاد، وهو مصرح به طالما يستند إلى دليل ولا يخرج عن المألوف عقلًا أو نقلًا، وهذا ما يعتمده أهل العلم والاختصاص من المفسرين.

أهمية المفسر والتفسير في ضوء القرآن الكريم:

أهمية المفسر وشروطه وصفاته:

بالنسبة لأهمية المفسر، فالبعض يتساءل عن ضرورة المفسر وأهميته وعن سبب حاجتنا إليه في عصرنا الحاضر بالخصوص، والإجابة على هذه التساؤلات تتمثل في السطور التالية.

أولًا: إذا كان القرآن الكريم نزل على رسول الله (ﷺ) في زمن كان العرب فيه يتفاخرون ويتباهون بلغتهم العربية وفصاحتها وبلاغتها وبيانها، ورغم ذلك كانوا يتعجبون من حلاوة وبلاغة وبيان النص القرآني المعجز، ويتوقفون عند بعض ألفاظه بغية فهم معانيها وما تدل عليه، وكانوا يلجؤون لرسول الله (ﷺ) لتوضيحها وبيانها لهم كما ذكرنا في أمثلة سابقة، فما بالنا اليوم ونحن نبعد عن اللغة العربية لغتنا مع تقادم الزمن شيئًا فشيئا، حتى انشغلت ألسنتنا بلهجات فرعية حديثًا واستماعًا في أغلب الأحيان، وأصبحت اللغة العربية لغة الفصاحة محل القراءة والكتابة فقط، حتى أن البعض يقع في إشكالية فهم الألفاظ البسيطة منها أحيانًا، فكيف سيفهم لفظ القرآن الكريم الذي نزل متحديًا للعرب ومعجزًا لهم؟ إلا من خلال مفسر.

يقول الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه (الإتقان):" إن القرآن نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر: مع سؤالهم النبي (ﷺ) في الأكثر ... ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير".[٩٤]

ثانيًا: تتجسد أيضًا أهمية المفسر في استخلاص وبيان أحكام الشريعة الإسلامية للناس، وهو ما كان رسول الله (ﷺ) يبينه لصحابته الكرام ويعلمه لهم، وتناقله الناس جيلًا فجيلا حتى جاء عصر التدوين ووثقوه في مؤلفات عديدة، والمفسر يستند في علمه على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح ثم يأتي الاجتهاد تحت مظلة الشريعة الإسلامية، والناس ليس في مقدورهم هذا بدون مفسر وإن كان واجبًا على كل مسلم.

ثالثًا: كم منا وقع ويقع في مشكل حال تلاوة القرآن الكريم وتدبره؟ ومن ثم يلجأ إلى كتب التفسير لإزالة اللبس والغموض وإنهاء المشكل الذي وقع فيه، وهو ما يبرر حاجتنا الماسة إلى المفسر، خاصة وأن في القرآن الكريم ألفاظ يشق علينا فهمها ذاتيًا نظرًا لبعدنا عن اللغة العربية فهمًا ودراسة، وهي عند الكثير منا كعرب لا تتعدى كونها أداة تواصل الآن.

---

٩٣. ابن تيمية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). الإكليل في المتشابه والتأويل. خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد الشيمي شحاته. دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر. ص:٢٨.

٩٤. السيوطي. جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. مرجع سابق. ج:٤، ص: ١٧٠.

ونستطيع أن نستنبط حاجتنا إلى المفسر من خلال معرفة أسباب الوقوع في مشكل حال تلاوة القرآن الكريم وتدبره، ونذكر من هذه الأسباب ما يلي:

١- ابتداع أمر والاعتقاد في أصله في الكتاب والسنة:

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى:" وأهل البدع بالعكس ابتدعوا ألفاظا ومعاني إما في النفي وإما في الإثبات وجعلوها هي الأصل المعقول المحكم الذي يجب اعتقاده والبناء عليه ثم نظروا في الكتاب والسنة فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه وإلا قالوا هذا من الألفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما أريد بها. فجعلوا بدعهم أصلا محكما وما جاء به الرسول فرعا له ومشكلا: إذا لم يوافقه".[٩٥]

٢- اختلاف الموضوع في الآيات:

إن الكثير قد يحدث عنده لبس أو اختلاط حين يتوهم –مثلًا- أن آيات قرآنية تتحدث عن نفس الموضوع بنفس الحكم أو المضمون، ولكن على القارئ المتدبر أن يدرك أن هذا سبب لإشكال قد يقع فيه، وعليه الانتباه عن طريق الرجوع لكتب التفاسير وأقوال أهل العلم، وانتقاء أفضل وأحسن الأجوبة.

٣- وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى:

كقوله تعالى في خلق آدم إنه: ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾[آل عمران:٥٩]، ومرة ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[الحجر:٢٨]، ومرة ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[الصافات:١١]، ومرة ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[الرحمن:١٤]، وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة لأن الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب ومن التراب تدرجت هذه الأحوال.

٤- الاختلاف في جهتي الفعل:

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم} أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة ونفاه عنهم باعتبار التأثير ولهذا قال الجمهور إن الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للآدميين فنفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى وكذا قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[الأنفال:١٧]، رمى أي ما رميت خلقا إذ رميت كسبًا وقيل إن الرمي يشتمل على القبض والإرسال وهما بكسب الرامي وعلى التبليغ والإصابة وهما بفعل الله عز وجل.

هذه بعض أسباب الوقوع في مشكل حال تلاوة القرآن الكريم وتدبره، والتي تبين مدى أهمية وضرورة المفسر بالنسبة لنا، ورغم كثافة المعلومات في هذا الشأن إلا أن المجال يضيق عن ذكرها، وخاصة وقد أفرد لها الكثير من أهل العلم والاختصاص في مؤلفاتهم كالسيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) والزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) وغيرهما.

أما عن شروط المفسر وآدابه:

أولًا: ما اتفق عليه أهل العلم من شروط يجب توافرها في المفسر، وهي:

١- صحة العقيدة.

٢- التجرد عن الهوى.

٣- أن يطلب تفسير القرآن بالقرآن، فإن بعض القرآن يفسر بعضه، فما أجمل منه في موضع، فإنه قد فصّل في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان آخر وغير ذلك.

---

٩٥. ابن تيمية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). مجموع الفتاوى. ت/عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية. ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ط:٣. ج١٧، ص٣٠٦.

٤- أن يطلب تفسير القرآن بالسنة النبوية، وذلك لأن السنة شارحة للقرآن وموضحة له، وقد ذكر القرآن الكريم أن أحكام الرسول (ﷺ) التي كان يحكم بها هي وحي من الوحي وقد بيّن ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ﴾[النساء:١٠٥]، ولهذا قال الرسول (ﷺ) «ألا إنّي أوتيت القرآن ومثله معه» [٩٦] أي السنة.

٥- أقوال الصحابة، لأنهم أدرى بذلك من مشاهدتهم للعديد من القرائن والأحوال والحوادث عند نزول القرآن الكريم، ولما لهم من خصوصية الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح مع الإخلاص الكامل لله ولرسوله.

٦- أقوال التابعين، فإذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة. فإنه يرجع إلى أقوال التابعين وقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة، والحسن البصري وغيرهم، ومن التابعين من تلقّى التفسير عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

٧- أن يكون عالما باللغة العربية وفروعها، لأن القرآن نزل بلغة العرب، ولا بدّ للمفسر من معرفة مفردات الألفاظ عند الشرح. حتى لا يقول في كلام الله تعالى ما لا يجوز ولا يليق.

٨- أن يكون عالما بأصول العلوم المتصلة بالقرآن وعلم التوحيد، حتى لا يؤول آيات الكتاب العزيز التي في حق الله تعالى وصفاته تأويلا يتجاوز به الحق والصواب، كما يجب عليه أن يكون عالما بعلم الأصول، وأصول التفسير خاصة والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك من العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم.

٩- دقة الفهم- أو علم الموهبة- كما قال السيوطي في كتاب الإتقان، وهو الذي به يتمكن المفسر من ترجيح معنى على معنى آخر. وهذا علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.[٩٧]

هذا ما اتفق عليه أهل العلم والاختصاص وذكره السيوطي في إتقانه والزركشي في برهانه وغيرهما، والعلوم التي يجب على المفسر الإلمام بها كشروط من شروط التفسير، هي:

- علوم القرآن.
- علوم السنة النبوية.
- علوم اللغة العربية.
- سير الصحابة والتابعين.
- التاريخ ولاسيما تاريخ العرب وأحوالهم قبل البعثة النبوية وأثنائها وبعدها، للوقوف على مقتضيات الزمان والمكان وأحوال الناس، وسيأتي بيانه في المحور التالي.

ونضيف إليه ضرورة إلمامه بوسائل التكنولوجيا الحديثة التي تمكنه من التواصل مع الآخرين وعرض ما لديه بما يتوافق مع متغيرات العصركاستخدام وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وكذلك وسائل الإعلام الموازي على الشبكة العنكبوتية.

ثانيًا: آداب المفسر، ومنها:

أولًا: حسن النية وسلامة القصد، لأن الأعمال بالنيات، والعلوم الشرعية عامة أولى بأن يكون هدف القائم بها الخير العام وخدمة الإسلام، وأن يتطهر من أغراض الدنيا الفانية. ليسدد الله تعالى خطاه، ويجعل الجنة مثواه جزاء لإخلاصه لخالقه ومولاه جل علاه.

---

٩٦. أبو داود. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ). سنن أبي داود. ت/محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. ج:٤، ص:٢٠٠، حديث رقم (٦٤٠٤). وحكم الألباني: صحيح.

٩٧. معبد. محمد أحمد محمد (ت: ١٤٣٠هـ). نفحات من علوم القرآن. دار السلام – القاهرة. ط:٢، ٢٠٠٥م، ص:١٢٦. (بتصرف)

ثانيًا: حسن الخلق، لأن المفسر في مكان المؤدّب، ولا تصل الآداب إلى نفس المؤدّب إلا إذا كان المؤدّب مثالا يحتذى به في الخلق الحسن. وقد نقل الإتقان عن البرهان قوله: (اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا تظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى، أو حب الدنيا أو إصرار على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله هو، فهذه كلها حجب وموانع للمفسر عن أن يصل إلى ما يصبو إليه.
ثالثًا: أن يتحرى الصدق والضبط في النقل، فلا يتكلم ولا يكتب إلا عن تثبت لما يقوله، حتى يكون في مأمن من اللحن أو الخطأ أو الطعن.
رابعًا: أن يكون متواضعا لين الجانب، فالصلف والتكبر يحولان بين العالم والانتفاع بعلمه، فلو كان علمه نافعا لنفعه.
خامسًا: أن يكون عزيز النفس، فمن الواجب عليه أن يترفع عن سفاسف الأمور، ولا يضع نفسه في مواضع الذلة والمهانة.
سادسًا: أن يتحلى بالتأني والروية في حديثه. فلا يسرد كلامه سردًا سريعًا حتى لا يفهمه المستمع، بل عليه أن يفصل الكلام ويبيّنه ويوضحه ويخرج الحروف من مخارجها. لكي يفهمه المستمع.
سابعًا: أن يجهر بالحق مهما كلفه ذلك، فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.
ثامنًا: أن يقدّم من هو أولى منه إذا حضر معه في المجلس، فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم وكذلك لا يغمطهم حقهم بعد لقائهم لربهم.
تاسعًا: أن يحسن الإعداد وطريقة الأداء، فيضع كل شيء في موضعه ويرتب الأبواب كلّ حسب ما يقتضيه الحال.[٩٨]

أهمية علم التفسير في ضوء القرآن الكريم:

عندما منَّ الله تعالى علينا بالإسلام، فإنه قد منَّ على الإنسان بالصراط المستقيم والطريق القويم، الذي يسير عليه أثناء رحلته الدنيوية من الميلاد وحتى الممات، فيعيش حياة الصالحالين بما يرضي الله تعالى، وحين تنتهي رحلته يكون من الفائزين بما أعده الله تعالى لعباده المتقين، ووهبه لأجل ذلك المنهج الذي يُشكل أسلوب حياة بالنسبة للإنسان وصولًا إلى تلك الغاية، هذا المنهج منة كبرى من الله تعالى لعباده بالعموم وللمسلمين بالخصوص، وهو القرآن الكريم.
ومن هذا المنطلق فإنه يجب على كل مسلم تدبر آيات القرآن الكريم وفهم معانيه بغية الوصول إلى الغايات المرادة منها، يقول الله تعالى:﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢،محمد: ٢٤]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

وقد نقل الإمام السيوطي في كتابه (الإتقان) حكم علماء الشريعة في تفسير القرآن الكريم وتدبر معانيه، مع قول الأصبهاني في الحاجة إلى التفسير وأهميته، قائلًا:" وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية قال الأصبهاني: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن بيان ذلك أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها مثل الصياغة فإنها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فإنها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح وإما لشدة الحاجة إليها كالفقه فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب إذ ما من واقعة من الكون في أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات

٩٨. معبد. نفحات من علوم القرآن. مجع سابق. ص: ١٢٨.

إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى".[٩٩]

وبناء على على هذا فإن تفسير آيات القرآن الكريم واجب على كل مسلم، وعلم التفسير عسير يسير في ذات الوقت، وله متطلبات لابد على المسلم أن يلم بها قبيل التفسير وإلا ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك. وأيضا، فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم؟ ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلا جدا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر.[١٠٠]

ونجمل أهمية تفسير القرآن لتدبره في عدة نقاط غاية في الأهمية، نستعرض ما أصبناه منها، في التالي:

- لأن القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم، قال –تعالى-:﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩]، فالقرآن الكريم يوضح كل شيء يتعلق بالإنسان والمطلوب منه في رحلته الدنيوية، بل ويربيه ويزكيه من الميلاد حتى الممات، ليحقق رسالته المستهدفة.

- لأن القرآن الكريم فيه من كل مثل، قال –تعالى-:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء:٨٩]، وقوله –تعالى-: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف:٥٤]، فمن عظمة القرآن ونفعه وبيان أهميته وضرورته أنه صرف فيه من كل مثل، أي: من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر والهلاك، ففيه أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال، والترغيب والترهيب، والأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقادًا وطمأنينة ونورا، وهذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له في أمر من الأمور، ومع ذلك، كان كثير من الناس يجادلون في الحق بعد ما تبين، ويجادلون بالباطل {لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ} ولهذا قال: {وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا} أي: مجادلة ومنازعة فيه، مع أن ذلك، غير لائق بهم، ولا عدل منهم، والذي أوجب له ذلك وعدم الإيمان بالله، إنما هو الظلم والعناد، لا لقصور في بيانه وحجته، وبرهانه، وإلا فلو جاءهم العذاب، وجاءهم ما جاء قبلهم، لم تكن هذه حالهم.[١٠١]

- لفهم وإدراك مراد الله –تعالى-، حيث يعرف الإنسان مراد الله رب العالمين من آياته بتلاوتها بتدبر وتدارسها، قال –تعالى-: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٢٤٢].

---

٩٩. السيوطي. جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. مرجع سابق. ج:٤، ص: ١٩٩.

١٠٠ ابن تيمية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). مقدمة في أصول التفسير. دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان. ط:٢. ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م، ص: ١٠.

١٠١. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: ١٣٧٦ه). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان= تفسير السعدي ، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠،١ه، ص٤٨٠.

- ليتعرف الإنسان نفسه، قال –تعالى-: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات:٢١]، فكي يتعرف الإنسان نفسه عليه بتدبر القرآن، ليفهم كيفية وطبيعة خلقه، وليدرك سبب خلقه ووجوده على الأرض خلال رحتله الدنيوية.

- ليتعرف المخلوقات من حوله، قال –تعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)﴾[يونس:٥-٦].

- ليتعرف خالقه –جل وعلا-، قال –تعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤)﴾[يونس:٣-٤]

- ليتعرف رسالته التي يحملها في الحياة الدنيا، قال –تعالى-: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب:٧٢].

- لبناء عقيدة قوية، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢]، ولا تأتي العقيدة القوية إلا بتدبر القرآن الكريم وفهم معانيه جيدًا، عندها يستطيع الإنسان المسلم تحصين عقيدته من باب الأمن الفكري، وهذا مطلب هام جدًا في العصر الحديث.

- لإعمال العقل وتنشيط الفكر، قال-تعالى-: - ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾[الغاشية:١٧-٢٠]، وقال –تعالى-:﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾[الذاريات:٢٠-٢١]،وقال –تعالى-:﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس:٢٤].

مناهج علم التفسير وأساليبه ومدارسه:

بداية ملامح مدارس التفسير تتشكل مع عصر التابعين، الذين تعلموا وتتلمذوا على يد أصحاب رسول الله (ﷺ)، وهذا أمر طبيعي بسبب انتشار اعدة الإسلام وحدوده أيضًا، فكان في مكة ابن عباس، ومن تلاميذه مجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير، وأمثالهم. وكذلك في أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير، مثل زيد بن أسلم، الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذ عنه أيضا ابنه عبد الرحمن، وأخذه عن عبد الرحمن عبد الله بن وهب، كما ذكرنا عن شيخ الإسلام ابن تيمية قبلًا،

لكن تجلت مدارس تفسير القرآن الكريم واضحة مع ظهور أصحاب المذاهب الأربعة وهم المذهب الحنفي (٨٠هـ) ثم المذهب المالكي (٩٣هـ)، ثم المذهب الشافعي (١٥٣هـ) ثم المذهب الحنبلي (١٦٤هـ)، والذي ربط الأئمة الأربعة بالتفسير هو استخراج الأحكام الفقهية، أو ما يسمى بالتفسير الفقهي، فكانوا يجتهدون في استنباط الأحكام الفقهية بأدق تفاصيلها من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم من الصحابة، ومنهم من تتلمذ على يد الآخر، كالإمام أحمد بن حنبل الذي تتلمذ على يد الإمام الشافعي، والإمام الشافعي تتلمذ عل يد الإمام مالك، وكانوا يصيبون باجتهادهم فيتفقون على الحكم، وكانوا في أحيان أخرى يختلفون فيما بينهم بشأن الحكم، ولكنهم كانوا ينشدون المصلحة العامة والمنفعة للمسلمين، ولم يكن عند أحدهم أي نوع من أنواع التعصب أو التشدد، لكن الأمر أن كل منهم يستنبط الحكم بناء على أدلة، قد يتفق عليه الآخرون وقد يختلفون.

وبدأ يتعشب التفسير دون أن يكون علمًا قائمًا بذاته وقتئذٍ حسب اتجاه المفسر الفكري والمذهبي أو حتى اختصاص المفسر، وهو ما وضح جليًّا بداية من عصر التدوين وحتى يومنا هذا، فهناك منْ تناول تفسير القرآن من الناحية اللغوية، وآخر تناول تفسير القرآن من الناحية العقلية، وثالث من الناحية الفقهية، ورابع من الناحية العلمية وغير ذلك، ولعل هذا من مظاهر الإعجاز القرآني الذي لا يقتصر على زمان أو مكان، واحتواء النص القرآني المعجز على أسرار لازالت تتكشف يومًا بعد يوم.

لذلك سوف نجمل مدارس تفسير القرآن الكريم وأشهر أصحابها حسب الاتجاه أو المنهجية المتبعة في تفاسيرهم، كالتالي:

أولا: التفسير بالمأثور: فهو مما لا دخل للاستنباط العقلي فيه أو الاجتهاد، ولا يمكن اعتبار التفسير بالمأثور إلا إذا استند على مصادر هي: تفسير القرآن بالقرآن، القرآن بالسنة، القرآن بمأثور الصحابي، أو التابعي، ومن أشهر المفسرين في هذا النهج: ابن جرير الطبري، وأبو الليث السمرقندي، والثعلبي، والنيسابوري، والبغوي، وابن كثير، والسيوطي.

ثانيا: التفسير بالرأي: فهو الذي يبنى على أسس النظر والاستدلال العقلي والاستنباط ومن أشهر هؤلاء في هذا النهج: الفخر الرازي، والبيضاوي، والنسفي، والخازن، والجلالان وأبو السعود والألوسي.

ثالثا: التفسير الصوفي: فهو الذي ينسب لأرباب الكشف والحقيقة والمشاهدة، ومن أشهر هؤلاء في هذا النهج: التستري صاحب كتاب تفسير القرآن العظيم، والسلمي صاحب كتاب حقائق التفسير، والشيرازي صاحب كتاب عرائس البيان في حقائق القرآن، وابن عربي.

رابعا: التفسير الكلامي: فهو الذي يتناول موضوعات علم الكلام في الإلهيات والنبوات ومن أشهر هؤلاء في هذا النهج: القاضي عبد الجبار صاحب كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن، والشريف المرتضى صاحب كتاب أمالي الشريف المرتضى، والزمخشري صاحب الكشاف.

خامسا: التفسير الفقهي: وهو تفسير شبه متأخر لأنّه يحمل وجهة نظر المذاهب فعلى سبيل المثال:

من الحنفية: ألف أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص كتابه أحكام القرآن.

ومن الشافعية: ما جمعه عن الإمام الشافعي أبو بكر البيهقي وأبو الحسن الطبري المعروف بالكياالهراس (٥٠٤ هـ) وكتابه أحكام القرآن.

ومن المالكية: ألف أبو بكر بن العربي كتابه أحكام القرآن وكذلك الإمام القرطبي صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن.[١٠٢]

سادسًا: التفسير اللغوي: وهو القائم على علوم اللغة وقواعدها النحوية والصرفية والبيانية والبلاغية وغير ذلك، وتسمى هذه التفاسير بكتب معاني القرآن ومن أشهر التفاسير في هذا (معاني القرآن) لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧

---

١٠٢. السايس. محمد بن علي. **تفسير آيات الأحكام**. ص١١٩.ت/ ناجي سويدان.المكتبة العصرية للطباعة والنشر. مصر. ٢٠٠٢م. ط:٢،ص: ٦.

هـ)، وكتاب (معاني القرآن) لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت ٢١١ هـ)، و (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ على خلاف)، وكتاب (معاني القرآن وإعرابه) لأبي إسحاق إبراهيم بن السّريّ الزجاج (ت ٣١١هـ).
وهناك من أهل العلم الذي صنف مدارس التفسير على حسب اتجاهين في المجمل، هما: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي.
والمغزى أن مناهج التفسير بالمأثور قائمة على تفسير القرآن سواء بالقرآن أم بالسنة أم بأقوال الصحابة وفعالهم أم بأقوال التابعين فعالهم، أما التفسير بالرأي فمناهجه قائمة على ما زاد عما سبق وهو الاجتهاد.
وجدير بالذكر أن التفسير بالرأي نوعان، هما: النوع المحمود والنوع المذموم:
١ - فالنوع المحمود في التفسير بالرأي هو ما كان موافقا لقصد المشرع الحكيم، بعيدا عن كل ضلالة وجهالة متمشيا مع قواعد اللغة العربية متفهما لأساليبها في عرض الآيات القرآنية خاليا من الهوى والسمعة، فمن فسر على هذه الشروط كان تفسيره جائزا سائغا مفيدا. ما دام قصده ووجهته خدمة كلام الله تعالى وبيان معانيه بكل صدق وأمانة.
٢ - وأما التفسير المذموم، فهو أن يفسر القرآن بدون علم عنده أو يفسره حسب هواه ومقتضى مذهبه، مع جهله بمعرفة اللغة العربية أو التشريعات الإلهية، أو يحمل كلام الله تعالى على معنى لا يليق به، أو يخوض في الأشياء التي استأثر الله تعالى بعلمها.

تأثير المفسر والتفسير على الفرد والمجتمع:

تأثير المفسر على الفرد والمجتمع:

لا يمكننا تخيل عدم وجود مفسر للقرآن الكريم في مجتمع ما، لماذا؟
لأن أي مجتمع مهما كان أفراده يتفاوتون في درجاتهم العلمية والمعرفية بحاجة إلى فهم المراد من كلام الله تعالى بين دفتي المصحف الشريف، حتى مجتمع الأخيار الذي اصطفاه الله تعالى لرسوله المصطفى (ﷺ) كان بحاجة إلى وجود رسول الله (ﷺ) لذات السبب وهو فهم المراد من كلام الله تعالى المُنَزَّلِ على رسوله، فكان الصحابة الكرام يستعينون برسول الله (ﷺ) حال التباس فهم المراد من كلمة أو آية عليهم، ولا ملجأ كان أمامهم إلا المصطفى (ﷺ) فيعلمهم ويزكيهم، ومن أمثلة ذلك:
النموذج الأول: ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه قال:(حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا هشيم، قال: أخبرني حصين بن عبد الرحمن، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم، قال: لما نزلت: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل، فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله (ﷺ) فذكرت له ذلك فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»).[١٠٣]
النموذج الثاني: ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[الأنعام:٨٢] إيمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال:
«ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»[١٠٤]

١٠٣. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢ه)، كتاب الصوم، باب قول الله –تعالى-(وكلوا واشربوا حتى يتبين..)،ج٣، ص٢٨، رقم(١٩١٦).
١٠٤. البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول لله تعالى(ولقد آتينا لقمان الحكمة)،ج٤، ص١٦٣، رقم(٣٤٢٩).

النموذج الثالث: ما أخرجه البخاري، أن عائشة زوج النبي (ﷺ): كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي (ﷺ) قال: «من حوسب عذب» قالت عائشة: فقلت أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٨] قالت: فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن:من نوقش الحساب يهلك ».[١٠٥]

نستطيع أن نلحظ الدور المؤثر لرسول الله (ﷺ) كمفسر على أفراد مجتمع إسلامي ناشئ، وكيف كان (ﷺ) يعلمهم كتاب الله تعالى بغية تزكية نفوسهم، ولهذا فإن للمفسر عظيم الأثر على الفرد والمجتمع، خاصة في زمننا هذا الحافل بالشهوات والمغريات والملهيات، ومن هذا الأثر:

أولًا: وحدة الكلمة:

والمعنى بوحدة الكلمة هو التفاف عامة المسلمين على كلمة سواء متفق عليها في تفسير القرآن الكريم، الأمر الذي يسهل فهم مراد الله تعالى من الآيات القرآنية ولفظها، وتيسير تدبره وصولًا للغاية المرادة، ومن ثم نستطيع بذلك القضاء على الطائفية أو المذهبية التي لا فائدة منها إلا الفرقة بين أمة الإسلام، ومنها طوائف ضالة مبتدعة يفسرون المراد من آيات القرآن الكريم بما يخدم مصالحهم ويتماشى مع أهوائهم، والواقع الذي نعيشه يشهد على ذلك.

إن وجود المفسر يقتضي توحيد كلمة التفسير القرآني والتي تمثل المرجعية التشريعية الأولى للدين الإسلامي الحنيف، وعلى ذلك يترتب جميل الأثر في توحيد صف الأمة الإسلامية حول المراد من آيات القرآن الكريم ولفظها، دون الحاجة إلى اجتهاد غير المخصصين.

ثانيًا: درأ للمفاسد والفتن:

من أثار المفسر على الفرد والمجتمع درأ للمفاسد وغلق لأبواب الفتنة، والتي يسعى إليها أعداء الدين الإسلامي الحنيف، ويتربصون لوقوع أي ثغرة يزعزعون بها عقيدة رجال الأمة وشبابها على وجه التحديد، مستغلين تعدد الآراء في تفسير آيات القرآن الكريم بجهالة تامة منهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى:" وأهل البدع بالعكس ابتدعوا ألفاظا ومعاني إما في النفي وإما في الإثبات وجعلوها هي الأصل المعقول المحكم الذي يجب اعتقاده والبناء عليه ثم نظروا في الكتاب والسنة فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه وإلا قالوا هذا من الألفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما أريد بها. فجعلوا بدعهم أصلا محكما وما جاء به الرسول فرعا له ومشكلا: إذا لم يوافقه".[١٠٦]

ثالثًا: تحصين للعقائد:

أيضًا من الأثار الطيبة للبناء الصحيح لمفسر القرآن الكريم هو تحصين عقائد الأمة الإسلامية، وأخص منها تحديدًا فئة الشباب، ولاسيما في عصر التقنية التكنولوجية وتعدد المغريات والملهيات، فضلًا عن الدعوات الإرهابية المشبوهة لاستقطاب أصحاب العقائد الهشة وتجنيدها فيما يضر بالدين والأمة، ولا شك أن تحصين عقائد رجال الأمة الإسلامية برأي واحد متفق عليه، يعطيهم القوة لمواجهة التحديات، والوقوف أمام تلك الدعوات الهدامة، والتي منها دعوات لعدم الحاجة إلى المفسر نفسه.

رابعًا: المرجعية العمية:

وهو من الأثار الهامة لوجود المفسر سواء على الفرد أم على المجتمع، حيث أنه يوفر لأفراد المجتمع المرجعية العلمية المطلوبة لفهم المراد من كلام الله تعالى، وبذلك يتم القضاء على اللغط واللبس وأسباب الإشكال التي قد يتعرض لها أفراد المجتمع، الأمر الذي ينعكس على سلوكياتهم بشكل إيجابي فاعل.

---

١٠٥. البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئًا فلم يفهمه..، ج١، ص٣٢، رقم (١٠٣).
١٠٦ ابن تيمية. مجموع الفتاوى. مرجع سابق. ج١٧، ص٣٠٦.

تأثير التفسير على الفرد المجتمع:

لاشك أن علوم التفسير هي أرقى العلوم التي يرجو كل مسلم منالها، وهي المرتبة العليا باعتبار أن كل مسلم يجب عليه الارتقاء إليها بغية فهم دينه بشكل صحيح، وهذا الأمر كان محل اهتمام صحابة رسول الله (رضوان الله عليهم)، فكان منهم منْ لا يتعلم آية قرآنية جديدة حتى يفهم ويعي الآية السابقة لها، ولذلك كان الكثير منهم يأخذ وقتًا طويلًا في حفظ القرآن الكريم، وهذا ليس محل دهشة لأن حفظ آيات القرآن الكريم لا يعني تريدها بالنسبة إليهم فحسب، وإنما فهمها والعمل بها كذلك.

اليوم نجد الكثير من المسلمين يرددون آيات القرآن الكريم دون فهم أو عمل، ورغم كون تدبر آيات القرآن الكريم بغية فهمها والعمل بها ضرورة ملحة لكل مسلم، فإن الكثير من المسلمين يقعون في إشكال حال محاولتهم الفردية لفهم آيات القرآن الكريم، وهنا تكمن أهمية معرفة وتعلم علوم التفسير، لما لها من عظيم الأثر في تدبر وفهم المراد من كلام الله تعالى ومن ثم العمل به، لذا فإن أهم أثار علوم التفسير على الفرد والمجتمع يتجلى في تجنب الأسباب التي تؤدي للوقوع في مشكل القرآن الكريم، وهي:

أولًا: ابتداع أمر والاعتقاد في أصله في الكتاب والسنة:

وهذا السبب الواقع فيه أهل البدع والفتن وأصحاب الدعوات الهدامة بغية التشكيك وزعزعة العقيدة، لتضليل العقول المسلمة، و يتخذون من ذلك ذريعة لمحاربة الدين الإسلامي الحنيف عن طريق زرع ألفاظ أو معتقدات ليس لها أصل في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة، إنما هي من محض طرائقهم الشيطانية، وبما أن ليس لها أصل فيدخلونها في المتشابهة في القرآن الكريم أو في الأحاديث المنكرة أو الموضوعة في السنة النبوية المطهرة، ويجعلون الكتاب والسنة فرع واعتقادهم ذاك أصل، ومثل أهل البدع والفتن الذين يقعون في هذا السبب، مثل الملاحدة والبهائيين وغيرهم.

ثانيًا: اختلاف الموضوع في الآيات:

إن الكثير قد يحدث عنده لبس أو اختلاط حين يتوهم –مثلًا- أن آيات قرآنية تتحدث عن نفس الموضوع بنفس الحكم أو المضمون، ولكن على القارئ المتدبر أن يدرك أن هذا سبب لإشكال قد يقع فيه، وعليه الانتباه عن طريق الرجوع لكتب التفاسير وأقوال أهل العلم، وانتقاء أفضل وأحسن الأجوبة.

ومثل هذا السبب ذكره الإمام الزركشي في البرهان وضرب عليه مثلًا، قائلًا:" ومنه قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**﴾[النسساء:٣] مع قوله في أواخر السورة: ﴿**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ**﴾[النساء:١٢٩] فالأولى تفهم إمكان العدل والثانية تنفيه، والجواب أن المراد بالعدل في الأولى العدل بين الأزواج في توفية حقوقهن وهذا ممكن الوقوع وعدمه والمراد به في الثانية الميل القلبي فالإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض زوجاته دون بعض وقد كان (ﷺ) يقسم بين نسائه ثم يقول: "اللهم هذا قسمي في ما أملك فلا تؤاخذني بما لا أملك" يعني ميل القلب وكان عمر يقول: "الله قلبي فلا أملكه وأما ما سوى ذلك فأرجو أن أعدل".[١٠٧]

ثالثًا: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى:

كقوله تعالى في خلق آدم إنه: ﴿**مِنْ تُرَابٍ**﴾[آل عمران:٥٩]، ومرة ﴿**مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾[الحجر:٢٨]، ومرة ﴿**مِنْ طِينٍ لَازِبٍ**﴾[الصافات:١١]، ومرة ﴿**مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**﴾[الرحمن:١٤]، وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة لأن الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب ومن التراب تدرجت هذه

---

١٠٧ الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، البرهان في علوم القرآن، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م، ج٢، ص٥٨-٥٩.

الأحوال. ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[الأعراف:١٠٧]، وفي موضع ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾[النمل:١٠]، والجان: الصغير من الحيات والثعبان الكبير منها وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته.[١٠٨]

ونضيف إلى أسباب وقوع الإشكال في القرآن الكريم ما أورده الإمام الزركشي في كتابه البرهان وكذا الإمام السيوطي في كتابه الإتقان، كالتالي:

رابعًا: لاختلافهما في جهتي الفعل:

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة ونفاه عنهم باعتبار التأثير ولهذا قال الجمهور إن الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للآدميين فنفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى وكذا قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[الأنفال:١٧]، رمى أي ما رميت خلقا إذ رميت كسبًا وقيل إن الرمي يشتمل على القبض والإرسال وهما بكسب الرامي وعلى التبليغ والإصابة وهما بفعل الله عز وجل، قال ابن جرير الطبري: وهي الدليل على أن الله خالق لأفعال العباد فإن الله تعالى أضافه إلى نبيه ثم نفاه عنه وذلك فعل واحد لأنه من الله تعالى التوصيل إليهم ومن نبيه بالحذف والإرسال وإذا ثبت هذا لزم مثله في سائر أفعال العباد المكتسبة فمن الله تعالى الإنشاء والإيجاد ومن الخلق الاكتساب بالقوى، ومثله قوله تعالى:﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء﴾[النساء:٣٤]، وقال تعالى: ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[البقرة:٣٨]، فقيام الانتصاب لا ينافي القيام بالأمر لاختلاف جهتي الفعل.

خامسًا: لاختلافهما في الحقيقة والمجاز:

كقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾[الحج:٢]، أي سكارى من الأهوال مجازا لا من الشراب حقيقة، وقوله:﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[إبراهيم:١٧]، وهو يرجع لقول المناطقة الاختلاف بالإضافة أي وترى الناس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة مجازا وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة، ومثله في الاعتبارين قوله تعالى: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٨]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[الأنفال:٢١]،

سادسًا: بوجهين واعتبارين:

كقوله: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[ق:٢٢]، مع قوله: ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾[الشورى:٤٥]، قال قطرب فبصرك أي علمك ومعرفتك بها قوية من قولهم بصر بكذا أي علم وليس المراد رؤية العين قال الفارسي: ويدل على ذلك قوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾[ق:٢٢]، وصف البصر بالحدة.

وكقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾[الرعد:٢٨]، مع قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنفال:٢]، فقد يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة وجوابه: أن الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى فتوجه القلوب لذلك وقد جمع بينهما في قوله: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ

١٠٨ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص٥٥.

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[الزمر:٢٣]، فإن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدهم ووثقوا به فانتفى عنهم الشك.

سابعًا: معرفة الأسلوب لفهم مقصد اللفظ ومعناه:

إذ أن عدم فهم الأسلوب اللغوي يسبب إشكالية في فهم معنى اللفظ ودلالته، فيكون الإشكال، ومثل ذلك قوله –تعالى– :﴿قَالُوا ياشُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَامُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[هود:٨٧]، فقد يفهم من قوله –تعالى–﴿إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[هود:٨٧]، مدحهم لسيدنا شعيب (ﻍ)، لأن دلالة اللفظين (الحليم الرشيد) تدل على ذلك، ولكن استخدامهما هنا كان على سبيل السخرية والاستخفاف لأنهم أعداء الله، وما كانوا ليمدحوا نبيه شعيب.

هذه أسباب الوقوع في مشكل القرآن الكريم، والتي يتم القضاء عليها بعلوم التفسير، لذا فإن للتفسير وعلومه أجل الأثر على الفرد والمجتمع، فطالما فهم الفرد المراد من كلام الله تعالى بشكل صحيح استقام، وتستقيم له الأمور، الأمر الذي ينعكس على المجتمع بشكل إيجابي، فنجده:

- مجتمع إسلامي كامل الأركان ومتكامل البناء.
- مجتمع متلاحم ينسجم أفراده في تلاحم وانسجام محصنين العقيدة، كما أسسه المصطفى (ﷺ)، وهو ما نرجو من الله عزةً للإسلام والمسلمين.
- مجتمع محصن العقيدة ضد الفتن والدعوات الهدامة، والتي كثرت في زمننا هذا.
- مجتمع آمن قادر على مواجهة ما يهدد استقراره الأمني، وزعزعة التلاحم بين أفراد وإن اختلفت عقائدهم.
- مجتمع إيجابي مفكر، يحرص أفراده على العمل والبناء والتطور لمواكبة المتغيرات العصرية تحت مظلة الشريعة الإسلامية السمحة، دون التأثر سلبًا بأي أفكار متطرفة أو دعوات منحرفة.

كل هذه الأثار الايجابية لعلوم التفسير تعود بمنافع جمة على المجتمع وأفراد، وهو ما يؤدي إلى استقامة أفراده والتزامهم بالمراد بكلام الله تعالى، فتتحقق الوسطية ويتميز اعتدال هذه الأمة من جديد، فتعود قوية منصورة بإذن الله تعالى.

نتائج البحث وتوصياته:

لله الحمد فقد خرج البحث بالنتائج المرجوة، محققًا أهدافه، ومجيبًا عن أسئلته وفرضياته، وهي:

- الوقوف على معنى مصطلح (علم التفسير) في اللغة والاصطلاح،
- معرفة الفرق بين تفسير القرآن وتأويل القرآن.
- بيان أهمية المفسر وشروطه وصفاته.
- الكشف عن أهمية علم التفسير والحاجة إليه ومناهجه وأساليبه، ومدارسه.
- تحديد تأثير المفسر والتفسير على الفرد والمجتمع.

ومن توصيات البحث:

- دراسة تطبيقية لقياس أثر المفسر وعلوم التفسير على الفرد والمجتمع.

المراجع والمصادر(مرتبة هجائيًا):

١. ابن منظور،محمد بن مكرم بن على. (المتوفى: ٧١١هـ). لسان العرب. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، ط:٣ - ١٤١٤هـ، ج٥- ص٥٥.

٢. ابن تيمية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). الإكليل في المتشابه والتأويل. خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد الشيمي شحاته. دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر. ص:٢٨.

٣. أبو داود. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ). سنن أبي داود. ت/محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. ج:٤، ص:٢٠٠، حديث رقم (٦٤٠٤). وحكم الألباني: صحيح.

٤. ابن تيمية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ). مجموع الفتاوى. ت/عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية. ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ط:٣، ج١٧، ص٣٠٦.

٥. ابن تيمية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). مقدمة في أصول التفسير. دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان. ط:٢. ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م، ص: ١٠.

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢ه)-، كتاب الصوم، باب قول الله –تعالى-(وكلوا واشربوا حتى يتبين..)،ج٣، ص٢٨، رقم(١٩١٦).

٧. الذهبي. محمد السيد حسين (المتوفى: ١٣٩٨هـ). التفسير والمفسرون. مكتبة وهبة، القاهرة. ٢٠٠٠م، ط:٧، ج:١، ص:١٧-١٩.

٨. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، البرهان في علوم القرآن، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م، ج٢، ص٥٨-٥٩.

٩. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: ١٣٧٦ه). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان= تفسير السعدي ، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠،١ه، ص٤٨٠.

١٠. معبد. محمد أحمد محمد (ت: ١٤٣٠هـ). نفحات من علوم القرآن. دار السلام – القاهرة. ط:٢، ٢٠٠٥م، ص:١٢٦. (بتصرف).

١١. السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي (المتوفى: ٩١١ه). الإتقان في علوم القرآن. ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ط٢، ج:٢، ص:١٩٢-١٩٥.

١٢. السايس. محمد بن علي. تفسير آيات الأحكام. ص١١٩.ت/ ناجي سويدان. المكتبة العصرية للطباعة والنشر. مصر. ٢م. ط:٢،ص: ٦.

١٣. الشايع، محمد بن عبد الرحمن صالح. التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين. بحث منشور بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية)، العدد الرابع، رجب ١٤١١ه.

١٤. الفقيه، أحمد حسن صالح محمد الفقيه. تفسير الجملة القرآنية في ضوء التأسيس والتوكيد. بحث منشور لنيل درجة الدكتوراة في تخصص التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، بجمهورية السودان، ١٤٣١ه، ص ٨.

١٥. المنصور، عبد الله بن حمد. مشكل القرآن الكريم. الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ.

عقود السمسرة في تطبيقات الاقتصاد التشاركي المعاصرة "دراسة فقهية مقارنة"

Brokerage contracts in contemporary sharing economy applications "Comparative study"

د. أمل سالم باصهيب - أستاذ مساعد -جامعة زايد- دولة الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي

Email: Amal.bashib@zu.ac.ae

مستخلص:

ترمي هذه الدراسة إلى دراسة مفهوم عقد السمسرة في الفقه الإسلامي ومشروعيته، واستخدام المنصات الرقمية له عبر تطبيقات الاقتصاد التشاركي بنماذجه المعاصرة، وعقد مقارنة بينهما؛ لبيان أوجه التوافق والخلاف وتتلخص نتائج البحث في: أن الاقتصاد الرقمي بشكل عام يطبق صورة من صور عقد السمسرة في الفقه الإسلامي، وما تميز به ليس إلا وسائلها التقنية المعاصرة، ولا اختلاف فيها عن السمسرة فلا يخرج عن جادة الأصل المقرر والمشروع في الفقه الإسلامي، وتوصي الباحثة بضرورة الاهتمام والبحث في تطبيقات الاقتصاد التشاركي، وبيان مدى توافقها مع الفقه الإسلامي بشكل أكبر؛ لاستشراف المستقبل ولا سيما أنها شكلت دوراً رئيساً في ظل جائحة كورونا.

Abstract:

The study aims at the mechanism of work of digital platforms and the brokerage contract, and a comparison between them; Compatibility, statement and disagreement The results of the research are summarized: digital platforms apply a form of the brokerage contract in Islamic jurisprudence, distinguished by its contemporary technical means, and there is no difference in it from legitimate brokerage in Islamic jurisprudence. To anticipate the future, especially since it played a major role in light of the Corona pandemic.

المقدمة

أسفرت ثورة تقنية الاتصال والمعلومات المعاصرة عن تحولات عدة؛ "فقد جلب الجيل الثاني من شبكات الويب (Web ٢,٠) والشبكة العنكبوتية أشكالًا جديدة للعلاقات الاقتصادية بين الأفراد، سواء من حيث الملكية، أو من حيث الإنتاج والاستهلاك، وذلك من خلال اعتماد بدائل أخرى تعتمد على تنميط مغاير للعلاقة التقليدية بين المنتج والمستهلك؛ حيث أصبحت القرارات الاستهلاكية تُتَّخذُ من الأفراد بمنأى تامٍ عن الوضع التقليدي للملكية والتبادل النقدي".[١٠٩]

(109)ADRIANA LURI MINAMI. (2018) what drives Engagement in the Brazilian market?, Master Thesis, NOVA – School of Business and Economics and INSPER– Instituto de Ensino e Pesquisa, P١٣

ومن ثم؛ فقد أصبح يُنظر إلى ذلك بوصفه نموذجًا اقتصاديًّا مغايرًا بالفعل، أُطلِقت عليه حتى اليوم مسميات عدة، من أهمها وأبرزها "الاقتصاد التشاركي Sharing Economy" أو "الاقتصاد الرقمي Digital economy".

وتشير جميع المسميات والمصطلحات إلى "الاقتصاد الذي محوره الناس؛ حيث الهدفُ الأساس للنشاط الاقتصادي؛ أي: إنتاج السلع والخدمات، هو تلبية احتياجات الناس، وليس تحقيق الحد الأقصى من الأرباح، وهذا الاقتصاد يختلف عن النماذج الاقتصادية العادية؛ إذ يستثمر التقدم والتطور، في مجالات الاقتصاد والتقنية وغيرها في تحقيق التنمية الاجتماعية. وهو يسخر الأدوات الاقتصادية لغايات اجتماعية، أهمها الرفاه والنمو للجميع، بدلًا من التركيز على تحقيق مكاسب تخدم الربح الفردي كما في النماذج التقليدية للأعمال".

ونلاحظ أن ما سبق ما هو إلَّا حقيقة الاقتصاد الإسلامي، القائم في أصوله على تنمية المال، وخدمة المجتمع.

أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة أهميتها من دراسة النقاط الآتية:

١. انتشار تطبيقات الاقتصاد التشاركي الرقمي على مستوى العالم ونجاحها، وما يترتب عليها من توسع لها في كافة القطاعات الاقتصادية، كالنقل والسياحة والفندقة والإسكان والمعرفة، وغيرها، والدور البالغ لتقنياتالرقمية والمنصات حيث لأنها جوهره.
٢. نُدرة الدراسات العربية التي تُعنى بتطبيقات الاقتصاد التشاركي الرقمي عبر المنصات الرقمية؛ إذ لم يصل إلى الباحثة إلا ثلاث دراسات فقط على حد بحثها، كما لم تتمكن الباحثة من الوصول إلى أي دراسة سابقة تعنى بتطبيقات للاقتصاد التشاركي الرقمي من جانب فقهي، الأمر الذي يجعل البحث الحالي يمثل منطلقًا للقيام بالمزيد من البحوث والدراسات الفقهية التي تعنى بهذا الموضوع.
٣. بيان آلية عمل هذه المنصات وطبيعتها التجارية لتعرف على طبيعة عملها وفهم الكيفية التي تدار بها.
٤. بيان مرونة الفقه الإسلامي وسعته في استيعاب كافة الأمور المستجدة وعلى كافة الأصعدة.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

يعد مفهوم الاقتصاد التشاركي عبر المنصات الرقمية وتطبيقاته المختلفة من أهم المفاهيم والنماذج الاقتصادية وأبرزها، وتحظى اليوم باهتمام شديد في الدول والمجتمعات الأجنبية في مقابل غموض شديد ما زال يحيط به بالنسبة للكثير من الأفراد في المنطقة العربية، فضلًا عن أن حداثة نماذج الاقتصاد التشاركي ما زالت تكشف عن العديد من التحديات والصعوبات القانونية والتشريعية المتعلقة بتنظيمه في مقابل المؤسسات التقليدية.

والقانون الإماراتي يستمد أحكامه المتعلقة بالمعاملات من الفقه الإسلامي؛ لذا ثمة حاجة ملحة وضرورة لدراسة نماذج وتطبيقات الاقتصاد التشاركي الرقمي في ضوء قواعد الفقه الإسلامي وأحكامه، ومن العقود التي تستخدمها تطبيقات الاقتصاد التشاركي (السمسرة) وهو عقد له أصول ثابتة في الفقه الإسلامي، لذا وجب البحث في الكيفية التي تستخدم فيها منصات الاقتصاد التشاركي للسمسرة، وهذا يجسد بشكل ما مشكلة البحث.

تسعى هذه الدراسة، إلى إيجاد إجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

(ما السمسرة التي تعمل على وفقها المنصات الرقمية لتطبيقات الاقتصاد التشاركي؟ وما مدى مطابقتها لعقد السمسرة في الفقه ؟)

ومنه تنبثق مجموعة من التساؤلات التي يمكن صياغتها على النحو الآتي:

١. ما مفهوم عقد السمسرة في الفقه الإسلامي وما مشروعيته؟

٢. ما طبيعة عقد السمسرة التي تقوم بها المنصات الرقمية في الاقتصاد التشاركي؟

٣. ما أوجه التوافق والخلاف بين تطبيقات الاقتصاد التشاركي عبر المنصات الرقمية وعقد السمسرة؟

أهداف البحث:

١. التعريف بمفهوم الاقتصاد التشاركي وأهم تطبيقاته ومميزاته، وخصائصه.

٢. توضيح طبيعة عمل المنصات الرقمية لتطبيقات الاقتصاد التشاركي.

٣. محاولة بيان أقرب صورة واقعية من صور عقد السمسرة لتطبيقات الاقتصاد التشاركي الرقمي من خلال عقد مقارنة للوقوف على مواطن التوافق والاختلاف.

الدراسات السابقة:

يمكن استعراض أهم الدراسات السابقة وأبرزها على النحو الآتي:

أولًا: الدراسات العربية:

١. دراسة لدعاء سمير محمد حمزة وجرمين حسين عبد الكافي، بعنوان: "الاقتصاد التشاركي وأثره على السياحة في مصر" ٢٠١٧م:[١١٠]

بحث منشور في مجلة جامعة الفيوم، وضحت مفهوم الاقتصاد التشاركي بوصفه اتجاهًا جديدًا في قطاع الأعمال السياحي، وتطرقت إلى ذكر نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات لتطبيق الاقتصاد التشاركي في قطاع السياحة في مصر، ووقفت على تأثير الاقتصاد التشاركي على شركات السياحة المصرية .

إلا أن هذه الدراسة قد اعتنت بالجانب الاقتصادي، وتأثير هذا النموذج من الاقتصاد على الدخل القومي، ولم تتطرق لأي جانب فقهي في هذا الموضوع.

٢. دراسة لسارة عبد العزيز، بعنوان: "الاقتصاد التشاركي **The Gig Economy**: تنامي اقتصاد المشاركة عبر المنصات الرقمية"، ٢٠١٧[١١١]م:

---

١١٠ سمير، دعاء (الاقتصاد التشاركي وأثره على السياحة في مصر). *المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة*،١١،(٢٠١٧م) :٢.

١١١ عبد العزيز، سارة "تنامي اقتصاد المعرفة" *مجلة المستقبل للأبحاث*، ١٩ (٢٠١٧):٢٣

بحث في مجلة اتجاهات، رمت هذه الدراسة إلى بيان مفهوم الاقتصاد التشاركي، وحجم النمو ومعدله الذي تحقق طوال سنوات العقد الماضي، بالإضافة إلى إبراز مزايا اقتصاد المشاركة عبر المنصات الرقمية، وأهم التحديات التي تواجهه، وتوصلت الدراسة إلى أن اقتصاد المشاركة عبر المنصات الرقمية قد فتح آفاقًا جديدةً في أسواق العمل والتوظيف.

وهذه الدراسة لا تختلف عن سابقتها، إلا من حيث إنها أعطت صورة موجزة عن مفهوم الاقتصاد التشاركي وطبيعته، ولم تتعرض بأي حالٍ من الأحوال إلى تطبيقاته ونماذجه، أو إلى أي جوانب فقهية.

الدراسات الأجنبية:

وقفت على دراسة واحدة هي: (**J. B. Schor & W. Attwood-Charles**, ٢٠١٧)، بعنوان "الاقتصاد التشاركي: العمل، عدم المساواة والاتصال الاجتماعي للمنصات الرقمية الربحية":

وقد رمت هذه الدراسة إلى بحث ثلاثة محاور تتعلق بالاقتصاد التشاركي وتطبيقاته عبر المنصات الرقمية وتحليلها، وهي: التواصل الاجتماعي، وشروط العمل، وعدم المساواة، وذلك من خلال تحليل الأدبيات السابقة.

التعليق على الدراسات السابقة:

الواضح أن معظم تلك الدراسات أنها اتجهت في الغالب إلى التعريف بالاقتصاد التشاركي، ودراسة نماذجه وتطبيقاته، ومعالجة بعض القضايا التنظيمية والقانونية، والكشف عن أبرز التحديات والمعوقات التي تواجه هذا القطاع.

وما استجد في البحث الحالي، دراسته لأهم النماذج التي تمثلها تطبيقات الاقتصاد التشاركي الرقمي، وبيان عقد السمسرة في هذه التطبيقات وكيفية استخدام المنصة الرقمية التابعة للتطبيق له مع بيان أوجه الاتفاق والإختلاف بين المنصة الرقمية والفقه الاسلامي في استخدام هذا العقد، وهذا ما لم تتطرق إليه أي دراسة سابقة حسب علم الباحثة.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث المنهج الوصفي القائم على المناهج الفرعية الآتية: الاستقرائي التحليلي، والمقارن؛ وذلك باستقراء أحكام عقد السمسرة المطبق في المنصات الرقمية للاقتصاد التشاركي في ضوء المعطيات الموجودة، وتحليلها ومقارنتها بأحكام عقد السمسرة في الفقه الإسلامي من خلال استعراض آراء العلماء والفقهاء، والوقوف على أدلتهم، والمناقشة والترجيح واعطاء النتائج، في مدى التوافق والخلاف بينهما.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة تتضمن: أهمية الدراسة، ومشكلة الدراسة وتساؤلاتها، وأهدافها، ، والدراسات السابقة، منهج البحث، وصعوباته،وتمهيد ومبحثين وخاتمة

تمهيد: مفهوم الاقتصاد التشاركي

يشير مفهوم الاقتصاد الرقمي التشاركي إلى استغلال موارد وأصول معطلة يمتلكها آخرون لتشغيلها مقابل عوائد مادية زهيدة أو بلا مقابل، عبر تطبيقات ومنصات إلكترونية تشاركية، يتم تحميلها على الهواتف من خلال الشبكة الإلكترونية

ومما لا شك فيه، أن الاقتصاد الرقمي التشاركي بمفهومه هذا، ليس بجديد، وهو موجود في حياتنا اليومية، وهو جزء من خيارات عديدة للمستهلكين لدينا، والمستجد هي المنصات الرقمية التي تشكل عنصرًا هامًّا من عناصره.

بيد أن الظهور العملي – التطبيقي - للاقتصاد التشاركي الرقمي (Digital Sharing Economy) كان عام ٢٠٠٨م، وذلك في ظل الآثار والظروف الصعبة التي أسفرت عنها الأزمة المالية التي تسببت بركود اقتصادي شديد، في وقت شهد ارتفاعًا كبيرًا في حجم الطلب مقابل انخفاض شديد في الإمكانات والموارد؛ حيث اتجه بعض المستهلكين إلى البحث عن بدائل لتعويض عجزه عن إشباع حاجاته الاستهلاكية بالطرق التقليدية، وذلك من خلال تشارك الأفراد في أصولهم وموارادهم المتاحة، وتبادلها فيما بينهم على نحو تعاوني، وهو ما دفع البعض إلى تأسيس منصات إلكترونية للترويج لهذا النموذج، والعمل على تطبيقه في مختلف مجالات الاستهلاك.(١١٢) كمنصتي (أير بي إن بي Airbnb) و(أوبرUber) الشهيرتين اليوم، ومنذ ذلك الوقت، شكلت هذه التوجهات والتطبيقات والمنصات الرقمية في مجملها ما أصبح يعرف اليوم بـ"الاقتصاد التشاركي" (Sharing Economy).

وخلال السنوات العشر الماضية نجحت تطبيقات الاقتصاد التشاركي عبر المنصات الرقمية في تحقيق نمو اقتصادي كبير مثير للانتباه، وانتشاره على نحو جذب بعض المستثمرين في الإمارات العربية المتحدة وبعض الدول العربية إلى تأسيس تجارب عربية في بعض المجالات والقطاعات الخدمية الناجحة، مثل: منصتي (كريم Careem)، و(رفيق Rafeeq)؛ حيث تعمل الأولى في مجال النقل والتوصيل على غرار شركة (أوبر Uber)، بل إن هذه الأخيرة قامت بشراء منصة (كريم Careem) بالفعل مؤخرًا، أما منصة (رفيق Rafeeq) فتعمل في مجال الصيانة، وتوفر العمالة الماهرة في مختلف خدمات التجهيز والصيانة المتعلقة بالإنشاءات؛ إذ تعد الإمارات العربية المتحدة الدولة العربية الأولى التي كان لها سبق اعتماد تطبيقات الاقتصاد التشاركي على المستوى العربي.

وبالرغم من ذلك كله، فلا يزال قطاع واسع من الأفراد في المنطقة العربية لا يعرف شيئًا عن الاقتصاد التشاركي عبر المنصات الرقمية، الأمر الذي تعكسه الندرة الشديدة في البحوث والدراسات العربية التي تُعنى بهذا الموضوع، وبخاصة من الناحية التي ينظر منها إلى الأبعاد الفقهية والقانونية للاقتصاد التشاركي وتطبيقاته المختلفة.

وتشكل المنصات الرقمية جوهر الاقتصاد الرقمي التشاركي والدعامة التقنية التي يستند إليها في تحقيق التوسع والانتشار والنمو، حيث تؤدي تلك المنصات الرقمية الدور الأبرز والأهم في بناء آليات الاقتصاد التشاركي ووسائله ونماذجه وتنظيمها، وتطويرها وابتكار آليات جديدة كل يوم، إلا أن دورها الوسيط بين مقدمي الخدمات أو المنتجات من جهة، والمستهلكين من جهة أخرى، يظل هو الأهم على الإطلاق، الأمر الذي يستدعي بالضرورة الوقوف على نموذج السمسرة التي تمارسها هذه المنصات، والبحث في إمكانية تكييفها في ضوء أحكام الفقه الإسلامي وقواعده.

من أجل ذلك، كُرس هذا البحث للوقوف على نماذج الاقتصاد التشاركي عبر المنصات الرقمية ومقارنتها بعقود السمسرة، ولا بد من التنويه إلى أن هناك عدة ألفاظ ومسميات تستخدم للتعبير عن السمسرة، منها: الوساطة، الدلالة، المناداة وغيرها، إلا أننا سنكتفي بمفهوم السمسرة بوصفه الأكثر شيوعًا واستعمالًا في المعاملات التبادلية والتجارية.

---

(١١٢) Juliet B. Schor and William Attwood-Charles. (2017).The sharing Economy- labor. Inequality and Social Connection on for-profit platforms, Wiley, Schor and Attwood-Charles,p29 .

مفهوم عقد السَّمْسَرَة في الفقه الإسلامي:

لغةً: السِّمسارُ: الذي يبيع البُرَّ للناس... والسمسار فارسية معربة، والجمع: السماسرة.[١١٣]

(وفي الحديث): "كنا ندعى السماسرة، فسمّانا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تجارًا" [١١٤]، ومصدرها السمسرة وهي أن يتوكل الرجل من الحاضرة للبادية فيبيع لهم ما يجلبونه. [١١٥]

وَالسِّمسار: بكسر أوله وسكون ثانيه: اسم فاعل من سمسر: الوسيط بين البائع والمشتري، وهو الذي يسميه الناس الدّلّال (Broker). فإنه يدل المشتري على السلع، ويدل البائع على الأثمان، (ج: سماسرة)[١١٦]

فالسمسرة حرفة يكون ممُتهنها وسيطًا بين طرفين (بائع، ومشترٍ)؛ ليسهل إتمام هذه الصفقة؛ كونه يمتلك الخبرة والحذق في هذا الجانب.

اصطلاحًا: جاء تعريفها عند علماء الفقه على النحو الآتي:

عند الحنفية: جاء في المبسوط: "السمسار اسم لمن يعمل للغير بالأجر بيعًا وشراءً"[١١٧]، وفي تعريف آخر: "هو التوسط بين البائع والمشتري".[١١٨] أي أنه يعمل لغيره؛ أي: في بيع سلعة غيره وليس لنفسه، وقيدوا هذا العمل بالبيع والشراء فقط.

---

(١١٣) ابن منظور،" لسان العرب"، مادة (سمسر)، ٣٨٠/٤.

(١١٤) وأخرجه أبو داود في سننه، ٢٤٢/٣، رقم (٣٣٢٦)، كتاب البيوع، باب في التجارة يخالطها الحلف واللغو، ٢٤٢/٣، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت). . وأخرجه الترمذي في سننه ٥٠٥/٢، رقم (١٢٠٨)، كتاب البيوع، باب ما جاء في التجار وتسمية النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقال فيه: حديث حسن صحيح، تحقيق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي، (د.ط)، بيروت، وأخرجه النسائي في سننه،١٤/٧، رقم (٣٧٩٧)، كتاب الأيمان والنذور، باب في الحلف والكذب لمن لم يعقد اليمين بقلبه، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ط٢، ١٤٠٦-١٩٨٦. ١٩٩٨أخرجه ابن ماجة في سننه،(٧٢٦/٢)، رقم (٢١٤٥)، كتاب التجارات، باب (التوقي في التجارة)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت).

(١١٥)المُطَرِّزِيّ، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي ، "المغرب في ترتيب المعرب"، (ط١، لبنان: دار الكتاب العربي ،١٩٧٩) ٢٣٥

(١١٦) الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني المرتضى الزبيدي، أبو الفيض،" تاج العروس من جواهر القاموس"، تحيق: عبدالستار أحمد،(ط٢،الكويت:دار الهداية ١٩٦٥). ٨٦/١٢

(١١٧) السرخسي، محمد بن أحمد "المبسوط"،(ط١، بيروت: دار المعرفة،١٤١٤هـ/١٩٩٣م). ١١٥/١٥.

(١١٨) العيني، أبو محمد محمود "البناية شرح الهداية"،(ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ٧٩/١٠.

وعند المالكية: "دلال توسط بين البائع والمشتري"[١١٩]، وجاء في منح الجليل شرح مختصر خليل: "(سِمسار) بكسر السين وسكون الميم؛ أي: دلاّل طوّاف في الأسواق بالسلع أو ينادي عليها للمزايدة"[١٢٠] ،زاد في تعريفهم أن السمسار يطوف بالأسواق مناديًا، فأضافوا صورة حسية تجعل المعنى أكثر وضوحًا، إلا أنهم حصروها في البيع والشراء أيضًا؛ ولعلهم بهذا لم يفرقوا بين السمسار والدلال فجعلوهما واحدًا.

وعند الشافعية: لم أقف على أي تعريف في كتب الفقه الشافعي للسمسرة (فيما أعلم) سوى ما ذكره ابن حجر: "هو في الأصل، القيم بالأمر والحافظ له، ثم استعمل في متولي البيع والشراء لغيره"[١٢١]، وما جاء في البيان: "الدلاّل، وهو: من ينادي على المتاع فيمن يزيد[١٢٢] "، والدلال كلمة مرادفة للسمسار، وكانت مستخدمة عند بعض الفقهاء، ووردت بالمعنى نفسه في الغالب، وجاء تعريفهم بزيادة لفظ (من يزيد)، فأوحت بأن السمسار يروج للبضاعة بالمناداة؛ ليحصل على أعلى سعر فيبيع.

ويمكن للباحثة أن تفهم من بعض عباراتهم أنهم يُعرفونه بما عرفه به الحنفية من أنه: التوسط بين البائع والمشتري، فمن عباراتهم ما جاء في حواشي الشرواني[١٢٣] "قوله: (إلا في مسألة المتوسط)؛ أي: السمسار، كقوله للمشتري: اشتريت هذا بكذا؟ فيقول: فعلت، أو نعم، أو جير، أو أجل، أو إِي، بالكسر. ويقول للبائع: بعت هذا بكذا؟ فيقول: فعلت، أو نعم، إلخ".

وعند الحنابلة: استخدم الحنابلة لفظ السمسرة والسمسار في كتبهم مع أنهم لم يتعرضوا لتعريفه وفق هذا اللفظ، ولعل ذلك راجع إلى افتراضهم أنه معروف، وليس بحاجة إلى تعريف، ويدل على ذلك توصيفهم لبعض المهن بمهنة السمسار، كقولهم: "السمسار في الزنا"[١٢٤]؛ أرادوا به الذي يدل الزاني على الزانية، والزانية على الزاني، فهو المتوسط في صفقة بين اثنين، وهذا لا يخرج عما نصّ عليه الحنفية وألمح إليه المالكية والشافعية.

ومن الملاحظ أن الحنفية اهتموا بالسمسرة وأحكامها، وجعلوا لها أبوابًا في كتبهم الفقهية، خلافًا للمذاهب الأخرى التي لم تهتم بمسألة السمسرة عمومًا، واقتصر ذكرهم لها كصورة من الصور الوارد حكمها في إحدى المسائل الفقهية،

---

(١١٩) عليش، محمد بن أحمد، أبو عبد الله المالكي، "منح الجليل شرح مختصر خليل"،(ط١،بيروت:دار الفكر، ١٩٨٩م.) ١٨٧/٥.

(١٢٠). المصدر السابق: ٥١٠/٧.

(١٢١) العسقلاني، أحمد بن علي أبو الفضل الشافعي،" فتح الباري شرح صحيح البخاري"، (ط١،بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ) ٣٧١/٤،

(١٢٢) العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم اليمني الشافعي، "البيان في مذهب الإمام الشافعي"، تحقيق: قاسم محمد النوري، (ط١، جدة:دار المنهاج٢٠٠٠م) ١٥٤/٦،

(١٢٣) الشرواني، عبد الحميد،"حاشية الإمام عبد الحميد الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج"، (ط١،بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣م) ٢٢٠/٤.

(١٢٤) المقدسي، ابن قدامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي،" المغني"، (القاهرة:مكتبة القاهرة،١٩٦٨م)، ٩٠/٩.

وما نُقل من كتبهم لم يكن تعريفًا جامعًا مانعًا، إنما كان من باب توضيح المعنى أو الإشارة إلى بعض صوره؛ لذا كانت التعريفات موجزة، بالكاد توضح معنى السمسرة، إلا أنني أميل لتعريف الحنفية؛ لأنه أكثر شمولية واستيفاء، ولعدم تقييده السمسرة بعقد البيع والشراء فقط، إنما قد يكون في أنواع أخرى من العقود، فالأساس هو وجود وسيط بين الطرفين يؤجر بالمقابل.

فالسمسرة اصطلاحًا: بسكون الميم (مصدر) سمسر: الدِلالة: حرفة يكون محترفها الواسطة بين البائع والمشتري.[١٢٥]

وفي تعريف المعاجم لها: "السَّمسرة: البيع والشراء: المال يحصله الدلال لقاء ترويجه السلع -بيعًا وشراءً -".[١٢٦]

وقد نص قانون المعاملات التجارية (١٨) لدولة الإمارات العربية المتحدة لسنة ١٩٩٣" السمسرة عقد يتعهد بمقتضاه السمسار لشخص بالبحث عن طرف ثانٍ لإبرام عقد معين وبالوساطة في مفاوضات التعاقد وذلك مقابل أجر".

مشروعية عقد السمسرة في الفقه الإسلامي:

أجمع جمهور الفقهاء على الجواز، ولا خلاف بين الحنفية[١٢٧] ، والمالكية[١٢٨] ، والشافعية[١٢٩] والحنابلة[١٣٠] ، على مشروعية السمسرة وجوازها.[١٣١]

واستدل لها من خلال الأدلة الآتية:

أولًا: القرآن الكريم:

تحت عموم قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢).

---

(١٢٥) قلعجي، محمد روا سحامد صادق قنيبي، "معجم لغة الفقهاء"،(ط٢،عمان: دار النفائس، ١٩٨٨م)، ٢٥٠

(١٢٦) عمارة ،محمد "قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية"، (ط١، بيروت:دار الشروق١٩٩٣م) ٢٩٤.

(١٢٧) السرخسي، محمد بن أحمد "المبسوط"،(ط١، بيروت: دار المعرفة،١٤١٤هـ/١٩٩٣م). ١١٥/١٥.

(١٢٨)سحنون، سعيد عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس عن مالك بن عامر الأصبحي المدني "المدونة"،(ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)،٤٦٦/٣،

(١٢٩) الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف إبراهيم الفيروزاباذي الشيرازي أبو إسحاق،"المهذب في فقه الإمام الشافعي"،(ط١،بيروت: دار الكتب العلمية،٢٠١٨)٦٢/٢-٦٣.

(١٣٠) المقدسي ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد عبد الله بن أحمد أبو محمد ابن قدامة الجماعيلي ،" المغني" (ط١ القاهرة:مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)٦٤/٥.

(١٣١) توجد هناك بعض الأقوال بالتحريم أو الكراهة ولكنها خاصة بقضية تلقي الركبان فهناك قول ثاني فيه بالتحريم، وهو قول لابن عباس، واختيار ابن تيمية، ولكن قوله هذا ليس على إطلاقه بل مقيد بتلقي الركبان الذي جاءت النصوص بالنهي عنه، واستدلوا بالأدلة المتكاثرة في السنة النبوية التي جاءت بالنهي عن تلقي الركبان، وعندما سُئل ابن عباس ما قوله: حاضر لبادٍ؟ قال: "لا يكون له سمسارًا"، وقول بالكراهة ، وهو قول لجماعة من السلف منهم: الثوري وحماد، واستدلوا بحديث ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- بقوله: (لا يكون له سمسارًا)، فقالوا: النهي هنا للكراهة.

وجه الدلالة أن السمسرة صورة من صور التعاون على البر والتقوى، فمن خلالها يتعاون أصحاب الخبرة مع من يحتاج إليها في شراء سلعة، فيقوم السمسار بنصحه، وتقديم العون له في سلعة مباحة شرعًا مقابل أجر معلوم، وهي منفعة مباحة.

ثانيًا: السنة النبوية الشريفة:

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن قيس بن أبي غرزة، قال: كنا نسمَّى في عهد رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- السماسرة، فمر بنا رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فسمانا باسم هو أحسن منه، فقال: "يا معشر التجار، إن البيع يحضره الحلف واللغو، فشوبوه بالصدقة".[١٣٢]

وجه الدَلالة أن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حين رأى الموقف، شهد على عمل السماسرة ولم ينههم عنه، بل أقرّهم على عملهم، وأطلق عليهم "التجار"، وأمرهم بأن يخلطوا عملهم بالصدقة؛ لتكون كفارة لما يجري منهم من الحلف والكذب وغيره.

ثالثًا المعقول:

السمسرة هي عمل أشبه بالوكالة بجُعل، والوكالة مباحة وجائزة عند جميع الفقهاء[١٣٣] ، وهي تلبي احتياجات الناس، فتتيح لمن له المعرفة والدراية في اتجاه معين أن يفيد بهذه الخبرة من أراد، مقابل مبلغ معلوم؛ ليقدم النصح والإرشاد، وهناك من لا يمتلك هذه الخبرة في البيع والشراء، أو لا يمتلك الوقت الكافي للبحث عن ضالته من السلع، ويرغب في التجارة، ويجهل تمحيص السلعة ومعرفة عيوبها، فيوكل العمل إلى من لديه الدراية، وعليه، أُجيزت السمسرة فيما أباح الله تحقيقًا لمصلحة العباد؛ فالحاجة دافعة لها.

لم تفرد كتب الفقه لعقد السمسرة وأحكامها أبوابًا منفردة، إنما ورد ذكر جملة من أحكام السمسرة والسماسرة في أبواب متفرقة، أهمها: باب الإجارة، الجعالة، وفي بعض الأبواب، مثل: البيع، الوكالة، الشفعة والنكاح، ولم تُجمع السمسرة وأحكامها في باب خاص بها بوصفها عقدًا من العقود المستقلة.

وقد عَدّها بعض الفقهاء من الإجارة، على أن السمسرة المقدرة بالزمن من أبواب الإجارة، ويكون السمسار فيها حينئذٍ أجيرًا خاصًّا إن اختص بمنافع من وَسّطه في مدة الوساطة، إن لم يختص بمن وكله فقط وكان يعمل لآخرين كان

---

(١٣٢) أخرجه أبو داود في سننه، ٢٤٢/٣، رقم (٣٣٢٦)، كتاب البيوع باب التجارة يخالطها الحلف واللغو، والترمذي، ٥٠٦/٣، أبواب البيوع باب ما جاء في التجار، رقم (١٢٠٨)، والنسائي، ١٥/٧، رقم (٣٨٠٠)، كتاب الإيمان والنذور باب في اللغو والكذب، وابن ماجه ٧٢٦/٢، رقم (٢١٤٥) كتاب التجارات باب التوقي في التجارة، واللفظ له، وأحمد ٥٦/٢٦، رقم (١٦١٣٤) صححه الألباني.

(١٣٣) الكاساني، أبو بكر بن مسعود "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،"(ط٢،بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م)،١٩/٦، الرعيني، الحطاب "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"، ضبطه: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية١٩٧١م) ١٨١/٥. الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي "مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج"،(ط١،بيروت: دار الكتب العلمية١٩٩٤م)،٢٣١/٣، المرداوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان الدمشقي الصالحي الحنبلي، "الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف"،(ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٩٥٧) ٣٥٣/٥.

أجيرًا مشتركًا، والدليل على ذلك ما ذكره السرخسي بقوله: "إن استأجره يومًا إلى الليل بأجر معلوم ليبيع له، أو ليشتري له فهذا جائز"[١٣٤]، ويقصد السمسار فأصبح مُستَأجرًا.

وجاء في الفواكه الدواني: "الأجير على البيع إذا تم الأجل ولم يبع وجب له جميع الأجر، ثم شرحها (والأجير على البيع)، أي: على السمسرة على أثواب، أو دواب، أو عبيد معلومة في أجل معلوم بأجر معلوم (إذا تم)".[١٣٥]

وجاء في روضة الطالبين: "استئجار البياع على كلمة البيع"[١٣٦]، والمقصود هنا السمسار، وفي المغني: "ويجوز أن يستأجر سمسارًا"[١٣٧]، وعليه، لم تخرج السمسرة عن عقد الإجارة، ووجْه اعتبارها من أبواب الإجارة أنها عمل مباح، عُلم بتحديد المدة، وقُوبل بِعوض مَعلوم فكان من أبواب الإجارة؛ لذا تكون داخلة في معنى عقد الإجارة، وهو عقد لازم من الطرفين، وليس لأحدهما فسخه.[١٣٨]

إلا أن الحنابلة خرجوها على أنها من أبواب الجعالة، على تعريفهم للجعالة: "جاز أن يكون العمل فيها مجهولًا، والمدة مجهولة".[١٣٩]

وقد جاء في كشاف القناع: "يصح أيضًا أن يُجاعل (على) أن يعمل له (مدة، ولو مجهولة) كمن حرس زرعي فله كل يوم كذا"[١٤٠]، دون أن يحدد المدة الزمنية أو عدد الأيام؛ وهذا يدل على أن السمسرة عندهم متى ما كانت بمدة غير

---

(١٣٤) السرخسي، "المبسوط"، ١١٥/١٥.

(١٣٥) النفراوي، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم بن مهنا، شهاب الدين الأزهري المالكي "الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد، القيرواني"،(ط١،بيروت:دار الفكر٢٠٠٠م).١١١/٢-١١٢.

(١٣٦)النووي، محيي الدين يحيى بن شرف "روضة الطالبين وعمدة المفتين"، تحقيق: زهير الشاويش، ،(ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي. ١٤١٢هـ/١٩٩١م) ١٧٨/٥.

(١٣٧) ابن قدامة، "المغني"، ٣٤٥/٥.

(١٣٨) الكاساني، "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، ٢٠١/٤. الرُّعيني،" مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"، ٣٨٩/٥، والبهوتي، "كشاف القناع عن متن الإقناع"، ٢٣/٤، والحصني، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن تقي الدين الشافعي، "كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار"، تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي ،٢٩٦/١ ، (د.ط)، (د.ت).

(١٣٩) السيوطي، "أولي النهى في شرح غاية المنتهى"، ٢٠٨/٤.

(١٤٠) البهوتي، "كشاف القناع عن متن الإقناع"، ٢٠٣/٤.

محددة وعمل غير محدد لا تخرج عن كونها جعالة، وعليه، فهو عقد جائز وليس لازمًا[١٤١] ، "الجعالة له جائزة لكل منهما فسخها"[١٤٢]. فعقد الجعالة غير لازم ولأي الطرفين فسخه متى شاء.

فلا شك أن مشروعية السمسرة في المعاملات التجارية في الفقه الإسلامي ثابتة بلا خلاف في شأنها بين جمهور العلماء؛ لأنها من المهن القديمة التي كانت معروفة ورائجة في عصر النبوة والقرون السابقة واللاحقة عليها، ودليل جوازها ومشروعيتها من خلال الأدلة التي سيقت.

ونخلص إلى أن السمسرة وساطة تجارية، يقوم السمسار بدور مهم في التقريب بين البائع والمشتري لإبرام العقد فيما بينهما مقابل أجر أو مكافأة ينالها باتفاق معهما، وقد تسمى هذه المكافأة عمولة، أو رسوم سمسرة، وهي تعبر عن الأجرة المستحقة للسمسار لقاء ما قام به في سبيل إمضاء العقد، ويلجأ بعض الأفراد للسمسار لما يمتلكه من خبرة ومهارة في هذا المجال ولا تخرج في أحكامها عن الإجارة أو الجعالة.

وبناءً عليه، يمكن القول: إن عمل المنصات الرقمية في مجال الاقتصاد التشاركي يدخل في باب السمسرة المشار إليه آنفًا، الأمر الذي يلزم بيان طبيعة السمسرة التي تقوم بها المنصات الرقمية في هذا المجال.

طبيعة السمسرة التي تقوم بها المنصات الرقمية في الاقتصاد التشاركي:

تبين من تعريف المنصة الرقمية من قبل أن من أهم وظائفها وأهدافها تسهيل عمليات التواصل بين الأفراد[١٤٣]، وإنشاء علاقات بينهم قائمة على العرض والطلب للمنتجات والسلع والخدمات التي تدخل في نطاق الاقتصاد التشاركي، والقيام بتنظيم تلك اللقاءات، والتقريب بين مقدمي السلع والمنتجات والخدمات في جهة العرض، والمستهلكين الراغبين في الحصول على تلك المنتجات والخدمات في جهة الطلب، فتسمح للطرفين بالنفاذ إلى مختلف الخدمات التفاعلية وغير التفاعلية التي تبثها المنصة عبر الشبكة العنكبوتية، فيمكنها من صنع تعاقدات تشاركية بين الأفراد متعددة الصور والأشكال والسلع والخدمات بشكل مجاني، أو مقابل رسوم تحصل عليها جراء قيامها بذلك[١٤٤] .

وبصيغة أوضح، إن نموذج السمسرة الذي تمارسه المنصات الرقمية يَنشأ من خلال مساعيها الدائمة والمستمرة إلى التوفيق بين مقدمي السلع والخدمات والمستهلكين[١٤٥] ، ومن ثم دعم هذه العلاقات التشاركية بناء على الطلب من

---

(١٤١) البهوتي،منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس الحنبلي، "الروض المربع شرح زاد المستقنع" ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي، خرج أحاديثه: عبد القدوس محمد نذير، دار المؤيد،(ط١، بيروت: دار المؤيد،مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨).٤٤٦/١.

(١٤٢) البهوتي، "كشاف القناع عن متن الإقناع"، ٢٠٣/٤.

(١٤٣) البشير، فضل عبد الكريم "دور الاقتصاد الرقمي في تعزيز تنامي التمويل الإسلامي"، *بيت المشورة*، ٩ (أكتوبر٢٠١٨):، ٣٧-٣٨.

(١٤٤)Ian Bogost and Nick Montfort. (2009).Platform Studies: Frequently Questioned Answers, op. cit . p 3.

(١٤٥) البشير، فضل عبد الكريم، "دور الاقتصاد الرقمي في تعزيز تنامي التمويل الإسلامي"، ٣٧-٣٨.

خلال إقامة تعاقدات عملية قصيرة الأمد، أو محدودة الغاية والهدف، مقابل أجر أو رسم يتم الاتفاق عليه[١٤٦] ؛ أي أنها تَعمل سمسارًا بين طرفي العلاقات التشاركية، لدفعهم إلى إبرام تعاقداتهم وفق نموذج الند للند.(P2P)[١٤٧] .

ولضمان تحقيق أفضل مستويات الأداء، وجذب المزيد من المتعاملين، تعتمد المنصات الرقمية آليات متعددة لضمان تحقق شروط الجودة والسعر المناسب وغيرها من المواصفات، ومراقبة عمليات تنفيذ التعاقدات، والتحقق من التزام أطرافها بالمعايير المعلن عنها فيها[١٤٨]؛ فضلًا عن أنها تقوم بأعمال المطابقة المتعلقة بالمعلومات عن السلع والمنتجات والخدمات وطرق إبرام الصفقات، وتنفيذها والضمانات التي توفرها لتحقيق عدالة تلك التعاقدات وإنجاحها، من حيث تكون أكثر شفافية وكفاءة، وموفرة للوقت والجهد، وذلك من خلال خوارزميات البحث على إحداث التواصل الكفء والمباشر بين مقدمي الخدمات أو السلع والمستهلك.[١٤٩]

أوجه الاتفاق والاختلاف بين السمسرة وطبيعة عمل المنصات في تطبيقات الاقتصاد الرقمي:

١- أركان السمسرة:

السمسرة تندرج تحت أنواع العقود، وتنعقد بأركان العقود[١٥٠] العامة التي تتضمن:

الركن الأول: الصيغة: ليس للسمسرة صيغة محددة معينة في الشريعة المطهرة، فهي الإيجاب والقبول، فتصح بكل لفظٍ، وما يقوم مقامه، الأمر الذي يدل على الإذن في السعي للبيع والشراء.

الركن الثاني: أطراف عقد السمسرة: وهم العاقدان: مالك السلعة، والراغب في شرائها، فمالك السلعة هو البائع، والراغب في السلعة هو المشتري، والسمسار: وسيط بين طرفين في صفقة مالية، يعمل لحسابهما، أو لحساب أحدهما حسب صيغة الاتفاق الذي يشهد به العرف.

الركن الثالث: محل عقد السمسرة: وهو العمل الذي طلب من السمسار إنجازه والأجرة.

والمنصة الرقمية التي تمثل الاقتصاد التشاركي تنعقد أيضًا بالإيجاب والقبول، وتنشئ بموجبهما عقدًا يكون الشراكة بين المنصة الرقمية والشركاء (أصحاب السلع والخدمات)، ويتفق الطرفان على ما سيقدمه كل منهما، فضلًا عن عقدٍ آخر يكون بين المنصة والمستهلكين، ليتمكنوا من الحصول على الخدمات والسلع، وقد نص القانون الإماراتي الاتحادي رقم (١) في المعاملات والتجارة الإلكترونية، لسنة ٢٠٠٦ في المادة (١١) على ذلك بأنه: "يجوز التعبير عن الإيجاب

---

(١٤٦) Telles Jr, Rudy: Digital Matching Firms.(2016). A new Definition in the Sharing Economy Space, Op. cit.pp. 1 – 5.

(١٤٧) Kateryna Stanoevska- Slabeva Vera Lenz- Kesekamp and Viktor Suter.(2020).Platforms and the Sharing .Economy: An Analysis, op. cit. p 14

(١٤٨) عبد العزيز، سارة، "" تنامي اقتصاد المشاركة عبر المنصات الرقمية،: ٦٧.

(١٤٩)Telles Jr, Rudy: Digital Matching Firms.(2016). A new Definition in the Sharing Economy Space, Op. cit. p: 5..

(١٥٠) العبدري، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي، "التاج والإكليل لمختصر الخليل"،(ط١، بيروت: دار الكتب العلمية١٩٩٤م)، ٦٤/٧.

والقبول جزئيًا، وكليًّا بواسطة المراسلة الإلكترونية"، وعليه، توافق عقد السمسرة مع تطبيقات الاقتصاد التشاركي عبر المنصات الرقمية.

ويمكن للباحثة -من خلال توافر أركان عقد السمسرة في المنصة- أن تصف المنصة بسمسار يؤدي دور الوسيط بين العميل وأصحاب السلع والخدمات؛ لكنه يختلف في أنه سمسار إلكتروني تمثله المنصة الإلكترونية وتؤدي دوره.

٢- **أجرة السمسرة:**"إذا دفع الرجل إلى سمسار ألف درهم، وقال: اشتر بها زطيًا[١٥١] لي بأجر عشرة دراهم فهذا فاسد؛ لأنه استأجره لعمل مجهول، فالشراء قد يتم بكلمة واحدة، وقد لا يتم بعشر كلمات، ثم استأجره على عمل لا يقدر على إقامته بنفسه، فإن الشراء لا يتم ما لم يساعده البائع على البيع، وإن استأجره يومًا إلى الليل بأجر معلوم ليبيع له، أو ليشتري له فهذا جائز؛ لأن العقد يتناول منافعه هنا، وهو معلوم ببيان المدة، والأجير قادر على إيفاء المعقود عليه؛ لأن العقد يتناول منافعه هنا، وهو معلوم ببيان المدة، والأجير قادر على إيفاء المعقود عليه، (ألا ترى) أنه لو سلم إليه نفسه في جميع اليوم استوجب الأجر، وإن لم يتفق له بيع، أو شراء، بخلاف الأول؟ فالمعقود عليه هناك البيع والشراء حتى لا يجب الأجر بتسليم النفس إذا لم يعمل به".[١٥٢]

تكون عمولة المنصة في الاقتصاد التشاركي نسبةً ثابتةً تستقطع من القيمة الإجمالية للسلعة أو الخدمة، وبموافقة مقدم الخدمة، وتختلف هذه النسبة من تطبيق لآخر، وقد تكون مجانية في بعض التطبيقات.

وهنا توافق بين التطبيقات والسمسرة في كون الأجرة من صاحب السلعة إلَّا أنها تختلف في نسبة الاستقطاع، والمهم أنها تكون معلومة ومحددة في كلتا الحالتين: السمسرة، وتطبيقات الاقتصاد التشاركي عبر المنصات الرقمية.

٣- **الضمان في السمسرة:**إذا هلك المتاع في يد الدلال فسُئِل، فقال: لا أدري أهلك عن بيتي أم عن كتفي؟ لا يضمن من القنية[١٥٣] ، فلا يلزمه الضمان إذا لم يكن عن تقصير، "أما السمسار الذي يدعي بيع السلعة من رجل عيّنه، وهو ينكره فلا اختلاف في أنه ضامن لتركه الإشهاد"[١٥٤]، فيجب أن يكون هناك شهود، وقد جاء في المقدمات الممهدات: "أن من دلس في سلعة بعيب فردت عليه به لم يلزم السمسار أن يرد الجُعل، بخلاف إذا لم يدلس" [١٥٥]، بمعنى أن عليه الضمان متى ما دلَّس.

وفي تطبيقات الاقتصاد التشاركي لا تضمن المنصة البضاعة أو الخدمة؛ لأن التعاقد يكون مباشرًا بين العميل ومقدم الخدمة، وتكون المنصة بمثابة الأرض أو المكان الذي يتم فيه التعاقد بعد أن حصل العميل على ضالته من خلال

---

(١٥١) زطي: جيل من الناس الواحد، زين الدين الرازي، مختار الصحاح (1999)، مادة (زطط)، تح: يوسف الشيخ،(ط٥، القاهرة المكتبة العصرية) ١٣٦/١.

(١٥٢) السرخسي، "المبسوط"، ١٥/ ١١٥.

(١٥٣) البغدادي، غانم بن محمد الحنفي أبو محمد ، "مجمع الضمانات" تحقيق:محمد سراج (ط١،القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،١٩٩٩). ٥٢.

(١٥٤) الحطاب الرعيني، "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"، ٤٢٩/٥.

(١٥٥) القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، "المقدمات الممهدات"، (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي١٩٨٨م)،١٠٩/٢.

هذه المنصة، ومعظم المنصات تخلي مسؤوليتها، وتضع تقييمًا للسلعة حتى يتمكن العميل من مشاهدة التقييمات، والحكم على السلعة من خلالها للوصول لأعلى درجات المصداقية والشفافية، فمنصة (بوكينج booking) تُحيل العميل على تقييم الضيوف ليستطيع من خلالها الحكم على السكن الراغب في استئجاره[١٥٦]، أما من ناحية الإشهاد فالعقد الإلكتروني يوفي الغرض دليلًا على إنجاز العقد.

٤-انقضاء السمسرة وانفساخها: سبق أن ذكرنا أن عقد السمسرة لا يخرج عن كونه عقد إجارة أو جُعالة، وعليه، فإذا كان إجارة فهو لازم، وإذا كان جعالة فهو جائز، وأبرز أسباب انقضاء عقد السمسرة يرجع للقواعد العامة للعقد، والتي تقضي بانتهاء هذا العقد بمجرد إتمام الصفقة (محل العقد)، فضلًا عمّا يتميز به هذا العقد من اعتبار شخصي، فالأشخاص هم المعتبرون في هذا العقد؛ وبفقدهم الأهلية أو موتهم ينقضي هذا العقد ويُحل.

إلا أن المنصات تتبع منهجًا متقاربًا في هذه الجزئية؛ حيث يكون التعامل بين العميل ومقدم الخدمة بشكل مباشر، والأداة التي يتواصلون عبرها هي المنصة، فالمنصة هنا تمثل الوسيط، إلا أنها هنا شخصيةٌ اعتبارية، وليست طبيعيةً، فلا يعتريها موت، أو جنون لينقضي العقد على موت الوسيط أو جنونه، إلا أن الطرفين (مقدم الخدمة، العميل) شخصيات طبيعية، وعند تعرضهم لأي سبب من الأسباب التي أقر الشرع بموجبها انتهاء العقد فينقضي العقد الإلكتروني في هذه الحالة، وينقضي دور المنصة، وينتهي بمجرد إتمام وإبرام الصفقة، بالنسبة للعاقدين، ويتمّ إلغاء العقد عبر المنصة الإلكترونية بالنسبة لهؤلاء الأشخاص الذين اعترتهم حالات تجوز إفساخ العقد؛ إلا أن دورها وعملها قائم ومستمر باستمرار الإقبال على هذه المنصة لغرض عرض السلع والخدمات والتسويق لها.

وهناك سياسة للإلغاء يستطيع العميل الدخول إليها ومعرفة كيفية الإلغاء وما سيترتب عليه من غرامات إن وجد؛ فمنصة (بوكينج booking) لحجز الفنادق والشقق مثلًا، لا تستقطع أي مبلغ في حالة الإلغاء، إلا أن الفنادق تختلف في سياساتها، وعند الفسخ لا تحصل المنصة على أي مبلغ بسبب عدم إتمام الصفقة[١٥٧].

وقد تنتهي المنصة إذا طالب ملاك المنصة بحلها، وإنهاء عملها، وتصفيتها، ومن ثَمّ إغلاقها؛ وعليه يتوافق دور السمسار مع دور المنصة الرقمية في تطبيقات الاقتصاد التشاركي.

نخلص من ذلك إلى أن ما تميزت به سمسرة المنصات الرقمية هو وسائلها التقنية المعاصرة التي تتوافق وتواكب التطور التكنولوجي، أما بوصف مهنة السمسرة التجارية فلا اختلاف فيها يخرج عن جادة الأصل المقرر والمشروع في الفقه الإسلامي، لا سيما أنها يمكن أن تسهم في تحقيق الكثير من المصالح بين الناس، وتمكنهم من التبادل والبيع والشراء والاستهلاك بطرق سهلة ويسيرة، تؤدي إلى تلبية احتياجاتهم ورغباتهم على نحو أفضل وأكثر رفاهية، وهذا كله يدخل في نطاق مقاصد الفقه الإسلامي وغاياته الكبرى الشمولية؛ فكل وسيلة تستخدم لتحقيق مصالح الناس المباحة، وتوفير الضروري للمعيشة الإنسانية، وتحقيق الرفاهية، هي وسيلة مشروعة لا ينكرها، ولا يرفضها الفقه الإسلامي الذي أثبت مرونته وقابليته لاستيعاب المستجدات الاقتصادية في كل زمان ومكان.

---

(١٥٦) https://www.booking.com/hotel/

(١٥٧) https://partner.booking.com/ar

ونماذج الاقتصاد التشاركي عبر المنصات الرقمية ما هي إلا مجموعة من التطبيقات الإلكترونية التي تحمل عقودًا مركبة في طبيعة عملها، فقد يكون التطبيق يقوم على عقدَي شراكة، مثل شركة بلا بلاكار (Blablacar)[١٥٨] التي تقوم على عرض الشركاء على المنصة المشاركين فيها رغبتهم في الحصول على من يصاحبهم، أو يشاركهم ركوب مركباتهم؛ ليقوموا بإيصالهم إلى مناطق بعيدة، ويكون صاحب المركبة أساسًا راغبًا في الذهاب إلى تلك المنطقة، ويشارك الراغبين في الذهاب معه مقابل مبلغ رمزي، فهنا يوجد عقدان: عقد بين الشريك والتطبيق يتمثل بعقد شراكة، وعقد آخر بين الشريك والمستهلك يتمثل أيضًا في عقد شراكة.

وفي الوقت نفسه تؤدي المنصة الرقمية دور الوسيط، أو السمسار الذي يوفق بين طرفين، فيكون له نسبة معلومة متفق عليها سابقًا بموجب عقد الشراكة القائم بين المنصة وأصحاب السلع، فأصبح هنا نوع ثالث من العقود، وهو عقد السمسرة المبرم بين المنصة وأصحاب السلع.

ونخلص بشكل عام إلى أن معظم النماذج العقدية، التي تُطبق اليوم ضمن آليات الاقتصاد التشاركي عبر المنصات الرقمية، هي نماذج قابلة للتكييف في الفقه الإسلامي، إذا ما خلت من أي تعاملات محرمة؛ من حيث إن لها أصولًا وأسسًا فيه؛ فهي في الغالب عقود أقرها الفقه الإسلامي ووضع لها أحكامًا وقواعدَ منظمة، ولم تخرج عن نطاق تكييفها في ضوء قواعد نظرية العقود في الفقه الإسلامي وأحكامه.

وبما أنّ العقود التشاركية قد تحققت فيها القواعد والشروط والأركان الفقهية، فإنها جائزة ومشروعة، وأنها لا تكون جائزة أو مشروعة إذا خالفت أيًا من تلك القواعد؛ لذا فنماذج تطبيقات الاقتصاد التشاركي عبر المنصات الرقمية لا تخرج عن كونها عقودًا مركبة بين الشراكة والإجارة والسمسرة؛ حيث إنها تتوافق مع جزئيات، وتختلف مع أخرى، في عَقدي الشراكة والإجارة، إلا أن نماذج الاقتصاد التشاركي عبر المنصات الرقمية يتوافق تمامًا مع عقد السمسرة في كافة خصائصه ومميزاته.

وعليه نجد لتطبيقات الاقتصاد الرقمي عبر المنصات الإلكترونية ما هو إلا ضرب من ضروب عقد السمسرة، لتوافقه التام مع آلية وأنظمة عمل هذه المنصات، مادام عملها ضمن الأنشطة المتوافقة شرعًا مع الكتاب والسنة، أما المنصات القائمة في معاملاتها على أنشطةٍ محرمة: كالتعامل بالربا والتجارة المحرمة، فلا تكييف فقهي لها؛ لمخالفتها الكتاب والسنة، وخروجها عن المسار الشرعي.

ضمن المتغيرات الطارئة التي حدثت للعالم والمتمثلة في انتشار جائحة فيروس كورونا (كوفيد١٩)، أُجبر العالم بأسره أن يتعامل مع التطبيقات الإلكترونية والتي تعد تطبيقات الإقتصاد التشاركي جزء منها؛ مما نشط استخدامها وساهم في إيجاد العديد من النماذج المتنوعة، من هنا يظهر للباحثة ضرورة استشراف المستقبل والاهتمام بدراسة طبيعة عمل هذه التطبيقات وإجراء أبحاث لبيان مدى مشروعيتها وتوافقها او مخالفتها الفقه الإسلامي، حيث أنها أصبحت محل إجبار لا خيار.

---

(١٥٨) للتعرف على التطبيق بلا بلاكار ينظر الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=G0WE – https://www.blablacar.in/

نتائج البحث:

١- يشير مصطلح الاقتصاد الرقمي إلى نموذج اقتصادي قائم على استخدام الشبكات الإلكترونية، لتأجير السلع والمنتجات والخدمات والخبرات الشخصية، ومشاركتها وتبادلها؛ لذا فهو نموذج يستند أساسًا إلى الدور الكبير الذي تؤديه تقنيات الاتصال الحديثة في بناء العلاقات بين الأفراد وصنعها، ثم إتاحة الفرصة لتبادل ممتلكاتهم الخاصة بناءً على أسس العرض والطلب.

٢- المنصة بطبيعة الحال لا تملك أيًّا من السلع والخدمات، إنما هي واجهة لعرضها فقط، ومنصة وسيطة تؤدي دور السمسار بين أصحاب السلع والخدمات والمستهلكين؛ فهذه السلع ملك لأصحابها، وتعرض المنصة هذه السلع بناء على عقد بين المنصة وأصحاب السلع، وتحصل المنصة بموجبه على نسبة معينة متفق عليها من الطرفين، مقابل عرض هذه السلع على منصتها.

٣- الاقتصاد الرقمي بشكل عام يطبق صورة من صور عقد السمسرة في الفقه الإسلامي، وما تميزت به وساطة المنصات الرقمية ليس إلا وسائلها التقنية المعاصرة.

٤- مهنة السمسرة التجارية التي تمارسها المنصة في تطبيقات الاقتصاد التشاركي، فلا اختلاف فيها يخرج عن جادة الأصل المقرر والمشروع في الفقه الإسلامي.

٥- منصات الاقتصاد التشاركي تتوافق مع الفقه الإسلامي متى، ما ابتعدت عن المحرمات(الربا، بيع الخمر..وغيرها من المعاملات المحرمة) لا سيما أنها يمكن أن تسهم في تحقيق الكثير من المصالح بين الناس، وتمكنهم من التبادل والبيع والشراء والاستهلاك بطرق سهلة ويسيرة، تؤدي إلى تلبية احتياجاتهم ورغباتهم على نحو أفضل وأكثر رفاهية، وهذا كله ما يدخل في نطاق مقاصد الفقه الإسلامي، وغاياته الكبرى الشمولية.

٦- استطاع الاقتصاد التشاركي أن يثبت نجاحه في ظل بعض الأزمات الطارئة وغير المتوقعة كجائحة كورونا (كوفيد ١٩) حيث ارتفعت معدلات الأنشطة الإلكترونية المتمثلة في التطبيقات التي تدار عبر منصات رقمية لتقديم خدمات للمستهلكين.

التوصيات:

١- ضرورة البحث في المتطلبات الفقهية والقانونية اللازمة لمعالجة تلك التحديات والمشكلات المتعلقة بالشكل القانوني، وآليات عمل المنصات الرقمية العاملة في الاقتصاد التشاركي، ويمكن أن يضمن تحققها وتوفرها إحداث نقلة كبيرة في مساره واتجاهاته المستقبلية.

٢- الاستفادة من الأحداث والمتغيرات الطارئة التي قد تحدث في العالم، وربما تعمل على شلِّ حركة العديد من القطاعات الحيوية، "فيروس كورونا (كوفيد١٩)" أنموذجًا، باستشراف المستقبل، ووضع الخطط والآليات البديلة، وتشريع القوانين المناسبة والمرنة؛ لمواجهة أي ظروف استثنائية طارئة، من شأنها أن تحول دون استمرارية التنافسية العالمية.

٣- القيام بالمزيد من بحوث التأصيل والتكييف الفقهي ودراساتهما المتعمقة والمتخصصة؛ وذلك لدراسة جوانب العمل والنشاط العام والخاص، وتحليلها لكل فئة من التطبيقات الرقمية العاملة في مجال الاقتصاد التشاركي على حدة،

والقيام بدراسات أخرى تستشرف مستقبل الاقتصاد التشاركي في دولة الإمارات بوجه خاص، والعالم العربي والإسلامي بوجه عام، وكيفية تنظيمه من النواحي الشرعية والقانونية كافةً، بناءً على رؤية منهجية وموضوعية وواقعية.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين..

انتهى بحمد الله وتوفيقه

أولاً: المراجع العربية:

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، "لسان العرب"، (ط٣، بيروت:دار صادر، ١٤١٤هـ)،.

الأطرم، عبد الرحمن بن صالح عبد الرحمن أحمد ،"الوساطة التجارية في المعاملات المالية "،(ط١،الرياض:دار أشبيلية، ١٩٩٥م)

البشير ، فضل عبد الكريم محمد "دور الاقتصاد الرقمي في تعزيز تنامي التمويل الإسلامي،" *مجلة بيت المشورة*، ٩ (أكتوبر ٢٠١٨)

البغدادي، غانم بن محمد الحنفي أبو محمد ، "مجمع الضمانات" تحقيق:محمد سراج (ط١،القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،١٩٩٩).

البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس الحنبلي" كشاف القناع عن متن الإقناع"، (ط١، بيروت:دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩).

البهوتي،منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس الحنبلي، "الروض المربع شرح زاد المستقنع" ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي، خرج أحاديثه: عبد القدوس محمد نذير، دار المؤيد،(ط١، بيروت: دار المؤيد،مؤسسة الرسالة ،٢٠٠٨).

الحطاب الرعيني، محمد بن محمد بن عبد الرحمن المالكي المغربي أبو عبد الله الحطاب، "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل"، ضبطه: الشيخ زكريا عميرات،(ط١،بيروت: دار الكتب العلمية١٩٧١م)،

الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني المرتضى الزبيدي، أبو الفيض،" تاج العروس من جواهر القاموس"، تحيق: عبدالستار أحمد،(ط٢،الكويت:دار الهداية ١٩٦٥).

سحنون، بن سعيد عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس عن مالك ابن عامر الأصبحي المدني: "المدونة"،(ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٥هـ/١٩٩٤م)

السرخسي، محمد بن أحمد "المبسوط"،(ط١، بيروت: دار المعرفة،١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

سمير، دعاء (فبراير٢٠١٧)، "الاقتصاد التشاركي وأثره على السياحة في مصر"، *المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة*،٣(٢٠١٧)

السيوطي، "أولي النهى في شرح غاية المنتهى"، ٢٠٨/٤.

الشرواني، عبد الحميد "حاشية الإمام عبد الحميد الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج،" (ط١،بيروت:دار الفكر، ١٣٥٧ه/١٩٨٣م)

الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف إبراهيم الفيروزاباذي الشيرازي أبو إسحاق،"المهذب في فقه الإمام الشافعي"،(ط١،بيروت: دار الكتب العلمية،٢٠١٨)

عبد العزيز، سارة:"تنامي اقتصاد المشاركة عبر المنصات الرقمية" *مجلة اتجاهات الأحداث* ١٩، (٢٠١٧م)

العبدري، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي"التاج والإكليل لمختصر الخليل"،(ط١،بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/١٩٩٤م)

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، ، "فتح الباري شرح صحيح البخاري ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز،"،(ط١ دار المعرفة، بيروت ١٣٠١هـ)

عليش، محمد بن أحمد بن محمد ، أبو عبد الله المالكي، "منح الجليل شرح مختصر خليل"،(ط١، بيروت: دار الفكر١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)،.

عمارة، محمد، "قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية"،(ط١بيروت:دار الشروق. ١٩٩٣م)

العمراني، يحيى بن أبي الخير بن سالم اليمني الشافعي، "البيان في مذهب الإمام الشافعي"، تحقيق: قاسم محمد النوري،(ط١، جدة: دار المنهاج، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

العيني، أبو محمد محمود "البناية شرح الهداية"،(ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)

القرطبي،محمد بن أحمد بن رشد ، أبو الوليد، "المقدمات الممهدات"،(ط١، بيروت:دار الغرب الإسلامي،٢٠١٥).

قلعجي، محمد رواس حامد صادق قنيبي،" معجم لغة الفقهاء "، (ط٢، عمان:دار النفائس،١٩٨٨).

الكاساني، أبو بكر بن مسعود "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،"(ط٢،بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م)

المُطَرِّزِيّ، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي ، "المغرب في ترتيب المعرب"، (ط١، لبنان: دار الكتاب العربي ،١٩٧٩)

المقدسي ، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد عبد الله بن أحمد أبو محمد ابن قدامة الجماعيلي ،" المغني" (ط١ القاهرة:مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)

المقدسي، عبد الغني ، "شرح عمدة الأحكام"، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.

النفراوي، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم بن مهنا، شهاب الدين الأزهري المالكي "الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد، القيرواني"،(ط١،بيروت:دار الفكر٢٠٠٠م).

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف "روضة الطالبين وعمدة المفتين"، تحقيق: زهير الشاويش، ،(ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي. ١٤١٢هـ/١٩٩١م)،"

English references

1. ADRIANA LURI MINAMI. (2018) what drives Engagement in the Brazilian market?, Master Thesis, NOVA – School of Business and Economics and INSPER– Instituto de Ensino e Pesquisa,
2. Juliet B. Schor and William Attwood-Charles. (2017).The sharing Economy- labor. Inequality and Social Connection on for-profit platforms, Wiley, Schor and Attwood-Charles,
3. Telles Jr, Rudy: Digital Matching Firms.(2016). A new Definition in the Sharing Economy Space, Op. cit.

المواقع الالكترونية:

1. https://ar.airbnb.com
2. https://www.booking.com/hotel
3. https://partner.booking.com/ar
4. https://www.blablacar.in/
5. https://www.youtube.com/watch?v=G0WE_-

الأمن الصحي بين الشريعة والقانون

Health security between Sharia and law

د. محمد فتحي محمد أبو العنين - دكتوراه في القانون الجنائي - كلية الحقوق جامعة المنصورة- مصر

Email: mohamedaboelenan7@gmail.com

ملخص البحث :-

تبنى المجتمع الدولي فكرة الأمن الصحي كركن من أركان الأمن الإنساني، وحق أساسي من حقوق الإنسان الواجب احترامه، وسعى إلى إيجاد الأطر القانونية والمؤسساتية المناسبة، وهو ما تعكسه اللوائح الصحية الدولية الصادرة عن منظمة الصحة العالمية عام ٢٠٠٥، بوصفها إطارًا قانونيًا عمليًا ملزمًا لمكافحة كل ما يهدد الأمن الصحي.

وقد اشتملت الشريعة الإسلامية على العديد من التدابير الوقائية، والاحتياطات الصحية اللازمة للحماية والوقاية من الأمراض والأوبئة، إذا ما طبقت تحقق الأمن الصحي للأفراد والمجتمع، ووضع علماء الفقه الإسلامي في اجتهاداتهم قواعد كلية، تسمو في روعتها وغايتها على مبادئ القانون الوضعي في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: الأمن الصحي، مقاصد الشريعة الإسلامية، تدابير الوقاية من الأمراض والأوبئة.

Research summary :

The international community adopted the idea of health security as one of the pillars of human security, and a basic human right to be respected, and sought to find appropriate legal and institutional frameworks, which is reflected in the International Health Regulations issued by the World Health Organization in 2005 As a practical legal framework that is binding to combat everything that threatens health security.

Islamic Sharia has included many preventive measures and health precautions necessary for protection and prevention of diseases and epidemics, if applied to achieve health security for individuals and society, and Islamic jurisprudence scholars put in their jurisprudence holistic rules, transcend In its splendor and purpose on the principles of positive law in the modern era.

Key words: health security, purposes of Islamic law, measures to prevent diseases and epidemics

المقدمة:

يعد الأمن الصحي واحدًا من الأبعاد الأمنية في مجال الدراسات الأمنية والشرعية، لارتباطه بحق الإنسان في الحياة وسلامة بدنه، ولهذا تزايد الاهتمام به في السنوات الأخيرة في ظل تسارع وانتشار الأمراض المستجدة والأوبئة العابرة للحدود؛ مما أدى إلى العمل على تكثيف الجهود الدولية لتعزيزه من خلال الاتفاقيات الدولية، وأهمها اللوائح الصحية الدولية، الصادرة عن منظمة الصحة العالمية عام ٢٠٠٥، حيث وضعت اللوائح الصحية القواعد اللازمة للأمن الصحي على المستوى الدولي، واعتمدت اللوائح الصحية الدولية مجموعة من التدابير الصحية للوقاية من انتشار الأمراض والأوبئة، والتي لم تختلف كثيرًا عن تلك التي أقرتها الشريعة الإسلامية جملةً وتفصيلًا.

أهمية البحث تكمن فيما يأتى:

١- تحديد ماهية الأمن الصحي بين الشريعة والقانون.

٢- أهمية اللوائح الصحية الدولية كإطار قانوني لحماية الأمن الصحي .

٣- منظمة الصحة العالمية تدعو لصياغة اتفاق عالمي للأمن الصحي .

٤- إظهار السبق للشريعة الإسلامية في حماية حياة الإنسان وبدنه من الأمراض والأوبئة.

٥- مدى ملائمة ومعالجة الشريعة الإسلامية للنوازل كانتشار الأمراض والأوبئة.

٦- تحديد مختلف التدابير الصحية المنصوص عليها في الشريعة الإسلامية لمواجهة الأوبئة.

خطة البحث:

تقوم خطة البحث على المنهج الاستقرائي والوصفي، من خلال بيان ماهية الأمن الصحي بين الشريعة والقانون، وإظهار السبق للشريعة الإسلامية على القانون الدولى والوطني في مجال التدابير، والحماية لحياة الإنسان وجسده من الأمراض والأوبئة.

ماهية الأمن الصحي بين الشريعة والقانون

◄ **تعريف الأمن الصحي:**

يعتبر الأمن الصحي من ضمن مفاهيم الأمن الإنسانى، وهذا ما جاء في تقرير التنمية البشرية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لسنه١٩٩٤م، حيث أكد التقرير أن وحده التحليل هي الإنسان بدل الدولة، وهذا لما يواجهه الأفراد من تحديات خطيرة، لأن انتشار الأمراض المعدية تشكل نوعًا جديدًا من التهديدات الأمنية، كونها ذات طابع قومي وعابرةً للحدود الدولية[١٥٩].

[١٥٩] أ. صولة فيروز: تداعيات الأمن الصحى في المجتمعات المتقدمة والنامية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين – ألمانيا، ٢٠٢٠، ص ١٩٤.

وتشير تصورات الباحثين إلى أن مفهوم الأمن الصحي يعد بعدا من أبعاد الأمن الإنسانى، إلا أن بدايته الأولى كانت ضيقةً تقتصر على مكافحة الأوبئة والحد من انتشارها، وهو ما تعكسه بعض التعاريف التي تعتبر أن الأمن الصحي تحرر من المرض والعدوى، وبأنه توفير للخدمات الصحية، وعدم سهولة انتقال وانتشار الأمراض(١٦٠).

غير أن هذه النظرة أخذت منعرجًا آخر، وأصبح ينظر للصحة نظرةً شمولية عالمية، تتكامل فيها العديد من المقومات والعناصر، الأمر الذي يعكسه تعريف منظمة الصحة العالمية للصحة:" بأنها حالة من اكتمال السلامة بدنيًا وعقليًا واجتماعيًا، لا مجرد انعدام المرض أو العجز"، وبالتالي تغيرت النظرة إلى الأمن الصحي، فقد وسع التقرير السنوي الصادر عن منظمة الصحة العالمية لسنه ٢٠٠٧م، من مفهوم أمن الصحة العامة وعرفها:" بأنها تلك الأنشطة اللازمة سواء كانت استباقيةً أم كانت تمثل رد فعل، للإقلال إلى أدنى حد من التعرض لأحداث الصحة العمومية الحادة، التي تشكل خطرا على صحة سكان أى بلد على نطاق واسع " (١٦١)

ويرى تقرير التنمية الإنسانية العربية لسنه ٢٠٠٩م، أن الأمن الصحي " عبارة عن منظومة من النشاطات الفعالة المتعددة المسارات، التي لابد من تفعيلها للتخفيف من نشوء الأوضاع الصحية العامة الحادة، التي تهدد صحة المواطنين"(١٦٢)

ويعني الأمن الصحي بضرورة تأمين الشروط الصحية الأساسية، والضرورية لحماية الأفراد من الأمراض المعدية، والأوبئة والأمراض المزمنة، والأمراض الناتجة عن التلوث البيئي، والإصابات الناجمة عن الحوادث والعنف بكل أنواعه الجسدي والنفسي والجنسي (١٦٣).

◄ **أهمية الأمن الصحي:**

تكمن أهمية الأمن الصحي في قوه تأثيره على عدة مجالات أو على الحياة بمجملها، لأن التهديدات الناجمة عن قطاع الصحة قادرة على تهديد الأمن القومي للدول، وحتى الأمن الإقليمى والدولي، إذا لم يتم التحكم فيها وإدارتها، قبل أن تتكبد خسائر ماديةً وبشريةً(١٦٤).

◄ **الأمن الصحي مسئولية مشتركة:**

يعد الأمن الصحي مسئوليةً مشتركةً، لا يمكن أن يتحقق عن طريق طرف فاعل واحد أو قطاع منفرد داخل الحكومة، وبالتالي يعتمد النجاح في تحقيق الأمن الصحي على تكاتف الجهود، مع مختلف الأطراف من المؤسسات حكومية وغير حكومية، والتعاون بين قطاعات الصحة والأمن والبيئة والتعليم والزراعة والاقتصاد، وفي هذا الصدد

---

(١٦٠) إسحاق بلقاضى: أدوات حماية الأمن الصحي الدولي في إطار اللوائح الصحية الدولية، بحث منشور في مجله الدراسات القانونية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعه يحيى فارس بالمدية، الجزائر، المجلد الرابع، العدد الأول، يونيو ٢٠١٨، ص ١٧٤.

(١٦١) Aldis William ,"Health security as a public health concept a critical analysis " ,Health policy and planning ,London school of hygiene and tropical medicine ,vol 23, issue 6, November 2008.

(١٦٢) تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٩، تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المكتب الإقليمى للدول العربية، برنامج الأمم المتحدة، شركة كركى للنشر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩، ص ١٤٦.

(١٦٣) - Horton, A., P.Das, Lancel, 2015, Giibal health sucurity now. COMMENT. VOLUME 385, 9980:1805-1806.

(١٦٤) أ. أكرم عبد الرازق المشهدانى: الأمن الشامل في مواجهة الأزمات والكوارث، جائحة كورونا، المجلة العربية للدراسات الأمنية، المجلد ٣٦، العدد ٢، جامعه نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٢٠.

يقول الدكتور" مارغريت تشـــان " أنه عندما يتعرض العالم للخطر بشـــكل جماعي، يصـــبح الدفاع مســـئولية لجميع الدول[١٦٥]

◄ **ماهية الأمن الصحي في الإسلام :**

أولى علماء الشريعة الإسلامية اهتمامًا كبيرًا لموضوع الأمن من دون ذكر صريح للأمن الصحي، رغم العناية الخاصة بالمواضيع المتعلقة بصحة وسلامة البدن في البحوث، والدراسات الإسلامية أو في النصوص الشرعية.

وباســـتقراء المفاهيم المتعلقة بالأمن الصـــحي، نجدها تتفق على ضـــرورة خلو وســـلامة الأفراد والدول من الأمراض، والأخطار والأوبئة التي تهدد الصـــحة العالمية، ولتطبيق هذا المفهوم عمليا يقتضـــي البحث في إيجاد آليات، تمكن الإنســـان من العيش في بيئة تؤمنه من الأمراض، وتوفر له الحق في التداوي والاســـتشـــفاء، والوقاية من الأخطار الصحية التي تواجهه، حتى ينعم بحياة آمنةً صحيًّا وأكثر استقرارًا[١٦٦].

والمتأمل في نصـوص الشـريعة الإسـلامية من قرآن وسـنة يجدها تؤكد على هذا المفهوم، ولا تكتفي بذلك فقط بل نجدها تقدم لنا آليات لتحقيقه، وهي في أغلبها تبرز أهمية الوقاية والتداوي، والعلاج من الأمراض، وتعتبرها وسيلةً هامةً لحفظ النفس البشـــرية، مما يعتريها من مهددات صـــحية، لذا جاء اهتمام الشـــريعة الإســـلامية به متفقا مع مدى ضرورته.

وعلى ضـوء التعريف السـابق يمكن القول بأن الأمن الصـحي في الإسـلام هو " مجموعة الإجراءات والتدابير الصـحية، التي تتخذها الدولة لضـمان سـلامة رعاياها مسـلمين وغير المسـلمين، ابتداءً بسـلامة الغذاء والماء والبيئة، وانتهاءً بتوفير العلاج وكل ما يحتاجه المواطنون للحفاظ على صحتهم.

وهذا التعريف يحمل مسئولية تحقيق الأمن الصحي من المنظور الشرعي على عاتق الدولة وحدها، لكن المتتبع لنصوص الشريعة يجد أيضا أن أفراد المجتمع، تحملهم الشريعة مسئوليةً كبيرةً في الحفاظ على صحتهم وعدم الإضرار بالأمن الصحي للآخرين.

ومن النصوص الشرعية الدالة على أهمية تحقيق الأمن الصحي في الشريعة الإسلامية، قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا)[١٦٧]، فهذا الحديث يؤصـــل لفكره مفادها، أنه لا يمكن تحقيق الحياة الكريمة الســـعيدة لأفراد المجتمع، بدون ســـلامة أجســـادهم من الآفات والأمراض، وهذا فيه بيان لأهمية الصـــحة والســـلامة، والأمن الصـــحي في حياة الناس، وتزداد تلك الأهمية وضـــوحًا عندما نجد الرسـول صـلى الله عليه وسـلم يقرنه بنوعين آخرين من الأمن لابد منهما، الأمن من الخوف المعروف الذي يتطلب العدة والعتاد، والأمن الثاني وهو الأمن من الجوع أى الكفاية من الغذاء، ولا يتحقق هذان النوعين إلا بالاهتمام بصحة الإنسان، وحمايته من الأمراض والأوبئة.

---

[١٦٥] Dr : Margaret Chan , Director General [9] , world health organization , world health .day 2007

.

[١٦٦] د. وائل سعيد زكي أبو زيد: الأوبئة وأثرها على المجتمع، دراسة فقهية طبية مقارنة، الطبعة الأولى، مكتبه الوفاء القانونية، الإسكندرية، ٢٠١٤، ص ٣٥٤.

[١٦٧] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب التوكل على الله، رقم الحديث ٢٥٠٠، الجزء ٤، ص ٣٧١.

وإذا تأكد لنا أنه لا يمكن تحقيق الأمن الغذائي وأمن الأشـخاص، والممتلكات والأوطان بدون الأمن الصـحي، فهذا يقودنا إلى القول بأن هذا الأخير أساس تحقيق ما يعرف في واقعنا المعاصر بالأمن الاقتصادى[١٦٨]، فلا إنتاج ولا عمل ولا جودة ولا تنمية إلا بالصـحة، فهي تاج على رؤوس الأصـحاء لا يعرفها إلا المرضـى، فالصـحة رأس مال الإنسان وأساس سعادته الحقيقية[١٦٩].

يؤكد هذا الحديث على أن الأمن الصـحي أحد أهم أبعاد الأمن الإنسـانى، كالأمن الاقتصـادى والأمن الاجتماعي وغيرهما، نظرًا لأن صحة وسلامة الفرد يمكنها أن تحقق الجوانب الأمنية الأخرى.

وهذا ما تبنته الأمم المتحدة حينما ظهر مفهوم الأمن الإنسـانى أول مرة خلال تقرير التنمية البشـرية عام ١٩٩٤، الصـادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، حيث ركز المفهوم على صـون الكرامة البشرية وكرامة الإنسـان، وتلبية احتياجاته المادية والمعنوية، ويتحقق الأمن الإنسانى من خلال التنمية الاقتصادية المستدامة والحكم الرشيد، والمساواة الاجتماعية وسـيادة القانون، وانعدام التهديد والخوف بأشـكاله المختلفة، وقد تبنى التقرير عدة أبعاد لمفهوم الأمن الإنسـانى ، وتتمثل في الأمن الغذائي، والأمن البيئي، والأمن الصـحي، والأمن الشـخصـي، والأمن القومي، والأمن الاقتصادى[١٧٠].

◄ **اللوائح الصحية الدولية كإطار قانوني لحماية الأمن الصحي:**

كان لابد على المجتمع الدولي بعد تبنيه لمقاربة الأمن الصحي، أن يجد الأطر القانونية المناسبة والملزمة التي تنظم عملية التصدي للتهديدات الصحية، خاصـة وأن للعملية بعدًا دوليًا تتجاوز الحدود الإقليمية والوطنية للدول، وهي تتطلب عمل جماعي وموحد يجمع بين مختلف الفعاليات الدولية والوطنية، وعليه برزت اللوائح الصـحية الدولية لسـنة ٢٠٠٥؛ لتسـاهم في تعزيز الأمن الصـحي على الصـعيد العالمي [١٧١]، من خلال توفير إطار قانوني وعملي لتنسـيق مواجهة هذه المخاطر والتهديدات الصحية، كما تهدف إلى تحسين قدره الدول على كشف الأخطار، التي تهدد الصحة العامة والتصدي له.

◄ **الآليات المؤسساتية لضمان حماية الأمن الصحى الدولى :**

إن مواجهه الأخطار الصحية التي تهدد الأمن الصـحي العالمي، تتطلب أن يكون المجتمع الدولي على أهبة الاستعداد لمواجهتها في إطار من التعاون الدولي، مع مشاركة الفاعلين في العملية، وبالإضافة إلى الدور الذي يمكن أن تلعبه الدول من خلال تطويرها لهذه القدرات الأساسية المنصوص عليها في اللوائح[١٧٢]، نجد أن منظمة الصـحة العالمية لها دور كبير في تعزيز الأمن الصـحي العالمي، إضـافة إلى وسـائل أخرى لا تقل أهمية، كالتعاون بين مختلف المنظمات والقطاعات المعنية، وهذه الآليات هى :

---

[١٦٨] د. حسن محمد عبد الله أبو شويمة: الأمن الاقتصادى في الشريعة الإسلامية، دراسة تأصيلية، الطبعة الأولى، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن،٢٠٠، ص ٥٠ و٥١.

[١٦٩] د. أمين مصطفي عبد الله: أصول الاقتصاد الإسلامي ونظرية التوازن في الإسلام، بدون دار نشر،١٩٨٤، ص ٢١٠.

[١٧٠] برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ١٩٩٤، تقرير التنمية البشـرية لعام ١٩٩٤، ترجمة مركز دراسـات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ١٩٩٩.

[١٧١] مجلس الأمن الدولي، القرار ٢١٧٧ لسنه ٢٠١٤، تفشي مرض الإيبولا في إفريقيا، جلسة ٧٢٦٨، في ١٨ سبتمبر ٢٠١٤، رقم الوثيقة - 217 (2014) Res٧S . /

[١٧٢] د. إسحاق بلقاضى: أدوات حماية الأمن الصحي الدولي في إطار اللوائح الصحية الدولية، مجله الدراسات القانونية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعه يحيى فارس بالمدية، الجزائر، المجلد الرابع، العدد الأول، يونيو ٢٠١٨، ص ١٨٥.

أ- الآليات الوطنية :

نجد أن اللوائح الصحية قد ألزمت الدول الأطراف فيها على إنشاء بعض الآليات المؤسساتية الخاصة، للكشف عن الأخطار التي تشكلها التهديدات الصحية، بما يضمن التطبيق العملي لأحكام هذه اللوائح، ويأتي على رأس هذه الآليات مراكز الاتصال الوطنية المعنية باللوائح الصحية الدولية، والتي تعنى بنشر المعلومات وتعميمها على

مختلف القطاعات المعنية داخل الدولة وخارجها بتبادلها مع منظمة الصحة العالمية، كما لابد من توفير الموارد اللازمة وتنمية الموارد البشرية المختصة ذات الكفاءة لمجابهة هذه التهديدات، مع الإعداد لخطط وطنية لترصدها ومجابهتها [١٧٣]، ووضع آليات التنسيق والاتصال بين الوزارات والمصالح والقطاعات المعنية [١٧٤].

ب- الآليات الدولية :

بالنظر في اللوائح الصحية نجد أنها قد منحت دورًا قياديًا عالميًا لمنظمه الصحة العالمية، يشمل الترصد وتقييم المخاطر والتصدي لها [١٧٥]، ومرد ذلك يعود إلى الوظائف والأهداف التي تقوم بها المنظمة، وتسعى إلى تحقيقها من خلال عدم المساس بصحة الأفراد وحياتهم بأي شكل من الأشكال، ومكافحة كل ما يهددها من مخاطر[١٧٦]، وتقوم إستراتيجية منظمة الصحة العالمية في مجال الأمن الصحي على الاستعداد الدولي لمواجهة التهديدات الصحية بشكل جماعي، يتوافق مع ما جاءت به اللوائح الصحية من أحكام، من خلال الكشف المبكر عن الحالات الصحية الطارئة والتصدي لها، ولأجل تحقيق ذلك عملت المنظمة على إيجاد منظومة عالمية فعالة، تكون جاهزة لاحتواء كل ما يهدد الصحة العامة على الصعيد الدولي[١٧٧]، من خلال إقامتها للعديد من الشبكات الدولية المعنية بالتصدي لهذه التهديدات، كإنشائها الشبكة العالمية للإنذار بحدوث الفاشيات ومواجهتها [١٧٨]، كما أكدت اللوائح وألزمت الدول على التنسيق مع بعضها البعض لمجابهة التهديدات الصحية بشتى الصور، كتقديم الدعم المالي والتقني للدول النامية، وتبادل الخبرات والمعلومات معها في مجال مكافحه مختلف التهديدات الصحية[١٧٩]، وتعزيز التعاون مع المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، سواء على الصعيد الدولي أو الإقليمي[١٨٠].

◄ **منظمة الصحة العالمية تدعو لصياغة اتفاق عالمي للأمن الصحي :**

وقال المدير العام لمنظمة الصحة العالمية (هيد روس أدهانوم)، أن المؤسسة تدعو الدول إلى دعم مبادرة توقيع إتفاقية دولية حول الأمن الصحي، وذكر في كلمته أمام منتدى باكو العالمي الثامن" العالم بعد كوفيد ١٩ "أنه سيتم بحث

([١٧٣]) منظمة الصحة العالمية اللجنة الإقليمية لشرق المتوسط الخطة الإقليمية لمواجهة الأمراض المستجدة والمنبعثة، الدورة الثالثة والأربعون، مايو ١٩٩٦، رقم الوثيقة ش م/ ل إ ٤٣ / ١٠ - ١٠/ ٤٣ EMLIRC

([١٧٤]) معلومات للدول الأطراف عن استيفاء متطلبات القدرات الأساسية، والواردة في اللوائح الصحية الدولية لعام ٢٠١٢ وإمكانيات التمديد، منظمة الصحة العالمية يناير ٢٠١٢، ص ٤.

([١٧٥]) تنفيذ أحكام اللوائح الصحية الدولية ٢٠٠٥، تقرير لجنه المراجعة المهنية بتنفيذ اللوائح الصحية الدولية ٢٠٠٥ فيما يتعلق بالجائحة (H1N1)، ص ٣٦ و ٣٧.

([١٧٦]) انظر ديباجية دستور منظمه الصحة العالمية، والمادة ٢ من نفس الدستور.

([١٧٧]) اجتماع الدول الأطراف في اتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتكديس الأسلحة البكتريولوجية، والتكنولوجية والتكسينية، وتدمير تلك الأسلحة، اجتماع عام ٢٠١٠م، جنيف ٦ / ١٠ ديسمبر ٢٠١٠، اجتماع خبراء ٢٣ – ٢٧ أوت ٢٠١٠، رقم الوثيقة MSP/2010/MX/INF.2BWC/5Aug INE.2 5August 2010 P7.

([١٧٨]) د. عبد العزيز محمد حسن حميد: الحق في الصحة في ظل المعايير الدولية، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ٢٠١٨، ص ٣٤٧.

([١٧٩]) انظر المادة ٤٤- ١، المرفق ١أ من اللوائح الصحية الدولية .

([١٨٠]) انظر المادة ١٤ من اللوائح الصحية الدولية.

ومناقشة هذا الموضوع في جمعية الصحة العالمية في نوفمبر، وشدد على أن العالم بحاجة إلى استيعاب وهضم دروس الوباء الحالي، والبدء في الاستعداد للوباء التالي، وقد حان الوقت لوضع المعاهدة أو اتفاقيه دولية ملزمة قانونيا، لكي تشكل الأساس لضمان الأمن الصحي العالمي، ونتطلع إلى مساهمة جميع الدول في صياغة مثل هذه الوثيقة التي ستتم مناقشتها خلال جلسة خاصة في جمعية الصحة العالمية في نهاية هذا الشهر، وأعلن أن الرعاية الصحية العالمية تتطلب استثمارات مالية كبيرة، ونحن بحاجة إلى زيادة كبيرة في الاستثمار في المناطق، بما في ذلك الاستثمار في مجال تقديم المساعدة الصحية الأولية، ونحتاج أيضا إلى تحسين نظم وسائل الوقاية من تفشى الأوبئة والجوائح المحتملة، واكتشافها والتصدي لها بسرعة، ولا يمكن القيام بكل ذلك إلا من خلال التعاون الدولى متعدد الأطراف [١٨١].

الأمن الصحي ومقاصد الشريعة الإسلامية

الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وتعالج الأحداث والمستجدات التي تعترض الإنسان في حياته ومنها الأمراض والأوبئة، التي تعصف بحياة الإنسان، وتبدد أمنه إلى خوف، وصحته إلى سقمه، فما أعظمها من شريعة غراء، لم تترك شيئًا فيه سعادة للإنسانية إلا وأمرت بالالتزام والتمسك به، وما فيه ضرر إلا ونهت بالابتعاد عنه، ومن مقاصد الشريعة الإسلامية الضرورية: حفظ النفس والنسل والعقل، وبها يتحقق الأمن الصحي.

أما المقصدين الآخرين وهما حفظ الدين وحفظ المال لا يتحققان كذلك، إلا بحفظ الإنسان لصحته حتى يقوى عليهما، ليتبين لنا أن حفظ الصحة مقصد المقاصد للشريعة الإسلامية.

فمقصد حفظ النفس والنسل (العرض) والعقل، يحكم تفاصيل أمن الإنسان الصحي، وهذا يدعو للتسليم الجازم بكون الشريعة إنما وضعت لجلب المصالح له ودرء المفاسد عنه.

١- **حفظ النفس:**

يتحقق الأمن الصحي في الإسلام بحفظ النفس، فحفظها مقصد هام من مقاصد الشريعة، فالغاية من خلق الإنسان عباد الله وطاعته، وبضياع النفس وهلاكها يهلك المكلف، وبالتالي يضيع الدين، ولذلك حضت الشريعة الإسلامية على ضرورة حماية وحفظ النفس من الهلاك، ومن أسباب هلاكها الأمراض والأوبئة.

الآيات التي تحض وتأمر بحفظ النفس:

قوله تعالى : (**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ.....**)[١٨٢]، (**..... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**)[١٨٣]، والمقصود بحفظ النفس " بقاؤها شرعًا "، وأيضًا "مراعاة حق النفس في الحياة والسلامة والكرامة والعزة". وقد أكد هذا المعنى مجمع الفقه الإسلامي لمنظمه التعاون الإسلامي في قراره الصادر في ٢٠٢٠/٤/٢٠م،عقب تفشى فيروس كورونا المستجد بنصه على ضرورة حماية النفس والصحة، وضرورة إنقاذ

---

(١٨١) كلمة المدير العام لمنظمة الصحة العالمية أمام منتدى باكو العالمى الثامن " العالم بعد كوفيد ١٩ "، منشور متاح على الموقع الإلكترونى التالى، بتاريخ دخول فى ٢٧ / ٣ / ٢٠٢٢. https://arabic.rt.com

(١٨٢) سورة الإسراء (الآية٣٢).

(١٨٣) سورة النساء (الآية ٢٩).

الأرواح والأنفس من الهلاك، وأن الحفاظ على النفس من مقاصد الشريعة الإسلامية مصداقا لقوله تعالى :(**... مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...**)[١٨٤]

فإذا كان الوباء لا يعرف له دواء وأصبحت حياة المصابين في خطر، فإنه يجب على الحكومات دعم محاولات اكتشاف الدواء، وذلك بدعم التجارب العلمية والطبية، وحث الأطباء والمختصين على اكتشاف الدواء، أو اللقاح المناسب، قال ابن القيم في قوله صلى الله عليه وسلم :(لِكُلّ دَاءٍ دَوَاءٌ) تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه[١٨٥].

اعتنت الشريعة الإسلامية بمقصد حفظ النفس، فجعلته مقدما على باقي الضروريات بعد حفظ الدين، فإذا تعارضت مصلحة النفس مع مصلحة العقل أو النسل أو المال، ولم يمكن الجمع بين هذه المصالح، فإن مصلحة النفس تقدم على باقي الضرورات[١٨٦] .

الأحاديث التي تحض وتأمر بحفظ النفس :

قال رسول صلى الله عليه وسلم: (**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، والنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، والتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**)[١٨٧]، فقتل النفس من كبائر الذنوب وهذا يدل على تعظيم حرمة النفس في الإسلام.

- حفظ البدن :

اهتمت الشريعة الإسلامية بالصحة الجسدية للفرد، لعلاقتها بحفظ النفس والحق في الحياة، من خلال الحث على أهمية الصحة، والحث على الطهارة والنظافة الشخصية، والعمل على تقوية الجسم بتناول الأطعمة المفيدة، وممارسة الرياضة لتقوية البدن والتداوى.

أ - الحث على الطهارة والنظافة :

حث الشرع الحنيف على الطهارة والنظافة بأدلةٍ كثيرةٍ، مما يجعل محافظة الإنسان على نظافته البدنية مقصدًا من مقاصد الشريعة، لأن الشريعة إنما جاءت لجلب المصالح ودرء المفاسد، ويتأكد هذا المقصد في زمن انتشار الأوبئة، خاصةً التي يتعلق انتشارها بعدم النظافة.

وقد اهتم علماء المسلمين بالطهارة فاستفتحوا كتبهم الفقهية بأبواب الطهارة ، وذكروا فيها مشروعية طهارة السبيلين بالاستنجاء والاستجمار، وطهارة الأعضاء الظاهرة بالوضوء، وطهارة جميع البدن بالغسل وطهارة الفم بالسواك، وكما أكدوا على مشروعية الطهارة من الحدث وطهارة البدن، أكدوا كذلك على مشروعية طهارة المكان واللباس، وبذلك تكون الطهارة مشروعةَ بجميع أنواعها طهارة البدن والمكان واللباس.

---

[١٨٤] سورة المائدة (الآية ٣٢).
[١٨٥] زاد المعاد في هدى خير العباد: لابن القيم الجوزى ، المجلد ٤، ص١٥.
[١٨٦] الإحكام في أصول الأحكام: للآمدى، الجزء ٤، ص ٢٧٦.
[١٨٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، رقم الحديث، ٦٨٧٨، المجلد ٩، ص ٥.

قال تعالى: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)[١٨٨]، وقال تعالى:(..... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)[١٨٩]، وقال رسول صلى الله عليه وسلم:(إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلاَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلاَثاً، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ)[١٩٠]، ووجه الاستدلال في الحديث أن قوله لا يدري أين باتت يده، يدل على أن اليد قد تكون لامسة النجاسة، وهو نائم لا يشعر بذلك، فحفاظا على نظافتها ونظافة الماء أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بغسلها ثلاثة[١٩١] .

فالنظافة والطهارة في الإسلام، تساهم في الحماية من أخطار الأمراض والأوبئة، وبالتالي تحقيق الأمن الصحي للفرد والمجتمع، وقد ثبت طبيا أن أنجع علاج وقائي للأمراض الوبائية وغيرها هو النظافة، والوقاية خير من العلاج.

ب– التداوي:

حثت الشريعة الإسلامية على التداوي والأمر به لمن أصابه أى مرض، وهذا ما لا يتنافي مع التوكل على الله خالق الداء والدواء، فإذا تم التداوي يتم حصار المرض المعدي فلا ينتقل للآخرين.

و قد أكدت السنة الشريفة على قيمة الصحة فأمرت بالتداوي ورغبت فيه، قال رسول صلى الله عليه وسلم :(لكلِّ دَاءٍ دَواءٌ، فإذا أُصِيبَ دَواءُ الدَّاءِ بَرِأَ بإذنِ الله عز وجل)[١٩٢]، وجه الدلالة : هذا الحديث أشار إلى استحباب الدواء، وفيه بيان واضح لأنه قد علم أن الأطباء يقولون : المرض هو خروج الجسم عن المجرى الطبيعي، والمداواة رده إليه، وحفظ الصحة بقائه عليه، فحفظها يكون بإصلاح الأغذية وغيرها، ورده يكون بالموافق من الأدوية المضادة للمرض[١٩٣]،كما ألزمت الشريعة الإسلامية ضرورة الوقاية من الأمراض حرصًا على سلامة الجسم من الأسقام وتناقلها، حيث أكد مجمع الفقه الإسلامي لمنظمه التعاون الإسلامي في قراره الصادر في ٢٠٢٢/٤/٢٠، بخصوص فيروس كورونا على أن هنالك ضرورة لحماية النفس وصحة الإنسان، فيجب على المسلمين أن يحافظوا على أنفسهم بقدر المستطاع من الأمراض.

- عدم تعريض الغير للخطر:

اهتمت الشريعة الإسلامية بالحفاظ على صحة الغير، كاهتمامها بالحفاظ على النفس بصرف النظر عن جنس هذا الغير أو عمره أو ديانته، أو حتى حالته الصحية، مما يدل على سبق الشريعة الإسلامية في حماية تعريض صحة الغير لخطر الإصابة بالأمراض والأوبئة، وهي حماية وقائيةً مسبقةً،، وهو ما نادى به الفقه الجنائي، وأخذت به بعض القوانين الوضعية في العصر الحديث من تجريم تعريض الغير للخطر.

فقد نهي رسول صلى الله عليه وسلم عن التبول في الماء، أو التغوط في مجراه، حيث قال رسول صلى الله عليه وسلم :(لا يَبُولَنَّ أَحَدُكم في الماء الدَّائِم الذي لا يجْرِي, ثمَّ يَغتَسِل مِنه)[١٩٤]، ووجه الدلالة: أن الماء الدائم والراكد الذي

---

[١٨٨] سورة المدثر (الآية ٤).
[١٨٩] سورة البقرة (الآية٢٢٢).
[١٩٠] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثا، رقم الحديث ٢٧٨، الجزء ١،ص ٢٣٣.
[١٩١] المنهاج في شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، الجزء ٣، ص١٨٠.
[١٩٢] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، رقم الحديث ٢٢٠٤، الجزء ٤، ص١٧٢٩.
[١٩٣] المنهاج في شرح صحيح مسلم: للإمام النووي، الجزء ١٤، ص ١٩١
[١٩٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم،الجزء ١، رقم الحديث ٢٣٩، ص٥٧.

لا يجرى، ونهيه عن الاغتسال فيه يدل على أنه يسلبه حكمه، كالبول فيه يسلبه حكمه، فينجسه لنجاسته في نفسه، أما الماء الجاري إذا خالطه النجس دفعه[١٩٥].

ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إماطة الأذى عن الطريق وجعلها من شعب الإيمان، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم(الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعونَ أو بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعبةً: فأفضلُها قولُ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأدْناها إماطةُ الأذَى عَنِ الطَّريقِ)، ووجه الدلالة: أعلى هذه الشعب التوحيد المتعين على كل مكلف، والذي لا يصح شيء غيره من الشعب، إلا بعد صحته، وأن أدناها دفع ما يتوقع به ضرر المسلمين[١٩٦]. كل ذلك يهدف إلى حماية الناس بغض النظر عن حالتهم، والحفاظ على صحتهم وحياتهم من مخاطر انتقال مسببات الأمراض.

إن بحث موضوع المسئولية الجنائية عن تعريض الغير الخطر بنقل الفيروسات المستجدة، كالإيدز وكورونا وغيرهما، له أهميه كبيره بسبب غياب النصوص الجنائية التي تعاقب على مثل هذا السلوك، وبالتالي إفلات مرتكب هذا الفعل من العقاب، ولأن دور القانون الجنائي ليس فقط التدخل بعد وقوع الجريمة، بل أنه يمكن أن يتدخل قبل وقوع الجريمة أصلًا. فيجرم السلوك الخطر الذي من الممكن أن يعرض الغير الخطر، قبل أن يتحقق أى ضرر يلحق الغير بأذى[١٩٧].

وإذا كانت القواعد العامة في قانون العقوبات لا تعاقب على السلوك الخاطئ، طالما أنه لم يترتب عليه أى ضرر بالغير، بالرغم مما يمثله من تهديد لحقوق يحميها القانون، لذا فقد بادر المشرع الفرنسي في قانون العقوبات الجديد الصادر عام ١٩٩٢، واستحدث نص يجرم فيه تعريض الغير للخطر، وقد جاء النص على تجريم تعريض الغير للخطر في القانون الفرنسي في المادة (٢٢٣ -١) المتعلقة بالمسئولية الجنائية للشخص الطبيعي[١٩٨]

٢- حفظ النسل (العرض) :

حفظ وحماية النسل والعرض من مقاصد الشريعة الإسلامية، ومن ضروريات تحقيق الأمن الصحي، فحرمت الشريعة الإسلامية الزنا وجعلته من كبائر الذنوب وحدا من حدودها، ووضعت عقوبة لمرتكبيها، حفاظا للأعراض من انتهاكها[١٩٩]، وصونًا للكرامة الإنسانية، ومنعًا من اختلاط الأنساب، وحفاظًا على كيان الأسرة، وحمايةً من انتشار الأمراض القاتلة كالإيدز وغيره، والذي من أقوى أسبابه العلاقات الجنسية الشاذة[٢٠٠] ، والتي لم يتوصل إلى علاج فعال له حتى وقتنا هذا[٢٠١] قال تعالى: **(ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا)**[٢٠٢]، ووجه الدلالة قال ابن كثير: نهي الله عباده عن الزنا وعن مقاربته، وهو مخالطة أسبابه ودواعيه، فبئس طريقًا ومسلكًا [٢٠٣]، وحرمت الشريعة

---

[١٩٥] معالم السنن: للخطابي، الجزء١، ص ٣٨، ٣٩.
[١٩٦] عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري: الجزء ١، ص ١٢٨.
[١٩٧] د. محمد أبو العلا عقيدة :الاتجاهات الحديثة في قانون العقوبات الفرنسي الجديد، دار النهضة العربية،٢٠٠٤، ص ٩٧و٩٨
Mayaaud : Du caractere non intentionnel de la mise en danger d autrui , R. S C, 1996 ,P. 561
[١٩٨] د. أحمد تمام: تعريض الغير للخطر في القانون الجنائي، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية،٢٠٠٤، ص ١١.
J.F. Savvies : Chronngue Legislative , R. S.C, 1996 , P. 890.
[١٩٩] د. أحمد محمد لطفي أحمد : الإيدز وآثاره الشرعية والقانونية، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٧، ص ٥٤.
[٢٠٠] د. احمد حسني احمد طه:المسئولية الجنائية عن نقل عدوى الإيدز في الفقه الإسلامي والقانون الجنائي الوضعي، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٥، ص ٣٠.
[٢٠١] د. أحمد نيازى حتاتة : جرائم البغاء، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، كليه الحقوق جامعه القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية،١٩٨٤،ص ١٢٥.
[٢٠٢] سورة الإسراء (الآية ٣٢).
[٢٠٣] تفسير القرآن العظيم : للإمام بن كثير، المجلد ٥، ص ٧٢.

الإسلامية اللواط، لما فيه من انتكاس للفطرة البشرية، وانتقال للأمراض؛ بسبب الاتصال الجنسي غير المشروع قال تعالى: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ)[٢٠٤].

وإذا كان المشرع الوضعي قد حظر الممارسات غير المشروعة مثل جرائم البغاء والاغتصاب وهتك العرض والزنا[٢٠٥]، فإن الشريعة الإسلامية كانت في ذلك أسبق وأشمل، حيث يتضح لنا الاختلاف بين القانون الوضعي والشريعة الإسلامية في تجريم الاتصال الجنسي غير المشروع، فالمشرع الوضعي قد حدد صور الاتصال على سبيل الحصر في الزنا بالمفهوم القانوني والاغتصاب وهتك العرض والبغاء، أما الشريعة الإسلامية فقد جرمت كل صور الاتصال غير المشروع، علاوة على ذلك فإن التشريع الوضعي قد جعل من شكل السلوك الإجرامي سببا لتخفيف وتشديد العقوبة، أما الشريعة الإسلامية فقد جعلت من صفه الجاني سبيلا لتشديد وتخفيف العقوبة، فالشريعة الإسلامية تعاقب على الرذيلة في ذاتها ولا أهمية لأن تكون الجريمة قد تعدى آثارها للغير أو ابتعد[٢٠٦].

ولذلك فإننا نرى ضرورة تدخل المشرع من أجل تجريم كل صور الاتصال الجنسي غير المشروع أسوةً بمنهج الشريعة الإسلامية في هذا المجال، فإذا كانت الدواعي الصحية قد دفعت التشريعات الوضعية إلى تكريم البغاء في حقبه تاريخية، انتشر فيها مرض الزهري وغيره من الأمراض المعدية، فإن ظهور الإيدز وما يحمله من خطورة على النواحي الصحية، والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، لجدير بتدخل المشرع في تلك الآونة لتجريم كل صور الاتصال الجنسي غير المشروع، ورفع قيد الشكوى كأحد القيود على تحريك الدعوى الجنائية، وجعل جريمة الزنا من حق المجتمع، قبل أن تكون من حق الزوج أو الزوجة فمن أهم وسائل القضاء على الظاهرة القضاء على مسبباتها.

٣- حفظ العقل :

إن من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان أن وهبه العقل وكرمه به تكريما بليغا، فجعله مناط التكليف والمسئولية، وبه فضله على سائر الكائنات تفضيلا، وبواسطته هيئه للاستخلاف في الأرض، وإعمارها بالخير والصلاح.

حرمت الشريعة الإسلامية الخمور والمخدرات، لذهابها بالعقل، واستباحت صاحبها لكل الجرائم، كالسرقة والقتل والزنا والرشوة، فهي أم الخبائث، وسبب من أسباب انتقال الأمراض القاتلة كالإيدز وغيره، وبالتالي تهديد الأمن الصحي.

فلا شك أن المجتمعات التي استباحت تعاطي المخدرات والخمور واستهانت بإدمانها، تعاني من انتشار الأمراض المعدية كالإيدز والالتهاب الكبدي الوبائي، خاصةً بين الفئات التي تتعاطى المخدرات عن طريق الحقن، فقد تلاحظ في البلاد التي تنتشر فيها العدوى، زيادة إدمان المخدرات[٢٠٧]

---

[٢٠٤] سورة الأعراف (الآية ٨٠).

[٢٠٥] لا تعاقب القوانين الوضعية على الرذيلة الجنسية في ذاتها، ولا تجرم كل وطء في غير حلال كما تقضي الشريعة الإسلامية، وإنما جرمت هذه الأفعال لاعتبارات أخرى، كحق الزوج الآخر في الاختصاص بزوجه، أو حق المجتمع في عدم الاتجار في الأعراض أو في صيانة الحياء العام، أو كان الفعل بدون رضا الطرف الأخر. راجع أ.أحمد أمين : شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، الطبعة الثانية، ١٩٢٤، ص٤٣٩؛ أ.د. إدوار غالي الذهبي : الجرائم الجنسية، دار غريب، الطبعة الثانية،٢٠٠٥، ص ٢٠١.

[٢٠٦] أ. عبد القادر عودة : التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ٢٠١٣، ص ١٩٩؛ الشيخ جاد الحق علي جاد الحق :بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة، دار الحديث، ٢٠٠٥، ص٣٢٢.

[٢٠٧] د. السيد محمد عتيق :المشكلة القانونية التي يثيرها مرض الإيدز، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢، ص ٤٢.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٢٠٨]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(كل مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكل مُسْكِرٍ حرام)[٢٠٩] ،وبذلك تكون للشريعة الإسلامية السبق على جميع القوانين والمنظمات الدولية الحديثة في تحريم المخدرات وبيان ضررها[٢١٠] .

وتقاس المخدرات على الخمر في أحكامها لاشتراكها في علة الحكم، فأحكام الإسلام تنبع من المحافظة على الإنسان وكرامته، والمحافظة على المصلحة العامة، ومن ثم تعمل الأحكام الشرعية على المحافظة على العقل، فتحرم كل ما يذهب العقل أو يفسده، أو يسبب أي ضرر من الأضرار على المدى القريب أو البعيد، سواء على شخصية الفرد أو دينه أو أسرته أو مجتمعه.

لقد راعى الشارع الحكيم عند تشريع الأحكام من عبادات ومعاملات حفظ الضروريات الخمس، وجلب المصالح، ودرء المفاسد، ورفع الحرج، فبها يعيش الإنسان حياة طيبة، وتحقق له الأمن الصحى خاصة في زمن انتشار الأوبئة، فشريعته الغراء صالحة لكل زمان ومكان، وكل عصر ومصر، وذلك إذا ما طبقت كما أرادها رب العزة تبارك وتعالى.

إن الطب كالشرع وضع لجلب مصالح السلامة والعافية، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام، ولدرء ما أمكن درؤه من ذلك، ولجلب ما أمكن جلبه من ذلك، فإن تعذر درء الجميع أو جلب الجميع، فإن تساوت الرتب تخير، وإن تفاوتت استعمل الترجيح عند عرفانه، والتوقف عند الجهل به، والذي وضع الشرع هو الذي وضع الطب، فإن كل واحد منهما موضوع لجلب مصالح العباد، ودرء مفاسدهم[٢١١] .

الشريعة الإسلامية وتدابير الأمن الصحي

اتسم منهج الشريعة الإسلامية بالتوسع في وسائل وآليات محاصرة الأوبئة مع وضع الحلول ووسائل العلاج، وإن كان التركيز إنما ينصب على المنهج الوقائي للفرد وللمجتمع عن طريق المنع والحظر، وأيضا بالحث والإرشاد على السواء، حتى يتم اتخاذ التدابير الوقائية لمنع انتشار العدوى.

ولقد عرفت الشريعة الإسلامية منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان الوقاية من انتشار الأوبئة، ولقد وضعت القواعد الكلية في الفقه الإسلامي الحلول لكثير من المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الحديثة، ومن هذه القواعد الكلية قاعدة سد الذرائع[٢١٢]، فمنهج الفقه الإسلامي في مواجهة الأمراض الوبائية يرتكز على هذه القاعدة، لذلك حرص الفقه الإسلامي على تنظيم الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية، ومن أهم صور هذه الاحتياطات ما يلي: الحجر الصحي، وعزل المريض بمرض معدٍ، وفكرة التباعد الاجتماعي.

---

[٢٠٨] سورة المائدة (الآية ٩٠).

[٢٠٩] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام، رقم الحديث ٢٠٠٣، المجلد ٣، ص ١٥٨٧.

[٢١٠] تقرير منظمة الصحة العالمية عن أضرار المخدرات، منشور متاح على الموقع الإلكتروني التالي، بتاريخ دخول ٣ / ٥/ ٢٠٢٢.
htt://news.un.org

[٢١١] قواعد الأحكام في مصالح الأنام: للإمام العز بن عبد السلام، الجزء ١، ص٦.

[٢١٢] وسد الذرائع تعني: أن الفعل السالم عن المفسدة متى كان وسيلة للمفسدة منع منه، فالذريعة هي الفعل الذي ظاهره الإباحة ولكن يفضي إلى فعل المحظور، ويرد أصل القاعدة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ). راجع : دكتور شريف محسن محمود: مصادر تشريع الأحكام في الفقه الإسلامي، المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٣.

١- **الإسلام والسبق في تطبيق الحجر الصحي :**

للإسلام السبق في تحقيق الأمن الصحي، من خلال تدابير الوقاية من انتشار الأمراض والأوبئة، والمتمثلة في نظام الحجر الصحي، ويقصد به عزل أشخاص بعينهم، أو أماكن أو حيوانات قد تحمل خطر العدوى، تتوقف مدته على الوقت الضروري لتوفير الحماية في مواجهة خطر انتشار أمراض بعينها، وفي عزل المصابين مقصود شرعي وهو دفع الضرر عن بقيه الأصحاء، ولولي الأمر حجرهم وتقييد حرياتهم؛ لما في ذلك من دفع ضررهم عن بقيه المجتمع، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ)[٢١٣]، ولجلاء ذلك فان إعجاز السنة النبوية في النهي عن عدم الخروج من الأرض الموبوءة لأن الشخص قد يحمل فيروس المرض دون أن يظهر عليه المرض فينقل المرض إلى أماكن أخرى، ويصيب غيره دون أن يعلم[٢١٤]، ولكمال شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم على الأمة ونصحه لها، نهي عن الأسباب التي تعرضهم لوصول المرض إلى أجسامهم، سيما وقد يكون في الجسم تهيؤ واستعداد لقبول المرض، وقد تكون الطبيعة سريعة الانفعال قابلة للاكتساب من أبدان مجاورة ومخالطة، لذلك فرض عدم الدخول إلى أرض انتشر بها المرض، وكذلك عدم الخروج منها إن كانوا فيها[٢١٥]

فهذا الحديث الأصل في الحجر الصحي للحماية من تفشى الأمراض والأوبئة، ويقاس على الطاعون كل الأمراض التي تنتقل بالعدوى، ويؤكد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :(لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ علَى مُصِحٍّ)[٢١٦]، وكلمة الممرض هنا معناها: المريض الذي قد يمرض غيره، أي ينقل العدوى إليه، وهو تعبير آية في البلاغة .

٢- **عزل المريض بمرض معدٍ والحذر من مخالطته:**

كانت للشريعة الإسلامية السبق في الحفاظ على صحة الأفراد، ووقايتهم من الأوبئة والأمراض المعدية، عن طريق عدم مخالطة المرضى، وأمرت بالفرار من مصادر العدوى والبعد عنها، والالتزام بالاحتياطات الصحية؛ للوقاية من الأمراض المعدية، وذلك قبل أن تقرها القوانين الوضعية الحديثة والمنظمات الدولية الحالية، فحثت على عدم مخالطة المريض بمرض معدٍ من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى دعت إلى عزل هذا المريض بمرض معدٍ.

- البعد عن مخالطة المريض بمرض معدٍ :

أمرت الشريعة الإسلامية بعدم مخالطة المريض بمرض معدٍ، وإن كان ذلك لم يأخذ شكل الإلزام، بل ورد كإرشاد للجماعة كسلوك صحيح، يحقق المصلحة لهم جميعا، بالوقاية من الأمراض والمحافظة على صحتهم[٢١٧].

قال تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ...**)[٢١٨]، ووجه الدلالة :أى تيقظوا واحترزوا[٢١٩].

---

[٢١٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم الحديث ٣٤٧٣، المجلد ٤، ص ١٧٥.

[٢١٤] د. مهند سليم محمد المجلد: أحكام الحجر الصحي في القانون المصري والنظام السعودي مقارنه بالفقه الإسلامي، إصدار كليه الشريعة والقانون بنين بالقاهرة، ٢٠٠٦، ص ٦٥.

[٢١٥] زاد المعاد في هدى خير العباد: للإمام ابن القيم الجوزى، المجلد٣،ص ٨٣.

[٢١٦] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب، باب لا هامة، رقم الحديث ٥٧٧١، المجلد ٧، ص ١٣٨.

[٢١٧] د. احمد شوقي الفنجرى : الطب الوقائي في الإسلام،بدون دار نشر، ٢٠٠٨، ص ٢٠٧.

[٢١٨] سورة النساء (الآية ٧١).

[٢١٩] محاسن التأويل: للعلامة القاسمى، المجلد ٢، ص ٢٢٠.

وجاءت السنة النبوية بأحاديث تنهي عن مخالطة المرضى، الذين أصيبوا بأمراض معدية، كالجزام والطاعون ونحوها، قال رسول صلى الله عليه وسلم: (فِرَّ من المجذومِ فرارِكَ من الأَسدِ)[٢٢٠]،وعندما أمر بعزل من به مرض معدٍ في قوله: (لا يُوردَنَّ مُمْرِضٌ علَى مُصِحٍّ)، فهذه التوجيهات النبوية الشريفة وغيرها تأمر بأن يحذر من العدوى عند وقوع المرض.

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه – أنه مر بامرأة مجزومة وهي تطوف في البيت فقال لها: يا أمة الله لا تؤذى الناس لو جلست في بيتك فجلست، فمر بها رجل بعد ذلك قال لها: إن الذي نهاك قد مات فأخرجي فقالت: ما كنت لأطيعه حيًا وأعصيه ميتًا[٢٢١] .

ومما سبق نلاحظ أن الشريعة الإسلامية في حقيقتها ترشد إلى تجنب الأمراض المعدية، من خلال أخذ الحيطة والحذر، وعدم مخالطة من به مرض معدٍ، إلا أن ذلك لا يصـــل إلى حد عزل المريض بمرض معدٍ أو حرمانه من ممارسة حياته[٢٢٢].

- عزل المريض بمرض معدٍ :

فإذا ما ترتب على مخالطة المريض بمرض معد ضررا للأصحاء، فإنه يعزل عنهم[٢٢٣]، استنادا لحديث رسول الله صـلى الله عليه وسـلم: (لا ضَـرَر ولا ضِـرَار)[٢٢٤]، فأرى أن يحال بينهم وبين ذلك، ألا ترى أنه يفرق بينه وبين زوجته، ويحال بينه وبين جواريه للضـرر؟ فهذا منه[٢٢٥]، وحيث أن المصـلين يتأذون من المريض المصـاب بمرض معدٍ، أشـد من تأذيهم بمن يأكلوا بصـلًا أو ثومًا، وقد نهي الرسـول صـلى الله عليه وسـلم من يأكلهما أن يقرب المسـجد لتأذى الملائكة من رائحتهما[٢٢٦]،وقوله صـلى الله عليه وسلم:(فِرَّ من المجذومِ فرارِكَ من الأَسدِ)[٢٢٧]،وقوله صـلى الله عليه وسـلم: (لا يُوردَنَّ مُمْرِضٌ علَى مُصِـحٍّ)، ونهي الخليفة عمر للمرأة المجذومة من الطواف بالبيت الحرام، خشـية إلحاق الضرر بالناس.

٣- فكرة التباعد الاجتماعي :

إذا كان عزل المريض المصـاب بالوباء واجب شـرعي، فإن الأصـحاء يجب عليهم التقيد بما يسـمى بالتباعد الاجتماعي، أثناء التعامل مع عامة الناس، وكذلك أثناء الحجر المنزلي، فيجب كذلك التقيد بالتباعد الاجتماعي عن أسـرته والمخالطين له، ويقصـد بالتباعد الاجتماعي ذلك الإجراء الاحترازي الذي يتم عن طريق الحفاظ على الابتعاد مسافة آمنه عن الآخرين لا تقل عن ستة أقدام ما يعادل ١،٨متر[٢٢٨]،فالفيروسات صغيره جدًا وتبقى في الجو وتتعلق

---

[٢٢٠] أخرجه الإمام أحمد في مسـنده، مسـند المكثرين من الصـحابة، مسـند أبو هريرة رضـي الله عنه، رقم الحديث ٩٧٢٢،المجلد ١٥، ص٤٤٩.

[٢٢١] الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم الجوزية، تحقيق الأستاذ سيد عمران، دار الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص ٢٤٣.

[٢٢٢] أ.د. محمد جبريل إبراهيم: الحماية الجنائية من الأوبئة، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠، ص٥٧.

[٢٢٣] نيل الأوطار: للإمام الشوكاني، طبعة دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣، الجزء ٦،ص٢١١؛ مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، لشمس
الدين الطرابلسي، دار الفكر،١٩٩٢، الطبعة الثالثة، الجزء ٢، ص ١٨٤.

[٢٢٤] شرح الأربعين النووية : للشيخ ابن عثيمين دار الثريا للنشر، بدون سنة نشر، رقم الحديث ٣٢، ص٣٢٥.

[٢٢٥] راجع: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن القيم الجوزية، المرجع السابق، ص ٢٤٤.

[٢٢٦] د. الغريب إبراهيم محمد الرفاعي: دفع الضـرر العام بإثبات الضـرر الخاص، دراسـة مقارنة بين الشـريعة والقانون، دار الكتب القانونية، ص ٨٩.

[٢٢٧] سبق تخريجه، الحديث رقم٩٧٢٢، أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مرجع سابق.

[٢٢٨] د. عثمان عبد الرحمن عبد اللطيف: الأوبئة العالمية والمسئولية الدولية دار النهضة العربية، ٢٠٢٠، ص ١٠٠.

في الهواء لفترة، ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ويمكن للسعال أو العطس أن يقذف الفيروسات في الهواء لمسافة تصل إلى ستة أقدام، ويمكن أن تعيش الفيروسات على الأسطح مثل: المناضد والكراسي ومقابض الأبواب، أو الهاتف وكذلك على الأقمشة وغيرها[٢٢٩].

وقد أكد الأطباء والمختصون أن التجمعات تؤدي إلى سرعة تفشي الوباء والإصابة بالمرض، ولذلك لابد من الأخذ بالأسباب والابتعاد عن التجمعات بجميع أشكالها وصورها.

وقد عرفت الشريعة الإسلامية ما يعرف حاليا بمصطلح التباعد الاجتماعي عند تفشي الوباء، لقد كشف المؤرخون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان في تعامله مع الوباء في منتهي الحذر، حيث لم يدخل هو ومن معه إلى الشام، كما حاول إخراج المعافين من أرض الوباء، فضلا عن قيامه بتحمل المسئولية كاملة بعد انجلاء هذا الوباء، فرحل إلى الشام وأشرف على حل المشكلات وتصريف تبعات هذه الأزمة[٢٣٠].

وبذلك تكون للشريعة الإسلامية السبق في الأخذ بنظام التباعد الاجتماعي، وهذا ما نادت به المنظمات الدولية والإقليمية وصدرت به قرارات وقوانين داخلية لمواجهة وباء كورونا، فنجد منظمة الصحة العالمية تنادى بالتباعد الاجتماعي بين الأشخاص للمسافات المحددة؛ لعدم نقل بين الناس، وتدعو إلى المزيد من السلامة من خلال البقاء في المنزل، والابتعاد عن الآخرين ،وغسل اليدين كثيرًا، وتغطية الوجه عند السعال والعطس[٢٣١].

وقد أعلنت منظمه الصحة العالمية في ١١ / ٣ / ٢٠٢٠م، أن فيروس كورونا المستجد وباء عالميا [٢٣٢]، وذلك بسبب سرعه تفشي الفيروس، وتزايد أعداد المصابين به بصورة سريعة ومخيفة، وشملت آثاره ونتائجه الكارثية والمدمرة على المجتمعات البشرية كافة، وفى إطار مسئوليات الدول تجاه الحفاظ على الصحة العامة والأمن الصحى، فقد قامت بكافة الإجراءات، وتلاحقت الإجراءات الاحترازية التي سايرت توصيات منظمه الصحة العالمية، وكذلك المؤسسات الصحية الوطنية، بدءًا من إغلاق حدودها وتنفيذ الحجر الصحي، وحظر التجوال الكلي والجزئي، وإعلان حالات الطوارئ وغيرها، كما توقفت مظاهر الحياة أو تكاد في كل أرجاء العالم [٢٣٣]، وأجبر الناس على ملازمة منازلهم حفاظاً على حياتهم، وللحيلولة دون اتساع نطاق الكارثة.

---

(٢٢٩) اللوائح الصحية الدولية لسنه ٢٠٠٥، الصادرة عن منظمة الصحة العالمي

(٢٣٠) د. مهند سليم محمد المجلد: المرجع السابق، ص ٦٦.

(٢٣١) إرشادات المنظمة بشأن الوقاية من العدوى بمرض كوفيد ١٩ ومكافحتها، منشور متاح على الموقع الالكتروني التالي، بتاريخ دخول في ٤/ ٤/ ٢٠٢٢. https://www.who.int/emergencies/diseases/novel-coronavirus

(٢٣٢) يقصد بالوباء الأمراض الخطيرة والمهلكة التي يخشى من انتشارها على أرواح المواطنين، وقد صدر قرار رئيس مجلس الوزراء المصرى رقم ١٠٩٣ لسنه ٢٠٢٠ لينص في مادته الأولى على أن فيروس كورونا المستجد يعد من الأوبئة، منشور في الجريدة الرسمية، العدد ٢١ مكرر (ط)، بتاريخ ٢٢ / ٥ / ٢٠٢٠. وراجع :

-D.K. Bonilla-Aldana & K. Quintero, SARS-CoV, MERS-CoV and now the 2019-novel CoV: Have we investigated enough about coronaviruses?- a bibliometric analysis, Travel Med Infect Dis, 33 (2020), p. 101566.

-M. Nicola Z. Alsafi, The socio-economic implications of the coronavirus pandemic (COVID-19): a review Int J Surgery, 78 (2020), pp. 185-193.

الأمر الذى ترك آثارا وبصمات قانونية واضحة على التعاملات، والعلاقات والتعاقدات في مختلف المجالات. ولمزيد من التفاصيل راجع :

د. محمود المغربي، د. بلال صنديد: التكييف القانوني للجائحة الكرونية على ضوء الثوابت الدستورية والدولية والمبادئ القانونية المستقرة، دراسة مقارنه، بحث منشور في مجله كلية القانون الكويتية العالمية، السنه الثامنة، ملحق خاص، العدد السادس، يونيو ٢٠٢٠.

الخاتمة:

أكدت الشريعة الإسلامية على أن الأمن الصحي أحد أهم أبعاد الأمن الإنسانى، كالأمن الاقتصادى والأمن الاجتماعي وغيرهما، نظرا لأن صحة وسلامة الفرد يمكنها أن تحقق الجوانب الأمنية الأخرى، وهذا ما تبنته الأمم المتحدة حينما ظهر مفهوم الأمن الإنسانى أول مرة خلال تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٤م، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

ولقد وضع علماء الفقه الإسلامي في اجتهادهم قواعد كلية، تسمو في روعتها وعلو وغايتها عن مبادئ القانون في العصر الحديث، وإن اختلفت الأسماء والمصطلحات، فاتسم منهج الوقاية في الفقه الإسلامي بالتوسع والشمول ما بين الحث والإرشاد، وبين الحض والمنع، وأخذت هذه التدابير عدة صور منها: الحجر الصحي، أو عزل المريض بمرض معد، وتبنى فكرة التباعد الاجتماعي كما هو متعارف عليه اليوم.

وبعرض منهج المشرع الوضعي في مجال الوقاية من الأوبئة، يتضح بجلاء تفوق الشريعة الإسلامية التي اتسم منهجها بالتوسع في الوقاية من الأوبئة.

النتائج :

- الأمن الصحي يعنى توفير الخدمة الصحية، وجعلها في متناول الأفراد في الحصول عليها، وتأمين الشروط الصحية الأساسية والضرورية لحماية الأفراد من الأمراض المعدية والأوبئة، والأمراض المزمنة، والأمراض الناتجة عن التلوث البيئي، والإصابات الناجمة عن الحوادث، والعنف بكل أنواعه.
- إظهار ارتباط الأمن الصحي بكيفية ومدى قدرة الدولة على حماية أفراد المجتمع من مختلف المخاطر التي تهدد صحتهم وحياتهم.
- تبني المجتمع الدولى فكرة الأمن الصحي، كبعد من أبعاد الأمن الإنساني الواجب المحافظة عليه.
- سعى المجتمع الدولى إلى إيجاد الأطر القانونية والمؤسساتية المناسبة والملائمة للمحافظة على الأمن الصحي، وهو ما تعكسه اللوائح الصحية الدولية عام ٢٠٠٥، بوصفها إطار قانوني عملي ملزم لمكافحة كل ما يهدد الأمن الصحي
- حماية النفس من الأمراض والأوبئة، وضرورة إنقاذ الأرواح والأنفس من الهلاك مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، وضرورة من ضروريات تحقيق الأمن الصحي.
- النظافة والطهارة في الإسلام تساهم في الحماية من أخطار الأمراض والأوبئة، وبالتالي تحقيق الأمن الصحي للفرد والمجتمع.
- حفظ وحماية النسل والعرض من مقاصد الشريعة الإسلامية، ومن ضروريات تحقيق الأمن الصحي، فحرمت الشريعة الإسلامية الزنا، حفاظا للأعراض من انتهاكها، وصونا للكرامة الإنسانية، ومنعا من اختلاط الأنساب، وحفاظا على كيان الأسرة، وحماية من انتشار الأمراض القاتلة كالإيدز وغيره.
- حرمت الشريعة الإسلامية الخمور والمخدرات، لذهابها بالعقل، واستباحت صاحبها لكل الجرائم، كالسرقة والقتل والزنا والرشوة، فهي أم الخبائث، وسبب من أسباب انتقال الأمراض القاتلة كالإيدز وغيره، وبالتالي الإضرار بالأمن الصحي للفرد والمجتمع.
- الشريعة الإسلامية جرمت كل صور الاتصال الجنسي غير المشروع، بعكس القوانين الوضعية، حيث حددت صور الاتصال على سبيل الحصر في الزنا بالمفهوم القانوني، والاغتصاب وهتك العرض والبغاء، وفي ذلك تعريض الأمن الصحي للخطر.

- ♠ منهج الفقه الإسلامي في مواجهة الأمراض الوبائية يرتكز على قاعدة سد الذرائع، ودفع الضرر، ورفع الحرج.
- ♠ للإسلام السبق في تطبيق الحجر الصحي، وعزل المريض بمرض معد، والتباعد الاجتماعي، وذلك قبل أن تقرها القوانين الوضعية الحديثة والمنظمات الدولية الحالية.

التوصيات :

- ❖ نرى ضرورة تدخل المشرع من أجل تجريم كل صور الاتصال الجنسي غير المشروعة أسوةً بمنهج الشريعة الإسلامية في هذا المجال .
- ❖ اعتناق فكرة تجربة تعريض الغير للخطر في مجال الوقاية من الأمراض المعدية، وتجريم أى سلوك يهدد حياة الغير للخطر أسوة بالمشرع الفرنسي.
- ❖ وضع معاهدة أو اتفاقية دولية ملزمة قانونيًا حول الأمن الصحي، لكي تشكل الأساس لضمان الأمن الصحي العالمي.
- ❖ تخصيص اتفاقية دولية تتناول تنظيم الحق في الصحة بصفه خاصة، مشفوعة بآليات تطبيق دولية فعالة، حيث جرى تناول الحق في الصحة ضمن العديد من الاتفاقيات والإعلانات والقرارات الدولية.
- ❖ إعادة النظر في السياسة التشريعية الوقائية التي تبنتها التشريعات الوضعية تجاه الأوبئة، والتي أصبحت عاجزه عن توفير الحماية ضد نقل العدوى، وهو ما أظهره انتشار جائحة كورونا، وتأثيرها على الأمن الصحي خاصة، والأمن الانساني عامة على المستوى الوطنى والإقليمى والدولى.
- ❖ تجريم السلوك التمييزي ضد المصابين بالمرض المعدي، فلا يتم إبعادهم من المجتمع أوحرمانهم من تلقي حقوقهم.
- ❖ نوصى بوجوب التقيد بالعمل بالفتاوي الرسمية، والأحكام الشرعية في مختلف القضايا الفقهية، التي يمكن أن تحقق للناس أمنهم الصحي من خطرالأوبئة المستجدة، وتسهم في التصدي لها والوقاية والعلاج منها.
- ❖ العناية بالقطاع الصحي في كافة مجالاته واختصاصاته، وتطوير المنظومة الصحية لتلبية الاحتياجات العادية الاستثنائية.
- ❖ دعوه عموم المسلمين بالتراحم والتعاون مع مجتمعاتهم، وإظهار روح الإيثار والتضامن، وتجسيد أخلاق الإسلام وقيمه في أوقات الأزمات والشدائد.
- ❖ ضرورة العمل بكافة القرارات والأنظمة والاحترازات، التي تصدرها الجهات ذات الاختصاص الصحي والأمني من أجل مواجهة الأوبئة، وأن هذه القرارات معتبرة وملزمة شرعًا لما فيها من تحقيق للمصالح، ودفع للمفاسد الخاصة والعامة، وأن من يخالف ذلك ويتساهل فيها فهوآثم شرعًا، ومستحق للعقوبة قانونًا.
- ❖ ضروره متابعه البحث العلمي في فقه الأوبئة والنوازل في مختلف مؤسسات ومنابر البحث العلمي، من جامعات ومعاهد ومراكز ومجلات متخصصة وغيرها، إسهامًا من الفقه الاسلامي المعاصر في حل مشاكل المجتمع، وتعريفًا بغنى التراث الفكرى الإسلامي، وبحاجه البشريه إليه في كل زمان ومكان.

المراجع

◄ كتب تفسير القرآن الكريم:

- محاسن التأويل: للعلامة محمد جمال القاسمى، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن العظيم: للإمام بن كثير، مؤسسة قرطبة للنشر، القاهرة تحقيق مصطفي السيد محمد وآخرون، بدون سنة نشر.

◄ كتب الحديث وشروحه:

- صحيح البخاري: البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسبورى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٢هـ.
- المنهاج في شرح صحيح مسلم : للإمام النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- شرح الأربعين النووية: للشيخ ابن عثيمين، دار الثريا للنشر، ١٤٢٥هـ.
- شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف الحازمى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية،١٣٩٢هـ.
- عمده القارئ شرح صحيح البخاري :للعلامة بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت – بدون سنة نشر.
- سنن الترمذي الجامع الكبير: لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م.
- معالم السنن: شرح سنن أبي داود، أبو داود سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، ١٩٣٢م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ١٩٩٧م

◄ كتب المذاهب الفقهية:

- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: (الحطاب الرعينى) لشمس الدين عبد الله بن محمد بن محمد، دار الفكر،١٩٩٢م.
- زاد المعاد في هدى خير العباد: للإمام ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون،. ١٤١٥هـ.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم الجوزية، تحقيق الأستاذ سيد عمران، دار الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- نيل الأوطار: للإمام الشوكاني، طبعة دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام: لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء، راجعه وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٩١م.
- الإحكام في أصول الأحكام: لأبي الحسن سيد الدين على الآمدي، تحقيق عبد الرازق عفيفي، دار الصميعى للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية،٢٠٠٣.

◄ المراجع الفقهية الحديثة:

- أحمد شوقي الفنجرى: الطب الوقائي في الإسلام، تعاليم الإسلام الطبية، المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م.
- د. وائل سعيد زكي أبو زيد: الأوبئة وأثرها على المجتمع، دراسة فقهية طبية مقارنة، الطبعة الأولى، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، ٢٠١٤.
- د. شريف محسن محمود: مصادر تشريع الأحكام في الفقه الإسلامي، المقطم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
- الشيخ جاد الحق علي جاد الحق : بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة، دار الحديث، ٢٠٠٥م.

◄ المراجع القانونية العامة والمتخصصة:

- د.عبد العزيز محمد حسن حميد: الحق في الصحة في ظل المعايير الدولية، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ٢٠١٨م.
- د. أحمد محمد لطفي أحمد: الإيدز وآثاره الشرعية والقانونية، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٧م.

- د. احمد حسـني احمد طه: المسـئولية الجنائية عن نقل عدوى الإيدز في الفقه الإسـلامي والقانون الجنائي الوضـعي، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٥م.
- د. أحمد نيازى حتاتة: جرائم البغاء، دراسـة مقارنة، رسـالة دكتوراه، كليه الحقوق جامعه القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- أ.أحمد أمين: شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، الطبعة الثانية، ١٩٢٤م.
- أ.د. إدوارغالي الذهبي: الجرائم الجنسية، دار غريب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.
- أ.عبد القادر عودة : التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٣م.
- د. السيد محمد عتيق: المشكلة القانونية التي يثيرها مرض الإيدز، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢م.
- د. الغريب إبراهيم محمد الرفاعي: دفع الضـرر العام بإثبات الضـرر الخاص، دراسـة مقارنة بين الشـريعة والقانون، دار الكتب القانونية، ٢٠١١م.
- د. عثمان عبد الرحمن عبد اللطيف: الأوبئة العالمية والمسئولية الدولية، دار النهضة العربية، ٢٠٢٠م.
- د. مهند سليم محمد المجلد : أحكام الحجر الصحي في القانون المصري والنظام السعودي مقارنه بالفقه الإسلامي، إصدار كليه الشريعة والقانون بنين بالقاهرة، ٢٠٠٦م.
- أ.د. محمد جبريل إبراهيم : الحماية الجنائية من الأوبئة، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.

◄ الأبحاث والمجلات :

- أ. صولة فيروز: تداعيات الأمن الصحي في المجتمعات المتقدمة والنامية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين – ألمانيا، ٢٠٢٠م.
- د. إسـحاق بلقاضـى: أدوات حماية الأمن الصـحي الدولي في إطار اللوائح الصـحية الدولية، بحث منشـور في مجله الدراسـات القانونية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعه يحيى فارس بالمدية، الجزائر، المجلد الرابع، العدد الأول، يونيو ٢٠١٨م.
- د. محمود المغربي، د. بلال صـــنديد: التكييف القانوني للجائحة الكرونية على ضـــوء الثوابت الدســـتورية والدولية والمبادئ القانونية المسـتقرة، دراسـة مقارنة، بحث منشـور في مجله كلية القانون الكويتية العالمية، السـنه الثامنة، ملحق خاص، العدد السادس، يونيو ٢٠٢٠م.

◄ المراجع الأجنبية:

- Mayaaud : Du caractere non intentionnel de la mise en danger d autrui , R. S C, 1996 .
- J.F. Savvies : Chronngue Legislative , R. S.C, 1996 .
- Aldis William ,"Health security as a public health concept a critical analysis " ,Health policy and .
- planning ,London school of hygiene and tropical medicine ,vol 23, issue 6, November 2008.
- Dr : Margaret Chan , Director General [9] , world health organization , world health .day 2007 . .
- Horton, A., P.Das, Lancel, 2015, Giibal health sucurity now. COMMENT. VOLUME 385, 9980:1805-1806.
- D.K. Bonilla-Aldana & K. Quintero, SARS-CoV, MERS-CoV and now the 2019-novel CoV: Have we investigated enough about coronaviruses?- a bibliometric analysis, Travel Med Infect Dis, 33 (2020), p. 101566.
- M. Nicola Z. Alsafi, The socio-economic implications of the coronavirus pandemic (COVID-19): a review Int J Surgery, 78 (2020), pp. 185-19.

القيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠

Essential values of the achievement of development in the light of Saudi vision 2030

أ. لجين بنت فيصل بن أمين السليماني - باحثة ماجستير بجامعة جدة - المملكة العربية السعودية

Email: lalsulaymani0001.stu@uj.edu.sa

المستخلص

هدف البحث إلى توضيح التأصيل الإسلامي للقيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠، والتعرف على آثارها التربوية. واتبع المنهج الوصفي الوثائقي، وتوصل للعديد من النتائج منها: أن تركيز رؤية السعودية ٢٠٣٠ على قيم الوسطية والتسامح، والإتقان والانضباط، والعدالة والشفافية، منبعه ديننا الإسلامي وما حثنا عليه من التوسط، والتوازن في جميع أمور حياتنا، والتسامح والتساهل واللين في التعامل. والإتقان للأعمال الدنيوية والأخروية، والانضباط بالتزام الأوامر واجتناب النواهي، وضبط النفس في جميع الأحوال. والعدالة والقسط ببذل الحقوق كاملة مع المسلمين وغيرهم، والشفافية والوضوح بتنزيه النفس وصونها عن مواطن الريبة والشبهة. فتكمل هذه القيم بعضها بعضاً؛ حتى يتحقق بناء مجتمع حيوي، للوصول إلى اقتصاد مزدهر، وتحقيق التنمية في شتّى المجالات. وأوصى بعدة توصيات منها: ضرورة اظهار القدوة الصالحة للنشء، والشباب، بأن يلتزم الوالدان، والأقارب، والمعلمون، وأساتذة الجامعات، وكل من له صلة، بالقيم الإسلامية التربوية بشكل عام وبهذه القيم خاصة.

الكلمات المفتاحية: القيم – التنمية – رؤية السعودية ٢٠٣٠ – الوسطية – التسامح – الإتقان – الانضباط – العدالة – الشفافية.

Abstract

The research aims to clarify the Islamic rooting of essential values of the achievement development in the light of Saudi Vision 2030 and to identify its educational effects. the research uses the descriptive documentary approach. Results include that Saudi Vision 2030 concentrates on the values of moderation, tolerance, perfection, discipline, justice and transparency inspired by our Islamic religion and what it calls for, such as mediation and balance in all matters of our lives; tolerance and leniency in dealing perfection of worldly and afterlife works; discipline in adhering to orders and avoiding prohibitions and self-control in all cases; Justice and equity by giving full rights to Muslims and others; and transparency and clarity by distancing oneself and protecting it from places of suspiciousness. These values complement each other; in order to build a vibrant society, to reach a prosperous economy, and to achieve development in various fields. Recommendations include the importance of having good role models for young people

and youth by parents, relatives, teachers, university professors, and everyone related to Islamic educational values in general and to these values in particular.

Keywords: Values - Development - Saudi Vision 2030 - Moderation - Tolerance - Perfection - Discipline - Justice - Transparency.

المقدمة

القيم هي عماد العلاقات الأسرية والاجتماعية والدولية، فمتى ما سمت تلك القيم وتمسك بها الناس صلحت الحياة وحسنت. وفي يومنا الحاضر، تشكل القيم مجالاً خصباً للبحث والدراسة، باعتبار أهميتها العظمى في بناء شخصية الأفراد من جميع جوانبها؛ حيث إن للقيم بصمات واضحة على سلوك الأفراد، فمن أعظم سبل تنظيم حياة الفرد الاهتمام بالجانب القيمي الذي يساعد على تماسك المجتمع ويحدد أهدافه ومبادئه. وقد أولى الإسلام أهمية عظمى للجانب القيمي؛ حيث قدم في كتاب الله العزيز وعبر الأمثلة العملية في سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنموذجاً هادياً في تعليم وتعلم القيم.

وتكمن أهمية البحث في مجال القيم في وقتنا الحالي اعتباراً لمركزية القيم في اهتمامات رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، فقد أظهرت نتائج دراسة الأسدي (٢٠١٩) أن عدد القيم المتضمنة في رؤية السعودية ٢٠٣٠ بلغ (٦٩) قيمة، في مجالات مختلفة منها المجال الديني، والاجتماعي، والشخصي النفسي، والصحي، والتربوي التعليمي، والوطني، والاقتصادي، والبيئي. كما أن من "أهداف التعليم في رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، ترسيخ القيم الإسلامية في نفوس الطلبة" (وزارة التعليم، ٢٠١٦، ص. ١٨).

وقد اعتمدت رؤية السعودية ٢٠٣٠ على ثلاثة محاور رئيسة وهي: المجتمع الحيوي، والاقتصاد المزدهر، والوطن الطموح، وهذه المحاور تتكامل وتتسق مع بعضها؛ لتحقيق أهداف الرؤية وتعظيم الاستفادة من مرتكزاتها (وثيقة رؤية ٢٠٣٠، ٢٠١٦، ص.١٣). وقد تُرجمت الرؤية إلى أهداف استراتيجية لتمكين التنفيذ الفعال من خلال برامج تحقيق الرؤية، وشكل رقم (١) يوضح هيكلة الأهداف الاستراتيجية لرؤية السعودية ٢٠٣٠:

شكل رقم (١) هيكلة الأهداف الاستراتيجية لرؤية السعودية ٢٠٣٠
(https://www.vision2030.gov.sa/ar/v2030/overview)

يتضح من شكل رقم (١) أن تعزيز القيم الإسلامية يمثل الهدف الأول من الأهداف الاستراتيجية لرؤية السعودية

٢٠٣٠، فالوصول إلى مجتمع حيوي يعتمد على عدة ركائز منها تعزيز القيم الإسلامية، "فمجتمعنا الحيوي راسخ الجذور، متين البنيان، يستند إلى قيم الإسلام المعتدل" (مجتمع حيوي – رؤية السعودية ٢٠٣٠ ، ٢٠١٦، فقرة ١)، وقد ورد في وثيقة رؤية ٢٠٣٠ (٢٠١٦) أن نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية ستكون بالعمل بمبادئ الإسلام، وستكون الوسطية والتسامح، والإتقان، والانضباط، والعدالة، والشفافية، مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات (ص.١٦).

ويمكن وصف الهدف التفصيلي المتعلق بتعزيز قيم الوسطية والتسامح بأنه: "تعزيز قيم الوسطية والتسامح الفكري ضمن الإطار الإسلامي، بمعنى أن آراء الفرد أو الفئة ينبغي ألا تفرض على الآخر، ولا يعني ذلك التفريط في الحقوق والعقيدة وأصول الشريعة الإسلامية. ويشمل هذا محورية هذه القيم في الخطاب الإسلامي، ومناعة المجتمع ضد الافراط والتفريط والممارسات المتعلقة بهما - مثل الطائفية والتطرف والإلحاد -، كما يشمل ريادة المملكة في تعزيز هذه القيم عالمياً. ويسهم ذلك في تعزيز التعايش بين أطياف المجتمع المختلفة بما يحقق ازدهار الوطن وتماسك أركانه" (الأهداف الاستراتيجية لرؤية المملكة ٢٠٣٠، ٢٠١٦، ص.٣).

كما يمكن وصف الهدف التفصيلي المتعلق بتعزيز قيم الإتقان والانضباط بأنه: "تعزيز قيم الإتقان والانضباط في سلوكيات الأفراد الشخصية والعملية، وأعمال المنشئات الحكومية والخاصة؛ مما يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية السمحة، التي حثت على إتقان العمل بضوابطه في وقته المحدد، والالتزام بالقوانين والأنظمة، والوفاء بالوعود والعقود، وجعل ذلك أمراً تعبدياً يتقرب به إلى الله تعالى" (الأهداف الاستراتيجية لرؤية المملكة ٢٠٣٠، ٢٠١٦، ص.٥).

ويمكن وصف الهدف التفصيلي المتعلق بتعزيز قيم العدالة والشفافية بأنه: "تعزيز قيم العدالة والشفافية في تعاملات الأفراد، والمنشئات الحكومية والخاصة، مما يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية التي حثت على إعطاء كل ذي حق حقه بعدل وإنصاف، وعلى الإفصاح والوضوح في التعاملات بما يحقق المصلحة العامة" (الأهداف الاستراتيجية لرؤية المملكة ٢٠٣٠، ٢٠١٦، ص.٧).

يتأكد مما سبق حرص المملكة العربية السعودية على إبراز قيم الوسطية والتسامح، والإتقان والانضباط، والعدالة والشفافية، والتأكيد عليها صراحة وضمناً، وجعلها نهجاً ننتهجه في جميع المجالات؛ لقوة تأثيرها في تقويم السلوك، ولتوجيه أفراد المجتمع نحو تطبيقها كما أمرنا ديننا الإسلامي، وامتثالها في جوانب حياتهم المختلفة؛ لحماية المجتمع من الانحراف، والتشدد بأنواعهما المختلفة. وتحقيق الوحدة الوطنية، والأمن المجتمعي. والمساهمة في توضيح حقيقة وسطية الإسلام، وسماحته للعالم. وللمحافظة على حقوق جميع فئات المجتمع، وحفظ موارد الوطن وثرواته من فساد المفسدين؛ من أجل تحقيق ما تهدف إليه الرؤية من التنمية، والرقي، والازدهار. إضافة إلى تحقيق نجاح الأفراد، ورقي المجتمع، وتحقيق التقدم، والتطور، والمنافسة مع دول العالم المتقدمة.

ومن هذا المنطلق تجدر الإشارة إلى ضرورة اهتمام أفراد المجتمع كل في مجال عمله وتخصصه، بتعزيز القيم الإسلامية عموماً وهذه القيم خصوصاً، والحرص على امتثالها في مجالات حياتنا المختلفة؛ حتى يكون كل فرد في المجتمع قدوة حسنة لمن حوله، فتتضامن الجهود في سبيل انتهاج هذه القيم، وامتثالها امتثالاً صحيحاً؛ فيضيق الخناق على المخالفين لها، ويصبح الوطن أكثر قوة وتماسك، يعيش أطيافه بأمان وسلام، ويتعاونون على تحقيق تنميته وتقدمه وتطوره في شتى المجالات؛ حتى نصل به إلى مصاف الدول المتقدمة، ونحقق الأهداف التي من أجلها وضعت رؤية السعودية ٢٠٣٠. وبذلك نؤكد للعالم أن ديننا الإسلامي دين صالح لكل زمان ومكان، يدعو إلى القوة والتقدم والتطور في جميع المجالات، ويحث على حسن الاستخلاف في الأرض.

مشكلة البحث

تتحدد مشكلة البحث في تسليط الضوء على القيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠، والعمل على تأصيلها في التربية الإسلامية، وتوضيح معانيها وتحريرها من اللبس والغموض؛ حتى يتسنى لأفراد المجتمع التحلي بهذه القيم على الصورة التي يرتضيها الإسلام المعتدل؛ مما يؤدي إلى التقدم والتطور وتحقيق التنمية التي تسعى رؤية السعودية ٢٠٣٠ إلى تحقيقها. وقد أوصت العديد من الدراسات بضرورة الاهتمام بالقيم الإسلامية، منها دراسة الزبيدي (٢٠٢١) التي أوصت بضرورة تكاتف مؤسسات المجتمع في العناية بغرس القيم الإسلامية في نفوس المسلمين على مختلف أعمارهم. ودراسة القرشي (٢٠١٨) التي أوصت بضرورة تضافر الجهود التكاملية بين مؤسسات المجتمع لتنمية القيم، فيتحلى المعلم القدوة بها، وتتابع الأسرة درجة تمثل أبنائها لهذه القيم، ويحث الإعلام باستمرار على أهميتها في تقدم المجتمع وسعادة أفراده. إضافة إلى ما أوصت به دراسة السفياني (٢٠٢١) بمواصلة البحوث العلمية في دراسة البرامج والتطبيقات العملية لتمثل القيم والتي ستحقق السعادة للأمم والمجتمعات والأفراد. وما أوصت به دراسة الزهراني (٢٠١٨) بإجراء العديد من الدراسات والأبحاث العلمية المتعلقة بالقيم الإسلامية بما يسهم في ممارستها وتفعيلها. وما أوصت به دراسة السلمي (٢٠١٨) بضرورة إعداد البحوث التربوية التي تتناول موضوع القيم، وإيضاح ما يميزها في الإسلام.

وفي ضوء ما سبق، وإضافة إلى ندرة الدراسات - حد اطلاع الباحثة - في مجال القيم في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠، فقد استشعرت الباحثة الحاجة إلى دراسة القيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠. لذلك تصدت الباحثة لمشكلة البحث من خلال الإجابة عن السؤالين التاليين:

١. ما القيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠؟
٢. ما الآثار التربوية للقيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠؟

أهداف البحث

١. توضيح التأصيل الإسلامي للقيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠.
٢. التعرف على الآثار التربوية للقيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠.

أهمية البحث

١. يعد هذا البحث استجابة لرؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، وما تهدف إليه من الوصول إلى مجتمع حيوي، واقتصاد مزدهر، ووطن طموح، والوصول إلى مجتمع حيوي يعتمد على عدة ركائز منها العمل على تعزيز القيم الإسلامية وترسيخها لدى أفراد المجتمع، فمجتمعنا الحيوي راسخ الجذور، متين البنيان، يستند إلى قيم الإسلام المعتدل؛ للوصول إلى اقتصاد مزدهر، وتحقيق التنمية في شتى المجالات.
٢. يعد هذا البحث أول الأبحاث العلمية - على حد علم الباحثة - التي تناولت القيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠.
٣. يقدم هذا البحث تأصيلاً للقيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ من مصادر التربية الإسلامية.
٤. يوضح هذا البحث الآثار التربوية للقيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ على الفرد والمجتمع.

منهج البحث

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي الوثائقي، وهو المنهج الذي يقوم على الجمع المتأني والدقيق للوثائق المتوافرة عن مشكلة البحث، وهو أحد المناهج التي تصف ظاهرة معاصرة لمعرفة الإجابة على سؤال حولها من خلال دراسة وتحليل ما يتعلق بها من وثائق ودراسات معاصرة (العساف، ١٩٩٥، ص.٢٠٤). وقد تتبعت الباحثة الأدبيات السابقة ومصادر التربية الإسلامية للبحث عن تأصيل ما نصت عليه وثيقة رؤية ٢٠٣٠ (٢٠١٦) من أن "نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بمبادئ الإسلام، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافية مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات" (ص. ١٦)؛ حيث سعت الباحثة للوصول إلى التأصيل الإسلامي للقيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠، وتوضيح آثارها التربوية على الفرد والمجتمع.

حدود البحث

اقتصر البحث الحالي على القيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠، والمتمثلة في قيم الوسطية والتسامح، وقيم الإتقان والانضباط، وقيم العدالة والشفافية. والتي نصت عليها وثيقة رؤية ٢٠٣٠ (٢٠١٦) حيث ذكر فيها أن "نقطة انطلاقنا نحو تحقيق هذه الرؤية هي العمل بمبادئ الإسلام، وسيكون منهج الوسطية والتسامح وقيم الإتقان والانضباط والعدالة والشفافية مرتكزاتنا الأساسية لتحقيق التنمية في شتى المجالات" (ص. ١٦).

مصطلحات البحث

أولاً- القيم

لغةً: "القِيمَةُ: وَاحِدَةُ القِيَم، وأَصله الْوَاوُ لأَنه يَقُومُ مَقَامَ الشَّيْءِ .والقِيمة: ثَمَنُ الشَّيْءِ بالتَّقْوِيم" (ابن منظور، ١٩٩٣، مج.١٢، ص.٥٠٠).

اصطلاحاً: "مجموعة المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع الموقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة-مباشرة وغير مباشر" (أبو العينين، ٢٠٠٠، ص٧٩).

ثانياً- رؤية السعودية ٢٠٣٠

لغةً: الرُؤْيَةُ: "النَّظَرُ بالعَيْنِ وبالقَلْبِ" (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥، ص.١٢٨٥)

اصطلاحاً: هي "رؤية سمو ولي العهد [الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود] لمستقبل هذا الوطن العظيم، والتي تسعى لاستثمار مكامن قوّتنا التي حبانا الله بها، من موقع استراتيجي متميز، وقوة استثمارية رائدة، وعمق عربيّ وإسلاميّ، حيث تولي القيادة لذلك كل الاهتمام، وتسخّر كل الإمكانات لتحقيق الطموحات" (رؤية السعودية ٢٠٣٠، ٢٠١٦، فقرة ١).

الدراسات السابقة

لم تجد الباحثة - حد اطلاعها - دراسات سابقة تناولت القيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠، إلا أنها وجدت عدد قليل من الدراسات التي تناولت القيم في رؤية السعودية ٢٠٣٠ من جوانب مختلفة، وفيما يلي عرض لهذه الدراسات:

دراسة الأسدي (٢٠١٩) التي هدفت إلى إعداد مقترح للقيم التي يمكن أن تُضَمَّن في كتاب "المهارات الحياتية والتربية الأسرية" للمرحلة الثانوية وفقاً لرؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠. واستندت الدراسة إلى المنهج الوصفي التحليلي (تحليل المحتوى)، وتكون مجتمع الدراسة من جميع وحدات كتاب "المهارات الحياتية والتربية الأسرية" لطلاب وطالبات المرحلة الثانوية. ولتحقيق أهداف الدراسة أعدت الباحثة استمارة تحليل وثيقة رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ كأداة أولى، واستمارة تحليل محتوى كتاب "المهارات الحياتية والتربية الأسرية " للمرحلة الثانوية كأداة ثانية. وأسفرت النتائج عن وجود اختلافات بين القيم المتضمنة في وثيقة رؤية ٢٠٣٠ والقيم المتضمنة في مجتمع الدراسة، حيث بلغ عدد القيم المتضمنة في الرؤية (٦٩) قيمة، بينما بلغ عدد القيم المتضمنة في الكتاب (٤٤) قيمة.

دراسة الحضيف (٢٠١٩) التي هدفت إلى وضع تصور مقترح لتعزيز التربية على القيم الإسلامية والهوية الوطنية لطلاب وطالبات الجامعات السعودية؛ تحقيقاً لرؤية المملكة ٢٠٣٠ في ضوء مصادر التربية الإسلامية، والتعرف إلى الواقع والمعوقات والمتطلبات في ضوء ما تقدمه الجامعات السعودية في تعزيز التربية على القيم الإسلامية والهوية الوطنية لطلبة الجامعات السعودية. أُستخدم المنهج الوصفي المسحي في مرحلة ما قبل بناء التصور المقترح، على مجتمع الدراسة من أعضاء هيئة التدريس في التخصصات كافة، وعينة عنقودية من الجامعات موزعة جغرافيًّا على مناطق المملكة كافة، ثم اشتقاق عينة عشوائية قليلة بنسبة ٣٠٪، وطُبِّقت عليهم أداة الدراسة الاستبانة. وكشفت الدراسة عن أن المتطلبات التربوية لتعزيز التربية على القيم الإسلامية والهوية الوطنية للطلاب والطالبات في الجامعات السعودية جاءت على درجة كبيرة جداً من الأهمية.

دراسة الأكلبي ورحيّم (٢٠١٧) التي هدفت إلى معرفة فاعلية برنامج تدريبي مقترح لتعزيز القيم الإسلامية والهوية الوطنية لدى طلاب وطالبات جامعة بيشة في ضوء رؤية المملكة ٢٠٣٠. اتبع الباحثان المنهج شبه التجريبي، حيث بلغت العينة (٨٨) طالباً وطالبةً بالسنة الأولى في جامعة بيشة، منهم (٤٤) طالباً، و(٤٤) طالبة، وتم تقسيم كل فئة إلى مجموعتين تجريبية وضابطة عدد كل منها (٢٢) طالباً أو طالبة، وطبق الباحثان مقياسي القيم الإسلامية والهوية الوطنية وبرنامجاً تدريبياً من إعدادهما. وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية ومتوسطات درجات المجموعة الضابطة بعد تطبيق البرنامج التدريبي لصالح المجموعة التجريبية (طلاب – طالبات)، بينما لم توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات المجموعة التجريبية (الطلاب والطالبات) بعد تطبيق البرنامج التدريبي المقترح في التطبيق التتبعي.

التعليق على الدراسات السابقة

اتفق البحث الحالي مع الدراسات السابقة في مجال البحث والدراسة، والذي تمثل في تناول القيم في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠، إلا أنه اختلف عنها في الهدف؛ حيث هدف البحث الحالي إلى توضيح التأصيل الإسلامي للقيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠، والتعرف على آثارها التربوية. في حين هدفت دراسة الأسدي (٢٠١٩) إلى إعداد مقترح للقيم التي يمكن أن تُضَمَّن في كتاب "المهارات الحياتية والتربية الأسرية" للمرحلة

الثانوية وفقاً لرؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠. بينما هدفت دراسة الحضيف (٢٠١٩) إلى وضع تصور مقترح لتعزيز التربية على القيم الإسلامية والهوية الوطنية لطلاب وطالبات الجامعات السعودية؛ تحقيقاً لرؤية المملكة ٢٠٣٠. في حين هدفت دراسة الأكلبي ورحيّم (٢٠١٧) إلى معرفة فاعلية برنامج تدريبي مقترح لتعزيز القيم الإسلامية والهوية الوطنية لدى طلاب وطالبات جامعة بيشة في ضوء رؤية المملكة ٢٠٣٠.

كما اتفق البحث الحالي مع دراسة كل من الأسدي (٢٠١٩)، والحضيف (٢٠١٩) في استخدام المنهج الوصفي، إلا أنه اختلف عنهما باستخدام المنهج الوثائقي بدلاً من المنهج التحليلي في دراسة الأسدي (٢٠١٩)، وبدلاً من المنهج المسحي في دراسة الحضيف (٢٠١٩). كما اختلفت عنهم دراسة الأكلبي ورحيّم (٢٠١٧) في استخدام المنهج شبه التجريبي.

الإجابة عن أسئلة البحث:

الإجابة عن السؤال الأول والذي نص على: " ما القيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠؟"

أولاً- قيم الوسطية والتسامح

ترتكز العملية التربوية على القيم والثوابت التي تعمل على بنائها في نفوس الشباب، وتعتبر رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ من أبرز المصادر الهامة التي أكدت على أهمية تعزيز القيم الإسلامية بشكل عام وقيم الوسطية والتسامح بشكل خاص، فقد تضمنت رؤية السعودية ٢٠٣٠ قيم الوسطية التسامح بصورة صريحة وضمنية؛ حيث تكرر ذكر العديد من القيم التي تدخل في معاني الوسطية والتسامح ومنها: الاعتدال، والتمسك بتعاليم الدين، والاحترام، والرحمة، والتعاون، وتقبل الآخر، وتقدير الوافدين، واحترام الآخر، والتطوع، وتقدير ذوي الاحتياجات الخاصة، ومساعدة المحتاج، ومعاونة الجار، والمرونة، والاهتمام بالصحة، والترويح عن النفس، والوحدة الوطنية، وترشيد استهلاك الموارد، والاهتمام بإعادة تدوير المخلفات (الأسدي، ٢٠١٩، ص. ١٤٩).

مفهوم الوسطية والتسامح

معنى الوسطية لغةً: "وسَطُ الشَّيْءِ: مَا بَيْنَ طرَفَيْه" (ابن منظور، ١٩٩٣، مج.٧، ص. ٤٢٦).

وجاء في تفسير ابن كثير لقول الله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣] "وَالْوَسَطُ هَاهُنَا: الْخِيَارُ وَالْأَجْوَدُ، كَمَا يُقَالُ: قُرَيْشٌ أوسطُ الْعَرَبِ نَسَباً وَدَاراً، أَيْ: خَيْرُهَا. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطاً فِي قَوْمِهِ، أَيْ: أَشْرَفُهُمْ نَسَباً، وَمِنْهُ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى، التِي هِيَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ، وَهِيَ الْعَصْرُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ وَغَيْرِهَا" (ابن كثير، ١٩٩٩، ج.١، ص. ٤٥٤).

معنى الوسطية اصطلاحاً: ارتبط مفهوم الوسطية بمعاني الاعتدال، والخيرية، والبينية، وجميعها صحيحة. ومن ذلك ما أشار إليه العُمَر (١٩٩٣) بقوله: "أي أمر اتَّصف بالخيريَّة والبينيَّة جميعاً فهو الذي يصح أن نُطلق عليه وصف: الوسطيَّة" (ص. ٤٢).

وعرف التركي (١٩٩٧) الوسطية بأنها "الاعتدال والتوازن بين مطالب الدنيا والنظرة إليها، ومطالب الآخرة والعمل لها، والأخذ بالأسباب المؤدية إلى ذلك دون إفراط أو تفريط، فالإسلام وسط بين من غلا في أمر الدنيا، ولم يهتم

بالآخرة، وبين من غلا في أمر الآخرة، ونظر إلى الدنيا نظرة ازدراء وابتعاد، وهكذا الوسطية تؤدي إلى التوازن بين مطالب البدن ومطالب القلب" (ص ص. ٤٦ - ٤٧).

وعرفها الزهراني (٢٠٠٠) بأنها: "كل أمر توفرت فيه محاسن الطرفين، وانتفت منه مساوئهما، يكون وسطاً لأنه حوى الخيرين وابتعد عن الشرين" (ص. ٤٩).

ويعرفها باسلوم (٢٠٠٤) بأنها: "حالة خطابية أو سلوكية محمودة، تعصم الفرد من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط؛ حيث تقيمه على طريق الاعتدال والتوازن في كل أموره الحياتية" (ص. ١٢).

يتضح من التعريفات والمعاني السابقة أن الوسطية منهج فهم وتطبيق الأمور بطريقة معتدلة، بعيدة عن الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير، نابعة من الفهم الصحيح للدين الإسلامي، تؤدي إلى التوازن بي الدنيا والآخرة. ويمكن القول بأن قيم الوسطية هي المعايير الممثلة للاعتدال والتوازن في الحكم على أمور الدين والدنيا.

معنى التسامح لغةً: "(سَمَحَ) سَمْحاً وسَمَاحاً وسَمَاحَةً: لَانَ وَسَهُل. يُقَال: سَمَحَ لَهُ بحَاجَة: يسَّرها لَهُ. ... (سامَحَهُ) بِكَذَا، وَفِيه: وَافَقَهُ على مطلوبه. وبذنبِهِ: عفَا عَنْهُ. وَيُقَال فِي الدُّعَاءِ: سامحك الله. (سَمَّحَ) الشَّيْء جَعَلَهُ ليّناً سهلاً. (تَسَامَحَ) فِي كَذَا: تَسَاهَلَ. (السَّماحُ): التسامُحُ والتساهلُ. (السَّماحَةُ): الْجُودُ وَالْكَرَمُ والسُّهُولةُ. (السَّمْحُ): يُقَال: فلَانٌ سَمْحٌ: جواد سخيٌّ، وعودٌ سَمْحٌ: مُسْتَوٍ لَيِّنٌ سهلٌ لَا عُقَدَ فِيه. (السَّمْحَةُ): مؤنَّثُ السَّمْحِ. يُقَال: شَرِيعَةٌ سَمْحَةٌ: فِيهَا يُسْرٌ وسهولةٌ" (مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤، ص. ٤٤٧).

يتضح مما سبق أن مدلولات "التسامح" في معاجم اللغة متعددة، ومن معانيه اللين، واليسر، والسهولة، والتجرد من العقد، والموافقة، والعفو، والسخاء، والكرم، والجود، والعطاء.

معنى التسامح اصطلاحاً: تعددت المعاني الاصطلاحية للتسامح بناء على تعدد مدلولاتها اللغوية، فقد عرّف بأنه: نبذ المشاعر والأفكار والسلوكيات السلبية تجاه من أساؤوا إلينا، واستبدالها بمشاعر وأفكار وسلوكيات إيجابية، وهو الطريق إلى الشعور بالسلام الداخلي، والسعادة، والطمأنينة (أنور، ٢٠١٥، ص. ٩).

وعرّف التّسامح مع الغير في المعاملات المختلفة بأنه: تيسير الأمور والملاينة فيها، ويتجلّى في التّيسير وعدم القهر، ويكون مع المسلمين ومع غيرهم من أصحاب الدّيانات الأخرى (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٦، ص. ٢٢٨٨).

ويشير مفهوم التسامح إلى: "احترام الاختلاف مع الآخرين وتقبلهم سواء كان اجتماعياً أم ثقافياً أم اقتصادياً أم سياسياً أم دينياً، والاعتراف بحقهم في التعبير عن آرائهم، وتفهم مواقفهم بما يحقق الانسجام بين أفراد المجتمع" (مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ٢٠٢٠، ص. ٤٧).

وبناء على التعريفات والمعاني السابقة يمكن القول بأن التسامح منهج حياة في التعامل مع المسلمين وغيرهم، وفق ضوابط الدين الإسلامي؛ يؤدي إلى التعايش والانسجام المحمود بين أفراد المجتمع. ويمكن تجسيد بعض قيم التسامح في العفو، وكظم الغيظ، ودفع السيئة بالحسنة، والصلح، والتعايش بإحسان.

قيم الوسطية والتسامح في التربية الإسلامية

حرصت التربية الإسلامية على تأصيل قيم الوسطية لدى المسلمين بألفاظ صريحة أو ما يدل عليها، لكون الإسلام - عقيدة وشريعة - مبني على الوسطية، ومن ذلك قوله تعالى في توضيح خصيصة الأمة الإسلامية بالوسطية بين الأمم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقد ذكر ابن كثير في تفسيرها "...لِنَجْعَلَكُمْ خِيَارَ الْأُمَمِ، لِتَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَداء عَلَى الْأُمَمِ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ مُعْتَرِفُونَ لَكُمْ بِالْفَضْلِ.

وَالْوَسَطُ هَاهُنَا: الْخِيَارُ وَالْأَجْوَدُ، وَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَسَطًا خَصَّها بِأَكْمَلِ الشَّرَائِعِ وَأَقْوَمِ الْمَنَاهِجِ وَأَوْضَحِ الْمَذَاهِبِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ ﴾ [الحج: ٧٨] " (ابن كثير، ١٩٩٩، ج.١، ص. ٤٥٤). وجاء في تفسير الطبري "قال أبو جعفر: وأنا أرى أن "الْوَسَطَ" فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الْوَسَطُ الَّذِي بِمَعْنَى الْجُزْءِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ... وَأَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ إِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ وَسَطٌ، لِتَوَسُّطِهِمْ فِي الدِّينِ، فَلَا هُمْ أَهْلُ غُلُوٍّ فِيهِ غُلُوَّ النَّصَارَى الَّذِينَ غَلَوْا بِالتَّرَهُّبِ، وَقِيلُهُمْ فِي عِيسَى مَا قَالُوا فِيهِ، وَلَا هُمْ أَهْلُ تَقْصِيرٍ فِيهِ تَقْصِيرُ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُمْ، وَكَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، وَكَفَرُوا بِهِ، وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ تَوَسُّطٍ وَاعْتِدَالٍ فِيهِ، فَوَصَفَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، إِذْ كَانَ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَى اللَّهِ أَوْسَطَهَا. /وَأَمَّا التَّأْوِيلُ فَإِنَّهُ جَاءَ بِأَنَّ الْوَسَطَ الْعَدْلُ، وَذَلِكَ مَعْنَى الخِيَارِ؛ لِأَنَّ الْخِيَارَ مِنَ النَّاسِ عُدُولُهُمْ" (الطبري، ٢٠٠١، ج.٢، ص ص. ٦٢٦-٦٢٧).

ومما يدل على أن الإسلام قائم على الوسطية والسماحة والتيسير ورفع الحرج والمشقة ما رواه أبو هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا ...) (البخاري، ١٩٩٣، ح.٣٩، ص. ٢٣). وما روته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا) (البخاري،١٩٩٣، ح. ٣٣٦٧، ص. ١٣٠٦). ومما يدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. كما أن التّوسّط مدار الفضائل في كثير من الأمور، فالشّجاعة مثلا وسط بين الجبن والتّهوّر.

وإن من أهم خصائص ومميزات الإسلام أنه شريعة الحنيفية السمحة، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: سُئِلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: (الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ) (الألباني، ١٩٩٧، ح. ٢٨٧/٢٢٠، ص. ١٢٢). فالسماحة "يحبّها الله ورسوله والملائكة المقرّبون، ويُضْفِيهَا الله على وجوه المؤمنين لتكون لهم علامة مميّزة في الدّنيا والآخرة" (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٦، ص. ٢٣٠٠).

وقد اشتملت مناشط حياة المسلم كافة على التسامح ومعانيها المختلفة، ولم تكن مقصورة على جانب دون جانب، بل كانت سماحة شاملة واسعة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، جاء في تفسير ابن كثير "لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ بَيِّنٌ وَاضِحٌ جَلِيٌّ دَلَائِلُهُ وَبَرَاهِينُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكْرَهَ أَحَدٌ عَلَى الدُّخُولِ فِيهِ، بَلْ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ وَشَرَحَ صَدْرَهُ وَنَوَّرَ بَصِيرَتَهُ دَخَلَ فِيهِ عَلَى بَيِّنَةٍ، وَمَنْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ فَإِنَّهُ لَا يُفِيدُهُ الدُّخُولُ فِي الدِّينِ مُكْرَهًا مَقْسُورًا" (ابن كثير، ١٩٩٩، ج.١، ص. ٦٨٢).

وقد حثت الشريعة الإسلامية على السهولة واللين والتيسير في معاملة الناس في جميع نواحي الحياة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ سَمْحَ البَيْعِ، سَمْحَ الشِّرَاءِ، سَمْحَ الْقَضَاءِ) (الألباني، ٢٠٠٠أ، مج.٢، ح.١٣١٩، ص. ٦٣)، وتجدر الإشارة إلى أن "السماحة في البيع والشراء باب عظيم من أبواب كسب الرزق وتكثيره" (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٦، ص. ٢٣٠٠).

والمتأمل في كلام الله تبارك وتعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - يدرك أن الإسلام يدعوا إلى التعايش المحمود بين البشر، ويرسي دعائم السلام والتسامح في الأرض بين جميع الناس بمختلف أجناسهم وألوانهم كما قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ ... ﴾

[الحجرات: ١٣]، فكلهم ينحدرون من نفس واحدة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [النساء: ١]. ومن الآيات التي تدعو إلى اللين والسلم، ونبذ العنف والبطش، قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]. ومن الأحاديث النبوية التي تدل على حرَصَ الشَّرعُ الحكيمُ على إقامةِ عَلاقاتٍ طيّبةٍ بينَ الناس، فيها التكافل والترابط والتعاون، بَيانُ قيمةِ التَّسامُحِ في التَّعامُلِ بينَ النَّاسِ، حديث ابن عبّاس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ) (الألباني، ١٩٨٨، ح.٩٨٢، ص. ٢٢٩)، "أي: عامِلِ النَّاسَ بالسَّماحةِ والمُساهلةِ؛ يُعامِلْكَ اللهُ بمِثْلِه في الدُّنيا والآخِرةِ، والجزاءُ مِن جِنسِ العملِ، والمعنى أنَّ تَسهيلَكَ للعِبادِ يكونُ سَببًا لتَسهيلِ اللهِ لك في الدَّارَينِ، فيُرقِّقُ قُلوبَ العِبادِ لك في الدُّنيا...، والمُسامحةَ والتَّساهُلَ يكونانِ في غيرِ معصيةِ اللهِ. وفي الحديثِ: الحَثُّ على التَّساهُلِ، وأنَّه يكونُ سَببًا في محبَّةِ النَّاسِ، والفَوزِ في الآخِرةِ" (الدرر السنية، ١٤٤٣أ، فقرة ٢).

وتأسيساً على ذلك يمكن القول بأن الوسطية والتسامح سمات ظاهرة في الإسلام تتجلّى في عقائده، وعباداته، ومعاملاته وأخلاقه، وهي منهج حياة المسلم، فالوسطية خصيصة الأمة الإسلامية، وقد جاء الإسلام مؤكداً على وسطية العقيدة، والأحكام، والأخلاق. فلا يغالي فيهم وفي الوقت ذاته لا يفرط أو يتهاون للدرجة التي تفسد على المسلم ارتباطه بالله، بل يقوم على التوازن والاعتدال. والدين الإسلامي شريعة حنيفية سمحة، وقد خص الله الإسلام بمعاني التسامح واليسر والسهولة؛ لأنه أرادها رسالة لكل زمان ومكان.

ثانياً- قيم الإتقان والانضباط

يمثل الدين الإسلامي منهج حياتنا، لأن تربيته موجهة إلى الفرد والمجتمع، وتأسياً بهدي الإسلام القائم على الانضباط وهديه في العمل والحث على إتقانه، فقد اهتمت رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ على تعزيز القيم الإسلامية بشكل عام، وقيم الإتقان والانضباط بشكل خاص، فقد تضمنت رؤية السعودية ٢٠٣٠ قيم الإتقان والانضباط بصورة صريحة وضمنية؛ حيث تكرر ذكر العديد من القيم التي تدخل في معاني الإتقان والانضباط ومنها: الإخلاص، والأمانة، والمسؤولية، والعطاء، والتعاون، وطاعة ولي الأمر، والالتزام بالقوانين، والحفاظ على الممتلكات العامة، والمنافسة، والعزيمة، والفاعلية، والمثابرة، والاهتمام بالصحة، والوقاية من الأمراض، والعلم، والعمل، وتنمية المهارات الشخصية، وترشيد استهلاك الموارد، والحفاظ على البيئة، والوقاية من وقوع الحوادث، والحد من التلوث، والاهتمام بإعادة تدوير المخلفات، والأمان (الأسدي، ٢٠١٩، ص. ٨٥).

مفهوم الإتقان والانضباط

معنى الإتقان لغةً: ورد في المعجم الكبير أن الإتقان يحمل دلالة المعرفة والضبط (مجمع اللغة العربية، ١٩٩٢، ج.٣، ص. ٩٥). وذكر في معجم لسان العرب: "أَتْقَنَ الشيءَ: أَحْكَمَه، وإِتْقانُه إِحْكامُه. والإِتْقانُ: الإِحكامُ للأَشياء. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيز: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ ﴾ [النمل: ٨٨]" (ابن منظور، ١٩٩٣، مج.١٣، ص. ٧٣).

معنى الإتقان اصطلاحاً: تكاد تجتمع الآراء والأفهام حول معايير مشتركة تجمع مكونات المعنى الاصطلاحي للإتقان في معيار الإحكام والضبط. منها تعريف المرصفي (١٩٨٠) بأنه: إحسان العمل وأداؤه بإحكام وإخلاص (ص. ٢٤٨). وكذلك تعريف الإتقان بأنه درجة عالية في الجودة، وأنه مفهوم يتضمن إحكام الشيء وإحسانه، وأداء العمل بمهارة (علي، ٢٠١٩، ص. ٣٨).

وتعريف المحضار (٢٠١٧) للإتقان بأنه أداء العمل دون خلل، والالتزام بمتطلباته وضوابطه، وبذل أقصى جهد ممكن للوصول إلى إنتاجية متميزة، وأدائه في الوقت المحدد دون تأخير (ص. ٢٥٠).

معنى الانضباط لغة: ورد في المعجم الوسيط "(ضَبَطَهُ) ضَبْطاً: حفِظَهُ حِفظاً بليغاً. وأَحْكَمَهُ وأَتْقَنَهُ. وَيُقَال: ضَبَطَ الْبِلَادَ: قَامَ بأَمْرِها قيَاماً لَيْسَ فيه نقْصٌ" (مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤، ص. ٥٣٣).

كما ورد في لسان العرب "الضَّبْطُ: لُزُومُ الشَّيْءِ" (ابن منظور، ١٩٩٣، مج.٧، ص. ٣٤٠).

معنى الانضباط اصطلاحاً: يأتي مفهوم الانضباط بمعاني متعددة منها أن الانضباط: "تقبل التوجيهات والتعليمات وتنفيذها" (الفهد والعيد، ٢٠١٩، ص. ٦٦٥).

ويعرفه عمار (١٩٩٩) بأنه: "قمع النزعات السلبية والرغبات الشريرة، يقوم على الإرادة والعزم والتحكم في النفس وعدم الانصياع للأهواء" (ص. ٤٢٥).

ويرى بدر (٢٠١٢) بأنه الحالة العقلية والنفسية التي تجعل إطاعة الأوامر والتعليمات، واحرام القواعد والقوانين، والالتزام بالتقاليد والأعراف، أمراً مرغوباً في النفس، مهما كانت الظروف (ص ص. ٥٠ - ٥١).

ويعرفه مهداد (٢٠١٦) بأنه "التزام الفرد بالتعليمات واللوائح، والسير ذاتياً وفقاً لقوانينها وأنظمتها، من خلال توجيه رغباته، وتنظيم ميوله ودوافعه للوصول إلى نمو السلوك الاجتماعي المقبول اجتماعياً" (ص. ٧٧).

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن الانضباط سلوك يصدر من ذات الفرد، يقوم على قوة الإرادة والعزم والتحكم بالنزعات والرغبات السلبية وعدم الانصياع للأهواء، فينتج عنه احترام الفرد للنظام وتقيده به، والتزامه بالقوانين والتعليمات والتوجيهات في جميع الأحوال.

قيم الإتقان والانضباط في التربية الإسلامية

ينبثق مفهوم الإتقان والانضباط في التربية الإسلامية من القرآن والسنة فالمتأمل فيهما يجد أنهما اشتملا على ما يمكن أن يكون أصلاً لمفهوم الإتقان، فنجد صوراً متعددة من الإتقان الإلهي في الخلق والكون، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]، وصوراً من الإتقان الإنساني، ومنه قوله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ ﴾ [النمل: ٤٤]، "فهذه الآية ذكرت صورة من صور الإتقان الإنساني صعب على بلقيس إدراكه بحاسة البصر" (الشبول، ٢٠١٣، ص. ٢٢).

والإتقان هو الكيفية التي يحبها الله في أداء الأعمال الدنيوية أو الأخروية، فعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إنَّ اللهَ يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملاً أنْ يُتقِنَهُ) (الألباني، ١٩٨٨، ح. ١٨٨٠، ص. ٣٨٣)، أن يتقنه: أي يحكمه، فعلى الصانع أن يعمل بما علمه الله عمل إتقان وإحسان، بقصد نفع خلق الله الذي استعمله في ذلك، ولا يعمل على نية أنه إن لم يعمل ضاع، ولا على مقدار الأجرة، بل على حسب إتقان ما تقتضيه الصنعة (المناوي، ٢٠٠١، ج.٢، ص. ٣٦٣). وبناء على ذلك يتأكد لنا أن "الإتقان أساس الجودة ومنطلقها، وهذا هو مضمون قوله - صلى الله عليه وسلم - فالحديث يعد ركيزة مهمة ومنطلقاً أساسياً نحو مفهوم الجودة والإتقان في الإسلام" (الشهراني، ٢٠١٧، ص. ١٣٤). فالعاملون بمختلف مجالاتهم، سواء كانوا مربين، أو طلاب، أو باحثين وعلماء، أو معلمين، أو أطباء، أو قضاة، أو تجار، أو مدراء، أو رجال أمن، أو مهندسين، أو أصحاب المهن اليدوية، أو عمال النظافة وغيرهم، يجب عليهم جميعاً أن يتقنوا أعمالهم وينضبطوا في أدائها ، فلا غش، ولا خداع، ولا إهمال، ولا تقصير؛ لأن

العمل في الإسلام عبادة، وهو إذاً أمانة، وقد حذَّر المولى سبحانه من ذلك فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧] (الحضيف، ٢٠١٩، ص. ٣٩).

ومما يدل على حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - على تأصيل الإتقان في نفوس المؤمنين قوله: (إنَّ الله تعالى: يُحِبُّ منَ العامِلِ إذا عملَ أن يحْسِنَ) (الألباني، ١٩٨٨، ح.١٨٩١، ص.٣٨٤)، وذكر البيهقي في كتاب الجامع لشعب الإيمان "... فكان فيما حدثنا أن قال: دثني أبي كليب: أنه شهد مع أبيه جنازة شهدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا غلام أَعْقِلُ وَأَفْهَمُ، فَانتُهي بِالْجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمْ يمكَّن لَهَا، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يقول: (سَوُّوا في حد هَذَا) حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّة، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِم، فَقَالَ: (أَمَا إِنَّ هَذَا لاَ يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلاَ يَضُرُّهُ، ولكن اللهَ يُحِبُّ منَ العامِلِ إذا عَمِلَ أن يُحْسنَ) (البيهقي، ٢٠٠٣، ج.٧، ح. ٤٩٣٢، ص. ٢٣٤). ففي الحديث دلالة على وجوب الإتقان وأهميته؛ حيث أن هذا الموضع - تسوية اللحد - الذي لا يضر الميت فيه سقط عيه التراب أم لا، ولكنه كمال الهدي النبوي فجاء توجيهه -صلى الله عليه وسلم - بالإتقان، وفي هذا تنبيه لضمير المسلم، ليكون دافعاً قوياً له إلى إحسان العمل وإتقانه في كل ما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة (الشبول، ٢٠١٣، ص. ٢٤).

ويتضح مما تقدم اهتمام الإسلام بالإتقان، فقد جاءت أوامره واضحة بينة في الدعوة إلى إتقان الأعمال، وتقديمها بصورة متميزة، ومخلصة لله تعالى. فتسعى التربية الإسلامية إلى تحقيق الإتقان للوصول إلى قناعة ممارسة العمل المتقن في كل مجالات الحياة، وربطه بالأمانة والإخلاص.

والمتأمل في مصادر الدين الإسلامي يجد أنه قائم على الانضباط، وأنه يحث عليه في كل شيء، ومن ذلك الالتزام بأداء الصلاة في وقتها، فقد ورد في صحيح البخاري أن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصَّلاةُ علَى وقْتِها) قال: ثم أي؟ قال: (ثُمَّ برُّ الوالِدَيْنِ) قال: ثم أي؟ قال: (الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ) قال: حدَّثَني بهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزادَنِي (البخاري، ١٩٩٣، ح.٥٠٤، ص. ١٩٧)، فالالتزام بأداء الصلاة على وقتها من أعظم مظاهر الانضباط التي حث عليها ديننا الحنيف، فالصلاة عماد الدين و"أحب الأعمال إلى الله تعالى المرضية لديه الصلاة في أول وقتها، وذلك بأن يحافظ المسلم على أدائها بعد سماعه الأذان، وذكر الأفضلية هنا للحض والحث على الإسراع إلى الصلاة، وعدم التكاسل والتأخير في أدائها" (الدرر السنية، ١٤٤٣ب، فقرة ٢)، فمعرفة المسلم أن أحب الأعمال إلى الله أداء الصلاة على وقتها يشجعه على مجاهدة نفسه على الالتزام بأدائها على وقتها، وبهذا يعود نفسه ويدربها على الانضباط في بقية أمور دنيه ودنياه. وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: (الصلاةُ على ميقاتِها). قلت: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: (أن يَسْلَمَ النَّاسُ من لسانِك) (الألباني، ٢٠٠٠ب، ج.٣، ح.٢٨٥٢، ص. ٨٣). ففي الحديث خص النبي - صلى الله عليه وسلم - النهي عن إيذاء الناس باللسان. فعفة اللسان وكف أذاه يعد نوعاً من الانضباط، ومن باب أولى كف ما كان أذاه أعظم وأكبر، ليتحقق الانضباط بين أفراد المجتمع.

وقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟) قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: (إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ وصِيامٍ وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا. فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ وهذا مِن حَسَناتِهِ. فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ، قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه، أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه. ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ) (مسلم، ١٩٩١، ح. ٢٥٨١، ص. ١٩٩٧)، ولعل هذا يبين عاقبة إهمال ضبط النفس في التعامل مع الآخرين.

ومما يدل على حث الإسلام على الانضباط في جميع نواحي الحياة، وجوب متابعة المأموم للإمام، بأن يأتي بالفعل في الصلاة مباشرة بعد فراغ الإمام من فعله، فلا يسبقه، ولا يوافقه، ولا يتأخر عنه، فقد ورد في صحيح البخاري

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صلى جالسا، فصلوا جلوسا أجمعين، أقيموا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حسن الصلاة) (البخاري، ١٩٩٣، ح.٦٨٩، ص. ٢٥٣). "ومن الدقة يخبرك الفقهاء بالأحوال الأربعة: المسابقة حرام، والموافقة مكروهة، والمخالفة أن يتأخر عنه كثيراً ممنوعة، والمتابعة المطلوبة، إذا انتهى من "راء": الله أكبر، تتحرك" (المنجد، ١٤٣٧، فقرة ١٠).

وكذلك في الحج ومواقيته ومناسكه تدريب عملي على الانضباط، كما أن الصيام نوع من ضبط النفس والتحكم في الشهوات، وتحديد وقت الإمساك والإفطار بطلوع الفجر وغروب الشمس، نوع آخر من الانضباط. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ). "الزور": الكذب والميل عن الحق والعمل بالباطل والتهمة. "العمل به": العمل بمقتضاه مما نهى الله عنه. "فليس لله حاجة": أي إن الله تعالى لا يلتفت إلى صيامه ولا يقبله. (البخاري، ١٩٩٣، ح. ١٨٠٤، ص. ٦٧٣). فليس المقصود من الصيام الامتناع عن الطعام والشراب فقط، بل من حكمه ومقاصده ضبط النفس، وتهذيبها، وإصلاحها.

فغاية العبادات في الإسلام تربية النفس وتهذيبها وضبط سلوكها وتقويمه، ومعالجة انحرافاته، وتوثيق الصلة برب الأرض والسماوات. فقد أمر الله عز وجل بتزكية النفس، فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]، قبل أن يأتي يوم لا ينتفع الصائم بصومه، ولا المصلي بصلاته، ولا المزكي بزكاته (العماري، ٢٠١٤، فقرة ٢).

ومما يوضح اهتمام ديننا الإسلامي ودعوته إلى الانضباط في جميع شؤون الحياة، أمر البيعية وعدم الخروج على الإمام، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فقد قرن الله سبحانه طاعة ولي الأمر بطاعته وطاعة رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - فلابد من ترسيخ هذا الأمر في النفوس، وبيان خطورة من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة الجاهلية، ففي لزوم ولاة الأمر يحصل النظام والانضباط، ويعم الأمن والأمان، وبذلك تحفظ الضرورات الخمس التي نادى الإسلام بها وأمر بحفظها (بخاري، ٢٠١٧، ص.٢٧).

كما أن تحديد الإسلام للآداب في مختلف جوانب الحياة الإنسانية، أساس الانضباط الذي يحتذى به وينطلق منه، كآداب الاستئذان، وآداب التعامل مع الكبير والصغير من المسلمين وغيرهم، وآداب الطعام والشراب وغيرها من الآداب التي شملت كل صغيرة وكبيرة في حياة المسلم، "إذاً فالدين الإسلامي الحنيف يحثنا على الانضباط مظهراً وجوهراً" (بدر، ٢٠١٢، ص. ٥٣).

فالتربية الإسلامية التي تستقي منهجها من مصادر الإسلام تربي المسلم على الانضباط في كل ظروفه وأحوال حياته وعلاقاته وسائر معاملاته. "فالدين الإسلامي الحنيف، هو دين انضباط في المقام الأول، والجنة هي جزاء المنضبطين، وجميع العبادات تشترط انضباط العابد وتنمي فيه هذا السلوك" (مهداد، ٢٠١٦، ص. ٧٨).

واستناداً إلى ما تم ذكره يمكن القول بأن الدين الإسلامي دين الإتقان والانضباط، فالله - جل جلاله - يحب أن يكون الإتقان منهج حياة المسلم، يخلص فيه النية لله ويبذل الجهد اللازم في العمل الدنيوي والأخروي؛ لإخراجه بصورة محكمة يعم بها الخير والنفع والأجر. وأن الدين الإسلامي يحث المسلمين على الانضباط مظهراً وجوهراً، ويربيهم عليه، ليبعدهم عن الفوضى والعشوائية، وآثارها السلبية على حياتهم، وإنتاجهم، وتقدمهم.

ثالثاً- قيم العدالة والشفافية

تأسست المملكة العربية السعودية على أساس متين، بتحكيم شرائع الدين، وقد اهتمت رؤية السعودية ٢٠٣٠ على تعزيز القيم الإسلامية بشكل عام، وقيم العادلة والشفافية بشكل خاص، فقد وردت فيها بصورة صريحة وضمنية؛ حيث تكرر ذكر العديد من القيم التي تدخل في معانيها ومنها: المساواة، والعدل، والصدق، والأمانة، والإخلاص، والثقة بالآخرين، والصراحة، والمسؤولية، والالتزام بالقوانين، والنزاهة، والأمان (الأسدي، ٢٠١٩، ص. ٩٣).

مفهوم العدالة والشفافية

معنى العدالة لغةً: جاء في معجم مقاييس اللغة أنه من "(عَدَلَ) الْعَيْنُ وَالدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، لَكِنَّهُمَا مُتَقَابِلَانِ كَالْمُتَضَادَّيْنِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِوَاءٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى اعْوِجَاجٍ" (ابن فارس، ١٩٧٩، ج.٤، ص. ٢٤٦). ويرجع لفظ العدل في هذا البحث إلى المعنى الأول.

وجاء في معجم التعريفات أن " العدالة: في اللغة: الاستقامة. والعدل، مصدر بمعنى: العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق" (الجرجاني، ٢٠٠٤، ص. ١٤٢).

معنى العدالة اصطلاحاً: اتفقت المعاني الاصطلاحية في مضمونها مع الأصل اللغوي الأول الذي يدل على الاستواء ضد الاعوجاج، حيث عرفت بأنها: "الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا" (الجرجاني، ٢٠٠٤، ص. ١٤٢). وأنها: "وضع الشيء في موضعه، وأداء الحقوق كاملة" (السعدي، ٢٠٠٥، ص. ٣٤).

وذكر مرسي (٢٠١٣) بأن العدل: إعطاء كل ذي حق حقه، والإنصاف والاستقامة نحو الحق وصاحبه، دون تفريق بين صغير وكبير، ولا بين قوي وضعيف، ولا بين مسلم وغير مسلم، ولا بين غني وفقير، فالعدل الحق: مراعاة حقوق الآخرين، وعدم تجاوزها، ووقوف المرء مع الحق ولو على نفسه، أو على قريب أو صديق له (ص. ٣١٠).

معنى الشفافية لغة: ورد في معجم مقاييس اللغة أنها من "(شَفَّ) الشِّينُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى رِقَّةٍ وَقِلَّةٍ، لَا يَشِذُّ مِنْهُ شَيْءٌ عَنْ هَذَا الْبَابِ. مِنْ ذَلِكَ الشَّفُّ: السِّتْرُ الرَّقِيقُ. سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُسْتَشَفُّ مَا وَرَاءَهُ. وَمِنْ ذَلِكَ الشَّفُّ الزِّيَادَةُ ; يُقَالُ لِهَذَا عَلَى هَذَا شَفٌّ، أَيْ فَضْلٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّ تِلْكَ الزِّيَادَةَ لَا تَكَادُ تَكْثُرُ. وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: الشَّفُّ: النُّقْصَانُ أَيْضًا مُحْتَمَلٌ، كَأَنَّهُ يَنْقُصُ الشَّيْءَ؛ حَتَّى يُصَيِّرَهُ شُفَافَةً" (ابن فارس، ١٩٧٩، ج.٣، ص. ١٦٩).

وبناء على ما سبق يمكن القول إن كلمة شَفَّ تضبط في اللغة على معنيين:

١- الرقة والوضوح، ضد الخفاء التغطية والستر، ويرجع استعمال لفظة الشفافية في هذا البحث إلى هذا المعنى.

٢- الزيادة والنقصان، ويشهد لها قوله - صلى الله عليه وسلم -: (لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ؛ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ. وَلَا تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ...) "ولا تشفوا بعضها على بعض: أي لا تفضلوا. والشف، الزيادة. ويطلق أيضا على النقصان، فهو من الأضداد" (مسلم، ١٩٩١، ح. ١٥٨٤، ص. ١٢٠٨).

معنى الشفافية اصطلاحاً: تنوعت التعريفات الاصطلاحية للشفافية بتنوع المجالات العلمية التي تناولتها، ومن التعاريف العامة للشفافية، أنها "رقّة في التعامل بوضوح الإجراءات وتبسيطها، وتجلية مقاصد الأنظمة والقرارات وتسبيبها" (الشيخ، ٢٠١٨، ص. ٢٢).

وعرفت بأنها: نظام قائم على الإفصاح والوضوح التام، وتقاسم المعلومات، والتّصرف بطريقة مكشوفة، فهي بذلك تضع سلسلة من المعلومات في متناول الجميع (المخلافي، ٢٠١٣، ص ص. ٦٦ - ٦٨).

كما ورد توضيح الشفافية في وثيقة رؤية المملكة ٢٠٣٠ (٢٠١٦) بأنها: "تفعيل معايير عالية من المحاسبة والمساءلة، عبر إعلان أهدافنا، وخططنا، ومؤشرات قياس أدائنا، ومدى نجاحنا في تنفيذها للجميع" (ص. ٦٠).

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن الشفافية هي الوضوح في تحديد الأهداف والمسؤوليات، والإخلاص في أداء الوظائف والمهام، والعدل والمصداقية في التقييم والمساءلة، والأمانة في التعامل مع الآخرين، والبعد عن مواقف الريبة، والصراحة عند الوقوف على شبه الفساد بجميع أنواعه، بالإفصاح عنها للجهات المسؤولة؛ لتحقيق المصلحة العامة.

قيم العدالة والشفافية في التربية الإسلامية

يعمل الدين الإسلامي على تربية المسلمين، بإرساء قيم العدالة والشفافية بين الناس، في جميع شؤون حياتهم، صغيرها وكبيرها، بالأوامر الصريحة المطلقة، وبمعانيها الضمنية، في كتاب الله وسنه رسوله - صلى الله عليه وسلم -، فقد أمر الله عباده بالعدل فقال - عز وجل -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل: ٩٠]، جاء في تفسير ابن كثير "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَأْمُرُ عِبَادَهُ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ الْقِسْطُ وَالْمُوَازَنَةُ، وَيَنْدِبُ إِلَى الْإِحْسَانِ" (ابن كثير، ١٩٩٩، ج.٤، ص. ٥٩٥). "والعدل هو: ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك، أداء الحقوق كاملة موفرة، بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية، في حقه، وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، ومن العدل في المعاملات، أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقاً، ولا تغشهم، ولا تخدعهم وتظلمهم" (السعدي، ١٩٩٧، ص. ٧٢٥).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ﴾ [الأعراف: ٢٩]، الذي هو العدل. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥]، أي: بالعدل ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ إذ بشهادتكم ينتقل الحق من شخص إلى آخر حيث أقامكم الله ربكم شهداء له في الأرض تؤدى بواسطتكم الحقوق إلى أهلها، فأقيموا الشهادة لله ولو شهادتكم على أنفسكم أو والديكم أو أقرب الناس إليكم وسواء كان المشهود عليه غنياً أو فقيراً فلا يحملنكم غنى الغنى ولا فقر الفقير على تحريف الشهادة أو كتمانها، واعلموا أنكم إن تلووا ألسنتكم بالشهادة تحريفاً لها وخروجاً بها عن أداء ما يترتب عليها أو تعرضوا عنها فتتركوها أو تتركوا بعض كلماتها فيفسد معناها ويبطل مفعولها فإن الله بعملكم ذلك وبغيره خبير وسوف يجزيكم به (الجزائري، ١٩٩٧، مج.١، ص. ٥٥٥). وهذا ما يعنيه العدل من جانب، والشفافية من جانب، فالإفصاح في موضعه، بصراحة ووضوح، بعيداً عن المحاباة، أو الاهتمام بالمصلحة الشخصية على المصلحة العامة، من عناصر الشفافية (الشيخ، ٢٠١٨، ص. ٣٣).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، جاء في تفسير السعدي " ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ قولاً تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب ﴿فَاعْدِلُوا﴾ في قولكم، بمراعاة الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون، والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام فيه أو في مقالته من الظلم المحرم" (السعدي، ١٩٩٧، ص. ٤٣٠). وهذا مما يدل على حدث الإسلام على العدالة والشفافية في جميع الأحوال والمعاملات، فقد "جاء القرآن بجوهر الشفافية وغايتها؛ فما تنادت بها المجتمعات والمنظمات من محاربة للفساد، نجد أن القرآن قد استفاض في هذا الميدان، فجلى صور الفساد عبر القرون، وحذر من مقارفته واتّباع سبيل الفساد، في صورة واضحة تحمل روح الشفافية ومصداقية الإسلام" (الشيخ، ٢٠١٨، ص. ٤٤).

والمتأمل في السنة النبوية الشريفة يجدها شاملة لكل جوانب الحياة، وحافلة بمعاني العدالة والشفافية والوضوح في مختلف المجالات كالمجال السياسي، والإداري، والاقتصادي، والفكري الثقافي. فقد تجلت شفافية السنة النبوية في

ترسيخها للأصول السياسية، ومنها: مبدأ الشورى، والطاعة المقيدة، ومناصحة الحاكم (الشيخ، ٢٠١٨، ص ص. ٥٠ - ٥٢). ومن ذلك ضرورة أن يكون للأمة ولي يدير شؤونها ويرعى مصالحها، وهي ضرورة لتحقيق الشفافية؛ لأن من واجبات الحاكم الرقابة والإشراف والمحاسبة للعمال والولاة بدون تمييز ولا محاباة لأحد على حساب الآخر (السيبية، ٢٠١٠، ص. ٤٥)، فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: دخلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - أنا ورجلان من قومي، فقال أحد الرجلين: أمرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقال: (إِنَّا لَا نولِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ، وَلَا مَنْ حرص عليه) (البخاري، ٢٩٩٣، ح.٦٧٣٠، ص. ٢٦١٤).

ولم يستخدم الإسلام لفظ السلطة؛ حتى لا ينصرف المعنى إلى التسلط أو التحكم، بل استخدم لفظ الولي والراعي كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وما رواه ابن عمر - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ. وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...) (مسلم، ١٩٩١، ح. ١٨٢٩، ص. ١٤٥٩)، وكل ذلك يدل على معنى الحفظ والقرب والمحبة (الشيخ، ٢٠١٨، ص. ٥١).

وذكر دحمان (٢٠٢١) أنه قد "ورد عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أحاديث عديدة تبين شفافيته" (فقرة ٦)، فعندما "دخلَ حائطاً لرجل مِنَ الأنْصارِ، فإذا جَملٌ، فلمَّا رأى النبيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَنَّ وذَرَفَتْ عيناهُ، فأتاهُ النبي - صلى الله عليه وسلم - فَمَسح ذِفْراه فسكَتَ، فقال: (مَنْ رَبُّ هذا الجملِ؟ لِمَنْ هذا الجملُ؟). فجاء فتى مِن الأنْصارِ، فقال: لي يا رسولَ الله! فقال: (أفلا تَتَّقي الله في هذه البَهيمَةِ التي مَلَّكَكَ الله إيَّاها! فإنَّه شكا إليَّ أنَّك تُجيعُه وتُدْئبه) (الألباني، ١٩٩٨، مج.٢، ح.٢٥٤٩، ص. ١١٠).

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن ديننا الإسلامي يدعو إلى تطبيق معاني العدالة والشفافية في جميع شؤون الحياة الإنسانية، فقد سبق الإسلام جميع الثقافات في تطبيقه وتأكيده للعدالة، والقسط، والدقة، والشفافية، والنزاهة، والوضوح، والبيان، وبتقريره للحقوق والواجبات، ونظيمه للحريات، وحثه على تنزيه النفس وصونها عن مواطن الريبة والشبهة.

الإجابة عن السؤال الثاني والذي نص على: " ما الآثار التربوية للقيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠؟"

أولاً- الآثار التربوية لقيم الوسطية والتسامح على الفرد والمجتمع

من الآثار التربوية لقيم الوسطية والتسامح على الفرد: أنها دليل كمال العقل وتمام الرّشد، تأسّياً بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم وصحابته الكرام في تطبيقها (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٤، ص. ١٣٦٦). كما أنها تؤدي إلى القيام بأوامر الله تعالى كاملة والمداومة عليها، والقدرة على الاستمرار في الخير وعدم الانقطاع (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٤، ص. ١٤١٩)؛ لانعدام المشقة والحرج. وتؤدي إلى قلة الخطأ وكثرة الصواب في تقدير أمور الدين والدنيا، وتشعر الفرد بالاستقرار النفسي والعاطفي، والهدوء الوجداني الذي يبعث على الرضا والتسامح، كما أنها تشعره بحلاوة الإيمان (الحضيف، ٢٠١٩، ص. ٣٦). وتسلمه من الزّيادة والنّقصان (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٤، ص. ١٣٦٦)، وتنجيه من الوقوع في الانحراف أو البدع؛ فالوسطية تدعو إلى العقيدة السليمة الصحيحة، البعيدة عن الإفراط والتفريط، كما تنجيه من اليأس والقنوط؛ لأن دين الإسلام وسط بين الرجاء والخوف (الحضيف، ٢٠١٩، ص. ٣٦). كما أن السماحة تجلب الخير الدّنيويّ والتّيسير في الأمور كلّها، وبها يغنم الفرد أكبر قدر من السّعادة وهناءة العيش، فالإنسان السّهل السّمح محبوب لدى أهله ومجتمعه (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٦، ص. ٢٣٠٠)

ومن الآثار التربوية لقيم الوسطية والتسامح على المجتمع: "سلامة الدين والنفوس والأعراض والأموال، وحفظ الحقوق وأداؤها والتزام الواجبات، من غير تشدد، ولا تضييق على النفس أو الغير" (الحضيف، ٢٠١٩، ص. ٣٦). وتؤدي إلى تقوية رابطة التأخي بين أفراده وجعلهم متحابين متحدين (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٦، ص. ٢٥٣٥)، فتسهم في زوال الأحقاد، وانتشار المحبة، وتنامي المودة والثقة، وإحسان التعامل، والتعاون بينهم (الحضيف، ٢٠١٩، ص. ٣٦). كما تؤدي إلى الامتثال الطوعي الجماعي لشعائر الإسلام من غير إكراه ولا خوف، ولا غلو ولا تفريط؛ بسبب وجود الفهم الوسطي الصحيح للدين الإسلامي (الحضيف، ٢٠١٩، ص. ٣٦). كما أن السّماحة في التّعامل مع أصحاب الدّيانات الأخرى تجلب لهم الطّمأنينة والأمن فيؤدّي ذلك إلى أمن المجتمع، وإلى حبّهم للمتسامحين معهم ومعاونتهم وقد يكون سبباً لدخولهم في هذا الدّين الّذي يقرّ مبدأ التّسامح مع الآخرين (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٦، ص. ٢٣٠٠). وأبرز آثار الوسطية والتسامح على المجتمع، إبراز الإسلام في أحسن صورة والحرص على تحبيبه للغير، بأن تنعكس تعاليم الدين الوسطية السمحة على المجتمع (الحضيف، ٢٠١٩، ص. ٣٦)، إضافة إلى "التعايش بين الأديان السماوية من خلال إرساء الثقة والاحترام المتبادل" (الغامدي، ٢٠١٤، ص.٢٢).

وبذلك تتأكد ضرورة الاهتمام بتعزيز قيم الوسطية والتسامح لدى الأفراد في جميع القطاعات وهم بدوره سيسهمون في نشرها بين أهليهم وأصدقائهم ومجتمعاتهم، وصولاً إلى مجتمع وسطي متسامح، يعم فيه الأمن والاستقرار، والنمو والازدهار، الأمر الذي سيعكس ثقافته لبقية المجتمعات في العالم أجمع.

ثانياً- الأثار التربوية لقيم الإتقان والانضباط على الفرد والمجتمع

من الآثار التربوية لقيم الإتقان والانضباط على الفرد: نيل رضا الله والفوز بمعيته ومحبته، والشعور بالرضا عن النفس والثقة بها، بالإضافة إلى كسب ثقة الآخرين، واحترامهم، وتقديرهم، واعتزازهم به؛ لأن الناس يرتاحون لمن يتقن عمله ويثقون به (الشبول، ٢٠١٣، ص ص. ٧٢-٧٣). كما أنها تؤدي إلى تحقيق المكاسب الدنيوية فضلاً عن الأخروية، وفيها دليل على الالتزام بأحكام الشرع (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٨، ص. ٣٥١٤)، فالإتقان نابع من الإحسان الذي "يقتضي من المسلم إتقان العمل المنوط به، إتقان من يعلم علم اليقين أن الله - عز وجل - ناظر إليه مطلع على عمله"(ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٧، ص. ٧٠). فديننا الإسلامي لا يجعل إتقان العمل أمراً دنيوياً يبتغي الفرد منه منفعة عاجلة فحسب، بل يجعله أيضاً أمراً تعبدياً يتقرب به إلى الله تعالى (بدر، ٢٠١٢، ص. ٤٨). كما أن الانضباط يؤدي إلى إتقان العمل، والاستغلال الأمثل للوقت والجهد في أداء الأعمال، فالإنسان المنضبط المتقن يحسن استخدام طاقاته، وتحميه من الفوضى، والإحباط، والتشتت (بدر، ٢٠١٢، ص. ٦٨)، فبدونها لا يمكن للمرء أن يحقق أي نجاح يذكر في حياته (بدر، ٢٠١٢، ص. ٤٦). كما أن الانضباط بالعبادات يزكي النفس ويبعدها عن مساوى الأخلاق (بخاري، ٢٠١٧، ص.٤٦).

ومن الآثار التربوية لقيم الإتقان والانضباط على المجتمع: ما يجنيه من رقي، وتقدم وتطور، ونهضة في جميع المجالات، إلى جانب الرفعة والعزة لأفراده وطنياً وعالمياً، وتقوية الروابط الاجتماعية (الشبول، ٢٠١٣، ص ص. ٧٤ – ٧٥). فتقي المجتمع من الاختلاف والتفرق وتؤدي إلى ألفة أفراده (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٨، ص. ٣٥١٤)، وتحقق لهم الرفاهية والسعادة، وتعينهم على تحقيق برامج التنمية ومواكبة تطورات العصر السريعة. كما أنها تؤدي إلى توفير الكثير من الجهد والتكاليف المبذولة في ممارسة الرقابة، والنجاة من إهدار الموارد، وضعف الإنتاجية، وزيادة التكلفة (بدر، ٢٠١٢، ص. ٦٨). كما أن الانضباط بكافة جوانبه يحقق حفظ الضرورات الخمس وهي: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال (بخاري، ٢٠١٧، ص.٤٧).

وبناء على ما تقدم تتأكد ضرورة الاهتمام بتعزيز قيم الإتقان والانضباط لدى الأفراد في جميع القطاعات وهم بدورهم سيسهمون في تطبيقها على المستوى الشخصي، ومن ثم نشرها على المستوى الاجتماعي بين أهليهم وأقرانهم، وصولاً إلى مجتمع يتميز بالإتقان والانضباط، وينعم بثمارهما. ويشهد له بهذا التميز عالمياً، ويلتفت إلى حقيقة الدين الإسلامي، وما يحث عليه من الخير العظيم لبني البشر، بل وللكون أجمع.

ثالثاً- الآثار التربوية لقيم العدالة والشفافية على الفرد والمجتمع

من الآثار التربوية لقيم العدالة والشفافية على الفرد: الفوز برضا الله ومحبته، والأمن في الدنيا والآخرة، بالإضافة إلى "علو الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل واجتناب الرذائل" (المناوي، ١٩٩٠، ص. ٦٥). كما أنها تعزز الرقابة الذاتية للفرد (الشيخ، ٢٠١٨، ص. ١٦٤)، وبها تعود الحقوق إلى أصحابها، ويشعر الإنسان بالطمأنينة والأمان في حاضره ومستقبله، كما أنها دليل تجرد الفرد من الخبث والأنانية، والسلامة من مُمَالأَةِ الفساد والباطل، فتؤدي إلى محبة الناس وكسب ثقتهم (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٣، ص. ٥٩٦). والتحلي بها في جميع العلاقات والتعاملات ينتج عنه السلامة من مواضع الشك والريبة والتهم (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٨، ص. ٣٤٨٤).

ومن الآثار التربوية لقيم العدالة والشفافية على المجتمع: حصول كمال الأمن، والاستقرار، والطّمأنينة؛ لما يشعر به كلّ أفراده من أنّهم متساوون، وأنهم سيحصلون على حقّهم في كل شي، كما أنها تقضي على الحقد والكراهية والغرور، وتشيع المحبة والاحترام بين أفراده، لعمومها في الإسلام مع المسلمين وغيرهم (ابن حميد وآخرون، ٢٠٠٠، مج.٧، ص. ٢٨١٨). كما أنها تعين على محاربة الفساد في جميع المجالات، فتحفظ موارده وثرواته من فساد المفسدين، وتؤدي إلى تحقيق التطور والتقدم والتنمية والازدهار في جميع الميادين (حيمر، ٢٠١٧، ص. ٣١).

وبناء على ما سبق تتأكد ضرورة الاهتمام بتعزيز قيم العدالة والشفافية لدى الشباب لكونهم يمثلون الجزء الأكبر من المجتمع، فامتثالهم للعدالة والشفافية في تعاملاتهم الشخصية؛ سيؤدي إلى امتثالهم لها في تعاملاتهم الاجتماعية، والوظيفية؛ فينعموا بثمارها من زيادة الثقة بالنفس، والحصول على محبة الناس واحترامهم. كما ينعم المجتمع والوطن بثمارها من الأمن، والاستقرار، والتقدم، والتطور، والتحقيق الفعلي لبرامج التنمية. ويشهد العالم أثر ذلك كله؛ فتتبين له حقيقة الدين الإسلامي، وما يحث عليه من تحقيق العدالة بين المسلمين وغيرهم، والالتزام بالشفافية، والوضوح، والنزاهة في تعامل المسلم مع المسلم وغيره.

ملخص النتائج

توصل البحث إلى العديد من النتائج فيما يلي إيجازها:

١. تركيز رؤية السعودية ٢٠٣٠ على تعزيز قيم الوسطية والتسامح، والإتقان والانضباط، والعدالة والشفافية، منبعه ديننا الإسلامي وما حثنا عليه من التوسط، والتوازن في جميع أمور حياتنا، والتسامح والتساهل واللين في التعامل. والإتقان للأعمال الدنيوية والأخروية، والانضباط بالتزام الأوامر واجتناب النواهي، وضبط النفس في جميع الأحوال. والعدالة والقسط ببذل الحقوق كاملة مع المسلمين وغيرهم، والشفافية والوضوح بتنزيه النفس وصونها عن مواطن الريبة والشبهة. فتكمل هذه القيم بعضها بعضاً؛ حتى يتحقق بناء مجتمع حيوي، يعيش أفراده وفق المبادئ الإسلامية ومنهج الوسطية والتسامح، وقيم الإتقان والانضباط، والعدالة والشفافية (وثيقة رؤية ٢٠٣٠، ٢٠١٦، ص ص. ١٣ - ١٦)، للوصول إلى اقتصاد مزدهر، وتحقيق التنمية في شتّى المجالات.

٢. الوسطية والتسامح سمات ظاهرة في الدّين تتجلّى في عقائده، وعباداته، ومعاملاته وأخلاقه، وهي منهج حياة المسلم، فالوسطية خصيصة الأمة الإسلامية، وقد جاء الإسلام مؤكداً على وسطية العقيدة، والأحكام، والأخلاق، فلا يغالي فيهم وفي الوقت ذاته لا يفرط أو يتهاون للدرجة التي تفسد على المسلم ارتباطه بالله، بل يقوم على التوازن والاعتدال. والدين الإسلامي شريعة حنيفية سمحة، وقد خص الله الإسلام بمعاني التسامح واليسر والسهولة؛ لأنه أرادها رسالة لكل زمان ومكان. وأن من القيم التي تضمنها رؤية السعودية ٢٠٣٠ والتي تدخل في معاني الوسطية التسامح: الاعتدال، والتمسك بتعاليم الدين، والاحترام، والرحمة، والتعاون، وتقبل الآخر، وتقدير الوافدين، واحترام الآخر، والتطوع، وتقدير ذوي الاحتياجات الخاصة، ومساعدة المحتاج، ومعاونة الجار، والمرونة، والاهتمام بالصحة، والترويح عن النفس، والوحدة الوطنية، وترشيد استهلاك الموارد، الاهتمام بإعادة تدوير المخلفات.

٣. الدين الإسلامي دين الإتقان والانضباط، فالله - جل جلاله - يحب أن يكون الإتقان منهج حياة المسلم، يخلص فيه النية لله ويبذل الجهد اللازم في الأعمال الدنيوية والأخروية؛ لإخراجها بصورة محكمة يعم بها الخير والنفع والأجر. وأن الدين الإسلامي يحث المسلمين على الانضباط مظهراً وجوهراً، ويربيهم عليه، ليبعدهم عن الفوضى والعشوائية، وآثارها السلبية على حياتهم، وإنتاجهم، وتقدمهم. وأن من القيم التي تضمنها رؤية السعودية ٢٠٣٠ والتي تدخل في معاني الإتقان والانضباط: الإخلاص، والأمانة، المسؤولية، والعطاء، والتعاون، وطاعة ولي الأمر، والالتزام بالقوانين، والحفاظ على الممتلكات العامة، والمنافسة، والعزيمة، والفاعلية، المثابرة، الاهتمام بالصحة، والوقاية من الأمراض، العلم، والعمل، تنمية المهارات الشخصية، وترشيد استهلاك الموارد، والحفاظ على البيئة، والوقاية من وقوع الحوادث، والحد من التلوث، والاهتمام بإعادة تدوير المخلفات، والأمان.

٤. ديننا الإسلامي يدعو إلى تطبيق معاني العدالة والشفافية في جميع شؤون الحياة الإنسانية، فقد سبق الإسلام جميع الثقافات في تطبيقه وتأكيده للعدالة، والقسط، والدقة، والشفافية، والنزاهة، والوضوح، والبيان، وبتقريره للحقوق والواجبات، ونظيمه للحريات، وحثه على تنزيه النفس وصونها عن مواطن الريبة والشبهة. وأن من القيم التي تضمنها رؤية السعودية ٢٠٣٠ والتي تدخل في معاني العدالة والشفافية: المساواة، والعدل، والصدق، والأمانة، الإخلاص، والثقة بالآخرين، والصراحة، والمسؤولية، والالتزام بالقوانين، والنزاهة، والأمان.

٥. من الآثار التربوية لقيم الوسطية والتسامح على الفرد، أنها تؤدي إلى القيام بأوامر الله تعالى كاملة والمداومة عليها؛ لانعدام المشقة والحرج. وتشعر الفرد بالاستقرار النفسي والعاطفي، والهدوء الوجداني الذي يبعث على الرضا والتسامح. كما أنها تشعره بحلاوة الإيمان، وتسلمه من الزّيادة والنّقصان، وتنجيه من الانحراف أو البدع، وتحفظه من اليأس والقنوط، وبها يغنم الفرد أكبر قدر من السّعادة وهناءة العيش، فالإنسان السّهل السّمح محبوب لدى أهله ومجتمعه.

٦. من الآثار التربوية لقيم الوسطية والتسامح على المجتمع، أنها تؤدي إلى تقوية رابطة التأخي بين أفراده، وتنامي المودة والثقة، وزوال الأحقاد، وإحسان التعامل، والإتحاد. كما تؤدي إلى الامتثال الطوعي الجماعي لشعائر الإسلام من غير إكراه ولا خوف، ولا غلو ولا تفريط؛ لوجود الفهم الوسطي الصحيح للدين الإسلامي. وأبرز آثار الوسطية والتسامح على المجتمع، إبراز الإسلام في أحسن صورة والحرص على تحبيبه للغير، بأن تنعكس تعاليم الدين الوسطية السمحة على المجتمع، بالإضافة إلى التعايش بين الأديان السماوية من خلال إرساء الثقة والاحترام المتبادل.

٧. من الآثار التربوية لقيم الإتقان والانضباط على الفرد، الشعور بالرضا عن النفس والثقة بها، وكسب ثقة الآخرين، واحترامهم، وتقديرهم. فيها دليل على الالتزام بأحكام الشرع. فالإتقان نابع من الإحسان الذي يقتضي من المسلم إتقان العمل المنوط به، إتقان من يعلم علم اليقين أن الله - عز وجل - ناظر إليه مطلع على عمله. كما أن الانضباط يؤدي

إلى إتقان العمل، والاستغلال الأمثل للوقت والجهد في أداء الأعمال، فالإنسان المنضبط المتقن يحسن استخدام طاقاته، وتحميه من الفوضى، والإحباط، والتشتت، كما أن الانضباط بالعبادات يزكي النفس ويبعدها عن مساوى الأخلاق.

٨. من الآثار التربوية لقيم الإتقان والانضباط على المجتمع، ما يجنيه من رقي، وتقدم وتطور، ونهضة في جميع المجالات، إلى جانب الرفعة والعزة لأفراده وطنياً وعالمياً، كما أنها تؤدي إلى توفير الكثير من الجهد والتكاليف المبذولة في ممارسة الرقابة، والنجاة من إهدار الموارد، وضعف الإنتاجية. كما أنها تقي المجتمع من الاختلاف والتفرق، وتحقق الرفاهية والسعادة لأفراده، وتعينهم على تحقيق برامج التنمية ومواكبة تطورات العصر السريعة. بالإضافة إلى أن الانضباط بكافة جوانبه يؤدي إلى حفظ الضرورات الخمس وهي: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال.

٩. من الآثار التربوية لقيم العدالة والشفافية على الفرد: رضا الله ومحبته، والأمن في الدنيا والآخرة، وعلو الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل واجتناب الرذائل. كما أنها تعزز الرقابة الذاتية للفرد، وبهما تعود الحقوق إلى أصحابها، ويشعر الإنسان بالطمأنينة والأمان في حاضره ومستقبله. والتحلي بها في جميع العلاقات والتعاملات ينتج عنه السلامة من مواضع الشك والريبة. كما أنها دليل تجرد الفرد من الخبث والأنانية، والسلامة من مُمَالأَةِ الفساد والباطل، فتؤدي إلى محبة الناس وكسب ثقتهم.

١٠. من الآثار التربوية لقيم العدالة والشفافية على المجتمع: حصول كمال الأمن، والاستقرار، والطّمأنينة؛ لما يشعر به كلّ أفراده من أنّهم متساوون، وأنهم سيحصلون على حقّهم في كل شي. كما أنها تقضي على الحقد والكراهية والغرور، وتشيع المحبة والاحترام بين أفراده، لعمومها في الإسلام مع المسلمين وغيرهم. تعين على محاربة الفساد في جميع المجالات فتحفظ موارده وثرواته من فساد المفسدين، وتؤدي إلى التطور والتقدم والتنمية والازدهار في جميع الميادين.

التوصيات

في ضوء النتائج التي انتهى إليه البحث فإن الباحثة توصي بالآتي:

١- ضرورة اظهار القدوة الصالحة للنشء، والشباب، بأن يلتزم الوالدان، والأقارب، والمعلمون، وأساتذة الجامعات، وكل من له صلة بالتربية، بالقيم الإسلامية وخاصةً القيم التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠.

٢- تحديد أدوار العاملين في الميدان التعليمي التربوي (إدارة ومعلمين ومعلمات وأعضاء هيئة التدريس) في تعزيز القيم الإسلامية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى الطلاب والطالبات بجميع المراحل الدراسية.

٣- تدريب العاملين في الميدان التعليمي التربوي (إدارة ومعلمين ومعلمات وأعضاء هيئة التدريس) على طرق تعزيز القيم الإسلامية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى الطلاب والطالبات بجميع المراحل الدراسية.

٤- ينبغي على القادة والمدراء والموظفين في كافة القطاعات الالتزام بالقيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ حتى تتحقق آثارها العظيمة على المستوى الشخصي والوطني.

٥- تركيز وسائل الإعلام المختلفة على تعزيز القيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ بجميع الوسائل التي تتناسب مع المجال الإعلامي.

٦- عقد سلسلة من الندوات العلمية لتوعية الموظفين في جميع القطاعات بالقيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠، والتركيز على كل قيمة والحث المستمر على التحلي بها.

٧- توجيه وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد للخطباء بنشر وترسيخ القيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ من خلال خطبة الجمعة.
٨- توجيه صناع المحتوى في وسائل التواصل الاجتماعي بضرورة امتثالهم للقيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ أثناء تصويرهم لمحتواهم عبر تطبيقات ووسائل التواصل الاجتماعي.
٩- ضرورة اهتمام الباحثين في مجالات التربية والتعليم وعلم النفس والاجتماع ودراسات الطفولة والدراسات الإسلامية، بمواصلة البحوث العلمية في دراسة القيم الإسلامية من جميع الجوانب، كل في مجال تخصصه.

المقترحات

في ضوء نتائج وتوصيات البحث، تقترح الباحثة الموضوعات البحثية الآتية:

١- دور الإعلام في تعزيز القيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى المجتمع السعودي.
٢- دور الأسرة في تعزيز القيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى الأبناء.
٣- دور قادة المدارس في تعزيز القيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى المعلمين والإداريين والطلاب بالمملكة العربية السعودية.
٤- دور المشرفين التربويين في تعزيز القيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى المعلمين بالمملكة العربية السعودية.
٥- دور المعلمين بمراحل التعليم العام (ابتدائي – متوسط – ثانوي) في تعزيز القيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى الطلاب والطالبات بالمملكة العربية السعودية.
٦- مدى تضمن المناهج الدراسة بمراحل التعليم العام (ابتدائي – متوسط – ثانوي) للقيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠.
٧- دور أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية في تعزيز القيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى الطلاب والطالبات.
٨- دور الأنشطة الطلابية الجامعية في تعزيز القيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى طلاب وطالبات الجامعات السعودية.
٩- درجة ممارسة القيم الإسلامية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى طلاب وطالبات المرحلتين المتوسطة والثانوية بالمملكة العربية السعودية.
١٠- درجة ممارسة القيم الإسلامية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى طلاب وطالبات الجامعات السعودية.
١١- مدى وعي المجتمع السعودي بالقيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠.
١٢- دور القادة والمدراء في تعزيز القيم الإسلامية التي يرتكز عليها تحقيق التنمية في ضوء رؤية السعودية ٢٠٣٠ لدى الموظفين بالقطاعات الحكومية والخاصة بالمملكة العربية السعودية.

المراجع

- ابن حميد، صالح، وبن ملوح، عبد الرحمن، وأحمد، محمد، وأحمد، محمد إسماعيل، وعرفات، صلاح، وحامد، ناصر، والبركاوي، عبد الفتاح، وبهنسي، عبد الموجود، وإبراهيم، عزت، وربيع، أحمد، والهدهد، إبراهيم، وعفيفي، يس، والغندور، عبد الصبور، والبربري، عبد الفتاح، وحسب الله، محمد، والنوتي، زكريا، والظواهري، محمد، وطهطاوي، سيد، وصوابي، سعيد، ... وعساف، عبد الإله. (٢٠٠٠). *موسوعة نضرة النعيم* (ط.٢). دار الوسيلة للنشر والتوزيع.
- ابن فارس، أحمد. (١٩٧٩). *معجم مقاييس اللغة* (عبد السلام محمد هارون، محقق). دار الفكر.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). *تفسير القرآن العظيم* (سامي بن محمد، السلامة، محقق؛ ط.٢). دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (١٩٩٣). *لسان العرب* (ط.٣). دار صادر.
- أبو العينين، علي خليل. (٢٠٠٠). الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام. في صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملُّوح (إشراف عام)، *موسوعة نضرة النعيم* (ط.٢، ص ص. ٥١-١٨٣؛ مج.١). دار الوسيلة للنشر والتوزيع.
- الأسدي، ميادة غازي. (٢٠١٩). *دراسة تحليلية للقيم المتضمنة في كتاب المهارات الحياتية والتربية الأسرية للمرحلة الثانوية وفق رؤية ٢٠٣٠ في المملكة العربية السعودية* [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الملك عبد العزيز.
- الأكلبي، مفلح بن دخيل بن مفلح السعدي، ورحيم، سطوحي سعد. (٢٠١٧). فاعلية برنامج تدريبي مقترح لتعزيز القيم الإسلامية والهوية الوطنية لدى الطلاب والطالبات بجامعة بيشة في ضوء رؤية المملكة ٢٠٣٠. *مجلة التربية: جامعة الأزهر*، (١٧٤)، ٧٢٢ – ٧٧٩. http://search.mandumah.com/Record/1116029
- الألباني، محمد ناصر الدين. (١٩٨٨). *صحيح الجامع الصغير وزيادته* (ط.٣). المكتب الإسلامي.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (١٩٩٧). *صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري* (ط.٤). مكتبة الدليل.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (١٩٩٨). *صحيح سنن أبي داود*. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (٢٠٠٠أ). *صحيح سنن الترمذي*. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (٢٠٠٠ب). *صحيح الترغيب والترهيب*. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- أنور، عبير أنور. (٢٠١٥). مقدمة المترجم. في ميشيل إ. ماكلو وكينث آ. بارجمنت وكارل إ. ثورسين (محررون)، *التسامح: النظرية والبحث والممارسة* (ص ص. ٩-٢٠). المركز القومي للترجمة.
- الأهداف الاستراتيجية لرؤية المملكة ٢٠٣٠ أوصاف الأهداف والجهات ذات العلاقة والخصائص والمؤشرات. (٢٠١٦). https://1drv.ms/b/s!Alklu2VlkYoImF7HKxOhn6zlUej0
- باسلوم، مجدي محمد سرور. (٢٠٠٤). *الوسطية في الفكر الإسلامي*. دار الكتب العلمية.
- بخاري، عمار بن حسن. (٢٠١٧). *دور معلمي التربية الإسلامية في ترسيخ مبدأ الانضباط لدى طلاب المرحلة الثانوية بمكة المكرمة* [رسالة ماجستير، جامعة أم القرى]. منصة درر المعرفية. https://dorar.uqu.edu.sa/uquui/handle/20.500.12248/128691
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٩٩٣). *صحيح البخاري* (مصطفى ديب البغا، محقق؛ ط.٥). دار ابن كثير؛ دار اليمامة.
- بدر، رأفت إسماعيل إبراهيم. (٢٠١٢). *تصور مقترح لتفعيل معايير الانضباط وجودة الأداء لدى القوى العاملة في قطاع التعليم من منظور تربوي إسلامي* [أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى]. منصة درر المعرفية. https://dorar.uqu.edu.sa/uquui/handle/20.500.12248/125422?locale=ar
- البيهقي، أحمد بن الحسين. (٢٠٠٣). *الجامع لشعب الإيمان* (مختار أحمد الندوي، محقق؛ ج.٧). مكتبة الرشد.
- التركي، عبد الله عبد المحسن. (١٩٩٧). *الأمة الوسط والمنهاج النبوي في العوة إلى الله*. وزارة الشؤون الإسلامية.
- الجرجاني، علي بن محمد. (٢٠٠٤). *معجم التعريفات* (محمد صديق المنشاوي، محقق). دار الفضيلة للنشر.
- الجزائري، أبي بكر جابر. (١٩٩٧). *أيسر التفاسير لكلام العَلِيّ الكبير* (ط.٣). مكتبة العلوم والحكم.
- الحضيف، إيمان محمد. (٢٠١٩). *تصور مقترح لتعزيز التربية على القيم الإسلامية والهوية الوطنية لطلاب وطالبات الجامعات السعودية تحقيقاً لرؤية المملكة ٢٠٣٠ في ضوء مصادر التربية الإسلامية* [أطروحة دكتوراه غير منشورة]. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- حيمر، فتيحة. (٢٠١٧). الشفافية كآلية للحد من الفساد. *مجلة العلوم الاجتماعية*، (٢٤)، ٢٣ - ٣٧. حيمر-univ) pdf (setif2.dz)
- دحمان، عبد الحق. (٢٠٢١، أكتوبر ١٣). *المساءلة والشفافية من المنظور الإسلامي*. مركز المجد للبحوث والدراسات. https://almojaded.com/2021/10/13/10144/#_ftnref3
- الدرر السنية. (١٤٤٣أ). *الموسوعة الحديثية: شروح الأحاديث*. https://dorar.net/hadith/sharh/113993
- الدرر السنية. (١٤٤٣ب). *الموسوعة الحديثية: شروح الأحاديث*. https://dorar.net/hadith/sharh/2052
- رؤية السعودية ٢٠٣٠. (٢٠١٦). *في نبذة تعريفية - رؤية السعودية 2030*. https://www.vision2030.gov.sa/ar/v2030/overview/
- الزبيدي، سارة بنت عبد الله. (٢٠٢١). *القيم الإسلاميَّة في مؤلفات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (دراسة تحليلية)* [رسالة ماجستير، جامعة أم القرى]. منصة درر المعرفية. https://dorar.uqu.edu.sa/uquui/handle/20.500.12248/130760
- الزهراني، عبد الله محمد علي. (٢٠٠٠). *الوسطية في التربية الإسلامية دراسة تحليلية ناقدة* [أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى]. http://88.99.240.100/aleman/library/messages/03091.pdf
- الزهراني، ندى بنت عطية. (٢٠١٨). *القيم الإسلامية في الرسائل النجدية دراسة تحليلية* [أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى]. منصة درر المعرفية. https://dorar.uqu.edu.sa/uquui/handle/20.500.12248/129689
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (١٩٩٧). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. *دار الذخائر* مؤسسة الريان.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (٢٠٠٥). *الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة*. دار المنهاج.
- السفياني، نايلة بنت رزيق. (٢٠٢١). *القيم الخُلقية عند الشيخ ابن سِعدي / «دراسة تحليلية»* [رسالة ماجستير، جامعة أم القرى]. منصة درر المعرفية. https://dorar.uqu.edu.sa/uquui/handle/20.500.12248/131016
- السلمي، سلطان بن رجاء الله. (٢٠١٨). *القيم الخلقية في الفلسفات التربوية دراسة تحليلية من منظور إسلامي* [أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى]. منصة درر المعرفية. https://dorar.uqu.edu.sa/uquui/handle/20.500.12248/129619
- السيبية، فايزة زيد متعب. (٢٠١٠). *الشفافية وتطبيقاتها في ضوء السنة النبوية* [رسالة ماجستير، جامعة آل البيت]. قاعدة بيانات آسك زاد الرسائل الجامعية.
- الشبول، ربى هاشم محمد. (٢٠١٣). *مبدأ الإتقان في التربية الإسلامية* [أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك]. https://ia803000.us.archive.org/1/items/ktp2019-tra15031/ktp2019-tra15031.pdf
- الشهراني، سعد بن علي. (٢٠١٧). *قيمة العمل.. قيمة أخلاقية محورية: الأبحاث العلمية لكرسي الأمير نايف بن عبد العزيز للقيم الأخلاقية*. جامعة الملك عبد العزيز - مركز النشر العلمي.
- الشيخ، فواز عبد الله عبد الرحمن. (٢٠١٨). *مفهوم الشفافية في الفكر المُعاصر "دراسة تحليلية"* [رسالة ماجستير، جامعة أم القرى]. منصة درر المعرفية. https://dorar.uqu.edu.sa/uquui/handle/20.500.12248/129426?locale=ar
- الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠١). *تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (عبد الله بن عبد المحسن التركي، محقق). دار هجر.
- العساف، صالح بن محمد. (١٩٩٥). *المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية*. مكتبة العبيكان.
- علي، كوثر عبد الله أحمد. (٢٠١٩). التأصيل للجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية. *مجلة البحث العلمي في الآداب*، (٢)، ٣١ - ٥٥. http://search.mandumah.com/Record/1032351
- عمار، محمود إسماعيل. (١٩٩٩). *تعليم بلا عقاب: الثواب والعقاب في التربية*. دار عالم الكتب.
- العماري، حسان أحمد. (٢٠١٤، يوليو ١٩). *الصوم وتربية المسلم على الحلم وضبط النفس*. موقع طريق الإسلام. استرجع في يناير ٣، ٢٠٢٢، من http://iswy.co/e13551
- العُمَر، ناصر بن سليمان. (١٩٩٣). *الوسطية في ضوء القرآن الكريم*. دار الوطن للنشر.

- الغامدي، عبد الرحمن بن أحمد. (٢٠١٤). *حقيقة التسامح الديني في الفكر الغربي وموقف الإسلام منه* [رسالة ماجستير، جامعة أم القرى]. منصة درر المعرفية. https://dorar.uqu.edu.sa/uquui/handle/20.500.12248/126538
- الفهد، نوره فهد، والعيد، موضي عبد العزيز. (٢٠١٩). أثر تفعيل قيمة النظام والانضباط في تنمية الأخلاق والقيم ودورها في التربية على منسوبات المتوسطة الأولى لتحفيظ القرآن الكريم. *مجلة البحث العلمي في التربية*، (٢٠)، ٦٦٣ – ٦٧٧. http://search.mandumah.com/Record/1032231
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (٢٠٠٥). *القاموس المحيط* (ط.٨). مؤسسة الرسالة.
- القرشي، نايف بن مشعل. (٢٠١٨). *القيم الأخلاقية المتضمنة في مقرر الحديث والثقافة الإسلامية بالمرحلة الثانوية ودرجة التزام الطلاب بها من وجهة نظر معلمي التربية الإسلامية بمدينة مكة المكرمة* [رسالة ماجستير، جامعة أم القرى]. منصة درر المعرفية. https://dorar.uqu.edu.sa/uquui/handle/20.500.12248/129531
- مجتمع حيوي - رؤية السعودية ٢٠٣٠. (٢٠١٦). *في نبذة تعريفية - رؤية السعودية 2030*. https://vision2030.gov.sa/ar/themes/3
- مجمع اللغة العربية. (١٩٩٢). *المعجم الكبير*. مؤسسة روز اليوسف الجديدة.
- مجمع اللغة العربية. (٢٠٠٤). *المعجم الوسيط* (ط.٤). مكتبة الشروق الدولية.
- المحضار، رجاء بنت سيد علي بن صالح. (٢٠١٧). القيم الإسلامية وسبل تعزيزها: قيمة اتقان العمل أنموذجاً. *مجلة كلية التربية: جامعة أسيوط*، ٣٣ (٧)، ٢٣٩ - ٢٧٩. http://search.mandumah.com/Record/844074
- المخلافي، فؤاد عبد الغني. (٢٠١٣). *مبدأ الشفافية ومكافحة الفساد*. دار الزهراء للنشر والتوزيع.
- مرسي، محمد سعيد. (٢٠١٣). *موسوعة القيم من الألف إلى الياء: الجزء الثاني مع الآخرين*. دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع.
- المرصفي، سعد. (١٩٨٠). *العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة*. دار البحوث العلمية.
- مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني. (٢٠٢٠). *التسامح*. مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج. (١٩٩١). *صحيح مسلم* (محمد فؤاد عبد الباقي، محقق). دار إحياء الكتب العربية؛ دار الكتب العلمية؛ دار الحديث.
- المناوي، عبد الرؤوف. (١٩٩٠). *التوقيف على مهمات التعاريف* (عبد الحميد صالح حمدان، محقق). عالم الكتب.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف. (٢٠٠١). *فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير* (أحمد عبد السلام، مصحح؛ ج.٢). دار الكتب العلمية.
- المنجد، محمد صالح. (١٤٣٧، رجب٢٢). كيف تربينا الشريعة على الانضباط؟. *الموقع الرسمي للشيخ محمد بن صالح المنجد*. https://almunajjid.com/speeches/lessons/821

مهداد، الزبير. (٢٠١٦). الانضباط.. تربية. *الوعي الإسلامي: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية*، (٦١٦)، ٧٦ - ٧٩. http://search.mandumah.com/Record/795770

وثيقة رؤية ٢٠٣٠. (٢٠١٦). *في نبذة تعريفية - رؤية السعودية 2030*. https://www.vision2030.gov.sa/media/5ptbkbxn/saudi_vision2030_ar.pdf

وزارة التعليم. (٢٠١٦). *دور التعليم في تحقيق رؤية المملكة 2030*. https://1drv.ms/b/s!Alklu2VlkYoImS0EIRzc0rtWKKXX

الثقافة الإسلامية ومواجهتها للتحديات المعاصرة.. العولمـة أنموذجـاً

Islamic culture and contemporary challenges: globalization as a model

أ. وفاء علي إبراهيم هزازي- وزارة **التعليم** – **مكة المكرمة - المملكة العربية السعـوديـة**

Email: Wf-omalbraa@hotmail.com

ملخص

هدفت الدراسة إلى ترسيخ العقيدة الإسلامية السليمة في نفوس المسلمين وتزويدهم بكافة المعارف الإسلامية التي تحميه من التيارات الفكرية المعاصرة، وتقديم الحلول المناسبة لتحديات العولمة التي تعرضت لها الثقافة الإسلامية، استخدمت الباحثة المنهج التحليلي الوصفي، فالثقافة الإسلامية من الأساسيات الهامة في حياة المجتمع المسلم؛ كونها تنطلق من مصادر الأساسية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وقد توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج: تعرض الثقافة الإسلامية إلى غزو فكري خطير متمثل بالعولمة، الحذر من النظم والعقائد الغربية الدخيلة على حياة المسلمين. كما وأوصت الدراسة بضرورة تربية الأجيال الصاعدة على الثقافة الإسلامية السليمة ومواجهة العولمة وخطرها.

الكلمات المفتاحية: الثقافة الإسلامية، تحديات، العولمة.

Abstract

The study aimed at consolidating the sound Islamic faith in the hearts of Muslims, providing them with Islamic knowledge to protect them from contemporary intellectual currents, and providing appropriate solutions to the challenges of globalization that Islamic culture has been exposed to .

The researcher used the descriptive analytical method, as Islamic culture is one of the important foundations in the life of the Muslim community. It stems from the main sources of the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet .

The researcher found the following recommendations:

The Islamic culture is exposed to a dangerous intellectual invasion represented by globalization.

Warning of intrusive western ideas into the lives of Muslims .

Educating the younger generations on the Islamic culture, facing globalization and its dangers.

Keywords: Islamic culture, challenges, globalization.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم إن الإنسان هو صانع الثقافة و حاملها و ناقلها من جيل إلى جيل آخر بـذكر أن الثقافة تهتم بوجود الفرد في إطارها ليصبح ملزما بها في سلوكه، فـإن للثقافـة الإسلامية دور عظيم لدى الفرد والمجتمع المسلم وإرث المصطفى المختار عليـه أفضل الصلاة وأتم السلام في تبليغ وبيان النصح والإرشـاد والـدعوة والتقـويم وإحقاق الحق وهدم الباطل ومحاربة الكفر فالأنبياء لم يورثوا ديناراً ولادرهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر، فالثقافة الإسـلامية مـن الأساسـيات المهمة في حياة المسلم لأنها تنطلق من المصادر الأساسية وهي القرآن الكـريم والسنة المطهرة وتعتمد على جهود علماء المسلمين، فالثقافة الإسلامية لهـا دور عظيم في تحديد معالم الشخصية الإسلامية والتوثيق بـين الماضـي والحاضـر، فالماضي مجيد مشرق نهض به رجال آمنوا بالله ربا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا، حيث بذلوا الغالي والنفيس لتكون كلمه الله هي العليا، وهذه الحقبـة من تراثنا الماضي لابد أن تتمازج وتنصهر مـع الحاضـر لتتواصـل المسيرة القاصدة الله عـز وجـل . قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤) .

فقد شهدت الأمة اليوم تغيرات واسعة حيث ساهمت المعرفة المتفجرة بعولمتها إلى حد كبير في تغيير الأنماط الثقافية الإسلامية السائدة في كافة المجتمعات. وكان لتطور وسائل الإعلام والاتصال بين مجتمعات اليوم الأمر الهام في التغيرات الثقافية الحالية، وقد أثرت التغيرات التكنولوجية على أنماط التفكير، وأصبح الإنسان ولعاً بالنمط الثقافي الجديد. كما وانعكست هذه التغيرات على حياة الإنسان المسلم وسلوكه، وطغت المادة على معايير الروح والأخلاق، فعمَ الانحلال والفساد الثقافي والاجتماعي (علي، ٢٠٠٧، ص٧٢٣).

ومن خلال الاتصال الثقافي بين الشعوب تنتقل الثقافات والعادات والممارسات الثقافية، وفي حالة الألفة والتفاهم بين ثقافتين، فإن التقليد يقوم بينهما على أساس أن الأدنى يقلد الأعلى؛ مما ساعد على التأثر بنمط الثقافة الغربية والانبهار بمنجزاتها بالشعور بالعجز عن اللحوق بالنموذج الغربي أو حضارته أو القيام بأداءات تصل إلى مستواه. ونتيجة طبيعية لذلك التأثر ظهرت طائفة من أبناء المسلمين لا يفكرون إلا بعقول غربية، ولا يبصرون إلا بأعين غربية، ولا يسلكون إلا الطرق التي مهدها لهم الغرب، وقد ترسخ في نفوسهم أن الحق ما عند الغرب وما دونه باطلاً (علي، ٢٠٠٧، ص٧٢٣).

مشكلة الدراسة:

تتركز مشكلة البحث في أن الثقافة الإسلامية تواجه تحديات معاصرة جمة من بينها العولمة والتي أثرت بالشكل السلبي على الثقافة الإسلامية فأصبحت تنافسها في موطنها لدى المسلمين، حيث جاءت الدراسة لتعرض خطر العولمة وواقعها السيء على المجتمع الإسلامي الذي أصابه من تفكك أسري وانحلال أخلاقي.

وبناءً على ما سبق جاءت الدراسة الحالية للتعرف على الحقائق حول موضوع الثقافة الإسلامية ومواجهتها للتحديات المعاصرة العولمة أنموذجاً، لذلك يمكن صياغة مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات التالية:

١.ما مفهوم الثقافة الإسلامية وما أبرز خصائصها؟

٢.ما التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية في ظل العولمة؟

٣.ما طرق مواجهة تحديات الثقافة الإسلامية العولمة أنموذجاً؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. التعرف على مفهوم الثقافة الإسلامية مع بيان أبرز خصائصها.

٢. الكشف عن التحديات التي تواجه الأبناء المسلمين في ظل العولمة.

٣. بلورة الثقافة الإسلامية لتكون في مستوى مواجهة التحديات والعولمة المعاصرة.

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة الحالية أهميتها من خلال ما يلي:

١. أن العالم اليوم يشهد جملة من المتغيرات العالمية والإقليمية والمحلية، ظهر فيها توجه نحو العولمة بتجلياتها وانعكاساتها على جميع مناح الحياة وخاصة الآثار السلبية على الهوية الثقافية للأمة الإسلامية.

٢. إبراز جهود الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة وخاصة العولمة وتهيئة الشعوب الإسلامية والمسلمين لاستقبال العلوم الحديثة على أنها تصور إسلامي صحيح، مع ترك السلبيات الدخيلة والتمسك بإيجابيات الثقافة الإسلامية.

٣. قد تسهم هذه الدراسة في وضع أرضية علمية توعية مجتمعية؛ لنشر الثقافة والمعرفة للنشء الجديد على أسس الثقافة الإسلامية السليمة، من خلال قيام كل من التربويين والأخصائيون وأصحاب المؤسسات التربوية بمسئولياتهم تجاه الأبناء ومعرفة الثقافة الإسلامية، وعدم اعتمادهم على النظريات الغربية والثقافات المستوردة وعدم الخلط بينها.

٤. يأمل أن تسهم هذه الدراسة في إثراء المكتبة العربية بالدراسات المتعلقة بمجال الثقافة الإسلامية وتحديات العولمة.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره المنهج الأنسب لطبيعة الدراسة.

مصطلحات الدارسة:

١. الثقافة: تعرف الثقافة لغةً: مشتقة من المادة (ث ق ف) بمعنى صقل، وثقف الشيء أي سواه، وثقف ثقفاً وثقافة أي صار حاذقاً، فطنًاً (عيد، ٢٠١٤، ص١٤٧).

اصطلاحاً: هي كل ما في الإنسان من قيم وأفكار وسلوك وكل ما يحيط به من مدارك غير محسوسة تعينه على فهم واقعه والتفاعل معه (الوصيفي، ٢٠١٢، ص ٩)

٢. الثقافة الإسلامية: هي مجموعة المعارف والمعلومات النظرية، والخبرات العملية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية التي يكتسبها الإنسان ويحدد على ضوئها طريقة تفكيره ومنهج سلوكه في الحياة (مسلم والزغبي، ٢٠١٢، ص١٨).

٣. العولمة: لقد أخذ مفهوم العولمة عند الباحثين مناح متعددة وتعريفات عدة وهناك اتجاهين يعبران عن مفهوم العولمة:

الأول: يرى العولمة ظاهرة طبيعية، مرتبطة بموازين القوى، وقوة الاقتصاد والتقدم التكنولوجي والتقني، وأنها لا تتضمن توجيهات استعمارية، كما أنها نتاج عصور ساهمت فيها الكثير من المجتمعات.

الثاني: يرى أن العولمة استعمار جديد يقوم على الهيمنة الثقافية والاقتصادية وتذويب الثقافات المحلية للشعوب جميعها في ثقافة واحدة وإلغاء الفروق الدينية والقومية من أجل الهيمنة الكاملة (لمياء، ٢٠٠٣، ص٧٥-٧٦).

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات التي تناولت موضوع الثقافة الإسلامية ومواجهتها للتحديات المعاصرة العولمة أنموذجاً، والتي نستعرض بعضاً منها بالشكل التالي:

١.دراسة علي (٢٠٢٠). الثقافة الإسلامية ومواجهتها للتحديات المعاصرة (دراسة تحليلية وصفية):

هدفت الدراسة إلى ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس المسلمين وتذويد المسلم بالمعارف الإسلامية التي تحميه من التيارات الفكرية المعاصرة، وحل التحديات التي تعرض لها الثقافة الإسلامية واستخدمت فيها المنهج التحليلي والاستقرائي والوصفي، فالثقافة الإسلامية من الأساسيات المهمة في حياة المجتمع المسلم، وقد توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج والتوصيات واهمها: إتاحة الفرصة لأكبر عدد من الدعاة لتناول الأفكار والآراء لتوضيح التحديات التي من شأنها المساعدة في نشر الثقافة الإسلامية، كما واوصت الدراسة بضرورة تطوير المناهج التعليمية والتقنية الحديثة.

٢.دراسة عجينا (٢٠١٠). الثقافة الإسلامية وموقفها من العولمة:

هدفت الدراسة إلى بلورة الثقافة الإسلامية والعولمة المعاصرة والارتقاء بها من إثبات وجودها كمشروع حضاري متجدد سمته الوسطية والاعتدال ووضع خطة على أساس سليم لتواجه العالم الإسلامي، حيث تناولت الدراسة مفهوم الثقافة الإسلامية ومفهومها وخصائصها ومصادرها والحضارة الإسلامية والتحدي المعاصر وبعض قضايا في الثقافة الإسلامية، وتتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في تناولها مفهوم الثقافة الإسلامية والعولمة.

٣.دراسة القرني (٢٠٠٨). الثقافة الإسلامية بين التواصل الغزو والعلاقة بين العالم الغربي نموذجاً:

تناولت هذا الدراسة معيار الخاصية الثقافية، وقد جعل في الفصل الأول بها الثقافات الإسلامية وقد قصد بها الثقافات الإسلامية، ومن حيث كونها ذات خاصية تميزها عن غيرها من الثقافات تتضح هذه الخاصية في تعريف الثقافة الإسلامية ومصادرها وأهدافها وخصائصها، ومعيار العلاقة الثقافية بين المسلمين وغيرهم، كما وتناول فيها واقع العلاقة الثقافية بين المسلمين والغرب وموقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى ومعيار الدراسة تمثل في مبحثان هامان وهما: مفهوم الغزو الثقافي أهدافه ووسائله.

التعقيب على الدراسات السابقة:

يتضح من خلال الدراسات السابقة أن الغزو الفكري والثقافي والصراع الأيديولوجي من المشكلات الكبيرة التي تواجه أبناء الأمة في المجتمعات العربية والإسلامية في الوقت الحالي، وهذا ما اتضح من خلال دراسة (القرني، ٢٠٠٨) التي اتفقت مع دراستي من حيث مفهوم الثقافة الإسلامية ومصادرها وخصائصها والغزو الفكري المتمثل بالعولمة، بينما تختلف الدراسة مع دراستي من حيث ارتكازها على معيار العلاقة الثقافية بين المسلمين وغيرها ولكن دراستي تتمثل

بالعولمة بكافة أشكالها. كما واتفقت كل من دراسة على (٢٠٢٠)، ودراسة عجينا (٢٠١٠) مع دراستي في مفهوم الثقافة الإسلامية والعولمة .

وقد استفادت هذه الدراسة من الدراسات السابقة في تحديد الإطار النظري، ومشكلة الدراسة.

الثقافة الإسلامية ومفهومها وخصائصها:

أولاً: مفهوم الثقافة الإسلامية:

لغة: تعرف الثقافة في اللغة من الفعل ثقُف بضم القاف وكسرها وللفعل ثقف معان كثيرة في المعاجم العربية (الزمخشري، ١٩٩٢، ص٧٤)، ومنها الحذق والفطنة والذكاء وسرعة التعليم، وضبط المعرفة ومنها ما هو حسي مثل: تقويم المعوج، والتسوية والظفر بالشيء والحصول عليه (ابن منظور، ١٩٩٦، ص٢٠)، ثقف: ثقف الرجل ثقفاً وثقافة: أي صار حاذقاً فطناً (مرعشلي ومرعشلي، ١٩٧٥، ص١٢٢). والتهذيب والتأديب في قوله: ثقف المعلم الطالب أي هذبه وأدبه (على، ٢٠٢٠، ص٣). وتقف الرجل في الحرب أدركه، وظفر به، ففي القرآن الكريم: {واقتلوهم حيث تقتموهم} (البقرة: ١٩١). و{وإن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون} (الممتحنة: ٢). ويجيء الفعل أيضا من باب كرم؛ فيقال: ثقف الرجل: صار حاذقاً في علم أو صناعة. فكلمة ثقف في المعجم العربي تعني سرعة التعلم والحذق في الشيء (فروم وبركاني، ٢٠١٩، ص٩٤).

أما اصطلاحاً: فقد تعددت التعريفات الموضحة لمفهوم الثقافة الإسلامية والتي تتمثل في التالي:

يتضمن مفهوم الثقافة الإسلامية المعارف الشرعية والعلمية والفلسفية واللغوية، والأدبية، والفنية التي نشأت وتطورت في الأقطار الإسلامية، والتي من شأنها الانفتاح على الثقافات الأخرى والتفاعل معها أخذاً وعطاءً (الأمين، ٢٠٠٤، ص١٢).

هي جملة القيم الدينية والأخلاقية والنظم الاجتماعية والمعارف العلمية، والأشكال الفنية والعادات والأعراف التي قامت بها الحياة الفردية بالإنسان الاسم الثقافة أما عن الصفة الإسلامية يقول شكري الفيصل: أننا نريد من القيم والمعارف والنظم والفنون تلك التي جاء بها الإسلام فظهرته ودعا إليها المسلمون وقامت بها المجتمعات الإسلامية ومارستها الحياة الإسلامية في أي من أقطار الإسلام وشعوبه (على، ٢٠٢٠، ص٨).

تعريف (السيد وآخرون، ٢٠٠٤، ص ٣٧) وهو أن " الثقافة معرفة عملية مكتسبة، تنطوي على جانب معياري وتتجلى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود".

كما ويعرف (إعليمات وأبو الشيخ،٢٠١٣، ص١٢٧) الثقافة الإسلامية على أنها:" معرفة مقومات الدين الإسلامي بتفاعلاتها في الماضي والحاضر والمصادر التي استقيت منها هذه بصورة نقية مركزة، والوقوف على التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية بصورة مقنعة موجهة.

إضافة لذلك تعرف الثقافة الإسلامية على أنها مهارات نظرية وعملية، تتفق مع الإسلام يحذقها المسلمون، ويقومون بها، ويتهذبون على ضوئها، ويعرفون بها (الجهني،٢٠١٦، ص٢١٥).

لقد أدركت الدول المعاصرة أن ثقافتها هي هويتها وأهم عناصر شخصيتها، لذا حرصت على حماية ثقافتها بكل الوسائل التي توفر لها الأمن الثقافي والتصدير للغزو الثقافي، بل وأصبح الانتصار في أعمق معانيه وحقيقته انتصاراً ثقافياً وهدفاً

نهائياً، فإذا تمكنت ثقافة معينة من غزو ثقافة أخرى وإصابتها في ثوابتها الثقافية، فإن الثقافة المنهزمة تنهار، وبانهيارها تكون الكارثة وتضيع الأمة ليحل محلها أمة مغايرة. (على، ٢٠٠٧، ص٧٣٦).

وخلاصة لما سبق ذكره فإن الثقافة الإسلامية هي عبارة عن جملة من العقائد والتصورات والأحكام والتشريعات، والقيم والمبادئ، والعادات والأعراف، التي تشكل بدورها هوية الفرد والأمة وفقاً لضوابط الشريعة الإسلامية بصورة إيجابية بحيث تحقق الثقافة الإسلامية جملة من التغيرات الإيجابية الهادفة إلى بناء الشخصية المتوازنة المنضبة دينياً وسلوكياً ونفسياً واجتماعياً وتربوياً، من خلال تحقيق التوازن النفسي والتربوي، الذي يصحح مسار الإنسان، وخاصة الإنسان المسلم الملتزم بالجانب الديني وهو من الجوانب الهامة في عملية الإصلاح والتهذيب ومواجهة العولمة وتحدياتها.

ثانياً: خصائص الثقافة الإسلامية:

كما وتتميز الثقافة الإسلامية بأنها ربانية المصدر، وثابتة غير قابلة للتغيير، والشمول، والتوازن والاعتدال والوسطية، كما وأنه ثقافتها إيمانية تنبع من مراقبة الإنسان لله، ومن إيمان الإنسان باليوم الآخر، وعالمية، وتكافل، منفتحة على العلوم والأفكار الصحيحة النافعة، كما وتمتاز الثقافة الإسلامية بالمساواة الإنسانية، فالناس سواسية كأسنان المشط الواحد، والمساواة الطائفية، فقد استوعب الإسلام كل طائفة وانتماء بسماحته وعدالته (الأمين، ٢٠٠٤، ص١٤-١٧).

وعلى الرغم من كل هذه الميزات الخاصة بالثقافة الإسلامية إلا أن الغرب مازال يسعى إلى تشويه صورة الإسلام، وتشويه ثقافته، وقيمه الحضارية، وما زال يحاول منع الناس من احترام هذه الثقافة، والاستفادة منها. وهذا التشويه الغربي لصورة الإسلام لم يمنع وجود أصوات في الغرب بدأت تدعو الغربيين إلى إعادة النظر في المواقف المعادية للإسلام، كما تدعو إلى إنصاف ثقافته، والاعتراف بفضله على حضارة الغرب، وإلى تفهم أحوال المسلمين، وإلى الدعوة إلى التعلم من مدرسة الإسلام، ومن قيمه السامية. ولعل من أهم تلك الأصوات المنصفة صوت ولي العهد البريطاني تشارلز الذي عد الإسلام جزءاً من التراث المؤسس لأوروبا المعاصرة. وعبارته في هذا المعنى " إن هناك الكثير الذي يمكننا أن نقتبسه من العالم الإسلامي ليساعدنا على فهم الروحانية الأساسية في دياتنا"(الأمين، ٢٠٠٤، ص١٤).

وبسبب الغزو الفكري الغربي على ثقافتنا الإسلامية فإن بعض مفاهيم هذه الثقافة قد تغيرت، وحلت محلها مفاهيم علمانية غربية بفعل العولمة، أذكر منها: أصبح كثير من أفراد المجتمعات الإسلامية يقلدون الغربيين في عاداتهم، وتقاليدهم، وسلوكهم، مثل عادات الطعام، والشراب، والزواج، والأفراح، واللباس، وحفلات أعياد الميلاد. كما وقد أصبح كثير من المسلمين ذوي أخلاق منحرفة، كتعاطي المخدرات، وشرب الخمور، وممارسة الجنس المحرم في ظل قوانين وضعية لا تردع المنحرفين.

وتدعي العلمانية أن الإسلام عبارة عن طقوس وشعائر لا تتلاءم مع الحضارة، وتربي العلمانية الأجيال تربية غير دينية مما يؤدي إلى اختلاط الرجال بالنساء على طريقة الأسلوب الغربي، وإلى تبرج النساء، وتقيم العلمانية حاجزاً سميكاً بين الروح والمادة، وتفصل الدين عن السياسة (الأمين، ٢٠٠٤، ص١٧-١٨).

وبما أن الإسلام يتمتع بعناصر قوة واضحة كعقيدة التوحيد، وبكونه دين علم وأصالة وتجديد فقد وقف سداً منيعاً أمام تيار العلمانية والاستشراق، والتنصير والتغريب والعولمة التي تتكاتف كلها لمحاربته. كما وينبغي ألا يخاف الغرب كذلك من الإسلام لأن الإسلام هو دين التسامح، والتعايش السلمي، وهو يعترف باليهودية والنصرانية. ومعلوم أن الغرب يناقض نفسه فهو يدعو إلى ضمان حقوق الإنسان ليعيش في عزة وكرامة في حين أنه يقف ضد تحقيق الشعوب مصيرها السياسي والثقافي في حرية تامة.

ثالثاً: أهمية الثقافة الإسلامية:

وترجع أهمية الثقافة الإسلامية لدى المسلمين لكون هذا العلم أثير النفس المسلمة، إذ به تتم الصلة بين حوائج الإنسان؛ عقله وقلبه وفكره؛ وبه يصل المسلم بين ماضيه وحاضره ومستقبله، ويكون تاريخ الأمة الإسلامية من عناصر ثقافتها، وآدابها من صميم ثقافتها، وأخلاق الأمة الإسلامية في كل عصر من عصورها حلقة من سلسلة الأخلاق القويمة التي هي من ميراث الماضي (الجهني،٢٠١٦، ص٢١٥).

كما وتتجلى أهمية الثقافة الإسلامية النابعة من المصدر الرباني الراعي إلى كريم الخصال والأخلاق والتي تزد بالجهود ونذكر بالأصل الموحد السائد بالبشريات التفاضل يكون بالتقوى حيث يقول جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، فمن المعلوم أن الفكر والعلم والإبداع الفني عناصر تشكل الإنسان في الثقافة وهي مطابق مع مجالات الفطرة الإنسانية وتطلعات الإنسان وميوله بصفة عامة إذ أن الإنسان يجد في نفسه رغبة ملحة في الفهم والمعرفة وتتمتع حواسه بجمال الصورة والألوان طبقاً لما خطه الله من القانون سماوي في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ (آل عمران:١٤).

حيث أن الإسلام يعتبر أن الفطرة والغرائز في حاجة إلى توجيه والتهذيب وفي ذلك مصلحة الإنسان الخلقية المكلف، كما يعتبر أن العقل والشرع في حاجة إلى التعاون لأنهما متكاملان وأن العلم والفن غاية في ذاتهما وإنما هما وسيلتان لبلوغ هدف وغاية الهدف مصلحة الإنسان وسعادته والغاية تنفيذ مسئولية الاستخلاف تمهيد الحياة الحساب والجزاء لذا فالبيئة الإسلامية تقتضي أن يحكم الإنسان المسلم ثقافة وسلوك في نطاق العقيدة التي يؤمن بها أي أن على المسلم أن يكشف كلا من سلوكه وثقافته بجميع عناصرها مع تعاليم الإسلام وتوجيهاته حتى لا يحدث أي تناقض في ذهنه بين العقل والشرع أو بين العلم وكذلك تكون الثقافة في مفهومها الذي ينسجم مع المنهج الإسلامي هي التعبير عن مدى التقدم والرقي في مختلف جوانب الحياة البشرية في مجالاتها (البيانوني، ٢٠٠٠، ص١٨٢)، وإبراز ما يبدعه الإنسان من خلال تفاعلاته مع الوجود المحيط به والذي سخره الله له لترشيد عقيدته وقيمه الإنسانية وإبراز الخصائص الكامنة فيه من فكر وسلوك يتواكب مع الواقع الذي يعيشه الفرد والمجتمع وفق المعايير ومضامين إسلامية تتبع من العقيدة الإسلامية وذلك انطلاقاً من الكتاب والسنة وما تضمنته الشريعة من نظم إسلامية حلية المذاهب الفقهية والعلماء والمعاصرون من مبادئ عامة للفكر الإسلامية في السياسية والاقتصادية والاجتماعية(على، ٢٠٢٠، ص١٢).

أما فيما يتعلق بأهمية دراسة الثقافة الإسلامية، فقد أشار القرني (٢٠٠٨، ص٢) إلى أن أهمية دراسة الثقافة الإسلامية تتجلى في النقاط الآتية: توهج الأساسيات التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية، وتأثير ذلك على كل مسلم، ومدى تفاعله مع مبادئه وقيمه وبيان الازدهار الحضاري للأمة الإسلامية، وبيان الأدوار التي حلت بالأمة الإسلامية، وبيان دور الثقافة الإسلامية في العصر الحديث وما تقدمه للإنسان المعاصر وما يواجه من تحديات معاصرة تتمثل بالعولمة (الجهني، ٢٠١٦، ص٢١٥).

ومما سبق يتبين لنا مدى أهمية الثقافة الإسلامية ودورها الفعال بالتأثير على حياة الأفراد والجماعات، ومن هذا المنطلق فإن دراسة الثقافة الإسلامية وغرسها في نفوس الطلبة والأفراد المسلمين والأمة الإسلامية من أهم ما ينبغي الأخذ به؛ حتى يتمكنوا من فهم الدين الإسلامي ومقاصده الشرعية وفهم كل ما جاء به من تعاليم وتشريعات، ومبادئ وقيم، وفهم كل ما يعرفه بهويته الإسلامية، وتاريخ أمته المجيد. ليكون الفرد على استعداد ودراية وقدرة فكرية لدراسة جميع مفاهيم الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية ومقاصدها، ودراسة كل ما يتعلق بها من قضايا ومشكلات أثيرت حوله، كما ويمكن من خلال عملية غرس وتشعب الثقافة الإسلامية والدين الإسلامي وسيلة دفاعية قوية لنبذ العولمة وقضاياها الشائكة بصورة فكرية قوية من خلال إعداد جيل قادر على مواجهتها متسلح بالإيمان والثقافة الإسلامية الصحيحة.

العولمة وطرق مواجهتها:

أولاً: مفهوم العولمة:

تعرف العولمة لغةً على أنها تعني جعل العالم ذا توجه واحد مسيطر عليه تقنياً وثقافياً في إطار حضارة واحدة وهذا هو المعني الذي حدده المفكرون الغربيون للعولمة، فليس هناك تعريف محدد ودقيق في معاجم اللغة العربية لكلمة عولمة، وقد عرفها البعض بقوله:" العولمة لفظ مشتق من الفعل عولم على وزن فوعل، أي أنه مشتق من الصيغة الصرفية فوعلة، التي تدل على تحول الشيء إلى صورة أخرى، كما أنه مصطلح يصعب فيه الارتكان إلى المدلولات اللغوية(كاس، ٢٠١٩، ص٢٨٣)، لذلك وضعت كلمة "العولمة" في اللغة العربية للدلالة على هذا المفهوم الجديد، أما اصطلاحاً: فهي تعبر عن تطورين هامين هما التحديث والاعتماد المتبادل ويرتكز المفهوم بمعناه الشامل على التقدم الهائل في المعلوماتية (تكنولوجيا المعلومات) فضلاً عن الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة في كل الساحة الدولية المعاصرة (البار، ٢٠٢٠، ص١١٢).

ومن التعريفات المفسرة لمفهوم العولمة على أنها هي:" ديناميكية جديدة تبرز داخل دائرة العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعلمية للحضارة، من خلال تزايد دور العالم الخارجي في تحديد مصير الأمم والشعوب الأخرى (القواسمة،٢٠١٦، ص٩)، أما كايد (٢٠١١) فيرى أن العولمة تقوم على الغزو الثقافي الذي يهدف إلى إخضاع الشعوب وتهديم ثقافتها وتشويهها وطمس معالمها، ومن ثم تحقيق التبعية الكاملة للإمبريالية الثقافية الجديدة. كما يشير بلقزيز (٢٠٠٢) الى أن العولمة الثقافية هي انتقال الثقافة الوطنية إلى ثقافة عليا جديدة وعالمية وهي في حقيقتها ليست سوى اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات الأخرى.

فالعولمة أيضا مصطلح يطلق على أنها نظام عالمي جديد يقوم على الإبداع العلمي والتقني وثورة الاتصالات، ويركز على إيجاد نمط ثقافي واحد يستوعب جميع الثقافات الأخرى، وتتشكل بناء على ذلك ثقافة عالمية واحدة تلغي فيها كل الجوانب المعنوية للشخصية الإنسانية من لغة، وعقيدة، وذوق، وتراث (الأشقر، ٢٠٠٥، ص٢٣٤).

إذ يواجه العالم يومياً العولمة بكافة أشكالها حيث يواجه الحديث والثقافة الإسلامية في الوقت الحالي عديداً من التحديات في تنمية الوعي بالقضايا والقيم الأخلاقية، والتي تسعى من خلالها إلى إعداد جيل متزن أخلاقياً، قادر على اتخاذ القرار تجاه القضايا الأخلاقي، والتي يمكن إيجاز أهمها فيما يلي: ضعف الرصيد المعرفي عند مخططي التربية الاسلامية المتعلق بالقضايا والقيم الأخلاقية، وهذا يؤدي إلى ضعف الاهتمام بتضمينها. المعرفة المنافية للقيم المرغوبة خاصة الرقمية منها، وهو ما يعرف بالصراعات أو التصادم الفكري عبد مخططي مناهج التربية الاسلامية. ضعف قدرة أهداف

مناهج التربية الاسلامية على استشراف الحاجات المستقبلية للمتعلم والمجتمع، ذات العلاقة بالقيم والقضايا الأخلاقية، ضعف الأنشطة العلمية المصاحبة لمناهج التربية الاسلامية، التي تؤدي إلى التحفيز وقلة المثابرة لتنمية القيم والمبادئ الأخلاقية، بالإضافة إلى ضعف التناسب بين محتوى مناهج التربية الاسلامية والقضايا الأخلاقية التي يجب تنميتها لدى الطلبة (السحاري وآل محفوظ، ٢٠١٩، ص٦).

يتضح مما سبق أن العولمة هي العملية التي يجري بها انتقال الفواعل المختلفة سواء كانت مادية أو فكرية، من محيطها المحلي إلى المحيط العالمي لتصبح هي المهيمنة في كافة جوانب الحياة والتي على رأسها الجانب الثقافي كونه المدخل الأساسي للتغلغل والعولمة وتغيير الثقافات والقيم والدين الإسلامي لدى الأفراد.

ثانياً: انعكاسات العولمة على العقيدة والمفاهيم الاساسية لها:

تسعى العولمة الثقافية إلى تهميش عقيدة الالوهية عند المسلمين، كونها تعود جذورها الى النظام الرأسمالي والاسس المادية التي يبنى عليها، ويستمد النظام الرأسمالي فلسفته وعقيدته من المذهب الذي يقوم على مبدأ فصل الدين عن الحياة ويعد الانسان سيد الوجود، وبالتالي فهو غير محكوم الله، وهذا يؤدي لإضعاف صلته بربه، وتصور نظرة المؤمن للحياة، لأنها قائمة على اساس مادي، ولا بقاء ولا وجود للجانب المعنوي او الايماني فيها، وانها تضع الانسان في موقف محير، تدفعه للتمركز حول ذاته، بحيث يكون في صراع داخلي ثنائي الاتجاه، يتمثل بدعوة العولمة الثقافية الانسان الى التحرر من كافة القيود والتسليم بالواقع الجديد والقبول به. ولعل من أخطر ما تحمله العولمة هو تهديدها لأصل العقيدة الاسلامية، وذلك لأنها تشتمل على الدعوة لوحدة الاديان، وهي دعوة تنقض عقيدة الاسلام من اساسها وتهدمها من أصله، ولهذا فان العولمة تشجع ما يسمى بحوار الاديان لا على اساس دعوة الاديان الأخرى للإسلام بل على اساس ازالة التمييز بين الاسلام وغيره والحوار الذي يتوقعون انه سيحمل المسلمين على التنازل عن اعتزازهم بدينهم واعتقادهم ببطلان غيره، وبذلك يزول التعصب وتتقارب الأديان، كما ان العولمة تسعى لإعادة تشكيل المفاهيم الاساسية عن الكون والانسان والحياة عند المسلمين، والاستعاضة عنها بالمفاهيم التي يروج لها الغرب ثقافياً وفكرياً (حسين، ٢٠١٠، ص٦-٧).

وهذه المفاهيم القرآنية الاسلامية الاساسية كلها تنقضها العولمة الثقافية من أصلها وتهدمها من اساسها، فالكون في نظر العولمة ما هو لا ميدان تنافس على المصالح الدنيوية، والانسان دائب البحث ملذاته وشهواته ومنافعه، وليست الحياة سوى فرصة قصيرة لا ينبغي ان تضيع في غير اللذة الشهرة والجنس والمال والثروة والجمال، وليس ورائها شيء آخر، ولا يصح التفريق بين الناس على اساس عقائدهم فهم امة واحدة في الانسانية تجري عليهم احكام واحدة لا يجوز بحال ان تتفاوت هذه الاحكام بسبب الدين او العقيدة. وان الحساب والآخرة والجنة والنار خرافة لا اساس لها من الصحة، إذن نلاحظ أن العولمة الفكرية تكمن في انها تعمل على اعادة تشكيل المفاهيم الاساسية التي تشكل أصول عقيدة المسلم. بل تنقضها وتستعيض عنها بمفاهيم غريبة كافرة ملحدة لا تؤمن بوجود عبادة الله واتباع الوحي والاستعداد للآخرة والايمان بالجنة والنار (حسين، ٢٠١٠، ص٧).

ثالثاً: انعكاسات العولمة على مبادئ الشريعة الاسلامية:

ان العولمة تحمل في طياتها نقضا لأحكام الشريعة الاسلامية بفرضها مبادئ تخالف الشريعة، ومن الامثلة الواضحة على هذا: قضية فرض مفهوم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، وهذا المفهوم منصوص عليه في الميثاق العالمي في لحقوق الانسان، ومقتضاه ازالة جميع الفوارق على جميع الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة، وهذا ما نصت عليه اتفاقية سيداو، والتي جاءت تحمل مبدئ ازالة جميع اشكال التمييز العنصري بين الرجل والمرأة، وهو الامر الذي يتناقض

مع الشريعة الاسلامية، حيث ان الرجل يختلف عن المرأة في كثير من الامور ومنها على سبيل المثال: احكام لباس المرأة في الصلاة وعدم وجوب الجمعة والجماعة عليها واحرامها للحج وعدم وجوب الجهاد عليها، وفي اختلاف الميراث والنفقة وغير ذلك من الأمور (حسين، ٢٠١٠، ص٧).

رابعاً: التحديات السلبية للعولمة:

يعد موضوع العولمة وتحدياتها وخاصة الجانب الثقافي منه أحد الموضوعات المهمة التي بدأ الباحثون منذ منتصف القرن الماضي الاهتمام بها، نظرا لحداثة مفهوم العولمة نسبياً، وكذلك التحديات العميقة التي تتركها هذه الظاهرة بمختلف تجلياتها على الهوية الثقافية، وهو ما جعل مجموعة من المجتمعات في مختلف أرجاء العالم تتجاوب مع العولمة بطرق مختلفة، حيث رأى فيها البعض عاملاً سلبياً ومؤثراً على الهوية عن طريق تذويب الملامح الثقافية والدينية لهذه المجتمعات وقولبتها وفق نظام غربي محض، وبالتالي يعد البعد الثقافي للعولمة من أخطر أبعادها، فهي تعني إشاعة قيم ومبادئ ومعايير ثقافة واحدة وإحلالها محل الثقافات الأخرى، مما يعني تلاشي القيم والثقافات القومية وإحلال القيم الثقافية للبلاد الأكثر تقدماً محلها، وبخاصة أمريكا وأوربا، الأمر الذي قد ينعكس سلباً على الهوية الثقافية للشباب العربي المسلم(الرواشدة، ٢٠٠٨، ص٣٤).

إن من سلبيات العولمة الثقافية تحويل الثقافة نفسها ومؤسساتها إلى سلعة، وأمام إشاعة ثقافة العولمة ذات الطابع الغربي والمتجهة إلى إقصاء الثقافات الأخرى، من خلال قوتها المالية وقدرتها على الإنتاج والتوزيع، لا من خلال قيمتها الثقافية أو منافستها الثقافية، فنحن المسلمون لسنا بدعاً بين الشعوب والأمم إذا عملنا على تجنب سلبيات العولمة الثقافية، خاصة وأن لها تأثير ضار على هويتنا وخصوصيتنا الثقافية وعقيدتنا الإسلامية، فالدول الكبرى الغربية تعمل على حماية هويتها الثقافية والمحافظة عليها من تيار المصطلحات والمفاهيم الأجنبية الوافدة من الخارج(الشاماني، ٢٠١٧، ص٢٥٣).

كما وأن هناك الكثير من المظاهر السلبية للعولمة الثقافية من أبرزها كما ورد لدى (القواسمة، ٢٠١٦، ص١٠):

١. تعميق التعلق بمظاهر الحياة المادية وإشباع الشهوات الحسية وفي المقابل إغفال الآخرة وازدراء الغيبيات ونعت أصحابها بالخرافة والسذاجة.

٢. كسر حواجز الدين بامتهان الذات الآلهة والأنبياء والتلاعب بهذه المقدسات وتحطيم هيبتها وقدسيتها لدى النشء مما يجعلهم ينشئون وقد فصلوا عن دينهم واتسعت الفجوة بينهم وبين تراثهم.

٣. انتشار التحلل الخلقي وبالذات لدى المرأة التي يعمد تجار العولمة إلى تسليع جسدها، مما يؤجج مشاعر الشباب ويتلاعب بغرائز المراهقين وهذا ما يسمى بثقافة الإسفاف والتبذل التي لا تتوانى القنوات الفضائية من بثها.

٤. إعلاء شأن الملكية الفردية والحرية المطلقة حتى لو كان ذلك بالخروج عن الثوابت الدينية والحدود الإنسانية.

٥. صرف همم الشباب إلى الانغماس في ممارسة هوايات وضيعة كالرقص والغناء والاهتمام بالهوايات الهابطة التي تستنزف الجهد والمال بلا فائدة.

٦. الترويج لثقافة الغربية في المجتمع المسلم بما يمثل خروجا على قيم المجتمع الإسلامي وعاداته وتقاليده من خلال أنواع الألبسة وأنماط المأكولات الغربية، وطرق تناولها، وأساليب التعامل في المناسبات وغيرها والتي تتمثل غارة وحشية على أنماط وأساليب وطرق الحياة الثقافية الإسلامية.

ومن أهم سلبيات العولمة في الجانب الثقافي للثقافة الإسلامية، والذي يمكن أن نذكر بعضاً منه بالشكل التالي (الشاماني، ٢٠١٧، ص٢٥٣-٢٥٥):

١. ثقافة الاختراق التي تمثلها العولمة، التي تهدف إلى اختراق البنية الثقافية المحلية، وتفاقم مخاطر الاستلاب والغزو والاستعمار الثقافي، بما يؤدي إلى محو الهوية الحضارية الثقافية للأمة المسلمة، ونزع الخصوصية الشخصية للشعوب المسلمة، التي تتمثل في: الدين واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والأخلاق، بما تنطوي عليه من الترويج لقيم معينة لحضارة معينة هي الحضارة الغربية.

٢. كما وإن من أخطر ما في العولمة أنها تستطيع أن تنشر أفكاراً وسلوكيات من شأنها تحطيم الولاء للقيم التراثية والدينية الأصلية، والولاء للوطن والأمة، وإحلال أفكار وولاءات جديدة محلها. وقد أشارت الشرعبي إلى أن العولمة في شكلها الثقافي تهدف إلى إزالة الحدود الدينية والعادات والتقاليد، حتى تكون العقول المستقبلة للمادة الثقافية أكثر انفتاحا وتقبلا لما يأتي من الخارج، دون تفكير أو إعادة نظر بعد أن حطمت كل بوابات المراقبة والنقد، ويقوم النظام العالمي الجديد في مشروع العولمة لكل شيء على اختراق الثقافات الوطنية والثوابت الذاتية، ويعمل على طمس معالم الذات والأصل والشرع، بطرح بدائل هجينة منمقة ومزوقة، بحيث تجلب الأنظار ومن ثمة القلوب والعقول.

٣. التطبيع مع الهيمنة وتكريس الاستتباع الحضاري للغرب، ومع التطبيع والهيمنة والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري، يأتي فقدان الشعور بالانتماء لوطن أو أمة أو دولة، وبالتالي إفراغ الهوية الثقافية والعقيدة الإسلامية من كل محتوى. أو إيقاع الأفراد في الدول النامية بين ثقافتين متناقضتين، أي بين نظامه الاجتماعي وبين ما يأتيه من ثقافة عبر الفضائيات والشبكة الدولية للمعلومات من ثقافة مادية متطورة، وإزاء هذا تحصل التشوهات الذهنية والمعرفية والسلوكية عند الأفراد المتلقين للثقافة الوافدة الجديدة، مما يؤدي إلى جعل تفكير الفرد تفكيراً ثقافيا ماديا، وجعل سلوكه الاجتماعي يصدر عن تقليد، ودون وعي أو بصيرة.

٤. اختفاء القيم النبيلة، ليصبح الربح هو القيمة الأساسية، وعندما يكون الدافع دوماً هو الربح كما تروج العولمة، فإن قيمة الإشباع المادي هي التي ستحدد السلوك، وسيصبح العالم غابة يركض فيها الإنسان بحثاً عما يشبع فيها حاجاته المادية، وإلغاء الإبداع، ومن المعلوم أنّ الإبداع كان دوما شرطا من شروط التطور الإنساني، وأهم شروطه وجود الدافع وهو ربطه بالإيمان، إذ إن الهدف من الإبداع تعميق الإيمان، وتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى في الحياة الفردية والجماعية للإنسان، وعمارة الأرض وفق منهج الله تعالى.

٥. التقليل من قيمة الثقافات المختلفة، وفرض هيمنة ثقافة واحدة، ألا وهي ثقافة القوى المالكة لمراكز توجيه آليات العولمة، وهي الثقافة الغربية الوقت الحاضر. كما أنه من الملاحظ أن العولمة تحمل في طياتها مشروعا لأمركة العالم، لأن القيم النفسية والسلوكية والعقائدية الغربية هي المهيمنة على هذه العولمة الثقافية (جيدوري، ٢٠١٣، ص ١٣٦).

نرى من خلال ما سبق يتحتم على المؤسسات التربوية والتعليمية القيام بدورها في تدعيم المناهج بالمعارف التي تمكن الطلبة من الفهم الصحيح للإسلام ومواجهة مظاهر الاستلاب الثقافي وطمس الخصوصية الثقافية للشعوب وخاصة معلمي وتربوي الدراسات الإسلامية لكونهم الأكف لهذه المهمة. كما ولا بد لكليات التربية في كافة الجامعات والمؤسسات التعليمية في كل البلاد الإكثار من الأنشطة التربوية المتمثلة بالخطط التربوية والمحاضرات والندوات التي من شأنها تعزيز ثقافة الحضارة الإسلامية والعقيدة الإسلامية في عقول وقلوب الطلبة، لكيلا ينجرفوا باتجاه ما تروجه العولمة من تشوهات تلصقها في ثقافتنا وقيمنا الحضارية وعقيدتنا الإسلامية

خامساً: مواجهة تحديات الثقافة الإسلامية العولمة أنموذجاً:

يحتم علينا واقع الحياة وتأثير العولمة على أهمية مواجهة العولمة، فقد أكد بن سمينة (٢٠٠٦) على ضرورة مواجهة سلبيات العولمة وخاصة الثقافية من خلال العديد من الأمور التي يجب الأخذ بها لحماية شباب الامة من سلبيات العولمة الثقافية ، ومنها أنه تنمية الشعور بالاعتزاز بالهوية الثقافية الإسلامية ونشر الوعي بمميزاتها ورق التعامل مع الثقافات الأخرى بتعاون وحذر وتكامل دون تبعية وانبهار ولا ذوبان في حضارات الغير، ويجب توعية أفراد الأمة بسلبيات التقليد الأعمى وقبول هيمنة العولمة على ثقافتنا الإسلامية وأنها مخاطر استعمارية نقبلها طواعية لتهيمن علينا وأن الانسلاخ عن أصولنا والتنكر لثقافتنا المرشدة لنا سيجعلنا في حالة من الضياع .

ولا نغفل عن أهمية المؤتمرات الإقليمية أو الدولية لتقوية الجبهة الداخلية للثقافة الإسلامية للتصدي للغزو الثقافي المتمثل بالعولمة، حيث يجب أن يتم التركيز على الجانب التربوي يجب العمل على تربية الأجيال الواعية القادرة على التميز بين ما هو أصل ومن هو مظاهر خادعة غير أصيلة من خلال المناهج والمواد الأساسية المعتمدة في الأنظمة التربوية بإعادة النظر في مضمون المناهج التعليمية والعودة إلى المراجع والمصادر الدينية والتاريخية اللغوية في إطار التأكيد على الثقافة الإسلامية (القواسمة، ٢٠١٦، ص١١).

كما أشار زغو (٢٠١٠) إلى ضرورة مواجهة العولمة الثقافية وتأثيراتها على الهوية الثقافية من خلال التفاعل بين الثقافات الوطنية والأجنبية في حدود التوازن وعلى أساس الحوار القائم على الاحترام لا الاقصاء، كما لا بد من الاستفادة من التقنيات التكنولوجية من خلال عرض أهم ما يميز الثقافة الإسلامية ونشرها والعمل على إبرازها للعالم، وضرورة التحول من مجتمع استهلاكي إلى مجتمع منتج. بالإضافة الى ضرورة التعاون والتكاتف بين جميع مكونات المجتمع من أجل التصدي لهذا التحدي الخطير، من خلال ضرورة التأكيد على العقلانية والديمقراطية والثقافة الإسلامية.

كما وتتم عملية مواجهة تحديات الثقافة الإسلامية وخاصة في العولمة عبر توظيف عدة طرق والتي منها (على، ٢٠٢٠، ص١٠٥-١٠٨):

١. المنهج التربوي: وهو مجموع الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة تحت إشرافها، للطلبة بقصد احتكاكهم بها وتفاعلهم معها، ومن نتائج هذا الاحتكاك والتفاعل يحدث تعلم أو تعديل في سلوكهم، ويؤدي هذا إلى تحقيق النمو الشامل المتكامل الذي هو الأسمى للتربية".

٢. أما المنهج التربوي الإسلامي ودورة في مواجهة المؤثرات الفكرية: فتسمو الأهداف الرسالات السماوية لتلتقي في شرائعها نحو بناء الإنسان والإسلام بوصفه خاتم الرسالات السماوية حدد المنهج الرباني في التربية الإنسان وحدد مسار سلوكه وقدر غاياته من خلال ما ورد في القرآن الكريم و السنة النبوية إلا أن غاية التربية الإسلامية هو بناء الشخصية المسلمة كما أرادها الله تعالى عابدة الله تعالى، قادرة على الوفاء بمهام الاستخلاف، ولهذا فان منهج التربية الإسلامية يجب يهتدي بالمبادئ التي جاء بها القرآن الكريم من تصور الحياة والإنسان والوجود، فالقيم القرآنية، فالعناصر القاعدية هي العناصر القاعدية في التربية والنظرية الإسلامية هي مجموعة المبادئ التي توجه عملية التربية في جوانبها المختلفة، فهي توجه السلوك الذي تشكل قاعدته القيم والمبادئ التي تعتبر أساس النظام التربوي.

٣. وكذلك الأسرة فتعتبر من أهم الوسائط الأساسية للتربية وغرس الثقافة الإسلامية ومواجهة العولمة، فالأسرة هي الخلية الأولي التي يألفها الطفل، وتتفتح عيناه على أعضاها من الأم والأب، وغيرهما من الإخوة والأخوات، كما وتعتبر من

أهم المؤسسات الاجتماعية في تنمية وضبط سلوك الأبناء تجاه الحياة الاجتماعية، ومن المعروف أن العدوانية والسلوك والعدواني ينمو كل منهما في مدارج العمر منذ الطفولة وفي إبان فترة المراهقة والرشد.

أما من حيث الإجراءات التربوية الوقائية لمواجهة العولمة:

إذ تهدف الانظمة التربوية الى احداث تغيرات ايجابية في سلوك الافراد والى تنمية شخصياتهم بشكل متكامل ليصبحوا قادرين على التفكير بأنفسهم ولأنفسهم وللآخرين، وإذا كانت العولمة ظاهرة تعرض نفسها على العالم اليوم فكيف نتعامل معها تربوياً بحيث نحافظ على أنفسنا من سلبياتها ونفيد من ايجابياتها (حسين، ٢٠١٠، ص٨-٩):

١. التحصين الديني، من خلال تعليم المسلمين أمور دينهم واطلاعهم على احكام دينهم، وتدريسهم ثقافتهم الاسلامية دراسة عميقة متأنية، مع التطبيق العلمي لما يدرسون.

٢. إعادة بناء مناهج التربية والتعليم في المدارس والمعاهد والجامعات، وغيرها من مؤسسات التعليم وفقاً لهذه الاطر الثقافية، تكون هذه مؤهلة لممارسة الثقافة الاسلامية على ارضها، وقادرة على المشاركة في عولمة هذه الثقافة في خارجها.

٣. اعادة بناء السياسات الاعلامية، على جميع الاصعدة والوسائل، لتمثل الثقافة الاسلامية اصدق تمثيل، ولتكون قادرة على خدمة هذه الثقافة وعولمتها.

٤. قراءة العولمة قراءة واعية تستند الى اعمال التفكير الناقد في هذه الظاهرة من اجل فهمها وتحديد مطلقاتها والمبادئ التي تقوم عليها واستخلاص النتائج التي تترتب على هذه الظاهرة.

٥. استيعاب الهوية الثقافية الآتية عن طريق وعي مسيرتها التاريخية، واعطاء الولاء لهذه الهوية والعمل على تدعيمها وتطويرها.

٦. ادخال التكنولوجيا الحديثة في النظام التربوي بصورة شاملة وتنشئة الاجيال على استخدام تكنولوجيا المعلومات للوصول والافادة منها في الدراسة والبحث والتعلم للحصول على تعليم نوعي.

٧. التفاعل مع العولمة وفق مبادئها وآليات التعامل معها، بهدف ادراكها من الداخل، والوقوف على معطياتها الايجابية والعمل على استثمارها.

٨. تربية الاجيال على ثقافة العولمة، لكي يتمكن الفرد من التعامل وفق منطقها.

٩. تقويم المناهج التعليمية وطراق تدرسيها في المؤسسات التربوية، لمعرفة عناصر القوة والضعف فيها، لغاية تطويرها بما يتلاءم مع الاهداف التربوية المستجدة ومتطلبات روح العصر الثقافية.

١٠. وضع استراتيجية تربوية لتشكيل بعض الاتجاهات والقيم المرتبطة بروح العصر العلمية او التكنولوجيا او البحثية او الدينية او الاجتماعية.

١١. اتباع انظمة اساليب تدريس تتمشى ومظاهر التقدم التقني مع مراعاة المحافظة على الثقافة الإسلامية.

١٢. ضرورة التحرر من التقاليد والقيم السلبية عن النظام التقليدي للعملية التربوية والاهتمام بالمهارات والتأكيد على اهمية التفاعل والاتصال مع الثقافات الأخرى والاستفادة منها والتأكيد على اهمية استخدام الانترنت ووسائل المختلفة دون المساس بالعقيدة الإسلامية.

الخاتمة:

ما نستطيع قوله في خاتمة هذه الدراسة أن الثقافة الإسلامية وغرسها في نفوس الأفراد والأمة الإسلامية بشكلها الصحيح تسهم بشكل كبير وفعال في القضاء على العولمة وتحدياتها السلبية، كما وتبني مستقبل أفضل لجيل واعٍ وقادر على مجابهة أي أخطار وغزو فكري مهما كان وعليه فقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات والتي نستعرضها بالشكل التالي:

نتائج الدراسة:

١. إن الدافع الحقيقي وراء العولمة والغزو الفكري والثقافي للمجتمعات الإسلامية وأفرادها هو الحقد والكراهية من الغرب للثقافة الإسلامية الشاملة، والهادفة إلى محاربة الدين الإسلامي وعقيدته بشتى الطرق الممكنة والتي من بينها العولمة أي الغزو الفكري الثقافي.

٢. الحذر مما تبثه العولمة عبر وسائلها المتنوعة كجانب ثقافي وله في خباياه مبادئ ومفاهيم ونظم غربية مظلمة يجب حذر المسلمين والأمة الإسلامية من الوقوع في شباك الغرب والعولمة.

٣. فرض الثقافة الإسلامية بكافة أشكالها المختلفة الهادفة والبناءة في كافة المؤسسات التربوية والتعليمية.

٤. نشر العلم والثقافة الإسلامية ضمن المناهج التعليمية وعبر الندوات والمحاضرات لتعزيز الثقافة الإسلامية والعقيدة الإسلامية وحمايتها من العولمة.

٥. تعرض الثقافة الإسلامية إلى غزو فكري خطير متمثل بالعولمة.

٦. الحذر من النظم والعقائد الغربية الدخيلة على حياة المسلمين.

توصيات الدراسة:

توصي الدراسة من خلال ما تم عرضه حول الثقافة الإسلامية وتحدياتها المعاصرة المتمثلة بالعولمة على ضرورة التخفيف من آثار العولمة على الأمة الإسلامية والفرد المسلم من خلال التوصيات التالية:

١. تعزيز العقيدة الإسلامية في نفوس الطلبة والأمة الإسلامية، والالتفاف حولها والتمسك بقواعد العقيدة والثقافة الإسلامية الصحيحة لكي نتمكن من الاستفادة من العولمة بجوانبها الثقافية بشكلها الصحيح ضمن الضوابط الإسلامية وجعلها نقاط قوة لا ضعف نحمي بها ثقافتنا الإسلامية من أي خطر وعولمة إليها.

٢. مواجهة تحديات العولمة بالتعليم والتدريب والتثقيف والتحصين من خلال تدعيم المناهج الدراسية بالثقافة الإسلامية وركائزها، ومحاربة اشكال الجهل في المجتمع الإسلامي.

٣. إعداد وإطلاق برامج تربوية وتعليمية تخدم الفرد المسلم والأمة الإسلامية في كل مجتمع على حد لتقويته بثقافته الإسلامية الأصيلة والسليمة.

٤. العمل على تنمية الأفراد وتسليحهم بسلاح العقيدة والثقافة الإسلامية الصحيحة لتنمية جوانب الفرد الجسدية والنفسية والاجتماعية.

٥. تنمية روح الاحترام والاعتراف بثقافات الآخرين وقبول أفكارهم دون أن تتعارض مع الشريعة الإسلامية ومنهج الإسلام الصحيح.

٦. ضرورة تربية الأجيال الصاعدة على الثقافة الإسلامية السليمة ومواجهة العولمة وخطرها.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.
- -ابن منظور، محمد (١٩٩٦). لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت- ج٩.
- ثانياً: المراجع العربية:
- -أبو جلالة، لمياء مصطفى (٢٠٠٣): الدور التربوي لأعضاء هيئة التدريس الجامعي في مواجهة تحديات العولمة وسبل تطويره من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- -الأشقر، عمر (٢٠٠٥). نحو ثقافة إسلامية أصيلة، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١٢.
- -إعليمات، عبير وأبو الشيخ، عطية (٢٠١٣). منهج مقترح لمقرر الثقافة الإسلامية لتعزيز الهوية الإسلامية لدى طلبة الجامعات الأردنية في ضوء متطلبات عصر العولمة، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، مج١٥، ع١.
- -الأمين، عبد الرافع (٢٠٠٤). أثر العولمة على الثقافة الإسلامية، مجلة دراسات دعوية، ع٧.
- البار، عبد الحفيظ (٢٠٢٠). التربية وبناء المجتمع الديمقراطي في ظل تحديات العولمة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، مج٨، ع١.
- بلقزير، عبد الآله (٢٠٠٢). العولمة والممانعة، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.
- بن سمينة، محمد (٢٠٠٦). العولمة وأثرها على الثقافة الإسلامية في الجزائر، مجلة الثقافة الإسلامية، الجزائر-، ع٢.
- البيانوني، محمد أبو الفتح (٢٠٠٠). المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة.
- الجهني، عوض (٢٠١٦). محتوى تعليمي مقترح لدمج قيم وأخلاقيات العمل بمقررات الثقافة الإسلامية بجامعة طيبة، المجلة الدولية للأبحاث التربوية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، مج٤٠، ع١.
- جيدوري، صابر (٢٠١٣). دواعي تمكين الشباب الجامعي من مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة الإعلانية، مجلة رسالة الخليج العربي، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ع١٢٧.
- حسين، أحمد (٢٠١٠). العلوم الإسلامية والعولمة الثقافية- المؤتمر الدولي:" دور الدراسات الإسلامية في المجتمع العولمي"، المنعقد خلال الفترة٢١-٢٣ ديسمبر ٢٠١٠م، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأمير سونجكلا فرع فطاني، جنوب تايلاند.
- الرواشدة، علاء (٢٠٠٨). العولمة والمجتمع، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان.
- زغو، محمد (٢٠١٠). أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع٤.
- الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (١٩٢٢). في أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ط١.
- السحاري، محمد وآل محفوظ، محمد (٢٠١٩). مدى تضمين محتوى منهج الحديث والثقافة الإسلامية بالمرحلة الثانوية لبعض القضايا الأخلاقية وامتلاك طلابها لمهارات اتخاذ القرار الأخلاقي الرقمي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، مج١١، ع١، ج١.
- السيد، عزمي حسن وآخرون (٢٠٠٤): الثقافة الإسلامية مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها، ط٥، دار المناهج، عمان، الأردن.
- الشاماني، سند (٢٠١٧). دور كلية التربية بجامعة طيبة في مواجهة التحديات السلبية للعولمة الثقافية، المحلة العلمية لكلية التربية، جامعة أسيوط، مج٣٣، ع٦.
- عجينا، فتحية (٢٠١٠). الثقافة الإسلامية وموقفها من العولمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية.
- -علي، عزيزة (٢٠٠٧). دور المرأة في تعزيز الثقافة الإسلامية لدى أبنائها في ظل تحديات العولمة، مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: ٢-٢٠٠٧/٤/٣م.
- علي، مواهب (٢٠٢٠). الثقافة الإسلامية ومواجهتها للتحديات المعاصرة (دراسة تحليلية وصفية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، جمهورية السودان.
- عيد، محمد (٢٠١٤). الإبداع وثقافة الطفل، مجلة الطفولة والتنمية، مج٦، ع٢١.

- فروم، هشام وبركاني، محمد (٢٠١٩). الثقافة العربية الإسلامية وعلاقتها بالتربية والتعليم، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، مج٥، ع٢.
- القرني، عبد العزيز (٢٠٠٨). الثقافة الإسلامية بين التواصل الغزو والعلاقة بين العالم الغربي نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية.
- القرني، على (٢٠٠٨). من مفاهيم ثقافتنا، مجلة البحوث، جامعة أم القرى، مج٢١، ع٢١.
- القواسمة، أحمد (٢٠١٦). آراء طلبة الجامعة الأردنية حول سلبيات العولمة الثقافية على الهوية الإسلامية، مجلة كلية التربية، جامعة بورسعيد، ع١٩.
- كاس، زهرة (٢٠١٩). التربية على القيم ودورها في مواجهة أزمة الهوية والثقافة في عصر العولمة، كتاب المؤتمر الدولي المحكم: الاتجاهات المعاصرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المنعقد خلال الفترة ٦-٧ نوفمبر- تشرين الثاني ٢٠١٩، مؤسسة منارات الفكر الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- كايد، سليمان (٢٠١١). دور الجامعات في مواجهة العولمة الثقافية وبناء الهوية العربية الأصلية والمعاصرة، جامعة القدس المفتوحة، مؤتمر المسؤولية المجتمعية للجامعات الفلسطينية، نابلس، فلسطين.
- مرعشلي، ندين ومرعشلي، أسامة (١٩٧٥). معجم الوسيط الصحاح في اللغة والعلو، دار الحضارة العربية، بيروت، ط١.
- مسلم، مصطفى والزغبي، فتحي (٢٠١٢). الثقافة الإسلامية تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، إثراء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- الوصيفي، عوض (٢٠١٢). دور معلم المرحلة الثانوية بمحافظات قطاع غزة في تعزيز ثقافة التواصل لدى طلبته وسبل تطويره في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

"الأهمية التاريخية والاجتماعية لفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قضايا الزواج والطلاق أنموذجًا"

The historical and social significance of the fatwas of Sheikh Muhammad bin Ibrahim Al Sheikh: Marriage and divorce cases as a model

أ. نوير مبارك ناصر العميري – باحثة دكتوراه – جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية
Email: n.mobarre@gmail.com

ملخص البحث:
تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الأهمية التاريخية والاجتماعية لفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ؛ إذ تُعالج في مقدمتها أسئلةً رئيسةً في مدى أهمية كُتُب الفتاوى في الدراسة التاريخية، وتُعد مصدرًا مهمًّا للتدوين التاريخي بجانبيه الاجتماعي والاقتصادي لأيِّ مجتمعٍ مِن المجتمعات، ومجالًا مهمًّا لرصد قضايا الأحوال الشخصية؛ لذا وقع اختياري على قضايا الزواج والطلاق نموذجًا، وبحسب ما توافر لنا مِن معلوماتٍ سنحاول عرضَ موضوع الدراسة في مبحثينِ رئيسينِ؛ حيث سيعرف المبحث الأول بالشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم الأهمية التاريخية والاجتماعية لكتاب الفتاوى، أما المبحث الثاني فسيبحث في القضايا المتعلقة بالزواج والطلاق مِن خلال الفتاوى واستعراض مسائل المَهْر، وشروط عُقود الأنكحة، والمشكلات التي تُواجه الزواج، والأنكِحة الفاسدة، والقضايا المتعلقة بالزواج؛ كزواج الأجنبيات، وزواج الإماء، والعادات المتعلقة بالزواج، كما سيبحث في القضايا المتعلقة بالطلاق مِن الفَسْخ والخُلْع، والميراث، والعادات المتعلقة بالطلاق، ثم خاتمة لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.
الكلمات المفتاحية: الطلاق، الزواج، فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

Research Summary:

This study examines the historical and social significance of Sheikh Muhammad bin Ibrahim Al Al-Sheikh's fatwas. Where it addresses key questions first regarding the extent of the importance of fatwas' books in the historical study. As it is an important source for historical codification with its social and economic aspects for any society, and an important field for monitoring personal status issues. Therefore, the researcher's choice fell on the issues of marriages and divorces as a model according to the available information the researchers have. Where they will try to present the subject of the study in two main topics; where the first topic will be identified with *Sheikh Muhammad bin Ibrahim Al Al-Sheikh*, then the historical and social importance of fatwas' books. While the second topic will discuss issues related to marriages and divorces throughout fatwas. That's by reviewing issues of dowry, conditions in marriage contracts, problems facing marriage, corrupt marriages, issues related to marriage such as the marriage of foreign women, the marriage of female slaves, customs related to marriage, and it will discuss issues related to divorce from annulment and khul (extraction), inheritance, and customs related to divorce. Finally, the conclusion reached to the most important results of the study.

Keywords: Divorce, Marriage, Fatwas of Sheikh Muhammad bin Ibrahim Al Al-Sheikh.

مقدمة:

تُمثل كُتُب الفتاوى مصدرًا مهمًّا في التدوين التاريخي؛ فقد أرَّخَتْ هذه الكتب جوانبَ كثيرةً مِن أحوال المنطقة الدينيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، ومع ذلك فإنَّ هذا المصدر الهام لم يَلْقَ حظَّهُ مِن عناية الباحثين، على الرغم مما انفردتْ به عن غيرها مِن المصادر التاريخية الأخرى؛ ومِن ثم جاء عنوان هذا البحث ليُسَلِّط الضوء على أهمية كتب الفتوى.

أما عن أسباب الدراسة، فقد دفعني إليها ما يأتي: عدم وجود دراسةٍ تناولتْ فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم مِن ناحية تاريخيَّة، خاصة أنها تناولتْ جوانبَ تاريخيَّة - سواء اجتماعيَّة أو اقتصاديَّة - لم تَجِدْ عنايةً مِن قِبَل الباحثين، إلى جانب المساهمة في إبراز أهمية فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، ولعل هذه الدراسة تلفت نظر الباحثين إلى أهميتها.

وقد رأيتُ في هذا البحث أن أُقَدِّمَ ببعض النماذج مِن فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، وأعمل على دراستها مِن الناحية التاريخيَّة دون التعرُّض للجانب الفقهي، وذلك فيما يتعلق بقضايا الزواج والطلاق؛ إذ خصَّص في فتاويه جزءًا كبيرًا مِن قضايا الأسرة ومشكلاتها، وذلك لما عُرِفَ عنه في فتاويه مِن العناية بالدليل والتأصيل، إضافةً إلى كونه من أكابر علماء وقته في تلك الفترة؛ لذا سعيتُ أن تأتي هذه الدراسة في إطار محاولة جديدة لقراءة جانبٍ مِن التاريخ الاجتماعيّ للمجتمع السعودي، مِن خلال الفتاوى بعيدًا عن المصادر التقليدية.

وقد اعتمدت الدراسةُ على المنهج التاريخي التحليلي، مِن خلال تتبُّع الفتاوى المتعلقة بقضايا الزواج والطلاق، معتمدةً في الأساس على كتاب الفتاوى، وعلى هذا الأساس قسَّمْتُ البحث إلى مقدمةٍ تضمَّنتْ أهمية البحث وتمهيدًا شَمِل التعريف بالشيخ محمد بن إبراهيم، ثم الأهمية الاجتماعيَّة والتاريخيَّة لكتاب الفتاوى، ومبحثين تناولتُ فيهما قضايا الزواج والطلاق مِن خلال الفتاوى، وخاتمة لأبرز نتائج الدراسة.

أولًا: التعريف بالشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

هو الشيخ العلاَّمة الفقيه محمد بن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب التميمي، وُلِدَ في حي دخنة في مدينة الرياض، في السابع عشر مِن شهر الله المحرَّم، من سنة ١٣١١هـ[٢٣٤].

نشأ رحمه الله في أسرة علميَّة؛ فأبوه وأعمامه أهل علم ودعوة، فما إنْ بلغ الحادية عشرةَ مِن عُمُره حتى أَتَمَّ حفظَ القرآن على يد المقرئ عبد الرحمن بن مفيريج[٢٣٥]، وتعلَّم الكتابةَ في صِغَره، ثمَّ بدأ يقرأ على شيوخه؛ فَقَرَأَ على والده الشيخ إبراهيم[٢٣٦] مختصرات أئمَّة الدعوة؛ حفظًا وشرحًا، وقرأ على عمِّه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف[٢٣٧] بقيَّة كتب أئمَّة الدعوة ورسائل شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وتتلمَذ على غيرهم مِن أهل العلم والفضل؛ فقرأ في كُتُب العقائد والتوحيد، وفي الفقه والحديث والمصطلح والنحو، وغيرها مِن الفنون، وحَفِظ كثيرًا مِن المتون في شتى العلوم، مع دقَّة الفهم وقوة الضبط، وكان كثيرَ المُطالَعة في الكتب النافعة، فنَبَغ صغيرًا وعَظُم كبيرًا، فما إنْ تُوفِّيَ عمُّه الشيخ عبد الله حتى خلفه في الفُتيا وإمامة المسجد والتدريس بأمرٍ مِن الملك عبد العزيز رحمه الله، شاغلًا معظمَ وقته في التعليم، فوفد إليه طلابُ

---

(٢٣٤) البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد خلال ثمانية قرون، (الرياض، دار العاصمة) ١٤١٩هـ، ج١، ص٢٤٢.

(٢٣٥) لم أعثر له على ترجمة.

(٢٣٦) هو الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهَّاب، ولد في مدينة الرياض عام١٢٨٠ هـ، تقلد قضاء الرياض في عهد الملك عبدالعزيز، وتُوفي فيها عام ١٣٢٩ هـ. يُنظر ترجمته: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج١، ص٣٤٠.

(٢٣٧) هو الشيخ العلامة عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهَّاب، ولد في مدينة الهفوف في الأحساء عام ١٢٦٥ هـ، وقد اتصف برجاحة العقل وبُعد النظر وغزارة العلم، انتقل إلى الرياض، وكان مرجع النجديين في أمور دينهم؛ فتولى الزعامة الإصلاحية في عهد الإمام عبدالله الفيصل والإمام عبدالرحمن الفيصل ثم إمارة آل رشيد، بعد ذلك مع الملك عبدالعزيز، وتُوفي عام ١٣٣٩ هـ. يُنظر ترجمته مفصلة: علماء نجد خلال ثمانية قرون ج١، ص٢١٥-٢٣٠.

العلم، ونَهَلُوا مِن مَعين علمه، إلاَّ أنَّه انشغل في العشر السنوات الأخيرة مِن حياته بشؤون القضاء، لكنَّه لم يترُك التدريس كُلِّيًّا، وتُوُفِّيَ رحمه الله في ٩/٢٤/ ١٣٨٦هـ[٢٣٨].

المناصب التي تقلَّدها:

شغَل الشيخُ محمد بن إبراهيم عددًا مِن المناصب؛ منها: رئاسة دار الإفتاء، والإشراف على الشؤون الدينيَّة، ورئاسة القضاء، ورئاسة المجلس العالي للقضاء، ورئاسة الكليات والمعاهد العلميَّة، ورئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبويَّة، والإشراف على رئاسة تعليم البنات، ورئاسة المعهد العالي للقضاء، ورئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي، والإشراف على ترشيح الأئمة والمؤذِّنين، وتعيين الوعَّاظ والمرشدين، ورئاسة معهد إمام الدعوة، ورئاسة المكتبة السعودية التي أُنشِئَتْ بجوار مسجد سماحته، ورئاسة دور الأيتام التي ضُمَّت فيما بعدُ إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعيَّة، والإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا، ثم بدأ في إنشاء مجلس هيئة كبار العلماء، لكنْ وافته المنيَّة قبل أنْ يُباشر المجلس أعمالَه[٢٣٩].

الأهمية التاريخيَّة والاجتماعيَّة لكتب الفتاوي

أولًا: التعريف بكتاب الفتاوى:

ترَك الشيخُ محمد بن إبراهيم آل الشيخ كتبًا ورسائلَ وفتاوى متنوعة، وقد تصدَّى لمهمة جمع الفتاوى وترتيبها تلميذُه الشيخ محمد بن قاسم، بأمرٍ مِن المَلِك فيصل بن عبدالعزيز، وقد طُبِعَتْ في ثلاثة عشر مجلدًا، وقد جُمِعَتْ هذه الفتاوى مِن مصادرَ شتى؛ منها التقاريرُ التي كان يكتبها الشيخُ محمد بن قاسم في حلقات الدراسة، ومنها الفتاوى الموجودة في دار الإفتاء، ومِن رئاسة القضاء، ومن المكتب الخاص لسماحة المفتي، ومِن الديوان الملكي، وديوان رئاسة مجلس الوزراء، ومن كتاب الدُّرَر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجْديَّة[٢٤٠].

وقد تَمَيَّزَتْ فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم بعددٍ مِن المميزات؛ منها: أن الشيخ محمد بن إبراهيم كان مِن كبار الفقهاء لما يتَّصِف به مِن صفاتٍ فقهية أهَّلَتْهُ لهذا المنصب؛ لذا جاءتْ فتاواه مُوجزةً مع وفائه بالمقصود، إلى جانب قوة الأسلوب ووضوح الفكرة والعناية بالدليل؛ فكان يقرن الحكم بدليله وحجته، مُوضحًا وجه الدلالة، وجاءتْ هذه الفتاوى في شتى العلوم الشرعية؛ مما يُعطي دلالةً إلى ما وصل إليه الشيخُ مِن علمٍ غزير في شتى الفنون[٢٤١].

أما فيما يتعلق بأهميتها التاريخيَّة، مِن خلال القراءة المُتفَحِّصة لهذه الفتاوى، وجدتُ عددًا مِن الإشارات التاريخيَّة التي أهملتها المصادرُ المعاصرة؛ إذ نجد كثرة الأسئلة والاستفتاءات المُوَجَّهة إلى الشيخ مِن ولاة الأمر وبعض أفراد الأسرة الحاكمة من الملوك والأمراء[٢٤٢]، وكذلك مِن شتى أقطار العالم الإسلامي، ومن بعض سفارات الدول الإسلامية، مما أعطاها أهميةً كبيرةً، إضافة إلى اشتمالها على أسماء الملوك والأمراء، والبلدان، وأسماء العلماء في

---

(٢٣٨) آل الشيخ، محمد بن إبراهيم، فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن قاسم، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة) الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، ج١، ص٩-١٠.

(٢٣٩) البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢٤٩/١-٢٥٣، القاضي، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، (الرياض، مطبعة الحلبي) الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص٣١٩.

(٢٤٠) مقدمة مجموع فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، ج١، ص١-٦.

(٢٤١) الأنديجاني، مازن بن نجم الدين، الجهود التربوية لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٢٨هـ، ص٨٩.

(٢٤٢) منها على سبيل المثال: استفتاء الملك سعود حول وضع الستائر على الشبابيك الحديدية المحيطة بالحجرة النبوية، ج١، ص١٣٩-١٤٥، ومنها الفتوى التي رفع بها الملك سعود بخصوص حجارة الصفا والمروة بعد اقتراح عضو اللجنة التنفيذية لتوسعة المسجد الحرام محمد طاهر الكردي تأليف لجنة من علماء المذاهب الأربعة لبيان مبدأ السعي ومنتهاه في الصفا والمروة، وذلك بأن يكسر صخر الصفا والمروة، لتيسير حصول السعي في العربات على استكمال السعي بين الصفا والمروة. ج٥، ص١٤٦، ومنها استفتاء الأمير فهد بن عبدالعزيز حول نقل الآبار والأمدية الموجودة في وقف الملك عبدالعزيز في ثليم ج٩، ص١١٧.

ذلك الوقت، وذكر السنوات التي وردت فيها هذه الأسئلة، وذكر طبيعة الملابس والطرق والمدن والعواصم وقتها، وطبيعة العلاقات الاجتماعية، والعائلات والقبائل، والانتقالات، ووصف حال الناس وقتها[٢٤٣].

كما تناولت الفتاوى بعض الموضوعات الاجتماعيَّة المهمة؛ كالشائعات والأخبار التي انتشرتْ داخل المجتمع، وفي أقطار العالم الإسلامي في تلك الفترة[٢٤٤]، إلى جانب المخترعات الحديثة وموقف المجتمع منها آنذاك[٢٤٥].

كما تحدثتْ فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ عن موضوعاتٍ كثيرةٍ تخُصُّ المرأة؛ من الزواج والطلاق والميراث والملابس، وغيرها مِن الموضوعات، كما أمدتنا الفتاوى بمعلوماتٍ فريدةٍ قلما نجدها في المصادر التاريخيَّة عن تفاصيل حياة الأسرة، وما يقع بين الزوجين مِن مشاكل؛ مما جعلها مصدرًا مهمًّا لتاريخ القضايا المتعلقة بالمرأة في تلك الفترة الزمنية.

قضايا الزواج والطلاق مِن خلال الفتاوى:

يُعتبر الزواج والطلاق مِن أهم الظواهر الموجودة في المجتمعات بصفة عامة، والإسلامية بصفة خاصة، والمتتبع تاريخيًّا لهذه الظاهرة يَلْحَظ أن المجتمعات البشرية أولتْ قضية الأسرة والزواج والطلاق اهتمامًا بالغًا، والدليل على ذلك تطور النظم التي أحاطتها بنوعٍ مِن القداسة، وما تضمنته مِن أعرافٍ وتقاليد استمدتْ أحكامها من الشرائع السماوية، مُؤكدة على أن الزواج أمر فطري وغريزي يُؤسس العلاقة بين الجنسينِ ضمن معايير ضمن ضوابط منتظمة[٢٤٦]، ومِن خلال تتبع قضايا الزواج والطلاق في فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم نجد أن موضوع الزواج والطلاق أخذ حيزًا كبيرًا في فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسنحاول مِن خلال المبحث تتبع ذلك في مبحثين هما:

أولًا: القضايا المتعلقة بالزواج:

تناولتْ فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم كثيرًا مِن القضايا المتعلقة بالزواج؛ مِن مهور الزواج، وبعض العادات المتعلقة بالأفراح، والمشكلات التي تواجه المرأة في الزواج؛ كالإجبار والتحجير، والأنكحة الفاسدة، وزواج الأجنبيات والإماء.

فقد كان مِن العادات المُستَحْدَثة التي طرأتْ على المجتمع السعودي تقديمُ العريس لأهل العروس دبلة الخطوبة؛ إذ إنها لم تكنْ معروفة في ذلك الوقت[٢٤٧]، وقد أكدت الفتاوى ذلك عندما سُئِل الشيخ محمد بن إبراهيم عنها فأجاب بأنه لم يَعْهَدْها الناسُ مِن قبلُ، وإنما تسرَّبتْ هذه العوائد مِن بعض البلدان المجاورة، ولا ينبغي الانصياع لهم وتقليدهم التقليد الأعمى مع إباحة لبسها للرجال إنْ كانتْ مِن الفضة[٢٤٨].

---

[٢٤٣] منها على سبيل المثال: استفسار السفارة المصرية عن حكم القانون السعودي بنفقة الصغار، ومنها استفسار سفارة الجمهورية العربية السورية بجدة عن النظم المتبعة في المملكة هل تسمح بتوريث الرعايا السوريين، أم لا؟ ومنها استفسار السفارة الباكستانية عن إعداد برنامج لتربية الأطفال اللقطاء، وطلب السفارة المغربية في جدة تخصيص ناظر على أوقافها في مكة المكرمة. ج٩، ص١٩، ٤٢، ٢٥١، ج١٢، ص٢٤٧.

[٢٤٤] منها على سبيل المثال الأخبار الكاذبة التي تداولتها بعض الصحف العربية حول السماح بإنشاء كنيسة في السعودية، وبناء على تلك الشائعة فقد رفع العلماء خطاباً إلى الملك سعود يستفسرون عن صحة الخبر، وقد أجاب المفتي بنفي هذا الخبر الكاذب، وقد اقترح على الملك سعود إعلان تكذيب الخبر في إذاعة مكة وإذاعة مصر وفي صحف المملكة ومصر مج١، ص٣٨-٣٩. ومن هذه الأخبار المهمة البرقية التي رفع سماحة المفتي إلى الملك سعود في سنة ١٣٧٤هـ حول ما نشر في جريدة البلاد السعودية من خبر الثلاثة الذين ادعوا رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد طلب المفتي بمنع الأذى والروائح الكريهة عن حجرته النبوية وعن مسجده الحرام في المدينة. آل الشيخ، فتاوى، ج١، ص١٣٧.

[٢٤٥] منها على سبيل المثال: الفتاوى المتعلقة باقتناء المذياع، ج١٠، ص٢٢٤، والفتوى المتعلقة بلبس النظارة والساعة ج٤، ص٧١، الفتوى المتعلقة بلعبة الكيرم ج٨، ص١٣٠، والفتوى المتعلقة بافتتاح المقاهي، ج١٠، ص٢٦٠، والفتوى المتعلقة بافتتاح حمام بخاري خاص بالرجال، ج٢، ص٨٣.

[٢٤٦] الشاعر، ناصر الدين وآخرون، نظام الأسرة في الإسلام، (فلسطين، مطبعة النصر) ٢٠١٢م، ص٢٤.

[٢٤٧] السيف، محمد إبراهيم، المدخل إلى دراسة المجتمع السعودي، (الرياض، دار الخريجي) الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ص١٧٩.

[٢٤٨] الفتاوى، ج٤، ص٨٩.

كما أشـــارتْ هذه الفتاوى إلى أنَّ المهر كان يُدفع نقدًا، وفي بعض الأحيان كان يُدفع معجلًا، وكان بعضـــه مؤجلًا، ونســـتدل مِن خلال الفتاوى أنه كانتْ هناك بعض التســـهيلات في دَفْع المهر، كأن يدفع الزوجُ جزءًا مِن المهر، ويُقدِّم الجزء الباقي بعد الزواج، وفي المقابل فقد كان مِن حق الزوجة إذا تأخَّر الزوج في دفع بقية المهر أن تلجأ إلى القاضي، وترفع دعوى عليه حتى تلزمه بدفع بقية المبلغ، فقد ورد في إحدى الفتاوى أنَّ امرأة في القنفذة طالبتْ زوجها ببقية مهرها في سنة ١٣٨٨هـــ، ويبدو أنه دفع جزءًا مِن المهر قبل الزواج، وكان قد عَقَد عليها حينما كانت العملة ريالات ســعودية فضــة، وبعد وقوع خلاف مع زوجها طالبته ببقية المهر فضــة، وهو لَم يدفع لها غير العملة الورقية، وقد جاء جواب المفتي: أنه يلزمه أن يبذلَ لها مهرها فضـــة، لأن الحكومة لم تمنع الناس مِن التعامل بها حتى يعطيها قيمتها أو يعوضها عنها، ولأنها هي العملة التي بينهم، فمن الوفاء بالعقود التي أمر الله بالوفاء بها أن يعطيها فضة[٢٤٩].

يُستدل مِن خلال هذه الفتوى أن مهر الزواج في السابق كان يُدفع فضةً، وكان ذلك معمولًا به حتى زمن المفتي، كما تدل على أن المهور لم تكنْ ثابتة أو محددة، وقد تكون عاليةً في بعض القرى والقبائل؛ لذا فقد كانتْ بعض القبائل والعشائر تحارب غلاء المهور حتى يكونَ بمقدور أفرادها الزواج بدون عناء، ولتحقيق ذلك قامتْ بعضُ القبائل بإصدار قاعدة قبلية تتضـــمن بعض بنودها تحديد مهور الزواج بين أفراد القبيلة، ومن لا يلتزم بذلك تُفرَض عليه بعض العقوبات[٢٥٠]، وبعد تتبُّع الفتاوى نجد أنَّ بعض القبائل اتفقتْ على تخفيض المهور وتحديدها بموجب ما قرره أعيانهم وتصديق قاضيهم وأميرهم ومشائخ قبائلهم لمواجهة مشكلة غلاء المهور[٢٥١].

كما كانتْ مشـكلة غلاء المهور والإسـراف في حفلات الزواج مِن المشـاكل التي تَنَبَّه لها كثيرٌ مِن العلماء، وعَمِلُوا على محاربتها، وقد حاول الشـيخ محمد بن إبراهيم مِن خلال المسـائل التي رُفعتْ إليه معالجة مسـألة غلاء المهور؛ إذ يختلف مقدارُ المهر باختلاف عادات كل منطقة، كما بالغ البعض في مهور بناتهنَّ؛ فمثلًا في إحدى الفتاوى رفع أحد الأشخاص يشتكي مِن غلاء المهور، وذلك أن أهالي بلاد زهران يطلبون مهورًا عالية في زواج بناتهم، وبناءً على ذلك رفع مفتي البلاد إلى نائب رئيس مجلس الوزراء حول مشكلة غلاء المهور[٢٥٢].

ولَمَّا كانتْ قضيةُ غلاء المهور مِن القضايا التي أشغلت الشباب؛ فقد حاول الشيخ محمد بن إبراهيم معالجة هذه المشكلة مِن خلال مراسلة كبار القبائل في البلاد؛ من أجل تحديد المهور بموجب ما قرره عقلاؤهم وأعيانهم، وتصديق قاضيهم وأميرهم ومشايخ قبائلهم[٢٥٣]، كما كان هناك حِرْص على متابعة هذه المشكلة رغبة في مساعدة الشباب؛ ففي سنة ١٣٨٨هـ طالب أمير منطقة الرياض الأمير سلمان بن عبدالعزيز من سماحة المفتي الفتوى التي صدرتْ في هذا الشأن، وبناء على تلك الفتوى تقرَّر:

١. أن يكون الحد الأعلى للصداق أربعة آلاف ريال فأقل بالنسبة للمدن الكبيرة؛ كالرياض ومكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة، وغيرها مِن كُبْرَيات مدن المملكة.
٢. بالنسبة للمدن الصغيرة والقرى والأرياف، يُترك الأمر فيها للقاضي الذي يقوم بجمع أعيان البلدة، ويخبرهم بإلزام ولاة الأمور لهم بتخفيض المهور، ويتفقون على ما يتناسب مع حالتهم، ملاحظين حالة الأضعف ومتوسط الحال منهم، وما تم اتفاقهم عليه تعيَّن الإلزام به.

---

(٢٤٩) الفتاوى، ج١٠، ص٢٠٤-٢٠٥.
(٢٥٠) ابن جريس، غيثان بن علي، بلاد بني شهر وبلاد بني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، (أبها، المؤلف نفسه) الطبعة الثانية، ١٤٢٩ه/٢٠٠٨م، ص١٣٣.
(٢٥١) الفتاوى، ج١٠، ص١٨٤.
(٢٥٢) الفتاوى، ج١٠، ص٢٠٥.
(٢٥٣) الفتاوى، ج١٠، ص١٨٤.

٣. هناك بعض القبائل في الحجاز وتهامة لهم السبق؛ حيث اتفقوا فيما بينهم على تحديد مهور بناتهم، فنَصَّ القرارُ على إبقائهم ما كانوا عليه.

٤. وَضْع لجانٍ للمُراقَبة في كلِّ بلد، يكون مرجعها قاضي البلدة لمتابعة تطبيق ما جاء في القرار ومعاقبة المخالفين[٢٥٤].

ولَم يَقتصر الأمرُ على غلاء المهور فحسبُ، بل أشارت الفتاوى إلى قضية التلاعُب بمهر الزوجة؛ فمن المعلوم أنَّ المهر مِن حق الزوجة، غير أنه يَحْدُث في بعض الأحيان أن يتدخَّل أحد القرابة بالتصرف فيه؛ مما يؤدي إلى حدوث نزاعات المهور التي قد تمتد بين الأخ وأخته؛ ففي إحدى الفتاوى رَفَض أحدُ الإخوة تزويج أخته؛ حتى يأخذَ جزءًا مِن مهرها، وبناءً على ذلك رفع الشيخ محمد بن إبراهيم خطابًا ينصح هذا الأخ بحسن ولاية أخته، وبَذْل الجهد في اختيار مَن يكون لها عونًا، ومحذرًا إياه من ظلمها بعَضْلِها؛ حتى لا يَضْطَرَّ إلى إسقاط ولايته[٢٥٥].

كما يتبين مِن خلال الفتاوى بعض الاشتراطات في عقد الزواج؛ مثل أنْ يشترط أهل الزوجة على الزوج السكن في بلد معين، فلا تخرج منه، فقد ورد سؤال إلى المفتي حول أبٍ اشترط زوج ابنته بقاءها في بلدها، وعدم انتقالها مع زوجها إلى بلد آخر[٢٥٦]، ومِن الآباء مَن اشترط على زوج ابنته أن تبقى ابنته عنده في البيت لخدمته[٢٥٧]، كما ورد في بعض الفتاوى شروط خاصة بالزوجة، خاصة الزوجة الثانية؛ فقد حرَص بعضهنَّ على وَضْع شرطٍ في عقد الزواج بتطليق زوجته الأولى؛ لكي تضمنَ أن تكونَ الزوجة الوحيدة على ذمته[٢٥٨]، وقد يكون الزوجُ مبتلًى بعادة سيئة فتشترط الزوجةُ تركها، ومن ذلك اشتراط زوجة على زوجها في عقد زواجها ألا يشربَ الدخان[٢٥٩]

وقد يَحْدُث أحيانًا أن يوافق الزوجُ على شروط الزوجة، ثم يخالفها بعد إتمام الزواج؛ فقد اشترط أهل الزوجة على رجلٍ تقدَّم لابنتهم أن يُطلِّق زوجته، فطَلَّقَها طلقتين، ثم تراجع عن شرطه فراجع زوجته، وقد أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم: "أن مراجعته صحيحة، ومطالبة أهل امرأته الأخيرة بطلاق الأولى مُطالَبة مُحرَّمة ومعصية لله ورسوله"[٢٦٠].

كما تطرقت الفتاوى إلى بعض العادات التي تُصاحب عقد الزواج في بعض القرى؛ منها: ما يُعرف بمكسر الجماعة؛ فقد جَرَت العادة لدى بعض القرى أن يأخذوا بعد عقد الزواج جبرًا - إما مِن المتزوج، أو مِن مَهْر الزوجة - مبلغًا من المال، يتراوح بين ٢٠٠-٥٠٠ ريال، يُوزع على أهل القرية التي جرى فيها عقد النكاح[٢٦١].

كما تناولتْ هذه الفتاوى ما يجري في احتفالات في يوم الزواج؛ حيث يحضر فيها الضيوف، وتُضْرَب الدفوف، وتُقام الولائم، ويستدعى فيها المطربون لإحياء الزواج، غير أنه في بعض الأحيان كانتْ تصدر مخالفات شرعية مِن بعض أصحاب الدفوف؛ مما يتسبب في إغضاب بعض الأشخاص، وهذا ما أشارتْ إليه إحدى الفتاوى حينما رفع الأمير عبدالمحسن بن عبدالله بن جلوي في سنة ١٣٧٧هـ إلى سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم معاملةً رَفَعَها رئيس هيئة الأمر بالمعروف بالأحساء، عن وجود امرأة تغني في الأفراح وقَع منها مخالفات، وبناءً على ذلك فقد أوصى بمنع هذه المرأة من إحياء الأفراح؛ لما وقع مِن مخالفاتٍ[٢٦٢].

---

(٢٥٤) الفتاوى، ج١٠، ص١٩٧-١٩٨.
(٢٥٥) الفتاوى، ج١٠، ص٢٠٦.
(٢٥٦) الفتاوى، ج١٠، ص١٤٩.
(٢٥٧) الفتاوى، ج١٠، ص١٥١.
(٢٥٨) الفتاوى، ج١٠، ص١٤٦.
(٢٥٩) الفتاوى، ج١٠، ص١٤٩..
(٢٦٠) الفتاوى، ج١٠، ص١٤٦.
(٢٦١) الفتاوى، ج١٠، ص٢٠٢-٢٠٣، وقد أفتى الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله بعدم جوازها لما فيها من الظلم. ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، تحقيق: محمد الشويعر، (الرياض، دار القاسم) ١٤٢٠هـ، ٢١/ ٩٣.
(٢٦٢) الفتاوى، ج١٠، ص٢١٨-٢٢٠.

ومِن العادات المُلْفِتَة ما سُئِل عنه الشيخ محمد بن إبراهيم عن الزواج ليلة الجمعة، وقد أجاب على ذلك بقوله: "إذا كان أهلُ البلد يتخذون من الزواج في هذه الليلة اعتقادًا منهم أنَّ فيها بركة تتعدَّى إلى الزوجين؛ بحيث يحصل بينهما وفاقٌ، أو نحو ذلك - فهذا لا يسوغ على هذا الوجه، وإن كان إيقاعه في هذه الليلة مِن جهة أنها عُطلة الأسبوع، وإن رجال الأعمال الذين يَدْعُوهم الزوج أو ولي الزوجة يكون عندهم فراغ فيستجيبون للدعوة؛ فلا شيء في ذلك"[٢٦٣].

كما نلمس مِن خلال الفتاوى حِرْص مفتي البلاد على سلامة عقود الأنكِحَة؛ ففي إحدى الرسائل أكَّد على مَن يقوم بإجرائها باتخاذ سجلٍّ يُسجَّل فيه اسم الزوج والزوجة والعاقد والشاهدين، ويُنوه فيه عن تسليم الصَّداق ومقدار المُؤَجَّل منه، وأخذ التواقيع اللازمة في نفس السجل؛ ليكون مرجعًا فيما لو حصل إشكال أو اختلاف بينهم[٢٦٤].

ومِن بين الموضوعات الخطيرة التي تطرَّقتْ لها الفتاوى الأنكِحَة الفاسدة التي تُخالف الشريعة الإسلاميَّة، ونلمح في بعض الفتاوى صورًا مِن ذلك، مثل ما قام به بعض موظفي السفارات الأجنبية من إجراء عقود أنكِحَة غير مستكملة للإجراءات الشرعية، كالعقد للزوجين بدون ولي للزوجة، أو بدون التحقق مِن هُويات الزوجين والولي والشهود؛ لذلك طالَب المفتي بالرجوع إلى المحاكم الشرعية في عقود زيجات الأجانب[٢٦٥].

كما وُجِدَتْ بعضُ العقود الفاسدة في بعض جهات عسير وجازان نتيجة للجهل بأمور الدين؛ ففي سنة ١٣٨٢هـ رَفَع مفتي البلاد الشيخ محمد بن إبراهيم خطابًا إلى وزير الداخلية بسبب وجود بعض الأنكِحَة الفاسدة في بعض جهات عسير؛ وذلك أنَّ عقود الأنكِحَة تجري في بعض الجهات على غير وجهها الشرعيّ؛ لعدم معرفتهم بشروط النكاح، وعدم معرفة الأولياء لذلك[٢٦٦]، وفي سنة ١٣٨٥هـ رَفَع مفتي البلاد الشيخ محمد بن إبراهيم خطابًا إلى وزير الداخلية يتضمَّن خطابَ رئيس محكمة جازان، وخطابَ قاضي أبي عريش، واستدعاءً مُقدَّمًا مِن بعض الأهالي حول وجود مَن يَتعاطَوْن الأنكِحَة الفاسدة بدون إذنٍ شرعيٍّ[٢٦٧].

ومِن صور الأنكِحَة الفاسدة: ما يُعرف بزواج الشِّغار، أو ما يُعرَف بالبدَل، والشِّغارُ هو أن يُزَوِّج الرجل أخته أو ابنته على أنْ يُزَوِّجَه الآخر ابنته أو أخته، ليس بينهما مهرٌ[٢٦٨]، وقد أشارت الفتاوى إلى انتشاره بين بعض القبائل في منطقة الحجاز، وقد أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم بعدم جوازه شرعًا؛ لما يترتب عليه مِن إجبار النساء على نكاح مَن لا يَرْغَبْنَ فيه؛ إيثارًا لمصلحة الأولياء على مصلحة النساء، ولأنه يُؤدي أيضًا إلى حرمان النساء مِن مهور أمثالهنَّ[٢٦٩].

كما رصدت الفتاوى المشكلات التي تُواجه المرأة عند زواجها؛ كإجبارها على الزواج؛ فقد أعطت الشريعةُ الإسلامية المرأةَ الحريةَ في اختيار الزوج؛ سواء كانتْ بِكرًا أو ثيبًا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (لاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، وَلاَ الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ)[٢٧٠]، وبالرغم مِن ذلك فقد رَصَدت الفتاوى عددًا من الحالات التي حاول فيها الأولياءُ إجبار المرأة على النكاح ممن لا يرغبون فيه.

---

(٢٦٣) الفتاوى، ج١٠، ص٦٤.
(٢٦٤) الفتاوى، ج١٠، ٦١.
(٢٦٥) الفتاوى، ج١٠، ص٦٢-٦٣.
(٢٦٦) الفتاوى، ج١٣، ص٢٠٦
(٢٦٧) الفتاوى، ج١٠، ص٦١.
(٢٦٨) الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، غريب الحديث، (حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية) الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م، ج٣، ص١٢٨.
(٢٦٩) الفتاوى، ج١٠، ص١٥٨.
(٢٧٠) صحيح البخاري، رقم الحديث (٥١٣٦).

وقد سُئِل الشيخُ محمد بن إبراهيم عن إجبار الولي؛ ففي إحدى الرسائل بعثتْ بها والدةُ الملك سعود الأميرة وضحى العريعر[٢٧١] إلى المفتي في سنة ١٣٧٧ هـ؛ بخصوص قضية إحدى الفتيات الذي حاول جدها إجبارها على الزواج ممن لا ترغب فيه، وقد أجاب الشيخ بعدم جواز إجبارها على شخصٍ لا ترضاه[٢٧٢].

كذلك كان الزواج في إطار القرابة أمرًا شائعًا، فنكاح بنت العم كان شائعًا لصلة الرحم مِن جهةٍ، وللمحافظة على بقاء الثروة داخل الأسرة، وتشابه العادات والتقاليد بين الأقرباء، ولإبقاء في نطاق العائلة[٢٧٣]، غير أنه كانتْ تحدث في بعض الأحيان خلافات عائلية بسبب عدم رغبة الفتاة في الزواج، وكان مِن ضمن القضايا التي رُفِعَتْ إلى المفتي مِن قاضي رفحاء في سنة ١٣٧٧هـ قضيةٌ حاول والد فتاة إجبارها على الزواج؛ فهددتْ بقتل نفسها إذا أُجبرت عليه، فأجاب المفتي بفسخ هذا النكاح[٢٧٤]، وفي قضيةٍ أخرى مماثلة رفع بها قاضي محكمة وادي الدواسر في سنة ١٣٨٨هـ إلى سماحة المفتي حول إجبار امرأة وهي ثَيِّب على الزواج من ابن عمها، وقد مضى على زواجها عشر سنوات دون أن يقربها، فأجاب بعدم جواز النكاح[٢٧٥].

كما كان الزواج المُفَضَّل في المجتمع الزواجُ مِن بنات العم، مالم تقم هناك روابطُ المحارم ما يمنع من الزواج؛ كالرضاع مثلًا بين أبناء العمومة[٢٧٦]؛ إذ يعتبر الرضاع مِن أسباب حُرمة الزواج، وقد رَصَدَتْ فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم هذه المشكلة في عددٍ مِن الفتاوى؛ مِن ذلك ما رفعه قاضي القيصومة مِن حادثةٍ وقعتْ لزوجٍ رفع دعوى على والد زوجته بعد أنِ ادَّعَى أن ابنته لا تحل له لكونها أخته مِن الرضاع، فرفعوا قضيتها إلى المفتي ليُفتي في شأنها[٢٧٧].

ومِن الممارسات الخاطئة المتعلقة بالزواج التي تَستحقُّ الالتفات إليها، تزويجُ الصغيرات؛ حيث كشفتْ هذه الفتاوى عن حالات تزويج البنت مِن قِبَل أبيها وهي طفلة صغيرة؛ مثل القضية التي رُفعتْ إلى المحكمة الكبرى بالرياض، بعد أن أقامتْ فتاةٌ دعوى على والدها الذي زوَّجَها وهي طفلة لها سنتان، ولما كبرتْ لم ترضَ بالزوج، وقد أجاب المفتي بعدم إجبار الأب ابنته البكر بمن لا ترضاه[٢٧٨].

وكان مِن بين المشاكل التي رَصَدَتْها الفتاوى عدمُ الانسجام بين الزوجين، خاصة إذا كان فارقُ العمر بينهما كبيرًا، ومِن ذلك قضيةُ المرأة التي زوَّجَها والدُها برجلٍ يكبرها بخمسين عامًا، مما نتج عنه عدم انسجام بينهما أدَّى إلى مرافعات لدى المحكمة بأبها صدر على إثرها حكمٌ بالنشوز[٢٧٩].

كما رصدت الفتاوى بعض العادات السلبية التي ظهرتْ في المجتمع مِن تعسُّف بعض الأولياء في حق الولاية، وتَمَثَّل ذلك في التحجير على المرأة في النكاح، بِمَنْعِها مِن النكاح ممن ترغب فيه، وإكراهها على النكاح مِن شخصٍ لا ترغب به، ولعل مِن أسباب ذلك التحجير المحافظةَ على الروابط الاجتماعيَّة في القبيلة وتماسكها، إضافة إلى

---

(٢٧١) هي الأميرة وضحى بنت محمد بن برغش بن عريعر، تنتمي إلى أسرة بني خالد، تزوج بها الملك عبدالعزيز خلال إقامته بالرياض، أنجبت له العديد مِن الأبناء؛ منهم: تركي وسعود وخالد، كان لها العديد من الأعمال الخيرية، توفيتْ في سنة ١٣٨٩ه. الحربي، دلال بنت مخلد، نساء شهيرات من نجد، (الرياض، دارة الملك عبدالعزيز) ١٤١٩ه/١٩٩٩م، ص١٧٦-١٧٩.

(٢٧٢) الفتاوى، ج١٠، ص٨٢.

(٢٧٣) العبيدي، إبراهيم بن محمد، الزواج القرابي في المجتمع العربي السعودي الواقع والتوجهات، مجلة جامعة الملك سعود، كلية الآداب، العدد٢، مج٩، ١٩٩٧م، ص٤٨٤.

(٢٧٤) الفتاوى، ج١٠، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٢٧٥) الفتاوى، ج١٠، ص٨٥.

(٢٧٦) الغامدي، سعيد بن فالح، البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، (الإسكندرية، المكتب الجامعي) الطبعة الخامسة، ١٤١٠ه/١٩٩٠م، ص١٤٣.

(٢٧٧) الفتاوى، ج١١، ١٧٨.

(٢٧٨) الفتاوى، ج١٠، ص٧٧.

(٢٧٩) الفتاوى، ج١٠، ص٢٨٩.

الحرص على عدم خروج الفتاة مِن طوق القبيلة بزواجها مِن قبيلة أخرى[٢٨٠]، ومِن خلال تتبُّع الفتاوى رصدتْ هذه المشكلة؛ منها قضية رجلٍ أراد تحجير بنت عمه وهي غير راغبة فيه، وفي قضية مماثلة قام اثنان مِن الإخوة بالتحجير على أختيهما، ومنعوا الخُطَّاب عنها[٢٨١]، وقد أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم في هذه المسألة قائلًا: "التحجير أمر لا يجوز، ولا يُجيزه الشرع، والإسلام بريء منه، والسنة النبوية مستفيضة بالنهي عن ذلك، والنكاح على هذا الوجه غير صحيح ولا يُعترف به...، وهو مِن أمر الجاهلية التي أبطلها الإسلام وقضى عليها، فلا ينبغي لأحدٍ أن يعمل هذا العمل"[٢٨٢].

كما عالجت الفتاوى قضيةَ عَضْل المرأة وحرمانها مِن الزواج مِن قِبَل الولي؛ فهناك مَن كان يمنع البنات مِن الزواج؛ فقد رَفَع الشيخ نصيحةً لأحد الأولياء بعد أن امتنع عن تزويج حفيدته ممن تقدم لخطبتها، مُحذِّرًا إياه مِن مغبة ما يترتب على ذلك العضل مِن مفسدةٍ، ويدعوه إلى تسهيل أمر زواجها بمن رَضِيَتْ به زوجًا، وينصحه بستر هذه اليتيمة[٢٨٣].

ومِن ضمن القضايا التي أشارتْ إليها الفتاوي مشكلةُ هُروب الزوجة مِن زوجها، والواقعُ أن المرأة التي تلجأ إلى ذلك لا شك أنها تعيش في ظروفٍ صعبةٍ أَجْبَرَتْها على ذلك الفعل؛ فقد تُبتلى المرأة بزوجٍ ظالمٍ؛ ففي إحدى القضايا ضرب زوجٌ زوجته ضربًا مبرحًا، وشجَّ رأسها وقطع ثلاثًا مِن قرونها لأجل عداوة بينه وبين أبيها! فهربتْ منه واتهم أباها بمعرفة مكانها[٢٨٤].

ومِن القضايا التي أثارَتْها الفتاوى مسألةُ زواج الأجنبيات؛ إذ إنَّ كثيرًا مِن الوافدات إلى المملكة ليس معهنَّ أولياء أو تكون معدومة الولي، أو يقطن بعيدًا عنها ولا يمكن التوصُّل إليه إلا بمَشَقَّة؛ لذلك كثيرًا منهنَّ يتردَّدْنَ على المحكمة للمطالبة بعقد زواجهنَّ فيها، وقد كان مِن ضمن القضايا التي رُفِعَتْ قضية آمنة الصومالية المقيمة بالدمام التي ترغب في الزواج من شخص من جنسيتها، ولعدم وجود ولي لها رفَع رئيس المحكمة بشأنها إلى المفتي، فأشار بإحالتهم إلى قاضي الدمام ليتولى مسألة تزوجيهم[٢٨٥]، وفي قضيةٍ أخرى مماثلة رفع المفتي إلى رئيس محكمة مكة المكرمة في سنة ١٣٨٥هـ ليتولى تزويج فاطمة الشنقيطية[٢٨٦].

كما تطرقت الفتاوى إلى مسألة عقد الإماء اللاتي أعتقتهُنَّ الحكومة[٢٨٧]؛ ففي سنة ١٣٨٣هـ صدر تعميم من رئيس مجلس الوزراء إلى سماحة المفتي بالإذن للقاضي بإجراء عقد النكاح للإماء التي جرى عتقهنَّ مِن قِبَل الحكومة ممن يرغبون إذا توفرتْ به الشروط اللازمة شرعًا[٢٨٨]؛ ففي إحدى الفتاوى رفَع الأمير عبدالله بن سعود سؤالًا إلى المفتي حول تزوج سائقهم بمملوكة، وقد أجاب بعدم جواز ذلك؛ لكونه حرًّا وهي مملوكة، إلا بشرطينِ؛ أحدهما: خوفه مِن الزنا

---

(٢٨٠) أبو عامر، هالة طالب محمود، المسؤولية الجنائية عن التحجير على المرأة في النكاح في النظام السعودي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد٢٣، ٢٠١٨م، ص٩٣.

(٢٨١) الفتاوى، ج١٠، ص٨٣.

(٢٨٢) الفتاوى، ج١٠، ص٨٣.

(٢٨٣) الفتاوى، ج١٠، ص٩٨-٩٩.

(٢٨٤) الفتاوى، ج١٠، ص٢٩٤.

(٢٨٥) الفتاوى، ج١٠، ص٩٣

(٢٨٦) الفتاوى، ج١٠، ص١٩٣,

(٢٨٧) في سنة ١٣٨٢هـ صدر قرار تحرير الرقيق بعد أن أعلنه رئيس مجلس الوزراء الأمير فيصل بعد توقيعه من الملك سعود، والذي جاء من أبرز قراراته: منع استيراد الرقيق، ثم منع بيعه وشرائه، ثم إلغائه مطلقًا ثم تحرير جميع الأرقاء في المملكة. الزهراني، حصة بنت جمعان، تحرير الرقيق في المملكة العربية السعودية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز القومي للبحوث غزة، ع٣، مج٥، ٢٠٢١م، ص١٢٣.

(٢٨٨) الفتاوى، ج١٠، ص٩٥-٩٦

على نفسه، الثاني: كونه لا يجد جهاز حرة[٢٨٩]، وفي فتوى أخرى سأل سليم عتيق والدة الملك سعود عن زواجه بمريم مملوكة والدة جلالة الملك سعود، ويذكر سليم أن معه زوجة حرة وأنه غير راغب فيها ولا تعفه، ويخشى على نفسه الزنا، ولا يجد جهاز حرة، وقد أجابه المفتي بجواز هذا النكاح[٢٩٠].

ثانيًا: القضايا المتعلقة بالطلاق:

يُقصد بالطلاق فَسْخ عقد النكاح بين الزوجين، ويحدُث بقيام الزوج بتطليق زوجته الطلقات الثلاث، أو بخلع الزوجة للزوج مقابل تنازلها عن حقوقها الشرعية المترتبة لها مِن هذا الزواج، ومِن خلال تتبع الفتاوى وردت العديد من حالات الطلاق والخلع، وتهديد بالطلاق، إلى جانب المشكلات التي يتضرَّر بها الأطفال، كما رصدتْ بعض العادات الشعبية المتعلقة بالطلاق وميراث الزوجة.

ومِن أسباب الطلاق التي رَصَدَتْها الفتاوى ما يَحدُث بين الزوجين مِن مشاكل عديدة؛ بسبب تدخُّل الأهل، فَيُجبَر الزوج على تطليق زوجته؛ مثل: حالة الزوج الذي كتب والده ورقة طلاقه وأجبره على التوقيع عليها بحضور الشهود[٢٩١]، وفي حالة أخرى أُكْرِه زوج على تطليق زوجته بعد أن ألزمته والدته بتطليقها ثلاثًا[٢٩٢]، وفي السياق ذاته أُكْرِه زوج على تطليق زوجته بعد اختلال عقله؛ فاتهم إخوته زوجته بأنها سحرته، فاستعملوا له صب الرصاص وألزموه بطلاقها[٢٩٣].

وكان التهديدُ بالطلاق ضد الزوجة يُستخدم في بعض الأحيان لردع بعض الزوجات، والتي عادة ما يطلق عليها "أيمان الطلاق"، وتعتبر تلك الأيمان عبارات شرطية، ووقوع الطلاق يتوقف على الوفاء بالشرط من عدمه؛ لذلك كان كثيرٌ من الأزواج يندمون على تلك الأيمان، خاصة إذا كان سبب النزاع تافهًا، فيلجأ إلى المفتي للبحث عن وسيلةٍ لرد ذلك اليمين[٢٩٤]، ومِن خلال تتبع الفتاوى رُصِدَ عددٌ مِن الحالات؛ فنجد مثلًا أنَّ بعض الأزواج علَّق طلاق زوجته على أفعال مستقبلية من الممكن أن تقع، كأن يُعلِّق طلاق زوجته على دخول بيت الجيران، وفي هذه الحالة يقع الطلاق[٢٩٥]، ومنهم مَن قام بتهديد زوجته بالطلاق لمنعها مِن الخروج من البيت دون إذنه[٢٩٦]، ومنهم مَن علَّق طلاقها على ما تملكه مِن مجوهراتٍ مثل قضية المرأة التي وقع نزاعٌ بينها وبين زوجها على أحد حليها، فطلبه أبوها فمنعها الزوج مِن إعطائه، وعلق طلاقها به، فلمَّا عَلِمَ بإعطائها وقع الطلاق[٢٩٧]، ومنهم مَن تعهَّد لزوجته بعدم شرب المسكر، فإن عاد لشربه فزوجتُه تُطلق طلاقًا بائنًا[٢٩٨].

وفي بعض الأحيان قد يعمد بعضُ الأزواج إلى بعض الحِيَل لتهديد زوجاتهم؛ فقد سُئِل المفتي محمد بن إبراهيم في قضية زوجٍ كَتَب ورقةَ طلاق زوجته، وذيَّل الكتابة باسمه وتوقيعه، دون أن ينوي طلاقها ليرهب زوجته لترتدع عن معاملتها السيئة لزوجها، وقد أجاب بعدم وقوعه[٢٩٩]

ومن المعروف أن المطلقة طلاقًا بائنًا لا يحل لزوجها الرجوع إلا إذ انقضتْ عدتها وتزوجها رجلٌ آخر زواجًا

([٢٨٩]) الفتاوى، ج١٠، ص١٤١-١٤٢

([٢٩٠]) الفتاوى، ج١٠، ص١٤٣.

([٢٩١]) الفتاوى، ج١١، ص١٣.

([٢٩٢]) الفتاوى، ج١١، ص١٤.

([٢٩٣]) الفتاوى، ج١١، ص١٤-١٥.

([٢٩٤]) رابوبورت، يوسف: الزواج والمال والطلاق في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى، نقله إلى العربية: أحمد العدوي، (الجيزة، مركز تراث للبحوث والدراسات) الطبعة الأولى، ١٤٣٧ه/٢٠١٥م، ص٢١٨.

([٢٩٥]) الفتاوى، ج١١، ص١٠٠.

([٢٩٦]) الفتاوى، ج١١، ص١١٠.

([٢٩٧]) الفتاوى، ج١١، ص٦٧.

([٢٩٨]) الفتاوى، ج١٠، ص١٤٩.

([٢٩٩]) الفتاوى، ج١١، ص٥٥.

صـحيحًا؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٣٠٠]، ومع ذلك فقد رصدت الفتاوى مَن قام بالتحايل على الشـرع؛ فمنهم مَن طلق زوجته طلاقًا بائنًا ثم اسـتفتى القاضـي فأفتاه بوقوع الطلاق فذهب إلى قاضٍ آخر فأفتى بجواز رجوعها[٣٠١]، وفي قضيةٍ أخرى أمر المفتي بتعزير زوجٍ أرجع زوجته بعد أن طلَّقها طلاقًا بائنًا[٣٠٢]، والأغرب مِن ذلك ما جاء في إحدى الفتاوى في نفس سياق الموضوع؛ إذ رفَع زوج إلى المفتي سؤالًا أنه طلق زوجته طلاقًا بائنًا، وأنه استفتى بعض المشايخ فأفتوه بجواز رجوعها بعقد جديد، فتزوج بها، ورأى في المنام رجلًا صالحًا يخبره أنه ليس على حق، وقد أجاب المفتي بعدم اعتبار فتوى من حلل له مطلقته باعتباره طلاقًا بائنًا[٣٠٣].

كما عرضت الفتاوى بعض حالات الطلاق التي تقع لظروفٍ معينة كمرض الزوج؛ مثل: قضية الزوجة التي طلقها زوجها وهو في مستشفى الأمراض العقلية، وقد أفتى الشيخ بعدم صحة وقوع الطلاق[٣٠٤]، وفي قضية أخرى مماثلة طلق زوج زوجته، وادعى زوال عقله وقت الغضب؛ فرفع والدُ الزوج الذي كان قاضيًا بالوجه وأمير الوجه بأمره إلى المفتي؛ فأمر أن تُحال المعاملة إلى محكمة تبوك للتثبُّت مِن ذلك[٣٠٥]، ومنهم مَن طلق زوجته وهو في غير وعيه في المنام دون أن يُقصد[٣٠٦]، ومنهم مَن طلَّق زوجته بعد أن فقَد حواسَّه؛ مثل: قضية الرجل الذي تجاوز المائة مِن عمره، وطلق زوجته دون إدراك منه[٣٠٧].

ومِن الموضوعات المهمة التي تطرقتْ لها الفتاوى مسألةُ فَسْخ النكاح؛ فقد تواجه الزوجة بعد زواجها مشكلة تغيب زوجها أو فقدانه فتطالب بفسـخ النكاح؛ مِن ذلك: أن الفتاوى رصـدتْ حالاتٍ عديدةً تُطالب فيها الزوجة بفسـخ النكاح بسـبب ما وقع عليها مِن ضـرر الهجر وغياب الزوج[٣٠٨]، فنجد مثلًا في إحدى الفتاوى رفعت امرأة تُدعى فاطمة الشنقيطية بقضيتها إلى المحكمة الشرعية في سنة ١٣٧٤هـ، بعد أن تغيَّب عنها زوجها لمدة سنة ونصف، وكان قد خرج بها إلى الحج ثم تغيب عنها دون أن تُعرَف أخباره، ولم يترك لها نفقة، وبسبب الضرر الواقع عليها طالبتْ بفسخ النكاح، وشَـهِد على تغيب الزوج ثلاثة عُدول، وقد أجاب المفتي بجواز الفسـخ[٣٠٩]، وفي فتوى أخرى رفعت زوجة بقضيتها إلى محكمة الباحة في سنة ١٣٨٨هـ، بعد أن تغيب عنها زوجها لمدة عشر سنوات دون أن يُنفق عليها[٣١٠]، وفي قضية أخرى طالبت زوجة في صبيا بفسخ النكاح في سنة ١٣٨٨هـ بعد أن تغيب عنها زوجها لمدة ست سنوات في الحجاز، دون أن يُنفقَ عليها، وجاء جواب الشيخ في الفتوى بأنه ينبغي البحث عن الزوج المتغيب في الجهة التي يسكن فيها مِن الحجاز لإفهامه بمطالبة زوجته، فإن لم يعثر عليه فإنه لا مانع مِن فَسْخ نكاحها منه[٣١١].

---

(٣٠٠) سورة البقرة، آية ٢٣٠.
(٣٠١) الفتاوى، ج١١، ٣٠.
(٣٠٢) الفتاوى، ج١١، ص٢٧.
(٣٠٣) الفتاوى،ج١١، ص٢٩.
(٣٠٤) الفتاوى، ج١١، ص٩.
(٣٠٥) الفتاوى، ج١١، ص٢٠.
(٣٠٦) الفتاوى، ج١١، ص١٠.
(٣٠٧) الفتاوى، ج١١، ص١١.
(٣٠٨) المراد بالغائب: من غادر مكانه لسفر ولم يعد إليه، وحياته معلومة. الموسوعة الفقهية، ج٢٩، ص٦٢.
(٣٠٩) الفتاوى، ج١١، ص٢٠٠.
(٣١٠) الفتاوى، ج١١، ص٢٠٢-٢٠٣.
(٣١١) الفتاوى، ج١١، ص٢٠١.

كما بينتْ هذه الفتاوى كيفية التعامل مع الأزواج المفقودين؛ ففي إحدى القضايا المرفوعة إلى محكمة جيزان تغيَّب زوج عن زوجته لمدة أربع سنوات، فرفعتْ قضيتها إلى المفتي بعد فشل المحكمة في العثور عليه، فأشار بالبحث عنه بواسطة الإذاعة والصحافة[٣١٢].

ولم يقتصرْ فَسْخ النكاح على الأزواج المتغيبين، فقد تضررتْ بعضُ الزوجات من أزواجهم المفقودين[٣١٣]، الذين انقطعتْ أخبارهم فلا يُعلم مصيرهم أكان حيًّا أو ميتًا، فتضررتْ زوجاتهم بهذا الفقد ماديًّا ونفسيًّا، مِن ذلك: رفع سؤال إلى المفتي في سنة ١٣٧٣هـ حول طلب زوجة الفسخ مِن زوجها الذي مضى على فقده عشرة أشهر[٣١٤].

وقد تُطالب الزوجة بالفسخ بسبب عيب في الزوج كاختلال عقلة، مِن ذلك الفتوى التي رَفَعَتْ بها الأميرة سلطانة بنت عبدالعزيز في سنة ١٣٨٢هـ بخصوص جاريتها المعتقة ذاكرة، أن زوج الجارية اختلَّ عقله، ومستفتيه عن جواز فسخ نكاحها منه، فأجاب المفتي: إذا ثبت ما ذُكِرَ فلا مانعَ مِن فسخ نكاحها بطلبها[٣١٥]، وفي فتوى مماثلةٍ مِن رئيس محكمة عنيزة في سنة ١٣٨٨هـ حول مُطالَبة إحدى الزوجات بفسخ النكاح من زوجها الذي تزوجها، وبعد عدة سنوات اختلَّ عقله مع فقره وعدم مقدرته الإنفاق عليها، وليس للزوجة مَن يُنفق عليها، وطالبتْ بفسخ نكاحها مِن زوجها المذكور[٣١٦].

كما تنطوي كُتُب الفتاوى على معلوماتٍ مهمةٍ تُمكِّن الباحث مِن معرفة ظروف الأسرة والمشاكل التي تعترض الزوجين؛ مِن ذلك: أن الفتاوى قدمتْ مادة كبيرة متعلقة بالخلع والمشاكل التي تُصاحب تلك؛ إذ يمكننا أن نستشفَّ مِن خلال الأسئلة الموجهة للمفتي حول سلوك بعض الأزواج، فالمرأة التي تطلب الخلع عادةً ما تتنازل عن حقوقها المالية بما فيها المهر، وقد تتنازل الزوجةُ عن حضانتها لأطفالها مقابل خلعها مِن الزوج، مثل قضية الزوج الذي رفع دعوى على زوجته لعدم دفعها المبلغ المتفق عليه، وكان قد اتفق معها على دفع مبلغ وتنازلها عن الحضانة، وبعد خلعها تزوجتْ دون أن تُوفي المبلغ المتفق عليه، وطالبت بأطفالها بواسطة الشرطة[٣١٧].

وقد يشترط الزوج على الزوجة شروطًا معينة إذا طلبت الخُلْع؛ ففي إحدى الفتاوى اشترط الزوجُ على الزوجة أن تتنازلَ عن قيمة البشت الذي كان لها في ذمته، واشترط عليها أن تعملَ لمدة عشرة أيام في إحدى المزارع، فوافقتْ على شرطه فوقع الخُلع[٣١٨].

ومِن أهم المشاكل التي يواجهها الأبناءُ بعد طلاق الوالدين مسألةُ الحضانة، فقد رصدت الفتاوى حالات عديدة لسقوط الحضانة عند المطلقة الحاضنة؛ منها على سبيل المثال: سقوط الحضانة بسبب اختلال عقل الأم[٣١٩]، كما تسقط الحضانة عند زواج المطلقة بغير طليقها، مثل قضية الطفلة التي رقع بها قاضي ساجر بسبب التنازع في حضانتها بين أمها المتزوجة وأخيها لأبيها، وقد حكم القاضي بإسقاط حضانة الأم[٣٢٠].

وفي فتوى أخرى رفعتْ بها الأميرة سارة بنت سعود الكبير في سنة ١٣٨٤هـ تسأل فيها عن مَعْتُوقتها المطلقة التي معها بنتان؛ إحداهما: عمرها سبع سنوات، والأخرى عمرها ثمانية شهور، ووالدهما يريد أخذهما وجعلهما عند ضرة

---

(٣١٢) الفتاوى، ج١١، ص٢٠٤-٢٠٥.
(٣١٣) المراد بالمفقود: هو الزوج المفقود وهو مَن غادر مكانه لسفر ولم يعد إليه وجهلت حياته. الموسوعة الفقهية، ج٢٩، ص٦٢.
(٣١٤) الفتاوى، ج١١، ص١٩٩.
(٣١٥) الفتاوى، ج١٠، ص١٧١.
(٣١٦) الفتاوى، ج١٠، ص١٩٩.
(٣١٧) الفتاوى، ج١٠، ٣١٤-٣١٥.
(٣١٨) الفتاوى، ج١٠، ٣١٨.
(٣١٩) الفتاوى، ج١١، ص٢١٥.
(٣٢٠) الفتاوى، ج١١، ص٢١٣.

والدتهما، وقد أجاب المفتي أن البنت الصغرى حضانتها لأمها ما لم تتزوجْ أو يكمل لها سبع سنين، فتكون حضانتها لأبيها بشرط ألا يلحقها ضرر ببقائها عند أبيها، وأما الكبرى فحضانتها لأبيها ما لم يلحقها ضرر من بقائها عند ضرة أمها[٣٢١].

ويُعد ميراث المرأة من الموضوعات المهمة التي أثارَتْها كُتُب الفتاوى؛ فقد يعمد بعضُ الأزواج إلى حرمان الزوجة من الميراث بحيلة شرعية، فيعمد إلى تطليقها، وقد سُئِل الشيخ محمد بن إبراهيم عن زوج محكوم عليه بالإعدام، فطلق زوجته، وقد أجاب الشيخُ بعدم صحة هذا الطلاق، وأنه يجب عليها العدة، ولها ما فرض الله مِن الميراث[٣٢٢]، وفي فتوى أخرى طلق زوج زوجته قبل وفاته بشهرين، وقد أفتى الشيخ أن الزوجة ترثه، وتعتد عدة وفاة، وعليها الإحداد، لاتهامه بحرمانها من الميراث، ولأن الطلاق وقَع في مرض موته[٣٢٣].

وقد تطرَّقت الفتاوى إلى بعض الممارسات الشعبية الخاطئة التي رسختْ في ذهنية المجتمع، فنجد مثلاً مِن هذه الاعتقادات الخاطئة التي رصدتها الفتاوى والتي تعكس الجهل بأمور الدين، أن المرأة المطلقة ثلاثًا تحل لمطلقها إذا اغتسلتْ بماء البحر؛ لأنَّ البحر على حد زعمهم ذكَر، فجاء جوابه أن هذا من خزعبلات العوام، وليس له أصل في الشرع[٣٢٤].

كما كشفتْ بعض الممارسات السائدة لدى بعض المناطق أن هناك أمورًا شائعة عند بعض المناطق الجنوبية، وهو من قبيل الجهل بتعاليم الشرع؛ فكان الزوج إذا أراد أن يطلق زوجته أخذ ثلاثة أحجار صغار إن كانت حاضرة، أو أرسلها إلى أهلها، وقد أجاب المُفتي حينما رفَع له القاضي بشأن تلك العادة بعدم وقوع الطلاق إلا بصريح اللفظ أو الكناية، دون هذه الطريقة[٣٢٥].

الخاتمة:

وعليه فهده بعضُ نماذج قضايا الزواج والطلاق التي رَصَدَتْها فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، والتي أبانتْ عن طبيعة العلاقات الاجتماعيَّة، كما تبين مِن خلال الفتاوى أنها تحمل في ثناياها معلوماتٍ مهمةً عن المجتمع، التي رَصَدَتْ مشكلات الناس في تلك الفترة، ومغيبة عن المصادر التاريخيَّة المتعارفة، والتي تحتاج مِن الباحثين إلى الالتفات إليها، وتعهدها بالدراسة والتحليل.

كما أوصى بإجراء مزيدٍ مِن الدراسات في التاريخ الاجتماعي المتنوع مِن خلال كتب الفتاوى، وخاصة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء؛ للكشف عن مزيدٍ مِن الموضوعات المغيبة في المصادر التاريخيَّة.

([٣٢١]) الفتاوى، ج١١، ص٢١٩.
([٣٢٢]) الفتاوى، ج٩، ٢٦٨.
([٣٢٣]) الفتاوى، ج٩، ص٢٦٩.
([٣٢٤]) الفتاوى، ج١١، ص٤٠.
([٣٢٥]) الفتاوى، ج١١، ص٧٦-٧٧.

الهوامش:

- القرآن الكريم.
- ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، تحقيق: محمد الشويعر، (الرياض، دار القاسم) ١٤٢٠هـ.
- ابن جريس، غيثان بن علي، بلاد بني شهر وبلاد بني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، (أبها، المؤلف نفسه) الطبعة الثانية، ١٤٢٩ه/٢٠٠٨م.
- أبو عامر، هالة طالب محمود، المسؤولية الجنائية عن التحجير على المرأة في النكاح في النظام السعودي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعيَّة، العدد ٢٣، ٢٠١٨م.
- آل الشيخ، محمد بن إبراهيم، فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن قاسم، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة) الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ
- الأنديجاني، مازن بن نجم الدين، الجهود التربوية لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، ١٤٢٨هـ.
- البسام، عبدالله بن عبدالرحمن، علماء نجد خلال ثمانية قرون، (الرياض، دار العاصمة) ١٤١٩هـ.
- الحربي، دلال بنت مخلد، نساء شهيرات من نجد، (الرياض، دارة الملك عبدالعزيز) ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- رابوبورت، يوسف: الزواج والمال والطلاق في المجتمع الإسلامي في العصور الوسطى، نقله إلى العربية: أحمد العدوي، (الجيزة، مركز تراث للبحوث والدراسات) الطبعة الأولى، ١٤٣٧ه/٢٠١٥م.
- الزهراني، حصة بنت جمعان، تحرير الرقيق في المملكة العربية السعودية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعيَّة، المركز القومي للبحوث غزة، ع٣، مج٥، ٢٠٢١م.
- الشاعر، ناصر الدين وآخرون، نظام الأسرة في الإسلام، (فلسطين، مطبعة النصر) ٢٠١٢م.
- العبيدي، إبراهيم بن محمد، الزواج القرابي في المجتمع العربي السعودي الواقع والتوجهات، مجلة جامعة الملك سعود، كلية الآداب، العدد٢، مج٩، ١٩٩٧م.
- الغامدي، سعيد بن فالح، البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، (الإسكندرية، المكتب الجامعي) الطبعة الخامسة، ١٤١٠ه/١٩٩٠م،
- القاضي، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، (الرياض، مطبعة الحلبي) الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٤م.
- الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم بن عبد الله، غريب الحديث، (حيدر آباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية) الطبعة الأولى، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤م.

الكتاب والسُّنَّة ودورهما في تأصيل القيم الأخلاقية
المرأة المسلمة وقيمة الصبر أنموذجًا: دراسة تاريخية حضارية

The book and the Sunnah and their role in rooting moral values The Muslim woman and the value of patience as a model - a historical and civilized study

د. عائشة مرشود حميد الحربي ـ أستاذ التاريخ الوسيط المشارك ـ جامعة طيبة ـ المملكة العربية السعودية

ملخص:

تعدُّ القيم الأخلاقية لبنة أساسية من لبنات المجتمع الإسلامي؛ بل ومن أهم الركائز التي تُبنى عليها المجتمعات، فهي تُمثّل الجانب المعنوي والروحي للحضارة الإسلامية؛ حتى تظل شامخة أمام تحديات كل زمان. والحضارة الإسلامية من أوائل الحضارات التي اهتمت بالقيم الأخلاقية، وقد بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم مُتمّمًا لمكارمها، وقد استمدت تلك الأخلاق من مصدرين أساسيين، أولهما: القرآن الكريم (الكتاب)، فهو المصدر الرئيس الذي ذُكر فيه شمائل الأخلاق الحميدة، أما ثانيهما فالسُّنَّة النبوية، التي جاءت مكملة ومفسّرة لما ورد في القرآن. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أنموذجًا يُهتدى به في الصبر، حيث صبر على الفقر واليتم، وأذى كفار قريش له في أثناء تبليغه الدعوة الإسلامية، وصبر على كل المكاره، كما صبر على أداء الطاعات. وفي الجانب الآخر قدّمت المرأة المسلمة نماذج رائعة لتمسّكها بقيمة الصبر.

الكلمات المفتاحية: القيم الأخلاقية، الحضارة الإسلامية، المرأة المسلمة، الكتاب، السُّنَّة.

Summary

Ethical values are considered a basic building block of the Islamic society, and indeed one of the most important pillars upon which societies are built. May the peace and blessings of God be upon him complete her bounties. These morals were derived from two main sources, the first of which is the Holy Qur'an, which is the main source for the merits of good morals, and the second is the Prophetic Sunnah, which complements and explains what is mentioned in the Holy Qur'an. The infidels of Quraysh to him while he was conveying the Islamic call, and he was patient On the other hand, Muslim women presented wonderful examples of their adherence to the value of patience.

Keywords: moral values, Islamic civilization, Muslim women, the book, the Sunnah.

المقدمة:

تُشكّل القيم الأخلاقية أهمية كبرى في البناء والحضارة، وتنعكس أهميتها على الفرد في المقام الأول؛ ومن ثمّ المجتمع، وقد حفلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بمنظومة كبيرة من المعاني والقيم الأخلاقية في الإسلام، ومن تلك الأخلاق قيمة الصبر، الذي يحتاجه المرء في كافة مراتب حياته؛ إذ يجعل الإنسان قادرًا على ضبط نفسه في كافة الأحوال، ومُتهيّأ لمواجهة مختلف التحديات والصعاب، وذا همة عالية وعزيمة وإصرار.

وتأتي أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على المعاني والقيم الأخلاقية في الإسلام، وذلك من خلال دراسة تأصيل قيمة الصبر في الكتاب والسُّنَّة.

وتكمن أهداف البحث في: التعريف بمعنى الصبر في اللغة والاصطلاح وتوضيح حقيقته، مع تبيان دور الرسول صلى الله عليه وسلم في تشجيع المرأة على التحلي بقيمة الصبر، وعرض نماذج مختارة لتطبيق المرأة المسلمة لهذه القيمة الأخلاقية بحياتها في مواقف شتى.

وقد اتبع البحث المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل، وذلك بجمع الشواهد التاريخية ذات الصلة بهذه القيمة؛ لربطها بما ورد عن هذه القيمة في الكتاب والسُّنَّة.

وستناقش الباحثة في هذا البحث سيتم قيمة الصبر من خلال عدة مباحث تشمل: التعريف بمعنى الصبر في اللغة والاصطلاح، وحقيقته، وتأصيل قيمة الصبر في الكتاب والسُّنَّة، وعرض نماذج مختارة من تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة التحلي بقيمة الصبر، وتناول وقفات تاريخية تُمثّل صورًا من صبر المرأة المسلمة. وفي النهاية أوردت الباحثة خاتمة ذكرت فيها أهم نتائج التي توصلت إليها، تلاها قائمة بأهم المصادر والمراجع.

تعريف الصبر وحقيقته:

الصبر في **اللغة**: المنع والحبس.

أما في **الاصطلاح**: فهو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوها. وهذه هي أركان الصبر، فإذا قام الإنسان بهذه الأركان؛ حاز فضيلة الصبر الذي هو نصف الإيمان، وانقلبت محنته منحة عظيمة، واستحالت بليته عطية جسيمة، وصار ما كرهه محبوبًا، وللأجور العظيمة حائزًا مصيبًا[٣٢٦].

وأما **حقيقته**: فهو خُلق فاضل يمنع من فعل ما لا يحسن ولا يجمّل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: «لا يُنال الهدى إلا بالعلم، ولا يُنال الرشاد إلا بالصبر».

وبالصبر واليقين اللذين هما أصل التوكل تُنال الإمامة في الدين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: «فمن أعطي الصبر واليقين جعله الله إمامًا في الدين» [٣٢٧].

تأصيل قيمة الصبر في الكتاب:

حثّ الله ﷻ عباده المؤمنين على التحلي بقيمة الصبر في كتابه الكريم، واعدًا إياهم بالجزاء العظيم، فمن ذلك:

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:٢٠٠).
- وقال الله سبحانه: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف ١٣٧).
- قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (النحل: ١٢٦).
- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).
- وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٣١).
- وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ٣).
- وقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد: ١٧).

---

[٣٢٦] ابن الدمشقي: برد الأكباد عند فقد الأولاد، صـ ١٤؛ وعبد المحسن القاسم: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، صـ ٢٣.

[٣٢٧] عبد المحسن القاسم: تيسير الوصول، صـ ٢٣.

- وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ (الأحقاف: ٣٥).
- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣).
- وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦).
- وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).
- وقال تعالى:﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النساء: ٢٥).
- وقال تعالى:﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٦).
- وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).
- وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥).
- وقال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (المؤمنون: ١١١).
- وقال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨).
- وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (القلم: ٤٨).
- وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥).
- وقال تعالى: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٥).
- وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٠).
- وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ (الكهف: ٢٨).
- وقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ (ص: ٤٤).
- وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ﴾ (النحل: ١٢٧).
- وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٠).
- وقال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ (ص: ١٧).
- وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣).

تأصيل قيمة الصبر في السُّنَّة النبوية:

قال رسول الله ﷺ: «من يتصبّر يصبره الله، وما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر» (٣٢٨).

وقال عليه الصلاة والسلام: «اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم» (٣٢٩).

وعن النبي ﷺ قال: «إن من ورائكم أيام الصبر، صبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين يعملون مثل عمله. قالوا: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال أجر خمسين منكم» (٣٣٠).

وقد وصف الرسول ﷺ الصبر بقوله: «والصبر ضياء» (٣٣١).

وعن أبي سعد الخدري وأبي هريرة - رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا هَمٍّ، ولا حَزَنٍ، ولا أذًى، ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشاكها؛ إلا كفّر الله بها من خطاياه»(٣٣٢).

وجاء في سنن الترمذي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد» (٣٣٣).

لقد وعد الله عباده الصابرين عند فقد أبنائهم بهذا الأجر العظيم؛ لأن موت الأولاد يفتُّ الأكباد، ومصابهم من أعظم مصاب، وفراقهم يقرع القلوب والأوصال والأعصاب، ويُوهي القوى، ويُوهن العظم، ويُعظم الوهن، فهو مرّ المذاق، صعبٌ لا يُطاق، يضيق عنه النطاق، شديد على الإطلاق، فهنيئًا ببيت الحمد لمن فقدوا أبناءهم، وصبروا وحمدوا الله واسترجعوا (٣٣٤).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم أحتسبه؛ إلا الجنة» (٣٣٥).

قال ابن أسلم: مات ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزنًا شديدًا فأوحى الله: "ماذا كنت مفتديه؟ قال: بصاع الأرض ذهبًا. قال: فأوحى الله إليه: إن لك عندي من الأجر بحساب ذلك"(٣٣٦).

وعن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أعجبكم؟ إن المؤمن إذا أصاب خيرًا حمد الله وشكر، وإذا أصابته مصيبة حمد الله وصبر، فالمؤمن يُؤجر على كل شيء، حتى اللقمة يرفعها إلى فيه» (٣٣٧).

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «إن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام: أني باعث من بعدك أمة، إن أصابهم ما يحبون حمدوا الله، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم، فقال: يا رب كيف يكون هذا؟ قال: أعطيهم من حلمي وعلمي» (٣٣٨).

---

(٣٢٨) أخرجه البخاري.
(٣٢٩) أخرجه البخاري.
(٣٣٠) رواه ابن حبان والبيهقي والألباني.
(٣٣١) أخرجه مسلم.
(٣٣٢) ابن حجر: فتح الباري.
(٣٣٣) سنن الترمذي.
(٣٣٤) عبد الله اللحيدان: سلوة الحزين عند فقد البنين، صـ ١٦.
(٣٣٥) ابن حجر: فتح الباري.
(٣٣٦) عبد الله اللحيدان: سلوة الحزين، صـ ١٦.
(٣٣٧) أخرجه النسائي.
(٣٣٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه.

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» (٣٣٩).

وعن أم الدرداء - رضي الله عنها- أنها كانت تقول: "إن الراضين بقضاء الله، الذين ما قضي لهم رضوا به؛ لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة"(٣٤٠).

وعن أم سلمة - رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ابتلى الله عبدًا ببلاء وهو على طريقة يكرهها، إلا جعل الله ذلك البلاء كفارة وطهورًا، ما لم ينزل ما أصابه بغير الله، أو يدع غير الله في كشفه» (٣٤١).

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» (٣٤٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله؛ حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» (٣٤٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره؛ حتى يبلّغه إياها» (٣٤٤).

وعن أنس ﷺ قال: أتى رسول الله ﷺ شجرة فهزّها حتى تساقط ورقها، ما شاء الله أن يتساقط، ثم قال: «للمصيبات والأوجاع أسرع في ذنوب ابن آدم مني في هذه الشجرة» (٣٤٥).

وعن أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تُصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها؛ إلا خلف الله له خيرًا منها» (٣٤٦).

وعن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها - رضي الله عنهما- قالت: قال النبي ﷺ: «من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته، فأحدث استرجاعًا، وإن تقادم عهدها؛ كتب الله له من الأجر مثله يوم أُصيب» (٣٤٧).

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان له ابن، وكان عليه عزيزًا وبه ضنينًا، فصبر على مصيبته واحتسبه؛ أبدل الله الميت خيرًا من داره، وقرارًا خيرًا من قراره، وأبدل المُصاب الصلاة والرحمة والمغفرة والرضوان» (٣٤٨).

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، ثم صبر؛ عوّضته منهما الجنة» (٣٤٩). يريد عينيه.

وفي صحيفة عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده - رضي الله عنهم- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الخلائق نادى منادٍ: أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس وهم قليلون فينطلقون سراعًا إلى الجنة، فتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعًا إلى الجنة، فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أُسيء إلينا غفرنا، وإذا جُهل علينا حَلمنا، فيُقال لهم: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين» (٣٥٠).

---

(٣٣٩) أخرجه الترمذي.
(٣٤٠) ابن الدمشقي: برد الأكباد، صـ ١٦.
(٣٤١) الدمشقي: برد الأكباد، صـ ١٦.
(٣٤٢) أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه.
(٣٤٣) أخرجه الترمذي والحاكم.
(٣٤٤) أخرجه ابن حبان.
(٣٤٥) ابن قيم الجو زيه: عدة الصابرين، صـ ٩٢.
(٣٤٦) أخرجه مسلم.
(٣٤٧) أخرجه ابن ماجه.
(٣٤٨) ابن الدمشقي: برد الأكباد، صـ ٤٤.
(٣٤٩) رواه البخاري.
(٣٥٠) ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين، صـ ٨٢.

وذكر أيضًا عن أبي أيوب الأنصاري قال: عاد رسول الله ﷺ رجلًا من الأنصار وأكبّ عليه، فسأله فقال: يا نبي الله، ما غمضت منذ سبع، فقال رسول الله: «أي أخي، اصبر تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها». ثم قال رسول الله ﷺ: «ساعات الأمراض؛ يذهبن ساعات الخطايا» (٣٥١).

نماذج مختارة من تعليم الرسول للمرأة للصبر:

جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: "جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك به، تعلمنا مما علمك الله، قال: اجتمعن يوم كذا وكذا». فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: «ما منكن من امرأة تُقدّم بين يديها من ولدها ثلاثة؛ إلا كانوا لها حجابًا من النار» فقالت امرأة: واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: «واثنين» (٣٥٢).

وجاء عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ قال: "كنا عند النبي ﷺ إذ بلغه وفاة ابن امرأة من الأنصار، فقام وقمنا، فلما رآها قال: ما هذا الجزع؟ قالت: يا رسول الله، ما لي لا أجزع وأنا رقوب لا يعيش لي ولد؟ فقال النبي ﷺ: «إنما الرقوب التي يعيش ولدها، أما تحبين أن ترينه على باب الجنة، وهو يدعوك إليها؟ قالت: بلى، قال: كذلك لك في ذلك» (٣٥٣).

وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما- قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: إن ابنًا لي قُبض، فأتنا. فأرسل يقرئ السلام ويقول: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مُسمّى، فلتصبر ولتحتسب»، فأرسلت إليه تُقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت – رضي الله عنهم- ورجال، فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبي، ونفسه تتقعقع. قال: حسبته أنه قال: كأنها شن؛ ففاضت عيناه. فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» (٣٥٤).

كما أن رسول الله ﷺ حثّ المرأة المسلمة على الصبر إذا صُدمت بموت أحد أحبائها، وألا تستسلم للحزن؛ بل تصبر وتحتسب وتبتعد عن النياحة على الميت، حيث قال ﷺ: «اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» (٣٥٥).

وقد أخرج الرسول ﷺ النائحين والنائحات من زمرة المسلمين؛ إذ قال ﷺ: «ليس منَّا من ضرب الخدود، أو شقَّ الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية» (٣٥٦).

لأن في النياحة على الميت مخالفة للتسليم بقضاء الله ﷻ وفتحًا لباب الشيطان، وقد أشار إلى هذا الرسول ﷺ في الحديث الذي روته أم سلمة - رضي الله عنها- قالت: لما مات أبو سلمة ﷺ قلت: غريب، وفي أرض غربة، لأبكينه بكاء يتحدّث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه؛ إذ أقبلت امرأة من الصعيد، تريد أن تسعدني، فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: أتريدين أن تُدخلي الشيطان بيتًا أخرجه الله منه مرتين؟ فكففتُ عن البكاء، فلم أبك (٣٥٧).

---

(٣٥١) ابن قيم الجوزية: عدة الصابرين، صـ ٩١.
(٣٥٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣٥٣) رواه البخاري.
(٣٥٤) رواه البخاري ومسلم.
(٣٥٥) رواه مسلم.
(٣٥٦) متفق عليه.
(٣٥٧) رواه مسلم.

وبلغ من اهتمام رسول الله ﷺ في تحريم النياحة في أوساط النساء خاصة، أنه كان حين يأخذ البيعة من النساء يطلب منهن أن يعاهدنه على تحريم النوح وتجنّبه [٣٥٨]، وذلك في الحديث الذي روته أم عطية - رضي الله عنها- قالت: "أخذ علينا رسول الله ﷺ مع البيعة ألا ننوح"[٣٥٩].

وتوعّد ﷺ النائحة إذا لم تتب قبل موتها أن تُعذّب يوم القيامة عذابًا شديدًا [٣٦٠]، حيث قال ﷺ: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تُقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب» [٣٦١].

وأنذرها باحتجابها عن ملائكة الرحمة وحرمانها من دعائها لها، ما دامت مُصرّة على النياحة وتهييج الأحزان، فقد قال ﷺ: «لا تُصلّي الملائكة على نائحة ولا مرنة» [٣٦٢].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور [٣٦٣].

والعلة في منع المرأة من زيارة القبور؛ لأن ذلك يجدّد عليها تيار الحزن؛ مما يخرجها إلى الجزع والندب والنياحة المحرمة [٣٦٤].

ومن كل الأحاديث السابقة؛ ندرك الحكمة من تحريمه ﷺ للنياحة على الميت، وقد اقتدى الصحابة - رضوان الله عليهم- بذلك فعن أبي بردة بن أبي موسى، قال: وجع أبو موسى وجعًا، فغُشي عليه، ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يردّ عليها شيئًا. فلما أفاق قال: "أنا بريء مما برئ منه رسول الله ﷺ فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة [٣٦٥]، والحالقة [٣٦٦]، والشاقة [٣٦٧] [٣٦٨]". وفي هذا تأكيد على التمسّك بقيمة الصبر.

وإزاء هذا التحريم أقرّ نبي الرحمة ﷺ التعبير عن الحزن بانسياب دمع العين؛ إذ لا قِبلّ للإنسان بحبسه عند المصيبة، ذلك أن انسكاب الدمع يساعد على إطفاء جمرة الحزن، ويُعين على التخفيف من حِدّة الألم [٣٦٩].

ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة، حيث بكى ﷺ في عدة مواقف حينما يشتد عليه الخطب وتحلّ عليه النوائب، ومن ذلك:

لما وفد كبار سادة قريش إلى أبي طالب قالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك؛ حتى يهلك أحد الفريقين.

فقد عظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، فبعث إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظنّ رسول الله ﷺ أن عمه خاذله، وأنه ضعف عن نصرته، فقال: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى

---

(٣٥٨) محمد الهاشمي: شخصية المرأة المسلمة، صـ ٤٨٥.
(٣٥٩) رواه مسلم.
(٣٦٠) الهاشمي: شخصية المرأة المسلمة، صـ ٤٨٦.
(٣٦١) رواه مسلم.
(٣٦٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.
(٣٦٣) رواه أهل السنن.
(٣٦٤) محمد بن عبد الوهاب: القول السديد شرح كتاب التوحيد، صـ ١٦٧؛ صالح الفوزان: الملخص الفقهي، صـ ١٨٨.
(٣٦٥) الصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، انظر النووي: رياض الصالحين، صـ ٤٧٢.
(٣٦٦) الحالقة: التي تحلق شعرها عند المصيبة، انظر النووي: رياض الصالحين، صـ ٤٧٢.
(٣٦٧) الشاقة: التي تشق ثوبها عند المصيبة، انظر النووي: رياض الصالحين، صـ ٤٧٢.
(٣٦٨) رواه البخاري في صحيحه.
(٣٦٩) عبد الله اللحيدان: سلوة الحزين، صـ ٢١؛ الهاشمي: شخصية المرأة، صـ ٤٨٤.

يظهره الله أو أهلك فيه؛ ما تركته، ثم استعبر وبكى وقام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فلما أقبل قال له: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلّمك لشيء أبدًا [٣٧٠].

إن استعبار الرسول ﷺ وبكاءه في هذا الموقف تعبير عن حزنه إزاء إعراض قومه عن دعوة الحق؛ بل وإصرارهم على إيذائه بشتى السُّبل حتى يكفّ عن الدعوة إلى دين الله.

وفي غزوة أحد لما استشهد حمزة بن عبد المطلب ﷺ - عم الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة – وقد مثّل به كفار قريش، ولما رأى ذلك الرسول ﷺ اشتد حزنه، حيث قال ابن مسعود: ما رأينا رسول الله ﷺ باكيًا قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب ﷺ وضعه في القبلة، ثم وقف على جنازته، وانتحب حتى نشع من البكاء، والنشع: هو الشهيق [٣٧١].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: اشتكى سعد بن عبادة ﷺ شكوى له، فأتى رسول الله ﷺ يعوده مع عبد الرحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهم- فلما دخل عليه وجده في غشية، فقال: أقد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا [٣٧٢]، فقال: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذّب بدمع العين ولا بحزن القلب؛ ولكن يُعذب بهذا – وأشار إلى لسانه – أو يرحم» [٣٧٣].

وقفات تاريخية على صور من صبر المرأة المسلمة:

كانت السيدة سمية بنت الخياط - رضي الله عنها- أول شهيدة في الإسلام، وذلك أنها عندما دخلت في الإسلام عُذّبت من قِبل كفار قريش؛ لكنها ظلت صابرة إلى أن طعنها أبو جهل بحربة؛ فاستشهدت رضي الله عنها [٣٧٤].

وكانت زنبرة، والنهدية، وابنتها، وأم عبيس إماء أسلمن، وكان المشركون ينزلون بهنّ سوء العذاب، وابتاع أبو بكر ﷺ هذه الجواري فأعتقهن [٣٧٥].

ومن صبر أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها- ما رُوي عن منصور بن صفية عن أمه، قالت: قيل لابن عمر: إن أسماء في ناحية المسجد، وذلك حين صُلب ابن الزبير، فمال إليها، فقال: إن هذه الجثث ليست بشيء، وإنما الأرواح عند الله، فاتقي الله واصبري. فقالت: وما يمنعني، وقد أُهدي رأس يحيى بن زكريا عليه السلام إلى بَغِي من بغايا بني إسرائيل [٣٧٦].

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: مرّ النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر، وفي رواية لمسلم: تبكي على صبي لها، فقال عليه الصلاة والسلام: «اتقي الله واصبري» فقالت: إليك عني، فإنك لم تُصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك. فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» [٣٧٧].

ومعنى: "عند الصدمة الأولى"، أن كل ذي مصيبة آخر أمره الصبر؛ ولكنه إنما يحمد عند حدّتها، وفور شدتها؛ لأن مصير ذي الجزع إلى السلوان، ولو أقام على قبر ميته مدة من زمان [٣٧٨].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: "مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه، قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب. قال: ثم تصنّعت له أحسن ما كانت تصنع من قبل ذلك، فوقع بها، قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوا؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك، قال:

---

(٣٧٠) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ ١، صـ ٢٧٨؛ المباركفوري: الرحيق المختوم، صـ٨٥–٨٦.
(٣٧١) المباركفوري: الرحيق المختوم، صـ ٢٥٦.
(٣٧٢) رواه البخاري.
(٣٧٣) متفق عليه.
(٣٧٤) المباركفوري: الرحيق المختوم، صـ ٧٩.
(٣٧٥) المباركفوري: الرحيق المختوم، صـ ٨٠.
(٣٧٦) أنس السليم: الرضا بعد القضاء، صـ ٥١.
(٣٧٧) أخرجه البخاري ومسلم.
(٣٧٨) الدمشقي: برد الأكباد، صـ ١٣.

فغصب وقال: تركتني حتى تلطّخت ثم أخبرتني بابن مني، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ «بارك الله لكما في غابر ليلتكما، قال: فحملت» وذكر الحديث.

وفيه: "فولدت غلامًا"، وفيه أن رسول الله ﷺ مسح وجهه، وسمّاه عبد الله (٣٧٩).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما- أنه قال لعطاء: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ قالت: إني أُصرع، وإني أتكشّف فادع الله لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». قالت: أصبر. قالت: فإني أتكشّف فادع الله ألا أتكشّف، فدعا لها (٣٨٠).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ بصبي لها فقالت: ادع الله له، فلقد دفنت ثلاثة. قال: «دفنت ثلاثة»؟ قالت: نعم. قال: «لقد احتظرت بحظار شديد من النار» (٣٨١).

ولما أُستشهد حمزة بن عبد المطلب ﷺ في غزوة أحد، جاءت السيدة صفية - رضي الله عنها- تريد أن تنظر أخاها حمزة، فأمر رسول الله ﷺ ابنها الزبير ﷺ أن يصرفها؛ حتى لا ترى ما بأخيها، فقالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مُثّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لاحتسبن ولأصبرن إن شاء الله. فأتته، فنظرت إليه، فصلّت عليه ودعت له ﷺ ثم استرجعت رضي الله عنها (٣٨٢).

ومما ورد عن الأصمعي أنه قال: خرجت أنا وصديق لي إلى البادية، فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمة على يمين الطريق، فقصدنا نحوها فسلمنا، فإذا عجوز ترد السلام، ثم قالت: من أنتم؟ قلنا: قوم ضللنا الطريق، وأنسنا بكم، قوم جياع، فقالت: ولّو وجوهكم حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل. ففعلنا وجلسنا على فراش ألقته لنا، وإذا ببعير مقبل وعليه راكب، وإذا بها تقول: أسأل الله بركة المقبل، أما البعير فبعير ولدي، أما راكبه ليس بولدي.

فجاء الراكب فقال: يا أم عقيل، السلام عليك، أعظم الله أجرك في عقيل، فقالت: ويحك أو قد مات عقيل؟ قال: نعم، قالت: ما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل؛ فرمت به في البئر.

فقالت: انزل، ودفعت له كبشًا ونحن مدهوشون، فذبحه وأصلحه وقرّب إلينا الطعام، فجعلنا نتعجّب من صبرها. فلما فرغنا، قالت: هل فيكم أحد يحسن من كتاب الله ﷻ شيئًا؟ قلنا: نعم، قالت: فاقرؤوا عليّ آيات أتعزّى بها عن ابني (٣٨٣)، قال: قلت: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾. (البقرة ١٥٥-١٥٧).

قالت: آللهِ إنها لفي كتاب الله؟ قلت: والله إنها لفي كتاب الله، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، صبرًا جميلًا وعند الله أحتسب عقيلًا.

اللهم إني فعلت ما أمرتني به، فأنجز لي ما وعدتني، ولو بقي أحد لأحد لبقي محمد ﷺ لأمته. قال: فخرجنا ونحن نقول: ما أكمل منها ولا أجزل، لما علمت أن الموت لا مدفع ولا محيص عنه، وأن الجزع لا يُجدي نفعًا، وأن البكاء لا يردّ هالكًا؛ رجعت إلى الصبر الجميل، والرضا بقضاء السميع العليم؛ فاحتسبت ابنها لله ﷻ ذخيرة نافعة ليوم الفقر والفاقة(٣٨٤).

ومما أُثر عن امرأة أعرابية اسمها (أم غسان)، فقدت جميع أبنائها، وفوق ذلك كُفّ بصرها، وكانت تقول: الحمد الله على ما قضى، رضيت من الله ما رضي لي، وأستعين الله على بيت ضيق الفناء قليل الإيواء.

---

(٣٧٩) ابن الدمشقي: برد الأكباد، صـ ٤٢.
(٣٨٠) رواه البخاري ومسلم.
(٣٨١) رواه مسلم.
(٣٨٢) المباركفوري: الرحيق المختوم، صـ ٢٥٥.
(٣٨٣) ابن الدمشقي: برد الأكباد، صـ ٥١.
(٣٨٤) ابن الدمشقي: برد الأكباد، صـ ٥٢.

ثمّ أُصيبت مرة أخرى بموت جارة لها كانت تبثّها أحزانها وأشجانها. فيُقال لها: أين فلانة؟ فتقول: الحمد الله على قضاء الله، والرجعة إلى الله(٣٨٥).

وكانت امرأة من بني عامر لها تسعة من الأولاد، دخلت بهم ذات يوم غارًا، ثم خرجت لحاجة وتركتهم في الغار، ولما رجعت، سقط الغار عليهم وانطبق؛ فجعلت تسمع أنينهم وتتلظّى بجحيم عويلهم، لا تملك لهم حولًا ولا طولًا، تئنّ وتزفر زفرات قطعت أحشاءها. والذي عانى البلايا عرف؛ حتى فقدت أنينهم فلم تسمع لهم أنينًا، فعلمت أنهم جميعًا قد ماتوا تحت هذا الغار، فرجعت بها من الأسى ما الله به عليم، فكانت تردد وتقول:

ربيتهم تسعًا حتى إذا اتسقوا ... أفردت منهم كقرن الأعضب الوحدِ

وكلُّ أمٍّ وإن سُرّت بما ولدتْ ... يومًا ستفقد من ربّت من الولدِ(٣٨٦)

وخير قدوة للمرأة المسلمة في الصبر أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- في حادثة الإفك المعروفة(٣٨٧)؛ إذ تألمت - رضي الله عنها- كثيرًا، كما أن الرسول ﷺ تألم من هذا الأمر العظيم؛ إذ كيف يرمي عبد الله بن أبي بن أبي سلول أم المؤمنين - رضي الله عنها- بالإفك؟! فقال ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فو الله ما علمت عن أهلي إلا خيرًا»(٣٨٨).

ولما اشتد الألم بالسيدة عائشة - رضي الله عنها- توجّهت إلى أبويها بعدما أذن لها رسول الله ﷺ بذلك. وتصف السيدة عائشة - رضي الله عنها- حالها بقولها: "فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه، ما يتحدّث الناس؟ قالت: يا بنية، هوّني عليك، فو الله لقلّ ما كانت امرأة قط وضيئة، عند رجل يحبها، ولها ضرائر؛ إلا أكثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله! ولقد تحدّث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة؛ حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، حتى أصبحت أبكي"(٣٨٩).

فتوجّه الرسول ﷺ إلى السيدة عائشة - رضي الله عنها- وهي تبكي عند أبويها، فتشهّد ﷺ حين جلس، ثم قال: «أما بعد، يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى الله؛ تاب الله عليه». فقالت السيدة عائشة، رضي الله عنها: "والله، لقد علمت، لقد سمعت هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدّقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة, والله يعلم أني بريئة؛ لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر, والله يعلم أني منه بريئة؛ لتصدقوني(٣٩٠)، والله لا أجد لكم مثلًا إلا قول أبي يوسف قال:﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨).

قالت: ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشي. قالت: "وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي"(٣٩١).

---

(٣٨٥) أنس السليم: الرضا، صـ ٤٧.
(٣٨٦) أنس السليم: الرضا، صـ ٤٦.
(٣٨٧) للوقوف على تفاصيل حادثة الإفك، انظر عبد الحميد طهماز: السيدة عائشة، صـ ٥٨.
(٣٨٨) ابن سيد الناس: عيون الأثر، جـ٢، صـ ١٤٢.
(٣٨٩) ابن سيد الناس: عيون الأثر, ٢، صـ ١٤٢.
(٣٩٠) عبد الحميد طهماز: السيدة عائشة، صـ ٥٨.
(٣٩١) ابن سيد الناس: عيون الأثر، جـ ٢، صـ ١٤٣.

فأنزل الله براءة السيدة عائشة - رضي الله عنها- في عشر آيات[٣٩٢] من سورة النور، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ (النور: ١١).

ومن أعظم نماذج صبر السيدة عائشة - رضي الله عنها- ثباتها عندما توفي رسول الله ﷺ حيث نالت - رضي الله عنها- شرف خدمة النبي ﷺ وتمريضه في أيام حياته الأخيرة.

ولما اشتد المرض بالرسول ﷺ كان عليه السلام يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، ويقول ﷺ: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»، ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قُبض ومالت يده[٣٩٣].

وظلّت - رضي الله عنها- في هذه المرحلة العصيبة التي مرت بها رابطة الجأش، ثابتة القلب والنفس؛ على الرغم من شدة سكرات الموت التي عاناها ﷺ كانت تقول: "مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي – أي على صدرها – فلا أكره شدة الموت لأحد بعدما رأيت رسول الله ﷺ"[٣٩٤].

الخاتمة:

من خلال معطيات البحث؛ يمكن رصد النتائج الآتية :

- تُشكّل القيم الأخلاقية ركيزة مهمة في بناء حضارات الأمم.
- كان الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة لنا في تطبيق كافة أقسام الصبر.
- تأصيل قيمة الصبر في الكتاب والسُّنَّة.
- حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تعليم المرأة التحلي بقيمة الصبر.
- تعدُّ قيمة الصبر الوسيلة الأولى لتحقيق الأهداف المنشودة.
- تعدُّ قيمة الصبر بمختلف أقسامها الطريق الناجح للحصول على الأجر العظيم من الله سبحانه.
- قدّمت المرأة المسلمة عبر التاريخ نماذج مُشرقة لنجاحها في التمسّك بقيمة الصبر.

(٣٩٢) للوقوف على تفسير الآيات العشر، انظر ابن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، صـ ٥٦٢.
(٣٩٣) عبد الحميد طهماز: السيدة عائشة، صـ ٨٨.
(٣٩٤) رواه البخاري والنسائي.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

- **القرآن الكريم.**
- **الألباني،** محمد بن ناصر الدين, السلسلة الصحيحة، بيروت: المكتب الإسلامي.
- **البخاري،** محمد بن إسماعيل, صحيح البخاري، ١٩٨١م، إستانبول: المكتبة الإسلامية.
- **البيهقي،** أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، بيروت: دار المعرفة.
- **الترمذي،** محمد بن عيسى: سنن الترمذي، بيروت: دار الفكر.
- **الحاكم،** محمد بن عبد الله: مستدرك الحاكم، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.
- **ابن حبان،** محمد التميمي: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ط ١٩٨٧م، بيروت: دار الكتب العلمية.
- **ابن حجر،** أحمد العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط ١٩٩٤م، بيروت: دار الفكر.
- **ابن حنبل،** أحمد بن محمد: المسند، بيروت: المكتب الإسلامي.
- **ابن الدمشقي،** محمد بن عبد الله: برد الأكباد عند فقد الأولاد، ط١، ١٩٩٩م، الرياض: دار ابن خزيمة.
- **ابن السعدي،** عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط٧، ٢٠٠٩م، الرياض: مكتبة الرشد.
- **ابن سيد الناس،** محمد اليعمري: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ط١، ١٩٩٢م، بيروت: دار ابن كثير.
- **ابن قيم الجوزية،** محمد بن أبي بكر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، بيروت: عالم الكتب.
- **ابن ماجه،** محمد القزويني: سنن ابن ماجه، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- **مسلم،** أبو الحسين بن الحجاج, صحيح مسلم، بيروت: دار المعرفة.
- **النسائي،** أحمد بن شعيب: سنن النسائي، ١٩٨٦م، بيروت: دار البشائر.
- **ابن النووي،** يحيى بن شرف: رياض الصالحين، ٢٠٠٧م، القاهرة: دار الحديث.
- **ابن هشام،** عبد الملك: السيرة النبوية، تحقيق: محمد عبد الحميد، المدينة المنورة: دار التراث.

ثانيًا: المراجع:

- **التميمي,** محمد بن عبد الوهاب: القول السديد شرح كتاب التوحيد، ط٢، ٢٠٠٩م، الرياض: دار القبس.
- **السليم,** أنس محمد: الرضا بعد القضاء، ط١, ٢٠٠٤م، الرياض: مدار الوطن.
- **طهماز,** عبد الحميد محمود: السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، ط٣، ١٩٩٠م،الرياض: مطابع الفرزدق.
- **الفوزان,** صالح عبد الله: الملخص الفقهي، ط٤، ٢٠٠٦م، الدار البيضاء: مكتبة الهداية.
- **القاسم,** عبد المحسن محمد: تيسير الوصول إلى شرح ثلاثة الأصول، ط٢، ٢٠٠٨م.
- **اللحيدان,** عبد الله إبراهيم: سلوة الحزين عند فقد البنين، ط١، ٢٠٠٦م، الرياض: دار الحضارة.
- **المباركفوري,** صفي الرحمن: الرحيق المختوم، ٢٠٠٩م، بيروت: المكتبة العصرية.
- **الهاشمي,** محمد علي: شخصية المرأة المسلمة، ط٣، ١٩٩٦م، الرياض: دار البشائر.

أثر استخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم على مستوى تحصيل التلاميذ الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية من وجهة نظر معلمي ومعلمات معاهد وبرامج الصم في المملكة

The effect of using the Holy Qur'an teaching books for the deaf on the level of deaf students' achievement of the basic concepts of the Holy Qur'an course from the point of view of teachers at institutes and programs for the deaf in the KSA

أ.محمد بن هيجان الصحبي - وزارة التعليم – الرياض – المملكة العربية السعودية

Email: groupsacom2@gmail.com

مستخلص البحث

تهدف الدراسة إلى التعرف على أثر استخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم على مستوى تحصيل التلاميذ الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية. وكذلك الكشف عن أي فروقات في تقديرات المختصين في تعليم الصم حول أثر استخدام هذه الكتب على مستوى تحصيل التلاميذ الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية. وقد تم تطبيق الدراسة على جميع معاهد وبرامج فصول الأمل للصم بنين وبنات في المملكة العربية السعودية. من أجل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال مراجعة الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع. كما استخدم الباحث الاستبانة كأداة لجمع البيانات خلال الدراسة الميدانية، حيث تم اختيار عينة عشوائية من المعلمين والمعلمات العاملين في معاهد وبرامج فصول الأمل للصم وحجمها (٣٢). وشملت الاستبانة عدة فقرات تقييم أثر كتب تعليم القرآن للصم على مستوى تحصيل تلاميذ المرحلة الابتدائية الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم من وجهة نظر معلميهم، ليتم تطبيق الاختبارات الإحصائية المناسبة ومن ثم استخلاص النتائج وتقديم المقترحات والتوصيات المناسبة على إثرها.ومن أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة: وجود أثر كبير جداً لاستخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم للباحث الصحبي في رفع مستوى تحصيلهم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية وذلك من وجهة نظر معلمي ومعلمات معاهد وبرامج الصم في مناطق المملكة. كما توصلت الدراسة أيضاً الى أنه لا توجد فروق ذات دلالة في متوسطات اراء المستجيبين حول موضوع الدراسة تعزى للمتغيرات الشخصية (الجنس، الخبرة في مجال تعليم الصم، والمؤهل العلمي، والمرحلة الدراسية)، وكذلك بالنسبة للتوزيع الجغرافي للمعاهد والبرامج.

ومن أهم توصيات الدراسة: ضرورة اعتماد مجموعة كتب القرآن الكريم للباحث الصحبي كمنهاج معتمد لدى معاهد وبرامج فصول الأمل للصم في المملكة، العمل على توفير التقنيات التعليمية الخاصة للصم وضعاف السمع وتدريب المعلمين على استخدامها.

الكلمات المفتاحية: الصم، القرآن الكريم، الإعاقة السمعية، المنهج الوصفي التحليلي.

Abstract:

The study aims to identify the effect of using the Holy Qur'an teaching books for the Deaf by researcher Muhammad bin Hijan Al-Sahbi on the level of Deaf Students' achievement of the basic concepts of the Holy Qur'an course. As well as revealing any differences in the estimates of specialists in Deaf education about the effect of using these books on the level

of Deaf students' achievement of the basic concepts of the Holy Qur'an course. The study was applied to all institutes and programs of classes for deaf boys and girls in the Kingdom of Saudi Arabia.

In order to achieve the objectives of the study, the researcher used the descriptive analytical method by reviewing previous studies related to the topic. The researcher also used the questionnaire as a tool for data collection during the field study, where a random sample of male and female teachers working in centers and institutes for the deaf was selected, the size of which is (32). The questionnaire included several paragraphs evaluating the impact of books on teaching the Qur'an for the deaf on the level of deaf primary school students' achievement of the concepts of the Holy Qur'an course from the point of view of their teachers.

The most important findings of the study are: the use of the Holy Quran teaching books - by researcher Al-Subhi -has a great impact on the level of the deaf achievement of the concepts of the Holy Quran course in the primary stage, from the point of view of teachers of deaf institutes and programs in the regions of the Kingdom. The study also found that there are no significant differences in the average opinions of respondents about the subject of the study due to personal variables (gender, experience in the field of deaf education, educational qualification, and school stage), as well as to the geographical distribution of institutes and centers.

The study recommended the need of adopting a set of Holy Qur'an books by Al-Subhi researcher as a curriculum approved by the institutes and teaching programs in the Kingdom, working to provide special educational technologies for the deaf and hard of hearing, and the need to train teachers of the deaf and hard of hearing to use special educational techniques.

Keywords: Deaf, the Noble Qur'an, Hearing Impairment, the Descriptive Analytical Approach.

المقدمة

إن قضية تعليم القرآن الكريم لذوي الإعاقة السمعية (الصم) أصبحت تأخذ هذه الأيام حيزاً كبيراً من الدراسات الحديثة في مجال التربية الخاصة، حيث توجهت كثير من الدول المتقدمِة نحو استخدام أفضلَ الأساليبِ والطرقَ الحديثة في التواصلِ مع الطلاب الصم وتعليمهم القرآن.

ونظراً لحاجة فئة الصمّ الماسة إلى تعلُّم القرآن الكريم وفهم معانيه، وفقا لطريقة تواصلهم في وطننا العربي وحيث أن (لغة الإشارة) هي الوَسِيلَةُ التي يَتِمُّ بِواسِطَتِها تَبَادُلُ المعلوماتِ مع فئة الصُّم، بواسطة حركات الأصابع والأيدي وتعبيرات الوجه التي يتواصل بها الصم للتعبير عن الفكرة التي يرغبون في إيصالها، والتي تعتمد اعتماداً كلياً على حاسة البصر، وحرصاً على تحقيق أهداف ورسالة خدمة القرآن الكريم، وتعليمه لفئة الصم، فقد ظهر مؤخرا مبادرة تعليمية نوعية وهي مشروع تعليم (القرآن الكريم للصم) للباحث محمد بن هيجان الصحبي كأول بادرة في الوطن العربي، والذي يضم ٢٤ كتاب لتعليم القرآن الكريم للصم من الصف الأول الابتدائي الى الصف الثالث ثانوي بالإضافة الى مشروع مصحف الأمل للصم وهو تطبيق على الهاتف النقال مصمم خصيصا لتعليم القرآن لفئة الصم .

ولأن الهدف من هذه الكتب هو إيصال رسالة القرآن الكريم للصم فان الدراسة الحالية تبحث في أثر استخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم على مستوى تحصيل التلاميذ الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية من وجهة نظر معلمي ومعلمات معاهد وبرامج الصم في المملكة.

مشكلة الدراسة:

مرت عملية تعليم الصم بعدة مراحل تبعا للظروف وتغير المعتقدات، كما أن الحضارات المختلفة عاملتهم بشكل متباين؛ انطلاقا من فلسفة المجتمع ونظرته للنفس البشرية. (التويجري، ٢٠١٤). لقد برز اهتمام صناع القرار في التعليم السعودي بتعليم الفئات الخاصة عامة وذوي الإعاقة السمعية خاصة ورغم الجهود المبذولة في هذا المجال الا أنه مازال هناك العديد من الصعوبات التي تواجه معلمي معاهد وبرامج الصم وضعاف السمع كما أوضحت دراسة (التويجري، ٢٠١٤) وغيرهم خصوصا أنه وحتى اللحظة لازال منهج التعليم العام هو المقرر لطلاب هذه المعاهد، بحيث لا يراعي الفروقات الخاصة لدى ذوي الإعاقة السمعية.

وحيث أن القرآن الكريم هو أشرف العلوم قاطبة لما فيه من خير الدنيا والأخرة وصلاح الجيل الذي نطمح من خلاله لتحقيق الريادة والسيادة لهذه الأمة ونظرا لما يعانيه معلمي ومعلمات القرآن الكريم من صعوبات في تعليم القرآن الكريم للصم والذي لمسه الباحث من خلال مجال عمله، نتيجة تدريسه للصم وضعاف السمع بكافة مراحلهم وأعمارهم، واستشعارا منه بعظم المسؤولية التي تقع على عاتقه وزملائه من معلمي الصم في ايصال رسالة القرآن الكريم للصم، ما دفعه وبعد جهد وبحث كبيرين لتقديم مشروع القرآن للصم والذي اشتمل على ٢٤ كتاب للمراحل الدراسية كافة والتي احتوت إشارات وصفية موحدة لتعليم القرآن الكريم للصم وذلك لما وجده الباحث من اختلافات كبيرة في تفسير معاني القرآن الكريم للصم من خلال الاعتماد في تعليم الصم القرآن على الأبجدية الاصبعية الاشارية مما أدى لعدم فهم معاني القرآن حيث يتم الحفظ من خلال الكتابة والنسخ لآيات السور دون فهم مفرداتها، والذي يخشى من خلاله ضياع المعنى الحقيقي لكلمات و آيات القرآن الكريم.

وعلى الرغم من أنه قد تم تطبيق الكتب واستخدامها من قبل العديد من معاهد وبرامج فصول الأمل في المملكة كوسيلة مساعدة للمعلمين الا أنه لم تزل هناك جهود يبذلها الباحث في سبيل تعميم واعتماد هذه الكتب من قبل وزارة التعليم كمنهاج مستقل خاص بفئة الصم، ومن هنا تبرز مشكلة الدراسة في التعرف على أثر كتب تعليم القرآن المذكورة على مستوى تحصيل التلاميذ الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية من وجهة نظر المختصين في تعليم الصم.

أسئلة الدراسة:

١. ما أثر كتب تعليم القرآن للباحث "الصحبي" على مستوى تحصيل التلاميذ الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية من وجهة نظر المختصين في تعليم الصم؟
٢. هل توجد فروق ذات دلالة في متوسطات أراء المستجيبين حول موضوع الدراسة تعزى للمتغيرات الشخصية (الجنس، الخبرة في مجال تعليم الصم، والمؤهل العلمي، والمرحلة الدراسية)؟
٣. هل توجد فروق ذات دلالة في متوسطات اراء المستجيبين حول موضوع الدراسة تعزى للتوزيع الجغرافي لمعاهد وبرامج فصول الأمل للصم بنين وبنات في المملكة العربية السعودية؟

أهداف الدراسة:

١. دراسة أثر استخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم للباحث محمد بن هيجان الصحبي على مستوى تحصيل التلاميذ الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية.
٢. الكشف عن أي فروقات في تقديرات المختصين في تعليم الصم حول أثر استخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم للباحث محمد بن هيجان الصحبي على مستوى تحصيل التلاميذ الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية.

أهمية الدراسة:

١. تنبع أهمية مشروع البحث من أهمية تعلم القرآن الكريم لدى المسلمين.
٢. يعتبر مشروع البحث إضافة نوعية للمكتبة العربية ومرجع للباحثين في المجال.
٣. من الممكن أن تفيد نتائج البحث وتوصياته صناع القرار التعليمي في اعتماد مجموعة كتب الباحث كمنهاج مقرر لتعليم القرآن الكريم للصم بديلا عن المنهاج العام وبذلك تعم الفائدة للمعلمين والطلاب.

حدود الدراسة:

١. الحد المكاني: تغطي الدراسة جميع معاهد وبرامج فصول الأمل للصم بنين وبنات في المملكة العربية السعودية.
٢. الحد البشري: معلمي ومعلمات فصول الأمل للصم بنين وبنات في المملكة العربية السعودية.
٣. الحد الزماني: طبقت الدراسة خلال الفصل الثاني من العام الدراسي ١٤٤٢-١٤٤٣.

مصطلحات البحث:

- **الصم:** هم الأفراد الذين فقدوا جزءا من قدرتهم السمعية (سلامة،٢٠٠١)
- **التعريف الاجرائي للصم:** هم الأشخاص الذين فقدوا جزءا أو كامل قدرتهم السمعية بحيث أصبحوا بحاجة الى وسائل تعليمية واجتماعية خاصة.

الإعاقة السمعية

يتواصل الناس فيما بينهم بطرق عديدة ويتفاهمون بأساليب مختلفة، وتتكامل هذه الوسائل التعبيرية الاتصالية لتؤلف أنظمة متكاملة في إطار اجتماعي وضعي تتعارف عليه الجماعة الإنسانية، وتعد اللغة من أكثر تلك الأساليب فعالية في

إثراء عملية التواصل ومن أهم وسائل الاتصال الإنساني وحفظ الحضارة الإنسانية وإثرائها، فهي تسعى لاختزال وتوضيح مرجعية العالم الخارجي والعالم الذهني والروحي الداخلي للإنسان. (التويجري وكنسارة، ٢٠١٤)

والسمع والبصر هما نافذتا الإنسان على العالم الخارجي، ولولاهما لعاش الإنسان في ظلمة مطبقة وصمت رهيب، ولكان معزولاً عن الحياة، ونظراً لمكانة هاتين الحاستين ودورهما في الإدراك، فقد كثر ذكرهما في القرآن الكريم مفردتين أو مقترنتين، كما وصف الله سبحانه وتعالى بهما نفسه، فهو السميع البصير. (الهمص، ٢٠٢٠)

تعد وظيفة السمع من الوظائف الرئيسة والمهمة للإنسان، وتظهر قيمة هذه الوظيفة حين تتعطل القدرة على السمع لسبب ما يتعلق بالأذن نفسها، وعالم الأصم عالمٌ صامت، يغمره السكون والهدوء ما لم يمر أمام ناظري الأصم ما يلفت انتباهه، وهو عالم مُعافَى من سماع الضجيج والصَّخب أيا كان مصدره.

مفهوم الإعاقة السمعية:

الصمم وضعف السمع هو: حالة من عدم قدرة جهاز السمع على أداء مهماته الطبيعية بالشكل الذي يجعل الفرد يستفيد منه بشكل كامل، ودرجات فقْدِ السمع مختلفة، وكلها تؤثر في عملية السمع والتي بدورها تؤثر في عملية النطق والتواصل مع الآخرين؛ مما يجعلنا نحكم بمدى تأثر حالة الفرد سواء مع نفسه أو بعلاقاته مع المحيطين، والأهم لدينا هنا هو الأثر الكبير الذي يخلفه في مجال قدرته على التعلم والتعليم. (التويجري وكنسارة، ٢٠١٤)

وللعوق السمعي تعريفات كثيرة منها: تعريف ات طبية، وأخرى نفسية، وأخرى تربوية، ولكنها إجمالا تشير لمستوى سمع أقل من الأشخاص العاديين.

تصنيف الإعاقة السمعية:

من المعروف أن درجة فقدان السمع ليست متساوية عند الأشخاص المصابين بالعوق السمعي، فهي تتراوح ما بين (٢٧ حتى فوق ٩٠ (ديسبل)، وللصمم تصنيفات متعددة حسب السن الذي حدثت فيه الإصابة، وحسب طبيعة العوق السمعي، والمهم لدينا هو حسب درجة الفقدان السمعي الذي بموجبه يتم معرفة الخدمات التي يحتاجها، والمكان التربوي الملائم له فهناك: (التويجري وكنسارة، ٢٠١٤)

- فقدان سمعي بسيط جداً (٢٧ ـ ٤٠ ديسبل)
- فقدان سمعي بسيط (٤١-٥٥ ديسبل).
- فقدان سمعي متوسط (٥٦-٧٠ ديسبل).
- فقدان سمعي شديد (٧١ ـ ٩٠ ديسبل).
- فقدان سمعي عميق (٩٠ -فما فوق) ديسبل.

التواصل بين ذوي الإعاقة السمعية:

يتعامل الصم فيما بينهم من خلال لغة الإشارة التي تعتمد اعتماداً كبيراً على حاسة الإبصار وقوة الملاحظة، وهي اللغة التي من خلالها يستطيع الاصم أن يعبر عن نفسه وعما يجول في خلده، وهي تعبير عن كلمات ومفاهيم من خلال حركات اليدين، وتعتمد على الإشارات والايماءات، وتعتمد كذلك على تعبير الوجه وحركة الجسم، وتعتبر الإشارة هي أساس الثقافة المرئية لهذه المجتمعات.

تعليم الصم وضعاف السمع في المملكة:

لم يكن هناك تعليم رسمي للصم وضعاف السمع في المملكة العربية السعودية إلا في عام ١٣٨٤ ه، كما ذكر الموسى (١٢٩،١٩٩٩)، وذلك عندما افتتحت إدارة التعليم الخاص (بوزارة المعارف) معهدين للصم في مدينة الرياض، أحدهما للبنين والآخر للبنات، ولم يكن هناك معلمون للصم من المتخصصين فكان أن قامت اليونسكو في عام (١٣٨٨ ه) بتدريب بعض المعلمين للعمل مع الصم، (وسبق ذلك ابتعاث عدد من المعلمين لبريطانيا لتعلم كيفية تدريس الصم)، بالإضافة لوجود عدد من المعلمين العرب، حتي الوصول الي الكليات التقنية ومعاهد وقبولهم في الجامعات في الوقت الحالي.

وحسب آخر (إحصائية لوزارة التربية والتعليم بنين ١٤٣٤ ه)، فإن عدد الطلاب الصم (الذكور) في مدارس ومعاهد وزارة التربية بالمملكة العربية السعودية للعام الدراسي (١٤٣٢-١٤٣٣) قد بلغ ٤٦٦٢ طالبا، وعدد الفصول ١٠١٥ فصلاً، يعمل معهم ١٣٠٧ معلمين، أما (الإناث) فقد بلغ عدد الطالبات١٦٠٦ طالبات، وعدد الفصول ١٦٧ فصلاً، وعدد المعاهد ١٦معهدا، وبعدد ٨٣٠ معلمة. (التويجري وكنسارة، ٢٠١٤)

خيارات تعليم الصم وضعاف السمع:

بما أن العوق السمعي ليس درجة واحدة (فهو يبدأ بالبسيط وينتهي بالعميق)، فإن تأثيره على الفرد يختلف في كثير من الجوانب، ومن هذه الجوانب المهمة الخيارات التعليمية المقدمة له، فقد مر الصم وضعاف السمع بمراحل تعليمية ابتدأت بالعزل، ثم مرحلة الإيواء، ثم الإدماج بأشكاله، ويمكن أن نصنف الخيارات التعليمية حسب المكان في وزارة التربية بالمملكة العربية السعودية في الوقت الحالي كما يلي: (ابن نوح وآخرون، ٢٠١٧)

- المعاهد: وهي أول أشكال التعليم للصم وضعاف السمع بكافة تصنيفاتهم.
- فصول ضعاف السمع: وهي برامج ملحقة بمدارس التعليم العام بمراحله الثلاث.
- الدمج مع الفصول العادية: وهي ما يطلق عليه برنامج المعلم المستشار، وبرنامج المعلم المتجول.
- غرفة المصادر: افتتح هذا البرنامج عام (١٤١٨ ه)، وهو عبارة عن تخصيص غرفة لذوي العوق السمعي، ممن يدرسون مع الطلاب العاديين.

مشروع كتب تعليم القرآن للصم:

تعتبر كتب تعليم القرآن الكريم للصم وتطبيق مصحف الأمل للصم للباحث: محمد بن هيجان الصحبي أول مبادرة من نوعها في المملكة العربية السعودية والعالم الإسلامي، حيث انطلق المشروع كبادرة تطوعية من المؤلف وبمساعدة عدد من الزملاء المعلمين والمعلمات.

أهداف المشروع:

١. القرآن الكريم نزل باللغة العربية وخاطبهم الله بها لذلك كان لا بد من مخاطبة الصم المسلمين في العالم بلغة القرآن قال تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا).

٢. ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة إشارية عربية.

٣. توحيد الإشارات الوصفية لتعليم الصم القرآن محليا وإقليميا وعالميا.

٤. تفسير القرآن الكريم بأسلوب سهل وبسيط يناسب الصم.

٥. اعداد المعلمين والمعلمات من ذوي الكفاءة العالية للعمل على خدمة كتاب الله تعالى تعلما وتعليما للصم.

مبررات مشروع كتب تعليم القرآن للصم :

١. تعليم الصم القرآن الكريم بلغة "الإشارة الوصفية" اللغة الأولى والطبيعية لهم.
٢. ندرة المعلمين والمعلمات والمترجمين المؤهلين للقيام بهذا العمل الجليل.
٣. لعدم معرفة الصم معاني كلمات القران الكريم بسبب تعليمهم بطريقة الأبجدية الأصبعية الإشارية (بأصابع اليد الواحدة).

محتويات الكتب :

تحتوي الكتب على ما يلي:

١. توزيع المنهج التعليمي المعتمد في معاهد وبرامج فصول الأمل للصم.

٢. عدد ٢٤ كتاب من الصف الأول الابتدائي الى الصف الثالث ثانوي.

٣. عشر مستويات لكتب حلقات القرآن الكريم للصم.

٤. تدريبات متنوعة.

بناء وتصميم الكتب:

تم بناء الكتب وتصميمها وفق الأسس العلمية لتعليم الصم وبالاعتماد على:

١. تعلم اللغة العربية لزيادة الحصيلة اللغوية واللفظية.

٢. القراءة والكتابة بخط المصحف الرسم العثماني.

٣. التعليم الذاتي عن طريق مجموعة من الأنشطة التعليمية بمفرده.

٤. التعلم بطريقة التواصل الكلي وهو استخدام أكثر من طريقة من طرق التواصل معاً في الاتصال مع المعاقين سمعيا وذلك مراعاة الفروق لقدرات وامكانيات كل فرد عن الأخر وفيما يلي طرق التواصل التي اعتمدتها الكتب وهي:

- "التواصل اليدوي" باستخدام لغة الإشارة الوصفية و الهجائية الاصبعية.
- "التواصل الشفهي" من خلال التواصل اللفظي الكلامي أو الشفوي.
- "قراءة الكلام" من خلال قراءة الشفاه.
- "التدريب السمعي" باستخدام المعينات السمعية.

مراحل المشروع:

١. الحصول على فتاوى بجواز العمل من هيئة كبار العلماء بإدارة البحوث العلمية والافتاء بالمملكة العربية السعودية.

٢. تكوين فريق اللجنة العلمية المختصين لمراجعة كتب التفاسير ومعاني كلمات القرآن الكريم ومناسبتها للصم.

٣. إقامة ورش عمل بمشاركة المعلمين والاداريين المختصين بالتعاون مع وزارة التعليم متمثلة في إدارات التعليم وادارات التربية الخاصة على مستوى المملكة العربية السعودية (الرياض-حائل-الاحساء-القصيم (الرس)-المدينة المنورة-جدة-القنفذة-جازان).

٤. إقامة ورش عمل بالتعاون مع المترجمين والصم المتميزون لتحكيم الإشارات الوصفية لسور القرآن من داخل المملكة وخارجها.

الدراسات السابقة:

في دراسة مقدمة لندوة طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول بعنوان "نشر القرآن الكريم للصم وضعاف السمع" نشرت في العام ٢٠١٣ تم عرض الجهود العربية في نشر القرآن الكريم للصم وضعاف السمع على الطلبة الصم في مدارس مختلفة في قطاع غزة - فلسطين, وأجريت مقابلات مع مختصين في لغة الإشارة وخبراء ترجمة ومدرسي التربية الإسلامية في مدارس قطاع غزة - فلسطين للصم وضعاف السمع، ومن خلال عرض المفاهيم الخاصة بالإعاقة السمعية ولغة الإشارة وخصائص الصم العقلية، أكدت الدراسات أن الشخص الأصم يمتلك قدرات عقلية طبيعية كما السامع ولكن بشرط استخدام لغة تتوافق وإعاقته لتوصيل المفاهيم، فكان من الأهمية بمكان توصيل القرآن الكريم لهم أسوة بالسامعين، وخلصت الدراسة إلى أهمية نشر وتقوية وجود الإشارة العربية الموحدة، تأكيد جودة إخراج القرآن بما لا يتعارض وخصائص الأصم, وتأكيد وجود دراسات أخرى تثري هذا الجانب.

في دراسة بعنوان "المشكلات التي تواجه معلمي وبرامج الصم وضعاف السمع في استخدام التقنيات التعليمية من وجهة نظر المعلمين" للباحث عبد الرحمن بن عبد العزيز بن فهيد التويجري نشرت في العام ٢٠١٤ هدفت إلى التعرف على المشكلات التي تواجه معلمي معاهد وبرامج الصم وضعاف السمع في استخدام التقنيات التعليمة من وجهة نظر المعلمين كهدف رئيسي ثم تفرعت حول أثر متغيرات جنس المستجيب والمؤهل العلمي والتخصص الأكاديمي ودرجة الإعاقة لدي الطلبة في هذه المشكلات. حيث لم تظهر المتغيرات أي فروق ذات دلالة بين عينة الدراسة في تحديد المشكلات. وخلصت الدراسة إلى العمل على توفير التقنيات التعليمية الخاصة للصم وضعاف السمع وضرورة تدريب معلمي الصم وضعاف السمع على استخدام التقنيات التعليمية الخاصة وضرورة وجود اختصاصي تقينات تعليمية خاصة في كل معهد وبرنامج وضرورة تفعيل دور غرف المصادر وكذلك انشاء مركز مصادر تعلم في كل معهد وبرنامج.

في دراسة بعنوان "مشكلات تطبيق مناهج التعليم العام في معاهد وبرامج الأمل الابتدائية للصم بمدينة جدة من وجهة نظر المعلمين والإداريين" للباحث غيثان بن صالح بن علي العمري نشرت في العام ٢٠٠٩ هدفت إلى التعرف على مشكلات تطبيق مناهج التعليم العام من وجهة نظر المعلمين والإداريين، نتج عنها أن من أبرز مشكلات مناهج الصم أن بعض أهداف المنهج غير مناسبة لمرحلة النمو اللغوي للتلاميذ الصم، ولا تراعي الفروق الفردية بين التلاميذ الصم ولا تلبي أيضاً احتياجات التلاميذ الصم ولا ميولهم ولا اهتماماتهم بالإضافة إلى أنها لا تتناسب مع الوقت المخصص لتحقيقها مع التلاميذ الصم حيث أن بعضها لا يمكن تحقيقها مع التلاميذ الصم. وخلصت الدراسة إلى ضرورة تعديل المناهج الدراسية لتلائم احتياجات الصم التعليمية واللغوية على أساس معايير خاصة لا يترتب عليها إخلال بالمحتوى الأكاديمي

للصم والسامعين وأن المناهج الخاصة بالصم لا تعكس تبايناً في المحتوى وإنما تعكس موائمة لتلك الاحتياجات بحيث تقدم المحتوى وفق مدخل قائم على التعلم وليس المحتوى.

في دراسة بعنوان "مشكلات التلميذات الصم وضعيفات السمع في مدارس الدمج الابتدائية من وجهة نظر المعلمات في مدينة الرياض" للباحثين أروى عبدالله علي ابن نوح ومريم حافظ عمر تركستاني نشرت في العام ٢٠١٧ هدفت إلى التعرف على مشكلات التلميذات الصم وضعيفات السمع في مدارس الدمج الابتدائية في مدينة الرياض، استخدمت الباحثتان المنهج الوصفي، وقد اشتملت عينة الدراسة على (٧٩) معلمة، وتم تصميم استبانة تتناسب مع أهداف وأسئلة الدراسة، وكشفت النتائج عن بعض المشكلات الموجودة في مدارس الدمج الابتدائية التي تعيق تحقق أهداف عملية الدمج مثل عدم أهلية المباني المدرسية وملائمتها لخصائص التلميذات الصم وضعيفات السمع، كذلك هنالك مشكلات ارتبطت بالطالبات السامعات فعدم تقديم التوعية لهم أدى لوجود قصور في مشاركتهم للتلميذات الصم وضعيفات السمع وتقبلهن لهن، بالإضافة لوجود مشكلات تتعلق بمعلمة التعليم العام ومدى كفاءتها في التعامل مع التلميذات الصم وضعيفات السمع، إضافة إلى وجود مشكلات تتعلق بالمناهج التعليمية وعدم ارتباطها بالحياة اليومية وثقافة التلميذات الصم، وأخيرا المشكلات التي تتعلق بعدم توفر الخدمات المساندة الضرورية لدعم التلميذات الصم وضعيفات السمع، وأوصت الدراسة بأهمية النظر في التقييم الشامل لبرامج دمج الصم وضعاف السمع.

في دراسة بعنوان "الأسس النظرية والأطر التربوية في تكييف مناهج الصم وضعاف السمع للوصول إلى منهج التعليم العام" للباحث ماجد عبد الرحمن السالم نشرت في العام ٢٠١٦ هدفت إلى وضع إطار شامل لآلية تكييف مناهج الصم وضعاف السمع والتي تنبثق من أساس علمي قائم على الأدلة والممارسات العلمية. حيث قدمت هذه الدراسة أساس منطقي يستند على تجارب علمية ليتم تشكيل هوية تكييف المناهج من خلال الاستدلال بالقوانين والتشريعات وكذلك التجارب العالمية مما يساهم في وضع مستويات التكييف والتي ينبغي التدرج فيها، كذلك المساهمة في خلق الانسجام بين تكييف المناهج وفلسفة الوصول إلى منهج التعليم العام. ونتج عن الدراسة تحديد إطار لتنظيم الجهود التي تسعى في تكييف المناهج والتي تتماشى مع التشريعات والمواثيق العالمية عن طريق السعي لتوفير أقل البيئات تقييداً للأفراد الصم وضعاف السمع من خلال فلسفة الوصول إلى المنهج العام. وخلصت الدراسة إلى أن استخدام مستويات التكييف وكذلك العناصر الرئيسية في تكييف المناهج المذكورة في الدراسة سيساهم في تحسين المخرجات التعليمية للطلاب الصم وضعاف السمع خصوصاً في المهارات الأكاديمية، المعرفية وكذلك اللغوية والتي دائماً ما تكون متدنية نتيجة حذف أو تعديل المنهج بطريقة تحرم الطلاب فرص التعليم المتساوية.

تعتبر منهجية الدراسة وإجراءاتها محوراً رئيساً يتم من خلاله انجاز الجانب التطبيقي من الدراسة، وعن طريقها يتم الحصول على البيانات المطلوبة لإجراء التحليل الإحصائي للتوصل إلى النتائج التي يتم تفسيرها في ضوء أدبيات الدراسة المتعلقة بموضوع الدراسة، وبالتالي تحقق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها. وبناء على ذلك تناول هذا الفصل وصفا للمنهج المتبع ومجتمع وعينة الدراسة، وكذلك أداة الدراسة المستخدمة وطريقة إعدادها وكيفية بنائها وتطويرها، ومدى صدقها وثباتها، والمعالجات الإحصائية التي استخدمت في تحليل البيانات واستخلاص النتائج، وفيما يلي وصف لهذه الإجراءات

منهجية البحث:

من أجل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحث باستخدام **المنهج الوصفي التحليلي** الذي يحاول من خلاله وصف الظاهرة موضوع الدراسة، وتحليل بياناتها، والعلاقة بين مكوناتها والآراء التي تطرح حولها والعمليات التي تتضمنها والآثار التي تحدثها.

ويعرف الحمداني (٢٠٠٦) المنهج الوصفي التحليلي بأنه "المنهج الذي يسعى لوصف الظواهر أو الأحداث المعاصرة، أو الراهنة فهو أحد أشكال التحليل والتفسير المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة، ويقدم بيانات عن خصائص معينة في الواقع، وتتطلب معرفة المشاركين في الدارسة والظواهر التي ندرسها والأوقات التي نستعملها لجمع البيانات".

ويعد هذا البحث من البحوث المختلطة التي تستخدم الطريقتين الكمية والنوعية، حيث تم استخدام هذا المنهج نظرا لحداثة الموضوع (قندلقجي والسامراني, ٢٠٠٩).

مجتمع الدراسة:

يعرف مجتمع الدراسة بأنه جميع مفردات الظاهرة التي يتناولها البحث، وبذلك فإن مجتمع الدراسة هو جميع الأفراد أو الأشياء الذين يكونون موضوع مشكلة الدراسة (عبيدات، ٢٠٠٦)، وبناءً على موضوع ومشكلة الدراسة وأهدافها فقد تحدد مجتمع الدراسة بجميع المعلمين والمعلمات والمشرفين والمدراء بمعاهد وبرامج فصول الأمل للصم في المملكة العربية السعودية والتي طبقت كتب تعليم القران الكريم للباحث في تعليم مقرر القرآن الكريم للصم.

عينة الدراسة:

تم اختيار عينة عشوائية من المعلمين والمعلمات العاملين في معاهد وبرامج الصم حجمها (٣٢).

أدوات جمع البيانات:

للإجابة على أسئلة البحث ولتحقيق أهدافه تعين على الباحث الاستعانة بأدوات مناسبة وفاعلة، واعتمد الباحث على الاستبانة كأداة صممت خصيصا لتحقيق أهداف الدراسة. تعرف الاستبانة على أنها "أداة مفيدة من أدوات البحث العلمي، وهي مستعملة على نطاق واسع للحصول على الحقائق والتوصل إلى الوقائع والتعرف على الظروف والأحوال ودراسة المواقف والاتجاهات والآراء". (عاقل, ١٩٧٩).

تم إعداد استبانة حول "أثر استخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم على مستوى تحصيل التلاميذ الصم في المرحلة الابتدائية لمفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية". حيث تشتمل على قسمين، هما:

القسم الأول: البيانات الديموغرافية، وتتمثل في (الجنس، الخبرة في مجال تعليم الصم، المؤهل العلمي، المرحلة الدراسية التي تدرسها، المنطقة الجغرافية).

القسم الثاني: يهدف إلى تقييم أثر كتب تعليم القرآن للصم على مستوى تحصيل تلاميذ المرحلة الابتدائية الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم من وجهة نظر المختصين في تدريسهم، ويتكون من ٢٠ فقرة.

تم استخدام مقياس ليكرت الخماسي في بناء بدائل الإجابات (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق مطلقاً)

إجراءات الدراسة:

اتبع الباحث الخطوات الآتية في إجراء الدراسة:

١. الاعتماد على الأدبيات والبحوث والدراسات السابقة حول موضوع الدراسة.
٢. إعداد أدوات الدراسة والتأكد من صدقها وثباتها وعرضها على المحكمين.
٣. الحصول على بيانات مجتمع الدراسة.
٤. اعتماد أدوات الدراسة بالموافقة الرسمية لتطبيقها.
٥. التحقق من ثبات وصدق أداة الدراسة بتطبيقها على عينة استطلاعية مكونة من ٢٠ معلماً.
٦. تطبيق أداة الدراسة على العينة الفعلية.
٧. تدوين البيانات والملاحظات أثناء تطبيق أداة الدراسة.
٨. استخدام برنامج الحزم الإحصائية (SPSS)، وتحليل النتائج ومناقشتها.
٩. عرض التوصيات والبحوث المقترحة في ضوء نتائج الدراسة.

اختبارات الصدق والثبات:

يعني الصدق تمثيل الاستبانة للمجتمع المدروس بشكل جيد، أي أن الإجابات التي نحصل عليها من أسئلة الاستبيان تعطينا المعلومات التي وضعت لأجلها الأسئلة (البحر والتنجي، ٢٠١٤).

صدق المحكمين:

تم عرض الاستبانة على مجموعة من المتخصصين، لفحصها والحكم على صلاحيتها في قياس متغيرات الدراسة وتحقيق أهدافها، وقد تم تعديل الفقرات غير الواضحة بناء على ملاحظاتهم وصياغة البدائل المناسبة لفقرات الاستبيان. وقد استجاب الباحث لآراء المحكمين وقام بإجراء ما يلزم من حذف وتعديل في ضوء المقترحات المقدمة، وبذلك خرج الاستبيان في صورته النهائية.

الصدق الداخلي لفقرات الاستبانة:

يقصد بالصدق الداخلي لفقرات الاستبانة بأنه درجة انسجام كل فقرة من فقرات الاستبانة مع الدرجة الكلية للمقياس (ظاظا, ٢٠١١). تم أُستخراج معاملات الاتساق الداخلي كمؤشر من مؤشرات الصدق، من خلال حساب معامل ارتباط (بيرسون) بين درجة كلِّ فقرة من فقرات المحور مع درجة المحور الذي تنتمي إليه الفقرة، للكشف عن مدى اتساق الفقرات في قياس المحور الواردة فيه. يوضح الجدول (١) معاملات الارتباط بين درجة كلّ فقرة من فقرات الاستبانة والدرجة الكلية للاستبانة.

جدول ١: معاملات ارتباط بيرسون بين درجة كلّ فقرة والدرجة الكلية للمحور

م.	الفقرة	معامل الارتباط
١.	يسهم تصميم الكتاب ورسوماته في زيادة دافعية التلاميذ الصم لتعلم مفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية.	*٠,٦٨١
٢.	تضمين قصار السور في محتوى الكتب ساعد التلاميذ الصم في فهم معانيها وحفظها.	*٠,٦٩٨
٣.	يشرح الكتاب مفردات القرآن الكريم ومعانيه بلغة التواصل الكلي لفئة الصم في المرحلة الابتدائية.	*٠,٦٦٦
٤.	تحتوي الكتب على مهارات تربوية تنمي دافعية التعلم لدى التلاميذ الصم في المرحلة الابتدائية.	*٠,٥٨٧
٥.	يشتمل تصميم الكتب على جانب التشويق والمتعة لدى التلاميذ الصم في المرحلة الابتدائية.	*٠,٦٨٥
٦.	تراعي محتويات الكتب مستويات اعاقة الصم (بسيطة- متوسطة- شديدة) في تعليم القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية.	*٠,٦٢٤
٧.	يراعي شرح مفردات القرآن الكريم في المحتوى كل وسائل التواصل (الإشارة الوصفية والأبجدية الإشارية).	*٠,٧٠١
٨.	يتميز محتوى الكتب بوضوح طريقة تعليم آيات القرآن الكريم بالشفاه والكتابة والنطق بحيث يساهم في سهولة تعلم مفاهيم المقرر.	*٠,٧٣٥
٩.	تعتمد الكتب على أفضل الطرق والوسائل التي تساعد الصم في تعليم وحفظ القرآن.	*٠,٧٤٥
١٠	تساعد الكتب التلاميذ الصم على التعرف على الرسم العثماني للقرآن الكريم.	*٠,٧٣٥
١١	تساعد عملية تلوين الآيات في حفظها من قبل التلاميذ الصم.	*٠,٦٦٤
١٢	أدى تظليل كلمات الآيات القرآنية وقراءتها في حفظها من قبل التلاميذ الصم.	*٠,٧٥٨
١٣	يسهم تدريب توصيل الكلمات بالصور في فهم معاني الكلمات في القرآن الكريم.	*٠,٦٩٨
١٤	يساعد تدريب ترتيب الكلمات وإعادة كتابتها في حفظ الآيات القرآنية.	*٠,٦٦٧
١٥	يسهم تدريب وصل الكلمات بالإشارة الوصفية المناسبة في الكتب في التعرف على معاني الآيات القرآنية.	*٠,٧٤٤
١٦	يسهم تدريب إكمال الكلمة الناقصة في فهم معنى الآية القرآنية	*٠,٦٢٥
١٧	تلوين الكلمات وقراءتها بالأبجدية الإشارية يساعد التلاميذ الصم في سهولة حفظها.	*٠,٦٨٥
١٨	يساعد محتوى الكتب أولياء أمور التلاميذ الصم في مساعدة أبنائهم في فهم وحفظ القرآن الكريم وبالتالي زيادة مستوى تحصيلهم الدراسي.	*٠,٧٢٥
١٩	ساهمت الكتب في حل مشكلة لغة الإشارة لتعليم القرآن الكريم بين المدرسة والمنزل والطالب	*٠,٦٣٨
٢٠	ساهمت الكتب بتوحيد لغة الإشارة وفهم معاني كلمات القرآن الكريم للتلاميذ الصم.	*٠,٦٨٨

*الارتباط دال احصائياً عند مستوى دلالة ٠,٠٥

تشير النتائج في جدول (١) إلى أنّ قيم معاملات الارتباط لكل فقرة من فقرات الاستبانة والدرجة الكلية للاستبانة ترتبط ارتباطاً موجباً، ودال إحصائياً عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، مما يشير إلى مناسبة كل فقرة من الفقرات لقياس ما أعدت لأجله.

ثبات الاستبانة:

يعني الثبات استقرار الاستبيان وعدم تناقضه مع نفسه، أي يعطي نفس النتائج إذا أعيد تطبيقه على نفس العينة (البحراوي، ٢٠١٨). بعد التحقّق من صدق الاتساق الداخلي، تم أُستخراج معامل الثبات بطريقة معامل ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha), حيث تعكس قيمة معامل ألفا الأقل من ٠,٦٠ ثباتاً ضعيفا، والقيمة بين (٠,٦٠-٠,٧٠) ثباتا مقبولا، أما القيمة التي تساوي ٠,٧٠ فأكثر فتعكس ثبات جيد للمقياس (Boone & Boone, 2012)، وكانت النتائج كما هي مبينة في جدول (٢).

جدول ٢: معامل ألفا كرونباخ لقياس ثبات الاستبانة

	عدد الفقرات	معامل الثبات
معامل الثبات الكلي	٢٠	٠,٧٢٨

يتّضح من جدول (٢) أنّ معامل الثبات الكلي لأداة الدراسة بلغ (٠,٧٢٨)، وتعدّ هذه القيمة مناسبة ومقبولة، مما يشير إلى ثبات مناسب للاستبانة.

الأساليب الإحصائية المستخدمة:

من أجل تحقيق أهداف الدراسة والاجابة على الاسئلة تم استخدام مجموعة من المقاييس والاختبارات الاحصائية، منها:

- التكرارات والنسب المئوية
- المتوسط الحسابي والانحراف المعياري
- اختبار ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha) لمعرفة ثبات فقرات الاستبانة.
- معامل الارتباط لحساب الاتساق الداخلي.
- اختبار T في حالة عينة واحدة (T-Test) لمعرفة ما إذا كانت متوسط درجة الاستجابة قد وصلت إلى الدرجة المتوسطة وهي ٣ أم زادت أو قلت عن ذلك. ولقد استخدمه الباحث للتأكد من دلالة المتوسط لكل فقرة من فقرات الاستبانة.
- اختبار "ت" لعينتين مستقلتين Independent Sample T test لمعرفة ما إذا كان هناك فروقات ذات دلالة إحصائية بين مجموعتين من البيانات.
- اختبار تحليل التباين الأحادي One Way Analysis of Variance - ANOVA لمعرفة ما إذا كان هناك فروقات ذات دلالة إحصائية بين ثلاث مجموعات أو أكثر من البيانات.

معيار الحكم على أداة الدراسة:

حدد الباحث مستوى استجابات عينة البحث على استبانة ليكرت الخماسي Five Likert Scale**، طبقا للمعادلة الآتية:**

مدى الاستجابة = $\frac{\text{ن}-1}{\text{ن}}$ حيث أن "ن" تمثل تدرج الاستبانة.

مدى الاستجابة = $\frac{5-1}{5}$ =٠,٨

وقد تم أضافة هذه القيمة (٠,٨) إلى أقل قيمة في الاستبانة وهي الواحد الصحيح؛ وذلك لتحديد الحد الأدنى والأقصى لدرجة التوافر، ويوضح جدول (٣) المتوسط الوزني والنسبة المئوية لفقرات الاستبانة.

جدول ٣: المتوسط الحسابي والنسبة المئوية ودرجة الموافقة على فقرات الاستبانة

درجة التوافر	المتوسط الحسابي	(الوزن النسبي) النسبة المئوية للمتوسط
غير موافق بشدة	من ١ إلى أقل من ١,٨٠	من ٢٠٪ إلى أقل من ٣٦٪
غير موافق	من ١,٨٠ إلى أقل من ٢,٦٠	من ٣٦٪ إلى أقل من ٥٢٪
محايد	من ٢,٦٠ إلى أقل من ٣,٤٠	من ٥٢٪ إلى أقل من ٦٨٪
موافق	من ٣,٤٠ إلى أقل من ٤,٢٠	من ٦٨٪ إلى أقل من ٨٤٪
موافق بشدة	من ٤,٢٠ إلى ٥,٠٠	من ٨٤٪ إلى ١٠٠٪

ومن ثم فقد اعتمد الباحث على المتوسط الحسابي والوزن النسبي كمحك لتحديد درجة الموافقة على فقرات الاستبانة.

الوصف الإحصائي لعينة الدراسة وفق البيانات الشخصية:

جدول ٤: توزيع عينة الدراسة حسب البيانات الشخصية

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
الجنس		
ذكر	23	71.9
أنثى	9	28.1
الخبرة في مجال تعليم الصم		
أقل من ٥ سنوات	-	-
٥-١٠ سنوات	3	9.4
أكثر من ١٠ سنوات	29	90.6
المؤهل العلمي		
دبلوم	3	9.4
بكالوريوس	20	62.5
ماجستير فأكثر	9	28.1
المرحلة الدراسية التي تدرسها		
صفوف دنيا	15	46.9
صفوف عليا	17	53.1
المنطقة الجغرافية		
المنطقة الغربية	4	12.5
المنطقة الشرقية	3	9.4
المنطقة الشمالية	1	3.1
المنطقة الجنوبية	5	15.6
المنطقة الوسطى	19	59.4

يبين جدول رقم (٤) أن ما نسبته (71.9%) من أفراد عينة الدراسة من الذكور، والغالبية (٩٠,٦٪) سنوات خبرتهم أكثر من ١٠ سنوات، ومن حملة درجة البكالوريوس (٦٢,٥٪)، كما اظهرت النتائج أن أغلب أفراد عينة الدراسة من سكان المنطقة الوسطى (٥٩,٤٪).

نتائج الدراسة:

السؤال الأول: هل هناك أثر لاستخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم في رفع مستوى تحصيلهم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية؟

للتعرف على أثر استخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم في رفع مستوى تحصيلهم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية، تم استخراج المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات الاستبانة، ويوضح الجدول (٥) هذه النتائج:

جدول ٥: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد عينة الاستبانة للفقرات

م.	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الموافقة
١.	يسهم تصميم الكتاب ورسوماته في زيادة دافعية التلاميذ الصم لتعلم مفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية.	4.750	0.508	أوافق بشدة
٢.	تضمين قصار السور في محتوى الكتب ساعد التلاميذ الصم في فهم معانيها وحفظها.	4.719	0.634	أوافق بشدة
٣.	يشرح الكتاب مفردات القرآن الكريم ومعانيه بلغة التواصل الكلي لفئة الصم في المرحلة الابتدائية.	4.500	0.803	أوافق بشدة
٤.	تحتوي الكتب على مهارات تربوية تنمي دافعية التعلم لدى التلاميذ الصم في المرحلة الابتدائية.	4.281	0.924	أوافق بشدة
٥.	يشتمل تصميم الكتب على جانب التشويق والمتعة لدى التلاميذ الصم في المرحلة الابتدائية.	4.375	0.751	أوافق بشدة
٦.	تراعي محتويات الكتب مستويات اعاقة الصم (بسيطة-متوسطة-شديدة) في تعليم القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية.	4.125	0.871	أوافق
٧.	يراعي شرح مفردات القرآن الكريم في المحتوى كل وسائل التواصل (الإشارة الوصفية والأبجدية الإشارية)	4.281	0.924	أوافق بشدة
٨.	يتميز محتوى الكتب بوضوح طريقة تعليم آيات القرآن الكريم بالشفاه والكتابة والنطق بحيث يساهم في سهولة تعلم مفاهيم المقرر.	4.126	0.833	أوافق
٩.	تعتمد الكتب على أفضل الطرق والوسائل التي تساعد الصم في تعليم وحفظ القرآن.	4.188	0.896	أوافق
١٠.	تساعد الكتب التلاميذ الصم على التعرف على الرسم العثماني للقرآن الكريم.	4.124	0.871	أوافق

١١.	تساعد عملية تلوين الآيات في حفظها من قبل التلاميذ الصم.	4.594	0.665	أوافق بشدة
١٢.	أدى تظليل كلمات الآيات القرآنية وقراءتها في حفظها من قبل التلاميذ الصم.	4.531	0.671	أوافق بشدة
١٣.	يسهم تدريب توصيل الكلمات بالصور في فهم معاني الكلمات في القرآن الكريم.	4.500	0.568	أوافق بشدة
١٤.	يساعد تدريب ترتيب الكلمات وإعادة كتابتها في حفظ الآيات القرآنية.	4.531	0.671	أوافق بشدة
١٥.	يسهم تدريب وصل الكلمات بالإشارة الوصفية المناسبة في الكتب في التعرف على معاني الآيات القرآنية.	4.500	0.718	أوافق بشدة
١٦.	يسهم تدريب إكمال الكلمة الناقصة في فهم معنى الآية القرآنية	4.156	1.051	أوافق
١٧.	تلوين الكلمات وقراءتها بالأبجدية الإشارية يساعد التلاميذ الصم في سهولة حفظها.	4.625	0.554	أوافق بشدة
١٨.	يساعد محتوى الكتب أولياء أمور التلاميذ الصم في مساعدة أبنائهم في فهم وحفظ القرآن الكريم وبالتالي زيادة مستوى تحصيلهم الدراسي.	4.626	0.554	أوافق بشدة
١٩.	ساهمت الكتب في حل مشكلة لغة الإشارة لتعليم القرآن الكريم بين المدرسة والمنزل والطالب	4.469	0.718	أوافق بشدة
٢٠.	ساهمت الكتب بتوحيد لغة الإشارة وفهم معاني كلمات القرآن الكريم للتلاميذ الصم.	4.438	0.759	أوافق بشدة
	المتوسط الحسابي العام للمحور	**٤,٤٢٢**	**٠,٥٥٢**	أوافق بشدة

يتضح من النتائج الواردة في جدول (٥) أن درجة الموافقة على فقرات الاستبانة جاءت بدرجة كبيرة جداً, وذلك بمتوسط حسابي (4.422 الدرجة الكلية من ٥), وانحراف معياري (٠,٥٥٢), حيث جاءت جميع الفقرات بين مستو موافقة (أوافق وأوافق بشدة), وتراوح المتوسط الحسابي للفقرات ما بين (٤,١٢٤-٤,٧٥٠), وكان أعلاها متوسطا الفقرة رقم (١) التي تنص على (يسهم تصميم الكتاب ورسوماته في زيادة دافعية التلاميذ الصم لتعلم مفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية) بمتوسط حسابي (٤,٧٥٠) وانحراف معياري (٠,٥٠٨), وبدرجة موافقة كبيرة جداً, يليها في المرتبة الثانية الفقرة رقم (٢) التي تنص على (تضمين قصار السور في محتوى الكتب ساعد التلاميذ الصم في فهم معانيها وحفظها) بمتوسط حسابي (٤,٧١٩) وانحراف معياري (٠,٦٣٤), وبدرجة موافق كبيرة جداً, يليه في المرتبة الثالثة الفقرة رقم (١٨) التي تنص على (يساعد محتوى الكتب أولياء أمور التلاميذ الصم في مساعدة أبنائهم في فهم وحفظ القرآن الكريم وبالتالي زيادة مستوى تحصيلهم الدراسي) بمتوسط حسابي (٤,٦٢٦) وانحراف معياري (٠,٥٥٤), وبدرجة موافقة كبيرة جداً. من خلال ما ورد من نتائج في جدول (٥) تبين أن هناك أثر كبير جداً لاستخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم في رفع مستوى تحصيلهم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية.

السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة في متوسطات اراء المستجيبين حول موضوع الدراسة تعزى للمتغيرات الشخصية (الجنس، الخبرة في مجال تعليم الصم، والمؤهل العلمي، والمرحلة الدراسية)

للإجابة على السؤال الثاني تم استخدام اختبار ت لعينتين مستقلتين Independent sample t test واختبار تحليل التباين الأحادي One WAY ANOVA وكانت النتائج كما هو موضح في الجدول التالي (٦)

جدول ٦: نتائج اختبارات الفروق- المتغيرات الشخصية

المتغير	قيمة الاختبار	مستوى الدلالة	القرار
الجنس	ت = 3.728	0.001	يوجد فروق
المؤهل العلمي	ف = 0.434	0.652	لا يوجد فروق
الخبرة في مجال تعليم الصم	ت = 1.473	0.151	لا يوجد فروق
المرحلة الدراسية	ت = 0.014	0.989	لا يوجد فروق

أظهرت النتائج الواردة في جدول (٦) عدم وجود فروق في تقديرات أفراد العينة لأثر استخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم في رفع مستوى تحصيلهم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية تعزى لمتغيرات المؤهل العلمي، والخبرة في مجال تعليم الصم، والمرحلة الدراسية، بينما يوجد فروق تعزى لمتغير الجنس ولقد كانت الفروق لصالح الذكور.

السؤال الثالث: هل توجد فروق ذات دلالة في متوسطات اراء المستجيبين حول موضوع الدراسة تعزى للتوزيع الجغرافي لمعاهد وبرامج فصول الأمل للصم بنين وبنات في المملكة العربية السعودية؟

للإجابة على السؤال الثالث تم استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي One WAY ANOVA وكانت النتائج كما هو موضح في الجدول التالي (٧)

جدول ٧: نتائج اختبارات الفروق- التوزيع الجغرافي للمعاهد والمراكز

المنطقة الجغرافية	المتوسط الحسابي	قيمة الاختبار (ف)	مستوى الدالة	القرار
الجنوبية	4.700	0.717	0.588	لا يوجد فروق
الشرقية	4.600			
الشمالية	4.850			
الغربية	4.325			
الوسطى	4.318			

أظهرت النتائج الواردة في جدول (٧) عدم وجود فروق في تقديرات أفراد العينة لأثر استخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم في رفع مستوى تحصيلهم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية تعزى للتوزيع الجغرافي للمعاهد والمراكز.

٤,١ النتائج:

١. هناك أثر كبير جداً لاستخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم للباحث الصحبي في رفع مستوى تحصيلهم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية وذلك من وجهة نظر معلمي ومعلمات معاهد وبرامج الصم في مناطق المملكة.

٢. تصميم كتب تعليم القرآن الكريم للباحث الصحبي وما تحتوي من رسومات ساهم في زيادة دافعية التلاميذ الصم لتعلم مفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية.

٣. تضمين قصار السور في محتوى كتب تعليم القرآن الكريم للباحث الصحبي ساعد التلاميذ الصم في فهم معانيها وحفظها.
٤. ساعد محتوى كتب تعليم القرآن الكريم للباحث الصحبي أولياء أمور التلاميذ الصم في مساعدة أبنائهم في فهم وحفظ القرآن الكريم وبالتالي زيادة مستوى تحصيلهم الدراسي.
٥. تحتوي كتب تعليم القرآن الكريم للباحث الصحبي العديد من المزايا الأخرى التي ساهمت في رفع مستوى تحصيل التلاميذ الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم مثل (تلوين الآيات، تظليل كلمات الآيات القرآنية، وجود التدريبات المتنوعة،.....الخ)
٦. لا توجد فروق ذات دلالة في متوسطات اراء المستجيبين حول موضوع الدراسة تعزى للمتغيرات الشخصية (الجنس، الخبرة في مجال تعليم الصم، والمؤهل العلمي، والمرحلة الدراسية).
٧. عدم وجود فروق في تقديرات أفراد العينة لأثر استخدام كتب تعليم القرآن الكريم للصم في رفع مستوى تحصيلهم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية تعزى للتوزيع الجغرافي للمعاهد والمراكز.

٤,٢ التوصيات:

١. اعتماد مجموعة كتب القرآن الكريم للباحث الصحبي كمنهاج معتمد لدى معاهد وبرامج فصول الأمل في المملكة العربية السعودية لما لها من تأثير واضح على مستوى تحصيل التلاميذ الصم لمفاهيم مقرر القرآن الكريم الأساسية لجميع المراحل الدراسية.
٢. توفير الميزانيات المالية الكافية لمعاهد وبرامج الصم وضعاف السمع والمخصصة لاستخدام التقنيات التعليمية، والاهتمام بصيانتها وتهيئة الظروف الملائمة لاستخدامها.
٣. تكييف مناهج التعليم العام لتتناسب مع خصائص نمو الصم في كل مرحلة عمرية.
٤. التنويع في أساليب تقويم التلاميذ الصم.
٥. إدراج لغة الإشارة الوصفية في محتوى مناهج الصم والعمل على توحيدها بين المعلم والطالب والمنزل.
٦. تعليم القرآن الكريم للصم بلغة إشارية وصفية وأبجدية إصبعية عربية (لغة القرآن) قال تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا).
٧. تقديم الدورات التدريبية الخاصة بتقنيات التعليم لمعلمي ومعلمات الصم وضعاف السمع، مع تقديم الحوافز التشجيعية لهم.
٨. نشر الوعي حول أهمية استخدام تقنيات التعليم بين الطلبة الصم وأهاليهم، وتوفير التقنيات التعليمية لهم قدر الإمكان.
٩. إعداد خطط دراسية تهتم باستخدام التقنيات التعليمية للطلبة الصم وضعاف السمع، مع التركيز على استخدامها في عرض وشرح المواد الدراسية، والأنشطة المختلفة.

المراجع:

- السبيعي، عبد الله بن منصور. (١٤٢٨ه). استخدام معمل القرآن الكريم في تنمية مهارات التلاوة والاحتفاظ بالتعلم لدي طلاب الصف السادس الابتدائي بمدارس تحفيظ القرآن الكريم بمدينة الرياض. رسالة ماجستير بقسم وسائل وتكنولوجيا التعليم، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض.
- الهمص، عبد الفتاح عبد الغني. (٢٠٢٠م). واقع مراكز تحفيظ القرآن الكريم وسبل تطويرها. مجلة الجامعة الإسلامية، غزة.
- مطر، لبنى (٢٠١٢). فعالية استخدام الكمبيوتر والكتيبات الإشارية المصاحبة في تنمية الحصيلة اللغوية.
- جميل، سامي وحسني، حنان (٢٠١٢). تدريس اللغة العربية للصم بلغة الإشارة من خلال اللغة العربية المكتوبة.
- ابن نوح، أروى عبد الله علي، وتركستاني، مريم حافظ عمر. (٢٠١٧). مشكلات التلميذات الصم وضعيفات السمع في مدارس الدمج الابتدائية من وجهة نظر المعلمات في مدينة الرياض. مجلة التربية الخاصة والتأهيل: مؤسسة التربية الخاصة والتأهيل، مج٥, ع١٨، ٤٦ - ٨١. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/828309
- السالم ماجد عبد الرحمن (2016) .الأسس النظرية والأطر التربوية في تكييف مناهج الصم وضعاف السمع للوصول إلى منهج التعليم العام, مجلة التربية الخاصة والتأهيل .
- الحمداني، موفق (٢٠٠٦): مناهج البحث العلمي، الأردن، عمان، مؤسسة الوراق للنشر
- قنديلجي، عامر والسامرائي، إيمان. (٢٠٠٩). البحث العلمي الكمي والنوعي. عمان: دار اليازوري.
- عبيدات، ذوقان، (٢٠٠٦). البحث العلمي مفهومه أساليبه أدواته. دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط٧, عمان الأردن.
- فاخر عاقل. (١٩٧٩م). أسس البحث العلمي. دار العلم للملايين.
- ظاظا، حيدر إبراهيم، (٢٠١١). درجة توافق دلالات صدق وثبات الاختبارات المقننة المستخدمة في رسائل الماجستير المقدمة في كليات التربية في الجامعات الأردنية مع دلالات صورها الأصلية". الجامعة الأردنية. دراسات العلوم التربوية: ٣٨(٢).
- غيث البحر، معن التنجي (٢٠١٤). التحليل الاحصائي للاستبيانات باستخدام برنامج spss, مركز سبر للدراسات الاحصائية والسياسات العامة.
- Boone, H.N. and Boone, D.A. (2012) Analyzing Likert Data. The Journal of Extension, 50, 1-5.

القيم الجمالية في عمارة القباب والمآذن الإسلامية
(المئذنة التوأمية وقبة الخزن أنموذجاً دراسة تاريخية حضارية)

Aesthetic values in the architecture of Islamic domes and minarets
"The twin minaret and Al Khazn dome as models, a historical and cultural study"

د. فاطمة محمد عيسى محنشي -عضو هيئة تدريس في جامعة طيبة المملكة العربية السعودية
Email: fmahanshi@taibahu.edu.sa

الملخص

تناولت الدراسة القيم الجمالية للقباب والمآذن الإسلامية مع توضيح ملامح القيم الجمالية في المنظور الإسلامي وتتبع تاريخ المآذن والقباب والتعريف بالمآذن التوأمية مع ذكر أهم النماذج التي تمثلها وكذلك التعريف بقباب الخزن مع ذكر اهم النماذج التي تمثلها وختاماً أهم النتائج التي أشتمل عليها البحث.

الكلمات المفتاحية :القيم الجمالية -المئذنة التؤأمية – قباب الخزن

Abstract:

The study dealt with the aesthetic values of Islamic domes and minarets, with clarification of the features of aesthetic values in the Islamic perspective, tracing the history of minarets and domes, introducing the twin minarets with mentioning the most important models they represent, as well as defining the storage domes with mentioning the most important models that they represent and finally the most important results included in the research

key words : Aesthetic values - twin minaret - storage domes

المقدمة:

إن العمارة الإسلامية نشأت مع الدين الإسلامي، واستطاعت أن تؤكد هوية إسلامية لها من الخصوصية والتفرد الشيء العظيم، فالمعماري المسلم استطاع أن يتجاوز المفاهيم الإبداعية السائدة عندما أكد اهتمامه بالمعاني العميقة والسامية للكون متجاوزاً الشكل الظاهري ليخرج متلائماً مع الضمير الجمالي العام للمجتمع الإسلامي؛ ولهذا فالمعمار الإسلامي الذي اختار ولوج عالم الباطن، عالم التجريد، إنما اختار ذلك تأكيداً منه لأهمية الجمال الذي هو من المقومات الأساسية للمجتمع الإسلامي، ذلك أن الجمال هو صفة من صفات المطلق (الرائد الأول للفنان المعماري الإسلامي)، وهذا ما يفسر بحث الفنان المسلم عن الجمال العلوي السامي.

وكانت البداية الأولى للمعماري الإسلامي، تكمن في أنه أرسى قواعد لعمارته الإسلامية تهدف إلى رقي النفس وسموها ذلك الرقي الذي يدفع الإنسان للتفكير المستمر بعظمة الحق جلا وعلا [٣٩٥].

(٣٩٥) صفا لطفي الأمير، الأبعاد الجمالية للمئذنة في العمارة الإسلامية ،مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية، ع٢، ٢٠١٠، مج١٨ / ٥٥١

ملامح القيم الجمالية في المنظور الإسلامي:

تظهر القيم الجمالية في المنظور الإسلامي في عدة مظاهر يراها الإنسان في حياته، ومن أهم هذه الملامح:

أ) **جمال الكون:**

ينظر الإسلام إلى الكون على أنه آية من الجمال الذي لا يُبارَى، بدءًا بالأرض حتى الفضاء الممتد بجماله الزاخر في المجهول، يسير في رونق الغرابة الزاهي، إلى علم الله المحيط بكل شيء، ومن ذلك قوله ـ سبحانه ـ: **(ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين) (الحجر ١٦)**، وجعل الأرض الحية تتنفس بالجمال نعما لا تنتهي (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (الأعرف ٣٢) حيث أرشد الإنسان إلى تبين معالم هذا الجمال[٣٩٦].

ب) **جمال الإنسان:**

في المنظور الإسلامي الإنسانُ كائن جميل، وتلك حقيقة قرآنية ووجودية، ذلك أن مصادر الدين في الإسلام تحدثنا أن الله قد خلق الإنسان في أجمل صورة وأحسنها.

الجماليات في العمارة الإسلامية:

لم تخلُ العمارة الإسلامية من اللمسات واللمحات الجمالية؛ كونها عمارة تنبع أساساً من الفكر الإسلامي الذي اهتم بالجمال، وقدره، وجعله من الأمور المحببة للإنسان.

مصدر جمال العمارة الإسلامية:

علاقة العمارة الإسلامية بالإسلام هي علاقة وثيقة نابعة من قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

(قُلْ إِنَّ صَلاَ تِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَب الْعَالَمِينَ) (الأنعام ١٦٢)، حيث إن الإسلام منهج كامل للحياة، والعمارة تختص بالمكان الذي تمارس فيه هذه المنهجية لتحقيق حياة طيبة مادية وعقلية ونفسية وروحية؛ ولذلك فالعمارة هي جزء من حيز هذه الشمولية العامة لهذا الدين الحنيف. وقد كان المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام يتميز بالبساطة والتقشف والبعد عن الترف بكل مظاهره بُعدا مبعثه القلب والايمان بالله إيماناً عظيماً، ويظهر ذلك واضحاً في المساجد الأولى التي أُنشئت في المدينة والكوفة والبصرة والفسطاط، وبالتوالي أخذ حكامُ المسلمين يقيمون المنشآت العظيمة معتمدين على أهل البلاد التي يقيمون فيها هذه العمائر؛ تأكيدا لعظمة الإسلام، ودعماً لحكمهم، إن العمارة الإسلامية من أهم المجالات الفنية التي تفوق فيها تمثل مرآة الحضارة الإسلامية، فالعمارة دائماً هي المرآة التي تعكس المستوى الحضاري لكل فنون المعرفة والتطور السائد في كل فترة من فترات التاريخ.

فلسفة الجمال في العمارة الإسلامية: إن فلسفة الجمال في العمارة الإسلامية تعتمد على الانتفاعية (الوظيفية) النابغة من الشريعة الإسلامية أو في إطارها العام، فعندما نحلل المفردات المعمارية الجمالية أو الفراغات في العمارة الإسلامية، نجدها تحمل محاور عدةً في أسباب نشأتها وتشكلها وحتى تطويرها [٣٩٧].

---

(٣٩٦) خالد مطلق بكر عيسى، القيم الجمالية وهندسة العمارة في مسجد قبة الصخرة المشرفة وسبل الاستفادة منها في العمارة المعاصرة (دراسة نقدية وتحليلية)، رسالة ماجستير غزة الجامعة الإسلامية، كلية الهندسة ، قسم الهندسة المعمارية ،١٤٣٢هـ/٢٠١١م ، ص ٢١.

(٣٩٧) خالد مطلق بكر عيسى، القيم الجمالية وهندسة العمارة في مسجد قبة الصخرة المشرفة وسبل الاستفادة منها في العمارة المعاصرة (دراسة نقدية وتحليلية)، ص ٢٥.

المئذنة [٣٩٨]**:**

أقدم ما ذُكر عن المآذن ما رواه البلاذري(ت٢٤٥/٨٥٩) من أن زياد بن أبيه – عامل معاوية على العراق- بنى لجامع البصرة (منارة من الحجر) في سنة ٤٥/٦٦٥) وذلك عندما هدم الجامع الأول وأعاد بناءه بالحجر على نحو يتناسب مع ما وصلت إليه البصرة من اتساع وعمران وزيادة سكان. وليست لدينا أي تفاصيل عن هيئة هذه المنارة، ويُلاحظ أن اسم المنارة هو الذي أُطلق على المآذن أول ما ظهرت في العمارة الإسلامية [٣٩٩]

المئذنة التوأمية:

المصطلح لغة: أفاد البحث اللغوي في معاجم اللغة العربية عن مصطلح (توأم / التأم / التوأم) إلى الآتي: اسم، والجمع التؤام[٤٠٠]، والتؤام، التؤام يقصد به المولود مع غيره في بطن، من الاثنين إلى ما زاد ، ذكرا كان أو أنثى ، أو ذكراً مع أنثى ،والجمع : تَوائِمُ وتُؤامٌ، تَوأمُ للذكر، وتوأمة للْأُنْثَى، فإذا جُمعا فهما تَوْأمانِ وتَوْأمٌ.

تسمية المآذن التوأمية:

المقصود بالمآذن التوأمية:

هي المئذنتان المتشابهتان في الطراز والتكوين المعماري جملة وتفصيلاً، وكذلك نسب ومواد البناء، والزخارف المنفذة على الطوابق تشابهاً متطابقاً يصل إلى حد عدم إمكانية التفريق بينهما، مع مراعاة إمكانية حدوث اختلاف في موقع وموضع كل مئذنة بالنسبة للمنشأة الملحقة بها، وكذلك نوع المنشأة وطبيعتها.

الضوابط العامة لظهور المآذن التوأمية:

تُعد المئذنة من أكثر الوحدات المعمارية بالمنشأة الدينية صعوبة في البناء وفق نسب وأساليب مختلفة، كما أنها أكثرها تكلفة في البنيان، فهي تحمل عشرات الأطنان من الكتل الحجرية؛ لذلك فهي أكثر الوحدات المعمارية عُرضة

---

(٣٩٨) المئذنة: (بكسر الميم وفتح الذال والنون) جمع مآذن -موضع الأذان للصلاة، لأن كلمة أذن (بتشديد الذال وفتحها) هي الإعلام أو الإبلاغ السمعي بالصلاة عن طريق الأذان التي هي أداة التلقي لهذا الأذان. وقد تعرضت المئذنة كغيرها من عناصر العمارة الإسلامية -على نظريات كثيرة أرجعها المستشرقون فيها إلى أبراج الكنائس المسيحية ، رغم أن بناء الأبراج كان معروفاً في العصور القديمة ، قبل المسيحية بقرون من الزمان في المعابد الوثنية وفي أبراج الحراسة والمراقبة في القلاع والحصون الرومانية وغيرها ، وأن المآذن الباقية من أوائل العصر الإسلامي تشترك كلها أو معظمها في أنها ترتفع – من الأرض مباشرة – في تكوين معماري خاص يكاد يكون منفصلاً عن المسجد أو متصلاً به بواسطة الجدران الخارجية فقط ، وعُرفت المئذنة في المصطلح الأثري إلى جانب التسمية المشار إليها بثلاثة أسماء أخرى أولها الصومعة نسبة إلى ما أشير إليه من أبراج المعابد الوثنية ، أو أبراج الحراسة والمراقبة في القلاع والحصون الرومانية ، أو أبراج الكنائس المسيحية التي أطلق المؤرخون العرب على كل منها اسم صومعة وسموا بهذه التسمية كل مآذن الشمال الإفريقي المربعة ، وثانيها المنارة ، نسبة إلى المنار أو الفنار الذي كانت تشغل فيه النار أو ينبعث منه النور إرسال الإشارات الضوئية ليلاً، ولعل منار الإسكندرية أو فنارها الذي كان كما يقول المقدسي وابن جبير – واحداً من عجائب الدنيا السبع – هو السبب في هذه التسمية لأن المنارات الإسلامية المبكرة في الشمال الإفريقي ومصر كانت تبنى على غرار هذا المنار من ناحية ،وتتشابه في الوظيفة معه من ناحية أخرى ، فأولها يهدي بنوره السفن القادمة إلى الشاطئ في سلامة وأمان ، وثانيهما يهدي بنوره المسلم إلى الصلاح والإيمان ، وثالثها العساس بمعنى مكان العسس والمراقبة ، لأن بعض هذه المآذن لم تكن تستخدم للأذان فقط وإنما كانت تستخدم للكشف والاستطلاع ولا سيما إذا كانت في موضع يسمح لها بذلك كما حدث في مئذنة مسجد الجيوشي على سفح جبل المقطم سفح جبل المقطم ، ينظر إلى : عاصم محمد رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ،ط١، القاهرة ، مكتبة مدبولي ،٢٠٠م ،ص ٣٠٧ .

(٣٩٩) حسين مؤنس، المساجد، الكويت، سلسلة كتب عالم المعرفة ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، يناير ١٩٧٨م/ ص ١١٣-١١٤.

(٤٠٠) مجدي عبد الجواد علوان، المآذن التوأمية في العمائر الإسلامية، دراسات في آثار الوطن، ص ٥٥١.

للسقوط والتأثر بالزلازل نظرا لنحافتها وارتفاعها، فضلا عن أنها قد تكون في كثير من المنشآت الدينية أقدم الوحدات المعمارية.

وهناك العديد من الضوابط المحددة لهذا النوع من المآذن، **يمكن إجمالها في الشروط الآتية**:

- وجود مئذنتين اثنتين ملحقتين بالمنشأة الدينية الواحدة أيا كان نوعها، تم بناؤهما بالتوازي وقت الإنشاء، وليست في إضافات معمارية لاحقة للمنشأة.
- الانفاق في التخطيط والتكوين المعماري (القواعد – الطوابق - شرفات الأذان).
- الاتفاق في الكتلة البنائية والحجم، والتباعد، وعلاقة ذلك بالعمائر المجاورة وقت الإنشاء وكذلك الثبات والاتزان المعماري لكل مئذنة (٤٠١).
- الاتفاق في الطراز المعماري وقمم المآذن (المباخر – القلة – القلم المطور) والسفود أو الزج الذي يعلو القمم وما به من تفافيح، والارتفاع وعلاقته بالفراغ المتاح أمام المنشأة (البعد البصري).
- الاتفاق في الزخارف والنقوش الكتابية المنفذة على أسطح طوابق المئذنة، ومواد تنفيذها (جص، حجر، طوب) والأحزمة أو الأشرطة أسفل المقرنصات الحاملة لشرفات الأذان.
- الاتفاق في العناصر المعمارية بكل مئذنة مثل: العقود – التجاويف الرأسية – الانتقال من الخارج (مثلثات ركنية – كرانيش حجرية أو جصية – كوابيل خشبية أو حجرية) المقرنصات المشترفات المحورية – اتجاهات النوافذ والفتحات الرأسية في الطوابق، ومن أهمها فتحات باب دخول المؤذنين إلى شرفة الأذان، والجوسق ذو الأعمدة.
- العلاقة بين المساحة الكلية للمنشأة ومساحة المئذنة (النواة، والفحل المركزي، ودرجات السلم المروحية والمربعة).
- مراعاة موقع المئذنة وموضعها بالنسبة للمنشأة، وعلاقة ذلك بالغرض الوظيفي لها.
- المنشئ وصفته، من حيث تحتاج عملية إلحاق أكثر من مئذنة بالمنشأة الواحدة إلى تكلفة مالية كبرى، وهو ما يتحقق بنسبة أكبر في العمائر السلطانية التي يشيدها السلاطين، وبنسبة أقل بكثير في العمائر التي يشيدها الأمراء أو الأثرياء من الأعيان.
- وبصفة عامة، يجب التفرقة بين طراز المآذن المملوكية الجركسية مزدوجة أو متعددة الرؤوس من طراز القلة في المئذنة الواحدة، كمئذنة جامع الغمري بميت عمر ٩٠٥هـ / ١٤٩٩م (٤٠٢).

تاريخ بناء القباب:

القبة هي بناء أشبه بكرة مشطورة من وسطها ، أو بناء دائري مقعر من الداخل مقبب من الخارج يتألف من دوران قوس على محور عمودي ليصبح نصف كرة تقريباً يأخذ مقطعها شكل القوس ، وتقاوم مباشرة فوق مسطح أو ترتفع على رقبة مضلعة أو دائرية ، أو على حنايا ركنية أ و مثلثات كروية أو مقرنصات لتسهيل الانتقال من المربع إلى المثمن ثم إلى الدائرة ، وقد تكون القبة كبيرة أو صغيرة أو بيضاوية أو نصف كروية أو مخروطية أو مضلعة ،ويغلب على الظن أن المسلمين كانوا قد نقلوا بناء القباب عن الساسانيين والبيزنطيين والأقباط ، وأقبلوا على استخدامها بشكل خاص لتغطية ما شيدوه من أضرحه حتى صارت القبة التي عرفتها العمارة الإسلامية ذات أنواع وأشكال مختلفة ، منها الكبير والصغير ، وما شيد بالطوب أو بالحجر أو بالخشب المرصص ، ونص الكروية والمضلعة والبيضاوية (٤٠٣)

(٤٠١) مجدي علوان، المرجع السابق، ص ٥٥٢.
(٤٠٢) مجدي عبد الجواد علوان، المآذن التوأمية في العمائر الإسلامية، دراسات في آثار الوطن، ص ٥٥٣
(٤٠٣) ينظر إلى: عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص٢٢٢.

قبل وجود القبة[٤٠٤]، كان هناك الأبنية المستطيلة المدعومة بالأعمدة، فمعظم الأبنية والإنشاءات القديمة كالمعابد كانت تقوم على أسقف مدعومة بمجموعة من الأعمدة، وتتميز الأعمدة بالقدرة الكبيرة على دعم الأسقف وحمايتها من الانهيار إلا أن الحاجة إلى العدد الكبير منها يخلف مساحات حرة قليلة، القباب ودورها في إثراء التشكيل النحتي [٤٠٥].

نماذج من قباب الخزن

قبة الخزن في الحرم النبوي الشريف:

العمارة التي جرت للقبة في العصرين المملوكي والعثماني:

قام السلطان الظاهر بيبرس[٤٠٦] باستحداثها من جديد بعد الحريق الأول في سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) وأن الملك الناصر محمد قلاوون[٤٠٧]، لم يستخدمها عندما جدد البلاط الذي في مقدمة المسجد مما يلي صحنه سنة (٧٢٩هـ / ١٣٢٩م). إن القبة استُبدلَت ببيت صغير مربع جميل استخدم مخزنا لأدوات المسجد، وذلك في عمارة السلطان (الناصر محمد بن قلاوون) ، بالاستناد إلى وصف العبدري كما سبق ذكره، ويذكر ابن إياس تجديد قبة الزيت من قبل السلطان (سليمان القانوني)[٤٠٨]، ضمن أحدث شهر شعبان في سنة (٩٢٨هـ/١٥٢٢م)، فيقول: فلما توجه قاضي العسكر[٤٠٩] إلى الحجاز أشيع أن السلطان سليمان أرسل أربعين ألف دينار على يد شخص من العثمانية بسبب عمارة العين التي بمكة لما

---

(٤٠٤) يطلق لفظ القبة أيضاً على أنها من شارات الملك في العصر الإسلامي المتأخر، وهي مظلة تحمل فوق رأس السلطان لتقيه الحر والمطر، يتخذ نسيجها من الحرير المزركش والمموه بخيوط الذهب والفضة، لم يكن يسمح لأحد أن يستعملها سوى الملك أو السلطان، ينظر إلى: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة، (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص٣٤٧.

(٤٠٥) عبد الواحد عطية عبد الواحد، المؤتمر العلمي السنوي العربي السادس – الدولي الثالث – تطوير برامج التعليم العالي النوعي في مصر والوطن العربي في ضوء متطلبات عصر المعرفة جامعة المنصورة / كلية التربية النوعية، المنصورة، كلية التربية النوعية، جامعة المنصورة، ابريل، مج٢/ ١٠٢٤

(٤٠٦) الظاهر بيبرس: بيبرس البند قداري، قال ابن كثير لما قتل الامراء المماليك السلطان المظفر قطز حاروا فيما بينهم لمن يملكون عليهم؟ ثم اتفقت كلمتهم على أن يبايعوا الأمير ركن الدين بيبرس البند قداري ولم يكن من أكابر المقدمين ..ولكن أرادوا أن يجربوا فيه ولقبوه الملك القاهر: فقال له الوزير: إن هذا اللقب لم يفلح من تلقب به، فقد تلقب به القاهر بن المعتضد ،فلم تطل آيامه حتى خلع وسمل وتلقب به القاهر ابن صاحب الوصل فسم فمات ، والأمير بيدار السلطان الملك الاشرف خليل ابن الملك المنصور قلاون ،تسلطن وتلقب بالملك القاهر وضربت رقبته من يومه ولما سمع بيبرس بذلك عدل عن القاهر إلى الملك الظاهر و في ١٧ ذي القعدة سنة(٦٥٨هـ /١٢٦٠م)، جلس الملك الظاهر على العرش وابتدأ بأحلاف الأمراء والأكابر وسائر العساكر والوزراء والحكام وأرباب الوظائف والأقلام على الاختلاف في مراتبهم وطبقاتهم ،محمود شلبي ، حياة الملك الظاهر بيبرس الأسد الضاري قاهر التتار ومدمر الصليبين،(ط١،بيروت ، دار الجيل ،١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، ص ٩٣-٩٤.

(٤٠٧) الناصر محمد بن قلاوون: كان صغيراً لم يتجاوز ٩ من عمره؛ لذا لم يكن من الغريب أن يبدأ التنافس بين الأمراء المماليك على الوصول إلى السلطنة. لكن لم تكن هناك شخصية قوية تفرض احترامها على الأخرين؛ لذلك رضي الأمراء أن يكون (محمد بن قلاوون) سلطاناً عليهم، وأجلسوه على العرش سنة ٦٩٣هـ وهو في التاسعة من عمره، واختير الأمير (كتبغا) نائباً للسلطنة، والأمير سنجر الشجاعي وزيراً، ينظر: أسامة حسن، الناصر محمد بن قلاوون، دار الأمل، مصر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٧.

(٤٠٨) السلطان سليمان القانوني (٩٠٠ - ٩٧٤هـ/١٤٩٤ - ١٥٦٦م): هو ابن سليم خان الأول، اشتهر بالتسامح والعدالة. قام بمعاقبة الخارجين عن القانون ومنهم الباشوات والضباط الذين ثبت فسادهم، كما أنه نظَّم الضرائب، وفرض على الجنود أن يدفعوا ثمن ما يستولون عليه في طريقهم إلى الجبهة، وسعى إلى إقامة نظام عدالة. يُنظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م: ص٨٧ - ٨٨.

(٤٠٩) قاضي العسكر: وظيفة دينية مستحدثة في العهد المملوكي. صاحبها يقيم بدارالعدل مع القضاة، ويسافر مع السلطان أينما سافر. استمر العمل بها في العهد العثماني فكان منصب قضاء العسكر من أعلى المناصب القضائية، ولم يكم عمله محصوراً بالعسكريين كما توحي به التسمية، وإنما كان يقضي بين العسكريين والمدنيين على حد سواء، ومع التوسع في الأعمال القضائية فقد استحدث منصبان لقضاء العسكر هما: قاضي عسكر الروملي، وقاضي عسكر الأناضولي، يترشح لهما أفضل القضاة، إلا أن قاضي عسكر **الروملي هو** من حيث المرتبة أعلى قضاة العهد العثماني، يليه مباشرة قاضي العسكر الأناضولي، ينظر إلى: مصطفى عبد الكريم الخطيب ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة ،ص ٣٤٤

تعطلت، وعمارة قبة الزيت التي بالحرم، وأشار أيضا (حسن الباشا) إلى تلك العمارة، فقال: ثم أعيد بناؤها بأمر السلطان سليمان في سنة (٩٧٤هـ / ١٥٦٦م)، على هيئة مكعب كبير في جداره الشرقي

وظيفة البناء:

اتُّخذ هذا البناء كمركز لرصد مواقيت الصلاة، وهو ما ذكره (البكري) في مشاهدته، واستخدم البناء مقرا لحفظ المصحف العثماني الشريف، وسلم البناء وفق ما ذكر (ابن فرحون) من الحريق الأول للمسجد النبوي ببركة هذا المصحف، وبحكم مكان القبة في وسط الصحن بعيداً عن النار، ويقول الفيروز آبادي ما نصه: (والمصحف العثماني وما بين الصناديق والمصاحف والذخائر فيها سالمة إلى يومنا هذا) .

ويذكر (ابن فرحون) أن القبة احتفظت بـ: عدة صناديق كبار متقدمة التاريخ صنعت بعد الثلاثمئة، وحفظ أيضا في داخل القبة بالعديد من الذخائر والأدوات التي كانت تستعمل في المسجد النبوي، ويذكر (السخاوي) أنها كانت مخصصة لخزن النقود، إضافة إلى كونها مخزنا لقناديل الذهب والفضة [٤١٠].

وذكر (السمهودي) (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، أنها خصصت في عهده لخزن الزيت، وقال: وغالب ما يوضع فيها اليوم زيت وقود المسجد. ورسمت هذه القبة في العديد من صور المخطوطات وغيرها، وكتب إلى جوارها عبارة (قبة خزينة)، (أو قبة شمع)، ورسمت أيضا في صور أخرى، وكتب إلى جوارها عبارة (قبة الزيت)، أو (خزينة زيت)، للتعريف بكونها مخزنا لحفظ زيت القناديل التي تنير المسجد النبوي [٤١١].

القباب داخل المسجد الحرام:

(قبة الخزن وعُرفت بقبة الفراشين وقبة السقاية و(**قبة الساعات – الموقتخانة**)، وقبة الكتب- الكتبخانة [٤١٢]، وتمت إزالة هذه القباب في أوار العصر العثماني [٤١٣]

وشيدت كلتا القبتين على نحو متجاور في صحن المسجد الحرام في الطرف الجنوبي الشرقي مما يلي الكعبة المشرفة وبئر زمزم [٤١٤] .

بناء القبة الكبرى (قبة الفرَّاشين):

شُيد بدن القبة بواسطة الحجارة النحيت ذات اللونين الأبيض والأسود، وألصقت مداميكها بواسطة النورة (**الكلس الأسمر**)، وشيدت خوذة القبة باستخدام الطوب، وكسيت بالجير الأبيض.

وحظيت القبة الكبرى (قبة الفرّاشين) بأربع واجهات حرة، بُنيت بمستويين: الأول: سفلي، بمسقط ذو شكل مربع، أبعاده الخارجية (٦,٨٠×٦,٨٠م). وأبعاده الداخلية (٥,٢٠×٥,٢٠م) . وارتفاعه (٢,٨م). والثاني: علوي، ذو مسقط مثمن،

---

(٤١٠) محمد عبد القادر منصور، قبة الخزينة أو قبة الزيت في المسجد النبوي دراسة تاريخية أثرية، مجلة العمارة والفنون ،٢٠١٩م، ع١٩/ ٥١٤

(٤١١) محمد عبد القادر منصور، قبتا الخزن في صحن المسجد الحرام في مكة المكرمة: دراسة تاريخية أثرية مقارنة، الرياض، الملتقى الثامن، منشورات الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، ٢٠١٢م، ع١٩/ ٥١٤

(٤١٢) خانة لفظ فارسي معناه: منزل، أو مأوى دخل العربية منذ العصر الأيوبي، وفي العصر العثماني أضيف هذا اللفظ إلى غيره من الأسماء فالكتب خانة للدلالة على دار الكتب ينظر إلى: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة، ص ١٥٨.

(٤١٣) محمد عبد القادر منصور، المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٤١٤) محمد عبد القادر منصور، المرجع السابق، ص ١٥٣.

يمثل منطقة انتقال القبة. وارتفاعه (٢,٨م). ويعلو منطقة الانتقال رقبة أسطوانة الشكل، يعلوها خوذة محوصة من الخارج[٤١٥] .

رقبة القبة:

يعلو منطقة الانتقال سطح مستوي، وهو ما تأكده. فتح في منتصفه فتحة مفرغة مستديرة الشكل قطرها (٥,٦م)، مثلث محيط رقبة القبة، حيث أحاطت بالفتحة المذكورة رقبة أسطوانية الشكل ارتفاعها الكامل (١,٨م)، يتخللها ثمان دخلات معقودة كل منها بعقد نصف دائري، جعلت أربع منها نافذة موزعة على الجهات الرئيسة، بينما سدت الأربع الباقية، وزخرفت رقبة القبة بحلية زخرفية قوامها جفت مجرد (إطار زخرفي بازر) أحاط بالدخلات المذكورة، وربط بينهما.

الخوذة:

تقوم الخوذة مباشرة على الرقبة الأسطوانية، بهيئة متطاولة، ويقدر ارتفاعها من قمتها حتى بداية الرقبة (٤,٣م) تقريبا، بينما ارتفاعها عن منسوب الأرض المحيطة بمقدار (١١,٥م). زخرفت الخوذة بزخارف مخصوصة بارزة، كما زخرفت قمتها بحلية زخرفية قوامها قبيبة مفصصة، ويرجح أن تكون تلك الزخارف نُفذت بواسطة خليط من الجبس والنورة لمقاومة العوامل الجوية . ويتوج قمة الخوذة تكوين زُخرفي من النحاس، قوامه قُبيبة تحمل ثلاث تُفاحات، كان يتوجها هلال.

القبة الصغرى (قبة السقاية):

تتطابق القبتان من حيث الأبعاد، والشكل العام، والزخارف باستثناء بعض التغيرات المحدودة.

حظيت القبة الصغرى (قبة السقاية) بثلاث واجهات حرة -بخلاف القبة الكبرى- وشيدت على مستويين: الأول: سفلي بمسقط ذو شكل مربع، أبعاده الخارجية (٦,٨×٦,٨)، لكن أبعاده الداخلية أصغر من القبة الكبرى، إذ تقدر بـ(٤,٩١×٤,٩م)، أما ارتفاعه فمقداره (٢,٨م). والثاني: علوي، ذو مسقط مثمن، يمثل منطقة انتقال القبة، وارتفاعه (٢,٨) أيضاً، ويعلو منطقة الانتقال رقبة أسطوانية الشكل، يعلوها خوذة ملساء من الخارج بخلاف خوذة (القبة الكبرى) [٤١٦]

خلاصة البحث:

للعمارة الإسلامية سحر وجمال خلاب يداعب قلوب أبناء الامة الإسلامية، زخارف وآيات قرآنية كتبت على جدران المساجد وأسقف القباب، وزينت المنابر والمآذن والمحاريب لتعبر عن المعماري المسلم المبدع.

حث أبناء الامة الإسلامية على رعاية المساجد والجوامع الاثرية وترميمها والتعاون مع الهيئات والجهات الحكومية المسؤولة.

(٤١٥) محمد عبد القادر منصور، المرجع السابق، ص ١٧١.
(٤١٦) محمد عبد القادر منصور، المرجع السابق، ص ١٧٤-١٧٥.

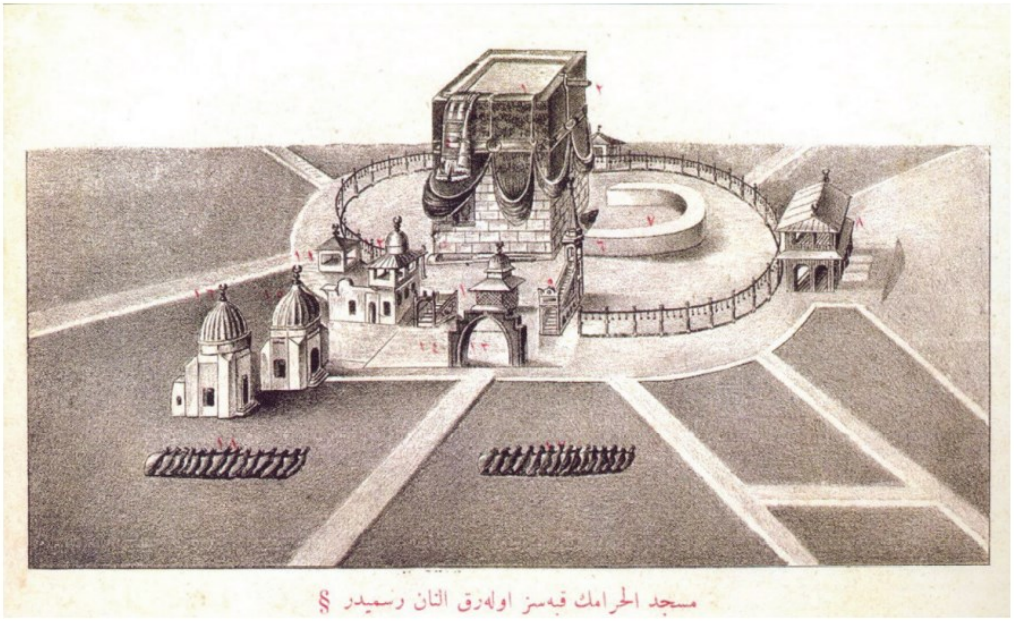

الشكل رقم (٧): منظور من رسم «أيوب صبري باشا»، نُشر في العام (١٣٠٥/١٨٨٨م). نقلاً عن: (مرزا، ١٤٣٤هـ).

اللوحة رقم (٣): صورة أرشيفية للمسجد الحرام، تصوير «محمد صادق باشا»، مؤرخة بالعام (١٢٩٧هـ/١٨٨٠م). نقلاً عن: ابن الصباغ، ١٤٢٤هـ).

اللوحة رقم (١١): قبة المال أو الخزنة في الجامع الأموي بدمشق، نقلاً عن:(منصور، ٢٠٢٠).

اللوحة رقم (١٢): قبة الساعات في الجامع الاموي بدمشق قبل اندثارها، نقلاً عن:(منصور، ٢٠٢٠).

المصادر والمراجع

١- أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٢- أسامة حسن، الناصر محمد بن قلاوون، دار الأمل، مصر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

صفا لطفي الأمير، الأبعاد الجمالية للمئذنة في العمارة الإسلامية، مجلة جامعة بابل العلوم الإنسانية، ع٢، ٢٠١٠، مج١٨

٢- خالد مطلق بكر عيسى، القيم الجمالية وهندسة العمارة في مسجد قبة الصخرة المشرفة وسبل الاستفادة منها في العمارة المعاصرة (دراسة نقدية وتحليلية)، رسالة ماجستير غزة الجامعة الإسلامية، كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية ،١٤٣٢هـ/٢٠١١م

٣- حسين مؤنس، المساجد، الكويت، سلسلة كتب عالم المعرفة ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير ١٩٧٨م

٤- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي ،٢٠٠م

٥-٥- مجدي عبد الجواد علوان، المآذن التوأمية في العمائر الإسلامية، دراسات في آثار الوطن،

٦- محمود شلبي، حياة الملك الظاهر بيبرس الأسد الضاري قاهر التتار ومدمر الصليبين، (ط١، بيروت، دار الجيل ،١٤١٢هـ/١٩٩٢م

٧- مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخيَّة، (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

٨- عبد الواحد عطية عبد الواحد، المؤتمر العلمي السنوي العربي السادس – الدولي الثالث – تطوير برامج التعليم العالي النوعي في مصر والوطن العربي في ضوء متطلبات عصر المعرفة جامعة المنصورة / كلية التربية النوعية، المنصورة، كلية التربية النوعية، جامعة المنصورة، ابريل، مج٢

٩- محمد عبد القادر منصور، قبة الخزينة أو قبة الزيت في المسجد النبوي دراسة تاريخية أثرية، مجلة العمارة والفنون ،٢٠١٩م، ع١٩

الانحرافات العقدية التي ذكرها ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار)

Deviation of beliefs mentioned in Uyun Al Akhbar Book by Ibn Qutayba

د. وفاء بنت حمد الخميس - جامعة الملك سعود الرياض - المملكة العربية السعودية

Email: walkhamees@ksu.edu.sa

ملخص الدراسة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن من أهمِّ ما أمرنا به الشارع: تعلم العلم، وأجلُّ العلوم: علوم الشرع، إلا أن من أهم العلوم المتصلة بعلوم الشريعة: علوم العربية التي اهتم المسلمون بها، فدونوا فيها، ومن أهمهم ابن قتيبة الذي ألَّف كتبًا منها (عيون الأخبار)، الذي اشتهر ودُرس، فأحببت المساهمة في دراسة الانحرافات العقدية الواردة فيه، عبر هذا البحث الذي أقدمه للمؤتمر الدولي الثاني للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة المجتمع، وأسأل الله الإخلاص والتوفيق.

الكلمات الدلالية: انحراف، مخالفة، عقيدة، أدب، عيون الأخبار، ابن قتيبة

أهداف الدراسة: التعريف بابن قتيبة وكتابه عيون الأخبار، وبيان الانحرافات فيه وأسباب ذكرها

منهج الدراسة: الاستقرائي الاستنباطي، والتحليل والنقد

Abstract

One of the most important things commanded us to do: Learning, and the best of knowledge: Sharia, However, one of the most important sciences and knowledge related to Sharia: Arabic, which the Muslims were interested in, and wrote in them, and the most important of them was Ibn Qutayba, who wrote books including (Uyun al-Akhbar), which was studied in depth by many. so I contributed to the study of the deviations of the faith in his book. Through this research that I present to the The Second International Conference for Islamic Studies and its Role in the Service of Humanity, May Allah grant it success.Tag words: Ibn Qutayba, Uyun Al Akhbar, literature, deviation, violation, Belief.

Tag words: Ibn Qutayba, Uyun Al Akhbar, literature, deviation, violation, Belief

Study objectives: Introducing Ibn Qutayba and his book Uyoun al-Akhbar, explaining the deviations in it and the reasons for mentioning them

Curriculum: inductive and deductive reasoning, and critical analysis

raise be to Allah the Lord of the worlds and may the blessings and peace of Allah be upon

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن من أهمِّ ما أمرنا به الشارع: تعلم العلم والعمل به وتعليمه، ولا شك أن أجلِّ العلوم: العلوم التي لا يتأتى للمسلم القيام بعبادته إلا بها، كما أن من أهم العلوم المتصلة بعلوم الشريعة: علوم العربية وما يتصل بها من النحو والأدب والشعر وأيام العرب.. ولهذا يجد كل قارئ في علوم الشرع والعربية والتاريخ أن العالم الإسلامي قد شهد نهضة علمية شاملة، حمل لواءها رواد تلك العلوم من لدن أكابر الصحابة ﷺ ثم التابعون بعدهم، وتتالت العصور لتنتقل العلوم من عهد الحلقات العلمية إلى عهد التدوين؛ حيث انبرى ثلة من العلماء خُلِّدت أسماؤهم وأعمالهم، ومن أهمهم ابن قتيبة -رحمه الله- الذي صنَّف عددًا من المصنفات في علوم شتى، ومن أهمها موسوعته الموسومة بـ (عيون الأخبار)، والذي حظي بدراسات عديدة، معظمها أدبية. لكن لم أقف على بحث علمي يتناول هذا البحث بقراءة عقدية سوى ما أشار له الدكتور علي العلياني في رسالته (عقيدة الإمام ابن قتيبة)، لذا آثرت دراسة الانحرافات العقدية في ذلك الكتاب دراسة علمية (وإن كانت مختصرة) في هذا البحث الذي يحمل عنوان: "الانحرافات العقدية التي ذكرها ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار" الذي أقدمه للمؤتمر الدولي الثاني للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة المجتمع، آملة أن يكون إضافة جيدة في هذا المجال، سائلة الله عز وجل الإخلاص والتوفيق والسداد.

مشكلة البحث:

لما كان كتب الأدب من الكتب السريعة التداول بين الناس، وأحاديثها كثيرة الورود في مجالسهم، مع ما يكون فيها من انحرافات قد يخفى بعضها على المطالع؛ كان لا بد من نظرة فاحصة لأوائل تلك الكتب واستخراج ما يظهر فيها من انحراف وتجلية الحكم فيها على منهج أهل السنة والجماعة.

أسئلة البحث:

١. من هو ابن قتيبة؟ وما عقيدته؟
٢. ما قيمة كتاب (عيون الأخبار) في المكتبة العربية
٣. ما الانحرافات العقدية الواردة في كتاب عيون الأخبار؟
٤. ما الأسباب التي دعت ابن قتيبة لإيراد تلك الانحرافات؟

أهداف البحث:

١- التعريف بابن قتيبة وبيان عقيدته.
٢- بيان قيمة كتاب (عيون الأخبار) في المكتبة العربية
٣- تتبع الانحرافات العقدية الواردة في كتاب عيون الأخبار.
٤- استنباط الأسباب التي دعت ابن قتيبة لإيراد تلك الانحرافات.

أهمية الدراسة:

ترتبط أهمية الدراسة بأهمية كتاب عيون الأخبار نفسه، ومكانته من كتب الأدب العربي، وتتجلى أهمية البحث أيضًا عبر مساهمته في تمحيص المخالفات العقدية التي قد يأتي ذكرها في كتب الأدب، حتى وإن كان مصنفوها من المعروفين بصحة اعتقادهم كابن قتيبة -رحمه الله-.

منهج البحث وطريقته:

يعتمد البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي، مع استعمال المنهج التحليلي والنقدي.

أما خطوات العمل فهي على النحو التالي:

١- عزو الآيات القرآنية في متن البحث، ونسخت الآيات من المصحف العثماني عبر بوابة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢- تخريج الأحاديث من الصحيحين، أو أحدهما. سوى حديثين في سنن أبي داود اعتمدت فيهما تصحيح الشيخ ناصر الدين الألباني -رحمه الله-.

٣- الضبط بالشكل لنصوص الأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية.

٤- بيان معاني الغريب من الألفاظ من كتاب لسان العرب لابن منظور.

٥- التعريف بالأماكن -غير المشهورة- الواردة في متن البحث من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي.

٦- عرفت -باختصار- بالفرق والمصطلحات المذكورة في متن البحث.

٧- رغبة في الاختصار: تركت الترجمة لجميع الأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث، سوى ابن قتيبة.

٨- اعتمدت في توثيق المخالفات على النصوص الشرعية، وما نصَّ عليه علماء أهل السنة والجماعة (في القديم والحديث) من المحاذير الاعتقادية.

٩- رتبت الانحرافات حسب ورودها في الكتاب مبتدئة من المجلد الأول ومنتهية بالمجلد الرابع.

١٠- اختتمت البحث بفهرسين، واحد للمراجع والمصادر، وواحد للموضوعات، فمع الاختصار لا يحتاج الباحث إلى فهارس للآيات أو للأحاديث أو للمصطلحات وغيرها، وتحقيقًا لما اشترطه المؤتمر.

ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، في المقدمة ذكرت عناصرها من مشكلة البحث وأهميته وأسئلته وأهدافه ومنهجه، وفي التمهيد عرفت بابن قتيبة وكتابه، ثم شرعت في المبحث الأول ببيان الانحرافات العقدية في كتاب عيون الأخبار وذلك في المطلب الأول منه، وفي المطلب الثاني: كتبت ما ظهر لي من أسباب لامتناع ابن قتيبة عن التعليق على تلك الانحرافات. أما المبحث الثاني فاختص بالانحرافات العقدية التي ساقها ابن قتيبة مع تعليقه عليها سواء كان تعليقه عليها ظاهرًا أم غير ظاهر، ثم بينت في المطلب الثاني منه ما استنتجته من أسباب جعلته يردف الانحراف بتعليق ما. أما الخاتمة فضمنتها بعض النتائج التي توصلت لها، ثم بيان شيء من التوصيات بخصوص هذا الموضوع.

ولا يخلو أي عمل من صعوبات في طريق صاحبه، وأهم الصعوبات التي واجهتني أثناء إعداد هذا البحث: توافق إعداد هذا البحث مع شهر رمضان، ثم انشغالي في إكمال متطلبات الجامعة، ولا سيما مع قرب الاختبارات النهائية، والحمد لله على عونه وتيسيره، وأسأله السداد والتوفيق.

ولا يفوتني في الختام: شكر جميع القائمين على المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة المجتمع، على تمكينهم لي لنشر هذا البحث، وأثني بالشكر لجامعة الملك سعود، التي انتميت لها طالبة وأستاذة، وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذه الصفحات من كتبها ومن قرأها، وأسأله الإخلاص في القول والعمل، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد: التعريف بابن قتيبة وكتابه عيون الأخبار

في هذا البحث بيان الانحرافات العقدية التي ذكرها ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار)، وقبل الولوج في صلب الموضوع يحسن التعريف بابن قتيبة -رحمه الله- وبكتابه في الفقرات التالية:

أولًا: التعريف بابن قتيبة:

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري[٤١٧] وقيل: المروزي[٤١٨]، اللغوي النحوي، صاحب التصانيف المشهورة.

نشأ في بغداد وتلقى علومه فيها، وأخذ عن علمائها. وممن أخذ عنهم: محمد بن سلام الجمحي صاحب كتاب طبقات الشعراء، وابن راهويه، ودعبل الخزاعي، وغيرهم كثير. وتتلمذ عليه كثير، ومنهم: ابنه أحمد، ومحمد بن المرزبان، وغيرهما.

وقد وَلِيَ القضاء في الدينور ونسب إليها، وكان متبحرًا في علوم العربية والأخبار. سكن بغداد وروى بها كتبه إلى وفاته سنة ٢٧٦هـ وقيل سنة ٢٧٠، والقول الأول رجحه ابن الجوزي في كتابه المنتظم.

وُصِفَ ابن قتيبة بأنه كان ثقة دينًا فاضلًا. وله كثير من المصنفات في فنون عديدة، منها: غريب القرآن، وغريب الحديث، وأدب الكاتب، وعيون الأخبار، والرد على من يقول بخلق القرآن، وجامع النحو، والصيام، والقراءات، وغيرها[٤١٩].وقد اتُّهِم بالتشبيه، كما اتهم بالميل إلى مقولة ابن كرَّام. ولكن دافع عنه الذهبي، بأن هذه الاتهامات مجازفة وقلة ورع، وقال: "ما رأيت لأبي محمد في كتاب مشكل الحديث ما يخالف طريقة المثبتة والحنابلة، ومن أن أخبار الصفات تُمَرُّ ولا تُتأوّل"[٤٢٠]. وقال: "الرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمَّة، وعلوم مهمة"[٤٢١].

---

(٤١٧) نسبة إلى دِينَوَر، وهي مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين بينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخًا. نسب لها بعض أهل العلم والأدب والحديث. (انظر: معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، (بيروت: دار صادر)، طبعة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ٢/ ٤٥٤-٤٦٤).

(٤١٨) نسبة إلى مرو، ولعلها مرو الشاهجان لا مرو الروذ؛ لأن النسبة لها مرْوَزي، وهي أشهر مدن خراسان وأكبرها، ومنها خرج كثير من العلماء. (انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي، ٥/ ١١٢ وما بعدها).

(٤١٩) انظر في ترجمته: الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم، تحقيق: رضا تجدد، بدون بيانات نشر، ص٨٥- ٨٦. وتاريخ بغداد مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها من العلماء من غير أهلها وارديها، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي)، ط١: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ١١/ ٤١١ وما بعدها. والأنساب لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، اعتنى به وعلق عليه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، (القاهرة: دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر)، بدون تاريخ نشر، ١٠/ ٣٤٠- ٣٤١. ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، (بيروت: دار صادر)، طبعة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ٣/ ٤٢- ٤٣. والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ط٢: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١٢/ ٢٧٦- ٢٧٧. وانباه الرواة على أنباه النحاة لأبي الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي)، ط١: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٢/ ١٤٣ وما بعدها. وسير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على التحقيق وتخريج الأحاديث: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ط١: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ١٣/ ٢٩٦ وما بعدها. وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي)، ط١: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ٢/ ٦٣- ٦٤. ومقدمة تحقيق كتابه: تأويل مختلف الحديث لمحمد محيي الدين الأصفر، (بيروت: المكتب الإسلامي)، ط٢: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٢٣ وما بعدها.

(٤٢٠) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٩.

(٤٢١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٠٠.

والخلاصة أن ابن قتيبة كان على اعتقاد أهل السنة، كما كان ذا عناية بالحديث وروايته وحفظه لكن لم يصرف جل همته لذلك، كما دوَّن مواقفه من الفرق المخالفة لأهل السنة في ثنايا كتبه، بل صنَّف في بعضها كما سبق في ذكر مؤلفاته[٤٢٢].

ثانيًا: التعريف بكتاب عيون الأخبار وقيمته الأدبية:

كتاب عيون الأخبار من أجلِّ كتب الأدب وأمتعها، حيث جمع فيه مصنّفه ما تفرق من فنون الأدب، وهو من أوائل ما كتب في تاريخ الأدب العربي، إن لم يكن أولها على الإطلاق[٤٢٣]، إذ نسج على منواله في من صنَّف في الأدب بعده، كابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد. وابن عبد البر في كتابه بهجة المجالس[٤٢٤]. ولا زال الكثير إلى اليوم يتفيأ ظلال الأدب من ذلك الكتاب.

ولعل غرضه من تصنيفه للكتاب: التأديب لجميع الناس، إذ لم يخص فئة دون فئة، قال في مقدمته: "وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفِلِ التأدب تبصرةً، ولأهل العلم تذكرة، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدبًا، وللملوك مستراحًا من كدِّ الحد والتعب. وصنفتها أبوابًا وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها، على الناشد طلبها.." [٤٢٥]. كما يوضح أهمية كتابه من أهمية موضوعه، فيقول: "فإن هذا الكتاب، وإن لم يكن في القرآن والسنة شرائع الدين وعلم الحلال والحرام؛ دالٌّ على معالي الأمر، مرشد لكريم الأخلاق، زاجر عن الدناءة، ناهٍ عن القبيح، باعثٌ على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعِمارة الأرض. وليس الطريق إلى الله واحدًا، ولا كل الخير مجتمعًا في تهجد الليل وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة، وأبواب الخير واسعة، وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير"[٤٢٦].

وقد عرض ابن قتيبة في كتابه ألوانًا من فروع المعرفة مما اطَّلع عليه، من كتب المتقدمين وتجاربهم وسيرهم، أو استمع إليه في المجالس، أو مما مرَّ به من مواقف وأحداث [٤٢٧]. وقسَّم كتابه هذا إلى عشرة كتب، وكل كتاب منها، قسمه إلى أبواب، وهذه الكتب هي: كتاب السلطان، وكتاب الحرب، وكتاب السؤدد، وكتاب الطبائع والأخلاق المذمومة، وكتاب علم والبيان، وكتاب الزهد، وكتاب الإخوان، وكتاب الحوائج، وكتاب الطعام، وكتاب النساء. كما جمع مادته من مصادر شتى، على رأسها: القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وآثار الصحابة والتابعين، كما انتخب كثيرًا من أجمل أحاديث العرب وحكمهم، وأجزل أشعارهم قبل الإسلام وبعده، وضم كتابه أيضًا نصوصًا من التوراة والإنجيل، وكتب الهند، كما نقل من كتب أرسطو، بالإضافة إلى كتب الفرس وخاصة كتاب الآيين[٤٢٨].

والكتاب ذو قيمة عالية في المكتبة العربية، فيكفي أن ما لحقه فقد سار على نهجه -كما سبق بيان ذلك- كما يعد الكتاب مصدرًا مهمًا حتى لمؤلفي الكتب التعليمية في سياقات النوادر والحكايات التربوية في كثير من الدول العربية. أما

---

(٤٢٢) انظر: عقيدة الإمام ابن قتيبة، للدكتور علي بن نفيع العلياني، (الطائف: مكتبة الصديق)، ط١: ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص١٣٤ وما بعدها.
(٤٢٣) انظر: بعض قضايا الشعر في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ، للدكتور سليمان إبراهيم عبد الله إبراهيم، (بحث منشور في مجلة اللغة العربية، العدد الخامس، رجب ١٤٣٩هـ/ مارس ٢٠١٨م، ص١١٢.
(٤٢٤) انظر: الأنساق الثقافية في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، لعبد الله مطلق نهار الحربي (رسالة ماجستير، جامعة اليرموك- كلية الآداب- ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، ص١٠
(٤٢٥) عيون الأخبار ١/ ٤٣.
(٤٢٦) عيون الأخبار ١/ ٤٢.
(٤٢٧) انظر: الكتابة التاريخية عند المسلمين في القرن الأول والثاني والثالث الهجري، لعبد الله محمد أبو القاسم القمودي، (بحث منشور في مجلة رواق الحكمة- العدد ١٠- ديسمبر ٢٠٢١م- ص٢٥٨).
(٤٢٨) الآيين: أحد كتب الفرس التي نقلها العربية عبد الله بن المقفع. (انظر: الفهرست لابن النديم ص١٣٢).

أهم ما يمكن أن يوجه للكتاب من نقد فهو: سياق وجود أخبار فيها مجون، أو انحرافات اعتقادية أو أخلاقية بلا تعقب أو تعليق.

وقد طبع الكتاب مرارًا، كما طبع مجزأً وكاملًا، والطبعة التي عليها الاعتماد: الطبعة التي أصدرتها دار الكتب العلمية ببيروت، بشرح وتعليق الدكتور: يوسف الطويل. والدكتور: مفيد قميحة، وهي في أربع مجلدات.

الانحرافات المذكورة دون تعليق المصنف عليها:

بيَّن ابن قتيبة -رحمه الله- أن من أهداف تصنيفه لكتابه: أنه سيكون مؤدبًا، ومستراحًا لقارئه، كما بيَّن أهل العلم أنه لم يكن من أصحاب الحديث، وإن أخذ حظه منه، ولذلك فغالبًا ما يذكر ابن قتيبة الانحرافات دون تعليق، وهذا المبحث يتحدث عن ذلك.

بيان الانحرافات ووجه انحرافها:

ورد ذكر بعض الانحرافات العقدية دون تعليق من المصنف، وفي هذا المطلب تفصيل ذلك، مرتبة المسائل حسب ورودها في الكتاب، مع بيان وجه مخالفتها، وذكر الدليل على ذلك من الكتاب أو السنة، أو من أقوال السلف.

أولًا: عقد ابن قتيبة بابًا في محل السلطان وسيرته وسياسته -ضمن كتاب السلطان- فقال: "سمع زياد رجلًا يسبُّ الزمان، فقال: لو كان يدري ما الزمان لعاقبته، إنما الزمان السلطان"[٤٢٩].

ومعلوم أن سب الزمان (أو الدهر) محرم لكونه سوء أدب مع الله تعالى؛ لأنه هو المتصرف سبحانه فيه. في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"قَالَ اللهُ: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ"**[٤٣٠]. ولذلك ترجم البخاري هذا الباب في صحيحه بـ(باب لا تسبوا الدهر).

ثانيًا: فيما يتعلق بتكفير الخوارج للمسلمين: ذكر ابن قتيبة -في كتاب الحرب- في باب الصبر وحضِّ الناس يوم اللقاء عليه؛ حادثة جرت بين عاصم بن الحدثان (وهو رأس الخوارج بالبصرة)، وبين الفرزدق الشاعر، حيث أنشده:

وَهُمُوا إِذَا كَسَرُوا الْجُفُونَ أَكَارِمٌ ... صُبُرٌ وَحِينَ تُحَلَّلُ الْأَزْرَارُ
يَغْشَوْنَ حَوْمَانِ الْمَنُونِ وَإِنَّهَا ... فِي اللهِ عِنْدَ نُفُوسِهِمْ لَصِغَارُ
يَمْشُونَ فِي الْخَطِّيِّ لَا يَثْنِيهُمُ[٤٣١] ... وَالْقَوْمُ إِذَا رَكِبُوا الرِّمَاحَ تِجَارُ

فقال الفرزدق: ويحك! لا يسمعك النساجون، فيخرجون علينا بحفوفهم. فقال عاصم: يا فرزدق، هذا شاعر المؤمنين، وأنت شاعر الكافرين"[٤٣٢].

---

(٤٢٩) ١/ ٥٦- ٥٧.
(٤٣٠) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر، (رقم الحديث: ٥٨٤٧)، ٥/ ٢٢٨٦. وأخرجه مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، (رقم الحديث: ٢٢٤٦)، ٢/ ١٠٦٩.
(٤٣١) الخطِّيّ: الرمح نسبة إلى الخط، وهي أرض تنسب لها الرماح الخطية، والخط: شريط ساحلي فيه عدد من القرى كانت تجلب لها الرماح من الهند، فتقوَّم هناك وتباع على العرب. (انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٣٧٨).
(٤٣٢) ١/ ٢٠٤- ٢٠٥. والحفوف: جمع حفّ، وهو المنوال، أو الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب. (انظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي، (بيروت: دار صادر)، ط٣: ١٤١٤هـ، ٩/ ٥١).

والشاهد من النص السابق تصريح الخارجي بتكفيره لعموم المسلمين (ومن ضمنهم الفرزدق)، وهذا القول (أي القول بتكفير أصحاب الكبائر) قال به الخوارج، بل هو من أخص أقوالهم[٤٣٣]. وهو مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة بأن فاعل الكبيرة لا يخرج من الإيمان بكبيرته. بل ورد التحذير من التوسع في التكفير، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا"**[٤٣٤]. كما أثبت الله تعالى الإيمان لمن حصل بينهم قتال، فقال عز وجل: ﴿**وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا**﴾ [الحجرات: ٩]. فسماهم الله مؤمنين مع ما بينهما من قتال.

ثالثًا: عقد ابن قتيبة بابًا ضمن كتاب الحرب سماه: مذاهب العجم في العيافة والاستدلال بها، ذكر فيه شيئًا مما قرأه في كتب العجم مما يستدلون به على الخصب أو الجدب أو فشو الموت أو غيرها من الأحداث. وما يكرهونه في أولادهم وحيواناتهم وهداياهم، مما له ارتباط بالمستقبل[٤٣٥].

والعيافة هي: زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها، وهي من عادات العرب[٤٣٦]. لكن لما جاء الإسلام نهى عنها، بل شدَّد في النهي عنها، عن قَطَن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ"**[٤٣٧]. "والطَّرْقُ: الخط يخط في الأرض، والجبت من الشيطان"[٤٣٨]. أو من أعمال السحر، والحديث دليل على تحريم التنجيم[٤٣٩].

والفرق بين العيافة والطيرة: أن العيافة أعم، أما الطيرة ففي التشاؤم خصوصًا[٤٤٠]، لكن الحكم عام فيهما باعتبارهما من أنواع السحر[٤٤١].

رابعًا: في نفس الباب أيضًا ذكر ابن قتيبة أنه وجد في كتاب من كتب الروم: "قالوا: ومما يسلِّم الله به الخيل من العين وأشباه ذلك أن يُجعل في أعناقها خرزة من قرون الأيايل"[٤٤٢].

---

(٤٣٣) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية) طبعة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ١/ ١٦٨. والملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ط٢: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ١/ ١٠٧.

(٤٣٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، (رقم الحديث: ٥٧٥٣)، ٥/ ٢٢٦٤. وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، (رقم الحديث: ٦٠)، ١/ ٤٧.

(٤٣٥) انظر: ١/ ٢٣٩- ٢٤٠.

(٤٣٦) انظر: لسان العرب ٩/ ٢٦١. والنهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، (الدمام: دار ابن الجوزي)، ط١: ١٤٢١هـ، ص٦٥٢.

(٤٣٧) أخرجه أبو داود، كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، (رقم الحديث: ٣٩٠٧)، ص٧٠١. وضعفه الألباني.

(٤٣٨) سنن أبي داود، ص٧٠١.

(٤٣٩) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: أسامة بن عطايا العتيبي، (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع)، ط١: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ٧٠٧/٢. والتنجيم: هو النظر في النجوم، بحسب مواقيتها وسيرها، والمحرم منه الاستدلال بها على حركة الناس ومعايشهم، ومستقبلهم. (انظر: لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٥٧٠، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ص٩٠٣ وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع)، بدون تاريخ نشر، ص٢٦٩).

(٤٤٠) انظر: شرح سنن أبي داود، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين المقدسي الشافعي، تحقيق: خالد الرباط وآخرون، (الفيوم: دار الفلاح)، ط١: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ١٥/ ٦٦٥- ٦٦٦. والحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ط١: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ١٥/ ١٢٧.

(٤٤١) انظر: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، لمحمد بن علي الشوكاني، (الرياض: دار ابن خزيمة)، ط١: ١٤١٤هـ، ص٥٠. وفتح المجيد، لعبد الرحمن آل الشيخ، ص٢٤٤.

(٤٤٢) ١/ ٢٤٨. والأيايل: جمع أيل وهو ذكر الوعول (انظر: لسان العرب لابن منظور ١١/ ٣٣).

والخرزة من التمائم، وهي ما يعلق على الأولاد عن العين أو الجن، وقد تعلق على الإبل ونحوها، وهي من الشرك الأصغر، وحكمها حكم التمائم، ويسمى ما يعلق على الدواب بالأوتار(٤٤٣).

وقد جاء النهي صريحًا عن ذلك، ففي الصحيحين من حديث أبي بشير الأنصاري ﷺ أن كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، قال: فأرسل رسول الله ﷺ رسولًا أن: **"لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مَنْ وَتَرٍ -أَوْ قَلَادَةٌ- إِلَّا قُطِعَتْ"**(٤٤٤).

ويلاحظ وللأسف انتشار هذه العادة عند فئام من المسلمين في المشرق والمغرب، فلا تكاد تمرُّ بسوق من أسواق المدن إلا وتجد متاجر تبيعها بأحجام وأشكال مختلفة، ولكن لذات السبب (وهو دفع العين أو الجان) كما تجدها معلقة في البيوت والمتاجر وعلى صدور الكبار والصغار والله المستعان.

خامسًا: ذكر ابن قتيبة في أخبار الجبناء ضمن كتاب الحرب أيضًا خبرًا فيه استعاذة بغير الله تعالى، فقال: "شهد أبو دلامة حربًا مع رَوْح بن حاتم، فقال له: تقدمْ فقاتل. فقال:

إِنِّي أَعُوذُ بِرَوْحٍ أَنْ يُقَدِّمَنِي ... إِلَى الْقِتَالِ فَتَخْزَى بِي بَنُو أَسَدِ
إِنَّ الْمُهَلَّبَ حُبَّ الْمَوْتِ وَرَّثَكُمْ ... وَلَمْ أُوَرَّثْ حُبَّ الْمَوْتِ عَنْ أَحَدِ(٤٤٥)

والشاهد من هذا النص قول أبي دلامة في شعره: أعوذ بِرَوْحٍ، وهي عبارة موهمة، إذ لا شك أن الاستعاذة بغير الله تعالى محرمة بل هي من أنواع الشرك، إلا أنه يجب التنبه إلى أن العلماء فصَّلوا في هذه المسألة، فإن الاستعاذة إذا صحبها الاعتقاد والتعظيم والخضوع للمستعاذ به فهذه عبادة يجب ألَّا تصرف إلا لله، فمن صرفها لغيره فقد أشرك. لأن حقيقتها الهرب من شيء مخوف إلى من يعصم منه(٤٤٦). ولذلك كان المشركون إذا نزلوا واديًا استعاذوا من عظيم ذلك الوادي من الجن بأن يعصمهم من سفهائهم(٤٤٧). فأخبر الله عنهم بقوله: **﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾** [الجن: ٦]. وقال شيخ الإسلام: "والاستعاذة لا تصح بمخلوق، كما نصَّ عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة"(٤٤٨).

وأما الاستعاذة من غير اعتقاد وتعظيم، وإنما استعاذة بالحي القادر الحاضر فهذه جائزة كما جاء في سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **"مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ**.. الحديث"(٤٤٩)

---

(٤٤٣) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز، جمع وإشراف: د. محمد الشويعر، (الرياض: دار القاسم)، ط١: ١٤٢٠هـ، ١/ ٥٢.

(٤٤٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، (رقم الحديث: ٢٨٤٣) ٣/ ١٠٩٤. وأخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب كراهة الوتر في رقبة البعير، (رقم الحديث: ٢١١٥)، ٢/ ١٠١٦.

(٤٤٥) ١/ ٢٥٤. ويقصد الشاعر بالمهلب: ابن أبي صفرة، وكان من أشجع الناس (انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ٣٥٠ وما بعدها).

(٤٤٦) انظر: بدائع الفوائد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد)، بدون تاريخ نشر، ٢/ ٧٠٣.

(٤٤٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع)، ط١: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ٨/ ٢٣٩.

(٤٤٨) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: د. ناصر العقل، (الرياض: مكتبة الرشد)، بدون تاريخ نشر، ٢/ ٧٩٧.

(٤٤٩) أخرجه أبو داود في سننه وصححه الألباني، كتاب اللقطة، باب عطية من سأل بالله عز وجل، (رقم الحديث: ١٦٧٢)، ص٢٩٠.

سادسًا: أورد ابن قتيبة في كتاب السؤدد شعرًا لعبد الله بن أبي الشيص ومنه:

أَظُنُّ الدَّهْرَ قَدْ آلَى فَبَرَّا ... بِأَنْ لَا يَكْسِبَ الْأَمْوَالَ حُرَّا
لَقَدْ قَعَدَ الزَّمَانُ بِكُلِّ حُرٍّ ... وَنَقَّضَ مِنْ قُوَاهُ الْمُسْتَمِرَّا[٤٥٠]

فالشاهد من النص قوله "أظن الدهرقد آلى فبرًّا" ووجه الانحراف سوء الأدب مع الله تعالى الذي يقسم الأرزاق كما يشاء سبحانه، ويقال فيه ما يقال في الفقرة الأولى من هذا المطلب.

سابعًا: أورد ابن قتيبة في باب المزاح ضمن كتاب السؤدد؛ قولًا ينبئ بعدم التعظيم للفرائض، فقال: "كان أبو فضالة أسنَّ وشقَّت عليه الصلاة، فكان يقول: مشقية منصِبة، مقيمة مقعدة، لا تزال بصاحبها حتى يضع أكرمه، ويرفع أفحشه"[٤٥١].

وهذا النص يفهم منه الاستهزاء بهذه الشعيرة العظيمة، بل الركن الثاني من أركان الإسلام، والاستهزاء بدين الله ردة عن دين الله عز وجل، كما قال تعالى: **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ﴾** [التوبة: ٦٥- ٦٦].

ثامنًا: ذكر ابن قتيبة في باب الحمق ضمن كتاب الطبائع أن عَتَّاب بن ورقاء خطب "فحثَّ على الجهاد، وقال: هذا كما قال الله تعالى:

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا ... وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ[٤٥٢]

ويقال في النص السابق ما قيل في الذي قبله، فكيف يقال (قال الله تعالى) ثم يذكر غير كلامه سبحانه.

تاسعًا: في نفس الباب أيضًا (أي في باب الحمق) أورد خبرًا فقال: "جاء أعرابي إلى صيرفي بدرهم؛ قال: هذا سَتُّوق. فقال الأعرابي: وما هو الستوق؟ قال: داخله نحاس وخارجه فضة. قال: ليس كذلك. قال: أكسِره، فإن كان كذلك فأنا منه بريء؟ قال: نعم؛ فكسره، فلما رأى النحاسَ قال: بأبي أنت، متى أموت؟ فأنا أشهد أنك تعلم الغيبَ"[٤٥٣].

ووجه الانحراف في هذه الحكاية أن هذا الأعرابي قد نَسَبَ عِلْم الغيب للصيرفي، فإن قد تأكد في نصوص الشرع أنه لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل، قال تعالى: **﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾** [النمل: ٦٦]. فمن اعتقد أن أحدًا يعلم الغيب فهو مشرك بالله العظيم[٤٥٤].

عاشرًا: أورد في نفس الباب أيضًا خبرًا فيه قلة تعظيم الله تعالى، وتعظيم أمره، فقال: "لما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له: أوصِ. قال: بِمَ أوصي! مالي للذكور دون الإناث؛ فقالوا: إن الله لم يأمر بهذا. فقال: لكني آمر به.." [٤٥٥].

---

(٤٥٠) ١/ ٣٣٦.
(٤٥١) ١/ ٤٤٥.
(٤٥٢) ٢/ ٥٩.
(٤٥٣) ٢/ ٦٨- ٦٩. والسَّتُّوق: لفظ معرب، والدرهم الستوق الزيف البهرج الذي لا خير فيه. (انظر: لسان العرب لابن منظور ١٠/ ١٥٢).
(٤٥٤) انظر: الدين الخالص، للسيد محمد صديق حسن القنوجي، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ط١: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١/ ٤٢٥- ٤٢٦.
(٤٥٥) ٢/ ٧١- ٧٢.

وهذا الأثر يحتمل فيه أن يقول "لكني آمر به" أنه قاله على سبيل المزاح، فهو كما سلف في الفقرة الثامنة، وإن قاله استخفافًا بأمر الله وشرعه فلا يقل خطورة وإثمًا؛ لأن الله تعالى أمر بتعظيمه سبحانه وإجلاله، وتعظيم أمره ونهيه، ورتب الخيرية على ذلك، حيث قال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]. ثم قال بعدها: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيرها: "فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظِّم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه؛ لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله"[٤٥٦].

حادي عشر: في باب الأهواء والكلام في الدين ضمن كتاب العلم والبيان؛ أورد ابن قتيبة خبرًا يفهم منه أن الشدة على القدرية[٤٥٧]. قد تلجئ صاحبها أن يميل إلى القول بالجبر[٤٥٨]، فقال: "كان مسلم بن أبي مريم -وهو مولىً لبعض أهل المدينة وقد حُمِل عنه الحديث- شديدًا على القدرية، عائبًا لهم ولكلامهم، فانكسرت رجلُه فتركها ولم يجبرْها، فكُلِّم في ذلك، فقال: يَكْسِرُها هو وأجبرُها أنا! لقد عاندته إذن[٤٥٩].

ويفهم من الخبر أن هذا الذي كان يعيب على القدرية نفيَهم القدرَ، قد وقع في محذور مثل الذي عابهم عليه، وهو القول بالجبر، وهذا ولا شك خطأ والحق الذي عليه أهل السنة: التوسط بين القولين، وهو أن الله تعالى خالق العباد وأفعالهم على الحقيقة، وقد منحهم الله تعالى مشيئة واختيارًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. وقال عز وجل في إثبات مشيئة العبد: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩].

ثاني عشر: في نفس الباب أيضًا ساق ابن قتيبة حكاية أخرى عن هشام بن الحَكَم حيث سأله رجل: "أترى الله عز وجل في فضله وكرمه وعدله كلَّفنا ما لا نطيق ثم يعذبنا؟ فقال هشام: قد والله فعل، ولكننا لا نستطيع أن نتكلم"[٤٦٠].

وفي هذا الخبر يتضح شيء مما كان يتكلم فيه الناس في ذلك الوقت، حيث إن موضوع القدَر -ولا يزال- من أكثر الموضوعات التي يخوض فيها الناس، وسيما ما يتعلق بذلك من التكاليف الشرعية، وما يترتب على ذلك من الجزاء أو العذاب، وسياق الحكاية يبين ما وصل إليه هشام من الاضطراب والتناقض، حيث أشكلت عليه هذا المسألة، وانقطع، وعجز عن جوابها، فما كان منه إلا أن رد بهذا الرد القبيح رغم أنه معدود في المتكلمين[٤٦١]. أما أهل السنة والجماعة فلم تشكل عليهم هذه المسألة والحمد لله، فإن الاستطاعة نوعان: نوع يكون قبل الفعل، فهو بمعنى توفر الأسباب والآلات. ونوع يكون مع الفعل فهذا بمعنى التوفيق والتسديد[٤٦٢].

---

(٤٥٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: د. عبد الرحمن اللويحق، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع)، ط٢: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٦٢٨.

(٤٥٧) القدرية: طائفة تنفي القدر، وتقول بأن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد، بل هي منسوبة لهم، وعليها يجازون. فمنهم الغلاة، نفاة العلم، ومنهم المعتزلة. كما تطلق القدرية على من يبالغ في إثبات القدر فيقول بالجبر. إلا أن إطلاق اسم القدرية على النفاة أغلب وأظهر. (انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، ١/ ٢٣٨ وما بعدها. والفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (بيروت: دار الآفاق الجديدة)، ط٥: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٧م، ص٩٣- ٩٤)

(٤٥٨) الجبرية: عكس القدرية، حيث قالوا بأن الكون كله بقضاء الله وقدره، فكل ما يقع فيه فهو محبوب مرضي لله تعالى. ومنشأ ضلال الجبرية والقدرية التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا. (انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للقاضي علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، (بيروت: دار الرسالة)، ط٥: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ١/ ٣٢٤).

(٤٥٩) ٢/ ١٥٧.

(٤٦٠) ٢/ ١٥٧.

(٤٦١) ورد في ترجمته أنه كان شيعيًا متكلمًا، وله مصنفات منها: الرد على الزنادقة والدلالات على حدوث الأشياء. (انظر: الفهرست لابن النديم ص٢٢٣- ٢٢٤. وهدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، طبعة ١٩٥١م، ٢/ ٥٠٧- ٥٠٨. ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ط١: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣، ٤/ ٦٣).

(٤٦٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ٢/ ٦٣٣- ٦٣٤.

ثالث عشر: في نفس الباب أيضًا ذكر ابن قتيبة آثارًا وأشعارًا وأخبارًا وطرائف في الرافضة[٤٦٣] والقدرية وأهل الكلام[٤٦٤]، مما له تعلق بفساد مذهبهم، أو ببيان تناقضهم، أو مآلاتهم..[٤٦٥].

رابع عشر: ذكر ابن قتيبة في باب الإعراب واللحن في نفس الكتاب (أعني كتاب العلم والبيان) خبرًا عن الحجاج يفهم منه الجرأة من الحجاج على تحريف القرآن مخافة أن يظهر خطؤه في الآية، فقال: "أمَّ الحجاج قومًا فقرأ: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا**﴾ [العاديات: ١]، وقرأ في آخرها: ﴿**إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ**﴾ [العاديات: ١١] بنصب أنّ، ثم تنبه على اللام في (لخبير) وأنَّ "إنَّ قبلها لا تكون إلا مكسورة، فحذف الكلام من "لخبير" فقرأ: أن ربهم بهم يومئذٍ خبير"[٤٦٦].

ويقال في هذه الحكاية ما قيل في الفقرة الثامنة والعاشرة من هذا المطلب، فهذا التصرف من تحريف كلام الله عز وجل، كما أن فيه استخفاف بالقرآن الكريم، وقد نصَّ الفقهاء على خطورة ذلك، بل نقلوا الإجماع على كفر من استخف بالقرآن الكريم. قال النووي -رحمه الله-: "أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق، وتنزيهه، وصيانته، وأجمعوا على أن من جحد منه حرفًا مما أُجمع عليه، أو زاد حرفًا لم يقرأ به أحدٌ، وهو عالم بذلك فهو كافر"[٤٦٧].

أسباب السكوت عن التعليق

بعد عرض تلك المخالفات على النصوص الشرعية، تبين أن حكايتها وتدوينها من قِبَلِ أحد علماء المسلمين أمر يثير التعجب، وقد ظهر لي أسباب محتملة لذكر تلك الحكايات والأخبار دون تعليق عليها. وهي على النحو التالي:

١. يلاحظ القارئ للكتاب أن نسبة الأخبار التي تحتوي على انحرافات عقدية في الكتاب نسبة قليلة مقارنة بضخامة الكتاب، وسعة المصادر التي استقى منها مصنفه، وكثرة موضوعاته. فمن المروءة ذكر هذه الحسنة للمصنف -رحمه الله-.
٢. كما ينبغي التأكيد على أن ابن قتيبة ليس من علماء الحديث، الذين يلزمون أنفسهم ببيان صحة ما ينقل، أو يلتزم بذكر السند، ولذلك فربما لا تصح تلك الأخبار.
٣. ثم إن عصرَ ابن قتيبة عصرٌ كثر فيه الجدل والخصومات في الدين، خاصة من قِبَل أهل الكلام، بل قد شهد عصره هجومًا كبيرًا من المتربصين بالإسلام وأهله. فتداول الناس قصصًا قد يصح بعضها، أو لا يصح. فلعله أراد نقل ما يتردد في زمانه من الحكايات، من باب التأريخ لها.
٤. أيضًا لربما ساهم عصر ابن قتيبة في ذلك، بأن الفرق المخالفة لأهل السنة كانوا ينادون لعقائدهم، وينظمون الشعر في مدح أئمتهم ودعاتهم. وينسجون القصص التي تخدم مذهبهم، أو عيب أعدائهم (من أهل السنة خاصة) فتنتشر

---

(٤٦٣) فرقة من الشيعة سُمّوا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقالوا بأن النبي ﷺ نصَّ على استخلاف علي ﷺ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ، وقد يطلق عليهم الإمامية لأنهم يرون إمامة اثني عشر إمامًا معصومًا بعد النبي ﷺ، أولهم علي ﷺ. (انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/ ٨٨ وما بعدها. والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص٢١ وما بعدها).

(٤٦٤) أهل الكلام: هم المنتسبون إلى علم الكلام، وهو الكلام في الدين بغير طريقة المرسلين. والمراد بهم: كل من تكلم في الله تعالى بما يخالف الكتاب والسنة. (انظر: درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود)، ط٢: ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٧/ ١٨١. ومجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف)، ط١: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ١٢/ ٤٦١. وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، للدكتور: سليمان الغصن، (الرياض: دار العاصمة)، ط١: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ١/ ٢٨).

(٤٦٥) انظر: ٢/ ١٥٦ وما بعدها.

(٤٦٦) ٢/ ١٧٦.

(٤٦٧) التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق: محمد الحجار، (بيروت: دار ابن حزم)، ط٤: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٦٤.

تلك القصص والأبيات الشعرية وتلقى قبولًا عند الناس، ومن ثمّ فمن أراد تدوين شيء من آداب أهل عصره، فلا بد أن ينقل ذلك.

٥. ربما كان ابن قتيبة ينقل تلك الأخبار لبيان تناقض المنحرفين عن الدين، وخطأ منهجهم في قالب قصصي؛ دون أن يصدر حكمًا، أو يعقِّب بشيء، ليصل القارئ إلى الحكم بنفسه.

٦. ربما كان ابن قتيبة يتجوز في ذكر الأخبار المتعلقة بالمزاح، خاصة أنه وضع الكتاب (كما نصَّ في مقدمته) لجميع الناس، حيث يقول: "واعلم أنك إن كنت مستغنيًا عنه بتنسكك، فإن غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج إليه، وإن الكتاب لم يُعمل لك دون غيرك فيُهَيَّأُ على ظاهر محبتك، ولو وقع فيه توقي المتزمتين لذَهَبَ شطر بهائه وشطرُ مائه، ولأعرَض عنه من أحببنا أن يُقبل إليه معك"[٤٦٨].

٧. بالإضافة لتلك الأسباب ينبغي التنبه إلى أمر، ألا وهو أن ابن قتيبة يعد من أوائل من صنف في كتب الأدب الجامعة. وهذه الأولية قد تكون سببًا لعثرات قد تتخلف عمَّن يأتي بعدُ، حيث يأتم بمن سبقه، ويمشي في طريق قد مهده له غيره، ويسره له..

٨. هذا ما توصلت له، وربما هناك الكثير من الأسباب التي دفعت المصنف -رحمه الله- لكتابة مثل تلك الأخبار دون تعليق، والله أعلم.

---

(٤٦٨) ١/ ٤٤.

الانحرافات المذكورة مع تعليق المصنف عليها

قد يأتي تعليق لابن قتيبة يبين الانحراف الوارد عن طريق آثار يسوقها، أو ببيان أسبابه، ودليله، وفيما يلي توضيح ذلك:

بيان الانحرافات ووجه انحرافها

أولًا: عقد ابن قتيبة بابًا ضمن كتاب الحرب، سماه: في الطيرة والفأل. ذكر بعض المواقف في التطير، منها: أن أعرابيًّا فرَّ من الطاعون، فسمع حاديًا يذكِّره بأن الأمر كله لله[٤٦٩].

وقد سبق الحديث عن الطيرة في الفقرة الثالثة من المطلب الأول في المبحث السابق، وأنها من الانحرافات العقدية، وإن كانت من عادات العرب في الجاهلية، وقد أبطلها الإسلام.

ثانيًا: في الباب نفسه ذكر ابن قتيبة أثرًا عن عكرمة قال: "كنا جلوسًا عند ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما فمرَّ طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. قال كعب لابن عباس: ما تقول في الطِّيَرة؟ قال: وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل. يعني التوراة"[٤٧٠].

وهذا الخبر يشبه سابقه، وهو نفي الطيرة، وبيان الحكم الواضح للناس، وخاصة عند السؤال، وهذا لا شك يدفع العالم أن يكون لماحًا لحاجات الناس، يبين لهم الأحكام فور سؤالهم.

ثالثًا: تحدَّث المصنف عن أوقات عقد النكاح، فذكر استحباب يوم الجمعة، فقال: "وقال بعض العلماء: سمعت من يخبر عن اختيار الناس في آخر النهار على أوله في النكاح، قال: ذهبوا إلى تأويل القرآن واتّباع السُّنة في الفأل؛ لأن الله سمَّى الليل في كتابه سكنًا، وجعل النهار نشورًا؛ وقال رسول الله ﷺ في الطيرة: "أصدقها الفأل"؛ فآثر الناس استقبال الليل لعُقدة النكاح تيمنًا بما فيه من الهدوء والاجتماع، على صدر النهار لما فيه من التفرق والانتشار. قال: وأما كراهية الناس للنكاح في شوال، فإن أهل الجاهلية كانوا يطَّيرون منه، ويقولون: إنه يشُول بالمرأة[٤٧١]. فعَلِقَه الجهال منهم، وأبطله بالنبي ﷺ، لأنه نكح عائشة رضي الله عنها في شوال"[٤٧٢].

وهاهنا ظهر تعليق المصنف -رحمه الله- على الخبر الذي أورده في أوقات عقد النكاح، فبعد أن بيَّن الأوقات (ما بين الساعات والأيام)، أكمل بالشهور، وأنه كان من عادة العرب كراهية العقد في شوال، لربطهم بين اللفظ والمعنى ربطًا ليس عليه دليل من شرع أو تجربة مطَّردة، بل قد جاء الشرع بإبطال ذلك الاعتقاد (وهو التشاؤم من عقد النكاح في شهر شوال) بشيء واقعي عملي، حيث إن النبي ﷺ تزوج عائشة رضي الله عنها في ذلك الشهر، وهي أحب نسائه إليه. أخرج مسلم في صحيحه عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: "تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني؟"[٤٧٣].

([٤٦٩]) انظر: ١/ ٢٣١.
([٤٧٠]) ١/ ٢٣٣- ٢٣٤.
([٤٧١]) يشول: الشول بمعنى الارتفاع. (انظر: لسان العرب لابن منظور ١١/ ٣٧٥).
([٤٧٢]) ٤/ ٧١. وحديث زواج النبي ﷺ من عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج في شوال واستحباب الدخول فيه، (رقم الحديث: ١٤٢٣)، ١/ ٦٤٢.
([٤٧٣]) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

أسباب التعليق

تبين فيما سبق أن المخالفات الاعتقادية التي أوردها المصنف -رحمه الله- نادرة إذا ما قورنت بضخامة الكتاب، كما تم إيراد أسباب يمكن أن تكون دعت المؤلف إلى الامتناع عن التعليق عليها، وهذا المطلب على العكس من السابق، وهو ذكر الأسباب التي دعت المصنف إلى التعليق على تلك الانحرافات، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١. ذكر التعليق قد يبين غرض المصنف من إيراد الخبر، وهو التأكيد على أهمية شيء من أمور الاعتقاد، كالتوكل والرضا، كما يظهر في الفقرة الأولى.
٢. كما أن المصنف قد يبين الصلة بين الموقف من السيرة النبوية وبين العادة الجاهلية، كما في الفقرة الثالثة في المطلب السابق.
٣. تتضح عناية المصنف بالعلم الصحيح في كتاب العلم والبيان، حيث يتشوف القارئ لعلوم الشريعة والعربية خصوصًا لكثرة ما ساق فيها من أخبار مادحة للعلم وأهله وآدابه وحجج أهله.
٤. لعلي تركت نصوصًا كثيرة ساقها المصنف -رحمه الله- في باب الأهواء والكلام في الدين خصوصًا، واكتفيت بالإحالة عليه تحرجًا من الإطالة؛ فإن تلك الآثار والأخبار تتنوع بين بيان تناقض أهل الأهواء، وتسفيه رأيهم، وذم ما هم عليه.. ففي تلك الأخبار ما يغني عن التعليق، على أن المصنف قد يضمن بعض تلك الأخبار تعليقات تبين مذهب شاعر، أو يبين الظرف الذي قيل فيه النص (مما له تعلق بالاعتقاد)، أو يوضح مبهمًا مما له صلة بالنص[٤٧٤].
٥. هذا ما تيسر لي عرضه من الأسباب من خلال النظر في الكتاب على اختلاف موضوعاته، والله تعالى أعلم.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وأفضل الناس أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ففي ختام هذه الصفحات يطيب لي ذكر أهم النتائج التي تبيّنت من خلاله:

١. ظهر لي المكانة العظيمة التي نالها كتاب (عيون الأخبار) في القديم والحديث.
٢. قرر أكثر المترجمين لابن قتيبة أنه من أهل السنة، وأن اتهامه بالبدعة لا يعدو أن يكون اتهامًا بلا دليل.
٣. رغم كون ابن قتيبة من أهل السنة وحرصه عليها، بل وتصنيفه في بعض أبواب الاعتقاد على منهجهم، إلا أن كتابه عيون الأخبار قد حوى انحرافات ذكرها من باب الحكاية دون تعليق.
٤. لعل أهم سبب أدى لذكر الانحرافات العقدية يكمن في كون ابن قتيبة ليس من أهل العلم بالحديث، وبالتالي فليس له الخبرة الكافية بصناعتهم في تمييز الصحيح من غيره. بالإضافة إلى أن المصنف في الأدب لا يطالب بالتحقيق في جميع ما ينقل أو يكتب، فهو شبيه بالتاريخ، وقد وقع ذلك حتى في مصنفات السيرة النبوية والتاريخ، حيث نجد في بعضها أخبارًا موضوعة أو مكذوبة.

([٤٧٤]) قبل سياق شعر لكثيّر عزة قال: "وكان رافضيًا يقول بالرجعة". وقال عن هارون العجلي قبل أبيات له: "وكان رأس الزيدية" ٢/ ١٦٠. وقال في أبيات: "قال أعشى همذان يذكر قتل الرافضة الناس.. ووضح معنى الكسف في نصّ أعشى همذان هذا، فقال: "والكسف هذا هو أبو منصور، سمي بذلك لأنه قال لأصحابه: فيَّ نزل: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤]. وكان يدين بخنق الناس وقتلهم. ٢/ ١٦٢- ١٦٣.

٥. ربما قصد ابن قتيبة من السكوت عن التعليق على بعض تلك الانحرافات أن يعمل القارئ ذهنه، ليكتشف الخطأ دون إملاء من أحد، أو ربما خَفِيَ عليه خطورة الانحراف بسبب العادة السائدة في عصره.
٦. التعليقات على الانحرافات في كتاب عيون الأخبار متنوعة بين بيان اعتقاد شخص متعلق بالحادثة، أو بيان مساوئ طائفة ما، أو بيان مآل مذهب معين، أو تناقض أهله.
٧. ولا أنسى أن أختم بمقترح تتم فيه دراسة أمهات كتب الأدب، كالعقد الفريد وبهجة المجالس. وشرحها والتعليق عليها، فهي من كنوز الأمة، ومن التراث العلمي الذي يجب المحافظة عليه، لتعزيز الهوية الإسلامية العربية، وخاصة في هذا الجيل الذي يعيش حراكًا معرفيًا كبيرًا وعولمة ثقافية توشك أن تلغي خصوصيته والله المستعان.
٨. هذا ما تيسر لي كتابته، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. تحقيق: د. ناصر العقل. (الرياض: مكتبة الرشد). بدون تاريخ نشر

٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة لأبي الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (القاهرة: دار الفكر العربي). ط١: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

٣- الأنساب لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني. اعتنى به وعلق عليه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. (القاهرة: دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر). بدون تاريخ نشر

٤- الأنساق الثقافية في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري. لعبد الله مطلق نهار الحربي (رسالة ماجستير. جامعة اليرموك- كلية الآداب- ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)

٥- بدائع الفوائد. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية. تحقيق: علي العمران. (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد). بدون تاريخ نشر

٦- بعض قضايا الشعر في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ. للدكتور سليمان إبراهيم عبد الله إبراهيم. (بحث منشور في مجلة اللغة العربية. العدد الخامس. رجب ١٤٣٩هـ/ مارس ٢٠١٨م.

٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي). ط١: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م

٨- تاريخ بغداد مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها من العلماء من غير أهلها وارديها. للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي. تحقيق: د. بشار عواد معروف. (بيروت: دار الغرب الإسلامي). ط١: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

٩- تأويل مختلف الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر. (بيروت: المكتب الإسلامي). ط٢: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م

١٠-التبيان في آداب حملة القرآن. تحقيق: محمد الحجار. (بيروت: دار ابن حزم). ط٤: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١١-تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع). ط١: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

١٢-تيسير العزيز الحميد. لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب. تحقيق: أسامة بن عطايا العتيبي. (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع). ط١: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

١٣-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: د. عبد الرحمن اللويحق. (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع). ط٢: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٤-الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي. لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي. تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود. (بيروت: دار الكتب العلمية). ط١: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م

١٥-الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد. لمحمد بن علي الشوكاني. (الرياض: دار ابن خزيمة). ط١: ١٤١٤هـ

١٦-درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية. تحقيق: محمد رشاد سالم. (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود). ط٢: ١٤١١هـ/١٩٩١م

١٧-الدين الخالص. للسيد محمد صديق حسن القنوجي. (بيروت: دار الكتب العلمية). ط١: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

١٨-سنن أبي داود. لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. تعليق: ناصر الدين الألباني. (الرياض: مكتبة المعارف). ط٢: ١٤٢٤هـ

١٩-سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. أشرف على التحقيق وتخريج الأحاديث: شعيب الأرنؤوط. (بيروت: مؤسسة الرسالة). ط١: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

٢٠-شرح العقيدة الطحاوية. للقاضي علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي الدمشقي. تحقيق: د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط. (بيروت: دار الرسالة). ط٥: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م

٢١-شرح سنن أبي داود. لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين المقدسي الشافعي. تحقيق: خالد الرباط وآخرون. (الفيوم: دار الفلاح). ط١: ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٢٢-صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه). لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. ضبط وتخريج: د. مصطفى البغا. (دمشق: دار ابن كثير). ط٥: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٢٣-صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. تحقيق: نظر الفاريابي. (الرياض: دار طيبة). ط١: ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
٢٤-عقيدة الإمام ابن قتيبة. للدكتور علي بن نفيع العلياني. (الطائف: مكتبة الصديق). ط١: ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
٢٥-عيون الأخبار. لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. (بيروت: دار الكتب العلمية). ط١: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م
٢٦-الفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي. (بيروت: دار الآفاق الجديدة). ط٥: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٧م
٢٧-الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم. لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم. تحقيق: رضا تجدد. بدون بيانات نشر
٢٨-الكتابة التاريخية عند المسلمين في القرن الأول والثاني والثالث الهجري. لعبد الله محمد أبو القاسم القمودي. (بحث منشور في مجلة رواق الحكمة- العدد ١٠- ديسمبر ٢٠٢١م-
٢٩-لسان العرب. لمحمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي. (بيروت: دار صادر). ط٣: ١٤١٤هـ
٣٠-مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. جمع عبد الرحمن بن قاسم. (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف). ط١: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٣١-مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز. جمع وإشراف: د. محمد الشويعر. (الرياض: دار القاسم). ط١: ١٤٢٠هـ
٣٢-معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي. (بيروت: دار صادر). طبعة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م
٣٣-معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة. (بيروت: مؤسسة الرسالة). ط١: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣
٣٤-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (بيروت: المكتبة العصرية) طبعة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م
٣٥-الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. (بيروت: دار الكتب العلمية). ط٢: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٣٦-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا. (بيروت: دار الكتب العلمية). ط٢: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م
٣٧-موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة. للدكتور: سليمان الغصن. (الرياض: دار العاصمة). ط١: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م
٣٨-النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير. (الدمام: دار ابن الجوزي). ط١: ١٤٢١هـ
٣٩-هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. لإسماعيل باشا البغدادي. (بيروت: دار إحياء التراث العربي). طبعة ١٩٥١م.
٤٠-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق: د. إحسان عباس. (بيروت: دار صادر). طبعة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

التحدِّي العَقَديُّ الإلحاديُّ في الفكر الغربيِّ وأثرُه على الفكر التربويِّ الإسلاميِّ في العصر الحديث

The atheistic sacrilegious challenge in Western thought and its impact on Islamic educational thought in the modern era

أ. شريفة بنت عبد العزيز محمد العمري*(١) **أ. جملا بنت ناجم لافي المطيري *(٢)**

المرشَّحتين لنيل درجة الد كتوراة في تخصص التربية الإسلامية من جامعة الإمام محمدِ بنِ سعودٍ الإسلامية.

Email: Shiri.20@hotmail.com **Email: gamla1435@gmail.com**

الملخَّص:

يَهدُف البحث إلى التعرُّف على تاريخ نشأة الإلحاد في الفكر الغربيِّ، وتحديدِ أسباب ظهوره في العالم الإسلاميِّ، ثم الكشفِ عن الآثار السلبية التي خلَّفها الإلحاد على الفكر التربويِّ الإسلاميِّ في العصر الحديث، واستعراض بعض جهود المملكة العربية السعودية في مواجهة الإلحاد، ثم اقتراح بعض الطرق التي يمكِن بها مواجهة التحدِّي العَقَديِّ الإلحاديِّ في العالم الإسلاميِّ؛ للحدِّ من انتشاره واستخدمت الباحثتان المنهج التاريخيَّ، والمنهج الوصفيَّ الوثائقيَّ.

وتمَّ التوصُّل إلى عدد من النتائج، من أهمِّها ما يلي:

- أن طغيان الكنيسة الأوربية هو السبب الرئيسُ في ظهور الفكر الإلحاديِّ الغربيِّ، وانتشاره في العصور الوُسْطى.
- من أسباب ظهور الإلحاد في العالم الإسلاميِّ: إهمالُ التربية الصحيحة، والجهلُ بتعاليم الدِّين، والانبهارُ بحضارة الغرب.
- من الآثار السلبية للإلحاد: القَلَقُ، والحَيْرة، والاضطرابات النفسية، والتدهور الأخلاقيُّ، وتفكُّك الأُسرة.
- من جهود المملكة العربية السعودية في مواجهة الإلحاد: تعزيزُ الوَحْدة الوطنية، ومنعُ كلِّ ما يؤدِّي إلى الفُرْقة والفتنة والانقسام.

الكلمات المفتاحية : التحديات – الإلحاد - التحدي العقدي - الفكر الغربي - الفكر التربوي الإسلامي.

Abstract:

The research aims to identify the history of the emergence of atheism in Western thought،Determine the reasons for its emergence in the Islamic world،Then revealing the negative effects of atheism on Islamic educational thought in the modern era،And a review of some of the efforts of the Kingdom of Saudi Arabia in confronting atheism،Then suggest some ways in which the atheistic creed challenge can be faced in the Islamic world،The researchers used the historical method، and the descriptive documentary method.

A number of results were reached, the most important of which are the following:
-The tyranny of the European Church is the main reason for the emergence and spread of Western atheistic thought in the Middle Ages.
-One of the reasons for the emergence of atheism in the Islamic world is neglect of proper education, ignorance of the teachings of religion, and fascination with the civilization of the West.
-Among the negative effects of atheism are anxiety, confusion, psychological disturbances, moral deterioration, and the disintegration of the family.
-One of the efforts of the Kingdom of Saudi Arabia in confronting atheism is to strengthen national unity and prevent everything that leads to discord, strife and division.
Keywords: challenges, atheism, creedal challenge, Western thought, Islamic educational thought.

المقدِّمة:

تواجه التربية في الوقت الحاليِّ الكثير من الصعوبات، التي تتطلَّب صبرًا مُثْرَعًا بالتوكُّل على الله، واحتساب الأجر العظيم؛ لكثرة الشركاء في العملية التربوية، فإنها لم تَعُدْ تقتصر على الأسرة والمدرسة والمسجد؛ بل ثَمَّةَ شركاءُ تَوَطَّنوا قلوب المنازل، وأصبحوا جزءًا لا يتجزَّأ من حياة الفرد.

كما تواجه التربية الإسلامية العديد من التحدِّيات التي تحيط بها من كلِّ جهة؛ فقد أصبح التغلغل وَسَطَ المجتمع المسلم سهلاً لبثِّ الشكوك حول معتقداته، وتسميم أفكاره، وتشويه أخلاقه، "وبالرغم من أن العالم الإسلاميَّ ما زال يتمسَّك - نوعًا ما – بالإسلام، ويُقِرُّ بالتوحيد، ويؤمن بالبعث والجنَّة والنار، فإن مَوْجة الإلحاد العارمة تطغى عليه من كلِّ جانب، وتشكِّك أبناءه في دينهم وعقيدتهم". (عبدالخالق، ١٤٠٤هـ، ص٧)

وقد نشر معهد جالوب الدولي (WIN-Gallup International) عام ٢٠١٢م نتائج دراسة استطلاعية حول نسبة الملحِدين في العالم، ظهر فيها أن نسبتهم في المملكة العربية السعودية تبلغ ٥٪، وهي نسبة مساوية للولايات المتحدة الأمريكية حسب نفس التقرير، ورغم التشكيكات الكثيرة حول هذا البحث، ومصداقية نتائجه، خصوصًا هذه النسبةَ غير المنطقية في السعودية، فإنه - على الأقلِّ - يُشير إلى وجودٍ مؤثِّر للإلحاد، ويدقُّ ناقوس الخَطَر؛ للعمل على بحث أسباب وقوع الشباب العربيِّ في الإلحاد، والسعي لإزالتها، أو على الأقلِّ تناولها بجِدِّية، ومعالجتها. (عزمي، ٢٠١٥م، ص٢٦)

إن مشكلة الإلحاد ليست مشكلةَ دَولة أو دين أو نظام، كما أنها ليست نِتاجَ أجواء الانفتاح الفكريِّ والثقافيِّ فقط؛ إنما هي في حقيقة الأمر مشكلة نفسية ودينية تتعلَّق في الأصل بوجود حالة خَوَاء دينيٍّ ومعرفيٍّ، تتراكم آثاره عَبْرَ السنين؛ حتى تنتهيَ بصاحبه إلى الإلحاد. (الراشدي، ٢٠١٦م، ص١٧٤).

مشكلة البحث:

إن الإيمان بالله تعالى وحدَه دون سواه هو الأساس المَتين الذي يقوم عليه الفكر السَّويُّ، والعمل الصالح، والسلوك القَويم، والخُلُق الحَسَن. لذا؛ يمكِن القول: إن أخطر التحدِّيات التي تواجه التربية الإسلاميةَ هو التحدِّي العَقَديُّ والإلحاديُّ؛ فأيُّ خَلَل وتشويه في العقيدة الإسلامية هو خلل في التربية في كافَّة جوانبها، ولا تقف آثاره إلى هذا الحدِّ؛ إنما تمتَدُّ إلى الدَّمار الاجتماعيِّ، وخراب الأسرة، وتفكُّكها، ومن ثَمَّ فساد المجتمعات، كما توصَّلت عدد من البحوث والدراسات إلى أهمية إجراء البحوث الإسلامية التي تناقش القضايا والمشكلاتِ العَقَديةَ، ومنها - على سبيل المثال - دراسة خياط (٢٠٢٠م) التي توصَّلت في أهمِّ نتائجها إلى ضرورة أن تُولَى البحوثُ العَقَديّة الأكاديمية في أقسام الدراسات الإسلامية اهتمامًا بالغًا بدراسة الواقع المعاصِر، وما يُطرَح فيه من نوازلَ وشُبهات فكرية، خصوصًا في الجانب المتعلِّق بدراسة الأفكار الإلحادية التي – غالبًا - تُصاغ بقوالبَ جديدةٍ وجذَّابة، ويُستخدم فيها مغالطات فكرية مُمَنْهَجة، واستهزاء بالأديان؛ مما يؤثِّر في المتلقِّي غير المحصَّن بأدوات النقد، وآليَّة التحليل. (ص٨١)

لذا؛ تسعى هذه الدراسة إلى التعرُّف على التحدِّي العَقَديِّ الإلحاديِّ، وجذوره التاريخية في الفكر الغربيِّ، وأثره على الفكر التربويِّ الإسلاميِّ في العصر الحديث، ثم اقتراح عدد من السُّبل التي يمكِن بها مواجهةُ التحدِّي العَقَديِّ الإلحاديِّ في العالم الإسلاميِّ؛ للحدِّ من انتشاره.

وتتحدَّد مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

١. ما الجذورُ التاريخية للإلحاد في الفكر الغربيِّ؟
٢. ما أسباب ظهور الإلحاد في العالم الإسلاميِّ؟
٣. ما أثر الإلحاد على الفكر التربويِّ الإسلاميِّ في العصر الحديث؟
٤. ما الجهود التي قامت بها المملكة العربية السعودية لمواجهة الإلحاد؟
٥. ما السُّبُلُ المقترحة التي يمكِن بها مواجهة التحدِّي العَقَديِّ الإلحاديِّ في العالم الإسلاميِّ؛ للحدِّ من انتشاره؟

أهداف البحث:

١. التعرُّف على الجذور التاريخية للإلحاد في الفكر الغربيِّ.
٢. تحديد أسباب ظهور الإلحاد في العالم الإسلاميِّ.
٣. التعرُّف على الآثار السلبية التي خلَّفها الإلحاد على الفكر التربويِّ الإسلاميِّ في العصر الحديث.
٤. استعراض بعض الجهود التي قامت بها المملكة العربية السعودية لمواجهة الإلحاد.
٥. اقتراح بعض الحلول والطرق التي يمكِن بها مواجهة التحدِّي العَقَديِّ الإلحاديِّ في العالم الإسلاميِّ؛ للحدِّ من انتشاره.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: يتناول البحث موضوع التحدِّي العَقَديِّ الإلحاديِّ، وتاريخ نشأته في الفكر الغربيِّ، وأسباب ظهوره في العالم الإسلاميِّ، وتأثيره على الفكر التربويِّ الإسلاميِّ في العصر الحديث.

الحدود الزمانية: التعرُّف على الجذور التاريخية للإلحاد في الفكر الغربيّ في العصر الوسيط، الذي يمتَدُّ من القرن الخامس الميلاديّ، حتى القرنِ الخامسَ عَشَرَ الميلاديّ.

- دراسة فترة ظهور الإلحاد في العالم الإسلاميّ في العصر الحديث، الممتَدّ من القرن السادسَ عَشَرَ حتى وقتنا الحاليّ.

أهمية البحث:

تَكمُن أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

١. أهمية المحافظة على العقيدة الإسلامية، والتمسُّك بها؛ حيث يتناول البحث أحد المواضيع المهمَّة التي تُهِمُّ المجتمع، وخاصَّةً جانبَ المشكلات الدينية للشباب المسلم، ومحاولة معالجتها، ويذكر الفهداوي (٢٠٠٨م) أن الشباب يتعرَّض اليومَ للافتراس من جهات عدَّة، فإن سَلِم من الكَيد اليهوديّ، واجَهَه الزحف التنصيريُّ، وإن نجا منه، داهَمَه التيَّار الإلحاديُّ، وهكذا تستمرُّ الحملات على الأُمَّة المسلمة؛ لإبعادها عن نَهْجها القَويم، وإحكام السَّيطرة عليها. (ص٣٤٤)
٢. توضيح أسباب ومخاطر الإلحاد التي ينبغي أن ينتبه إليها أبناء العالم الإسلاميّ، والدعوة إلى اجتنابها.
٣. يقدِّم البحث بعض الحلول والتوجيهات للمربِّين في الأسرة أو المدرسة، وكذلك الجامعة، نحو مواجهة الإلحاد لدى الأبناء والشباب.
٤. يقدِّم البحث بعض الحلول والمقترحات لذَوي الاختصاص في عدَّة مجالات؛ كالإعلام، والمكتبات، والقنوات الرسمية، وغيرها؛ لمواجهة هذا التحدِّي، وحماية المجتمع منه.
٥. يُسهم البحث في إثراء المكتبة التربوية الإسلامية بالبحوث المتعلِّقة بموضوع التحدِّي الإلحاديّ، وسُبل مواجهته في العالم الإسلاميّ، والاستجابة لتوصيات الكثير من الدراسات السابقة التي أوصت بتكثيف البحث حول المشكلات والتحدِّيات العَقَدية، ومنها دراسة عبيد (٢٠٢٠) التي أوصت بتشجيع الباحثين في الأقسام الإسلامية على كتابة بحوثهم حول التحدِّي العَقَديّ والإلحاد، ومحاولة إثراء الموضوع؛ للإلمام بكافَّة جوانبه. (ص١٠٤)

مصطلحات البحث:

التحدِّي: مفرد، والجمع تحدِّيات، والتحدِّيات لغةً حسب موقع الباحث العربي (١٤٤١هـ):

في "لسان العرب": حَدَا الإبِلَ، وحَدَا بِها، يَحْدُو حَدْوًا وحِدَاءً، ممدود: زَجَرَها خَلْفَها وساقَها.

أما في "الصحاح في اللغة": وتَحَدَّيْتُ فلانًا، إذا باريْتُهُ في فعلٍ، ونازعْتُه الغَلَبَةَ.

التحدِّيات اصطلاحًا: "هي تطوُّرات، أو متغيِّرات، أو مشكلات، أو صعوبات، أو عوائقُ نابعةٌ من البيئة المحلية أو الإقليمية أو الدولية". (محمد، ٢٠١٧م، ص ص٦٠-٦١)

العقيدة: حسب موقع الباحث العربي (١٤٤١هـ):

لغةً: العَقْدُ: الضَّمانُ، والعَهْدُ. واعتقَدَ الشيءُ؛ أي: اشتدَّ وصَلُب. واعْتَقَدَ كذا بقلبه. وليس له مَعْقودٌ؛ أي: عَقْدُ رأيٍ. والمُعاقَدَةُ: المعاهدَة. (الصحاح في اللغة ولسان العرب)

اصطلاحًا: "الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيَّته وربوبيَّته وأسمائه وصفاته، والإيمانُ بملائكته وكُتبه ورُسله واليوم الآخر، والقدر خَيْره وشرّه، وبكلِّ ما جاءت به النصوص الصحيحة، من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السَّلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحُكم والأمر، ولرسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم - بالطاعة والتحكيم والاتِّباع". (العقل، ١٤١٢هـ، ص٦)

ويعرّفها سمارة (٢٠٠٥م) بقوله: "هي كلُّ تصوُّر ذهنيٍّ انطَوَت عليه نفس الإنسان، واطمأنَّ إليه قلبه، واستَيْقَنه على نحوٍ لا يُمازجه رَيْب ولا شكٌّ". (ص١٥)

الإلحاد: حسب موقع الباحث العربي (١٤٤١هـ):

الإلحاد لغةً في معجم "لسان العرب": اللَّحْد واللُّحْد: الشَّقُّ الذي يكون في جانب القبر موضِع الميت؛ لأَنه قد أُمِيل عن وسَط إِلى جانبه، وقيل: الذي يُحْفَر في عُرْضه، والضَّريحُ والضَّريحة: ما كان في وسطه، والجمع ألحاد ولُحُود. أما في "القاموس المحيط": ألْحَدَ: مالَ، وعَدَلَ، ومارَى، وجادَلَ.

ويُشير صقر (د.ت) إلى أن الإلحاد هو مذهب فلسفيٌّ يقوم على فكرة عَدَمية، أساسُها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدَّعي الملحِدون أن الكون وُجِد بلا خالق، وأن المادَّة أَزَلية أَبَدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت. (ص١٧)

ويقول عبدالخالق (١٤٠٤هـ): "الإلحاد هو الكفر بالله، والمَيل عن طريق أهل الإيمان والرُّشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنَّة والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا". (ص٦)

التحدِّي العَقَديُّ الإلحاديُّ:

إجرائيًّا: "هو مجموعة من المشكلات والتهديدات التي تُضعف الإيمان بالله، وتشكِّك الإنسان في دينه ومُعتقَده، حتى يَحِيد عن الحقِّ، ويَسقُط في الباطل، فيَكفُر بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ - صلَّى الله عليه وسلَّم - نبيًّا ورسولًا".

منهج البحث:

استخدمت الباحثتان المنهج التاريخيَّ؛ للإجابة عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة، ويُعرَّف بأنه: "المنهج الذي يُستخدَم في تصنيف وتنظيم ودراسة الأحداث والظواهر والمواقف الماضية، والتطوُّرات التي حصلت خلالها، حسب حدوثها في الزمن الماضي؛ لفَهْم الحاضر، والتنبُّؤ بالمستقبل". (القحطاني والعامري وآل مذهب والعمر، ٢٠٢٠م، ص١٦٩)

كما استخدمت الباحثتان المنهج الوصفيَّ الوثائقيَّ؛ للإجابة عن السؤال الثاني والثالث والرابع، ويعرَّف بأنه: "استخراج الأدلَّة والبراهين من الوثائق المتعلِّقة بموضوع الدراسة عن طريق التحليل الشامل". (درويش، ٢٠١٨م، ص١٧٣)

الدراسات السابقة:

وجدت الباحثتان عددًا من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الإلحاد وتم ترتيبها من الأقدم إلى الأحدث كما يلي:

١. دراسة عبدالله، عام ٢٠١٦م، بعُنوان: (الإلحاد: المفهوم والأنماط والمقاربات البحثية).
٢. دراسة عبدالرزاق، عام ٢٠١٧م، بعنوان: (النقد الغربيُّ للإلحاد: عن هشاشة المفهوم وأوهام التطبيق).
٣. دراسة الداغستاني، عام ٢٠١٨م، بعنوان: (العالم بين الإلحاد والتديُّن: بحث في سيكولوجية الإلحاد والتديُّن).
٤. دراسة خياط، عام ٢٠٢٠م، بعنوان: (مفهوم الإلحاد واتِّجاهاته المعاصرة).
٥. دراسة عبيد، عام ٢٠٢٠م، بعنوان: (الإلحاد الجديد وطرق علاجه).

الإلحاد قديمًا:

يُطلَق الإلحاد على نوعين؛ أحدهما: يتمثَّل في إنكار وجود الله تعالى، والقول بأَزَلية المادَّة، وأنها أصل الكون، ومن ثَمَّ فإن الكون وُجِد بلا خالق، وأن المادَّة - في زعمهم - هي الخالق والمخلوق معًا، والنوع الآخَرُ: يتمثَّل في تشويه عقيدة التوحيد، واتِّخاذ شركاءَ مع الله تعالى، أو التكذيب بالرسالات السماوية، وإنكار البعث، والجزاء، والحساب. (طعيمة، ٢٠٠٤م، ص ١٠)

وظَهَرت عبر التاريخ الكثير من المذاهب التي أَشرَكت بالله تعالى، وكذَّبت الأنبياءَ ورسالاتِهم السماويةَ، كما ظهرت بعض الطوائف قديمًا أَنكَرت وجود الله - عزَّ وجلَّ - وعطَّلت المخلوق عن خالقه، وهذه الطوائف هي:

أ-الدَّهْرية: فرقةٌ تؤمن بتقدُّم الدهر بأَزَليته، واستناد الحوادث إلى الدهر؛ كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّون** ﴾ [الجاثية:٢٤]

ب-الطبائعيُّون: لمَّا كان لابدَّ للمصنوع من صانع؛ لكَون العقلِ شاهدَه، تؤمن هذه الطائفة بأن هذه المخلوقاتِ هي من فِعل وصُنع الطبيعة.

ج-الفلاسفة: ذهب بعض الفلاسفة إلى أنه لا صانعَ للعالَم، وأُطلِق عليهم "دهرية الفلاسفة". (رمضان، ص٢٠٦)

الإلحاد حديثًا:

ظهر الإلحاد في العصر الحديث، وإنكارُ وجود الله أصلًا، وزعم الملحِدون أنهم وصلوا إلى ذلك عن طريق العلم، والبحث المحسوس، وعن طريق التجربة والدراسة، وزعموا أن الدين لا يُوصِل إلى ذلك. (رمضان، ص٢٠٦)

واستند الإلحاد الحديث على أُسس علمية، ونظريات معرفية – في نظرهم – يُستغنى فيها عن الإيمان بالله تعالى، واختلفت أساليبهم وحُجَجُهم؛ لكنها تكاد تتَّفِق على الثورة على المسلَّمات والمعتقَدات والأديان، واجتهد الملاحدة بنشر الإلحاد؛ حيث أَلَّف الكثير منهم جُملة من الكتب في نُصرة الإلحاد، والردِّ على الإيمان؛ منهم - على سبيل المثال - الملحِد تولام سيرف، في كتابه "دليل الملحد"، وريتشارد دوكينز، في كتابه "وَهْمُ الإله"، وظهرت على أيدي هؤلاء وغيرهم

منظَّمات علمية كثيرة، ومراكزُ أبحاث، وأكاديميات تتبنَّى نظرياتِ الإلحاد، فتحوَّلت الجهود الإلحادية المُبَعْثَرة إلى عمل مؤسَّسيٍّ منظَّم يَقُوده جماعات من الملحِدين. (عواجي، ٢٠١٨م، ص١٤-١٥)

وظهر الإلحاد الحديث من خلال المذاهب الفلسفية التي ظهرت في الغرب، ثم انتقلت إلى الشرق، ومنها:

أ-الشيوعية: وهي مذهب فكريٌّ يقوم على الإلحاد، وإنكار الخالق، ويَعتبِر المادَّةَ هي أساسَ كلِّ شيء، وقد وضع أُسسَه الفكرية والنظرية (كارل ماركس)، الفيلسوف اليهوديُّ الألمانيُّ.

ب-الوجودية: وهي مذهب فكريٌّ يقوم على الإلحاد، وإنكار الخالق، ويَعتبِر الوجود الإنسانيَّ هو المشكلةَ الكبرى، والتجربةَ الإنسانية هي مَنْبَعَ المعرفة، وأساس البحث عندهم، ومن أبرز زعمائها المعاصرين جان بول سارتر، الفيلسوف الفَرنسيُّ. (رمضان، ص٢٠٦)

الجذور التاريخية للإلحاد في الفكر الغربيّ:

من العسير للغاية أن يحدِّد الباحثون تاريخًا للإلحاد؛ لعدَّة أسباب، منها: أن معنى الإلحاد لا يتَّسِم بالوضوح الكافي، كما أن معناه في الماضي يختلف عن معناه في الوقت الحاضر، وكلمة "الإلحاد" لم تُستحدَث في أوربا إلا في القرنِ السادسَ عَشَرَ؛ ولكن ذلك لا يعني عدم وجود ملحِدين قبل هذا التاريخ، ففي القرون الوسطى عُرِفت بعض حالات الإلحاد؛ ولكن الكنيسة إبَّانَ تلك الفترة شاءت ألَّا تُسمِّيَه إلحادًا؛ بل خروجًا على الفضيلة والدِّين، وقد استحدثت أوربا في عصر الإصلاح مجموعة من الألفاظ التي تعبِّر عن الشكِّ في الدِّين، ووجود الله؛ مثل الإلحاد، والمذهب التأليهيِّ، ورغم وجود كلمات أخرى تُشير إلى الإلحاد؛ مثل الأبيقورية، واللوسيانية، والمذهب الليبرتاني؛ فقد توقَّف هذا العصر عن استخدامها.

وفي نهاية القرنِ السابعَ عَشَرَ، بدأت أوربا تستخدم مجموعة أخرى من الألفاظ البديلة للإلحاد؛ مثل المادية، والفكر الحرّ، والإيمان بوحدانية الوجود، ثم جاء القرنُ التاسعَ عَشَرَ ليشهد استخدام كلمتين، هما: اللأدرية، والفاديزم، حيث كان القانون ينصُّ على إعدام المُلحِدين، فكان التصريح بالإلحاد أمرًا نادرًا، فيَصعُب معرفة كلِّ أعداد المُلحِدين. (عوض، ١٩٧٧م، ص ١٥،١٧)

فمنذ نهايات القرنِ السابعَ عَشَرَ، وبدايات القرنِ الثامنَ عَشَرَ، ومع التطوُّر العلميِّ والتكنولوجيِّ الذي شَهِده الغرب، بدأت بوادر تيَّاراتٍ أعلنت نفيَ وجود الخالق - سبحانه وتعالى - وهذا العصر هو عصر "ماركس"، و"داروين"، و"نيتشه"، و"فرويد"، الذين قاموا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية بطريقة ليس لاعتقاد الخالق فيها أَثَر، وقد أسهم في هذا الأمر الموقف الهشُّ للديانة النصرانية في القرون الوسطى وما تلاها؛ نتيجةً للحروب والجرائم والانتهاكات التي تمَّت في أوربا باسم الدين؛ بسبب تعامل الكنيسة الكاثوليكية في حقِّ ما اعتبرته هَرْطَقة أو خروجًا عن مبادئ الكنيسة، ولم يقف الأمر عند العلماء التجريبيين أو النفسيِّين أو الاجتماعيين؛ بل تعدَّاهم إلى الأدباء الذين أعلنوا ما أَسْمَوْه: فكرة وفاة الدين والخالق، وأن الدين أَبْعَدَ الإنسانَ عن إنسانيته، وقد تزامنت هذه الأفكار مع الأبحاث الشهيرة لـ"داروين"، وهي التي كانت مناقضةً تمامًا لنظرية نشوء الكون في الكتاب المقدَّس عند النصارى، وكذلك فقد أعلن "نيتشه" مقالته الشهيرة: "موت الخالق الأعظم"، ومقالته الأخرى: "إن الدين فكرة عَبَثية، وجريمة ضد الحياة"، كما أعلن ماركس أيضًا نظريته الشهيرة: "لا إله، والحياة مادَّة"، وظهر فرويد بنظريته التي زعم فيها أن الدين وَهْمٌ كانت البشرية بحاجة إليه في بداياتها.

وهكذا أخذت أفكار الملحِدين في هذه المرحلة منحى النُّفور من الدين؛ لتناقض العقل مع تصرُّفات وتعاليم الكنيسة. (سندي، ٢٠١٣م، ص١٥-١٦)؛ حيث مارست الكنيسة الغربية ألوانًا من الطُّغيان الروحيّ والعقليّ والفكريّ والعلميّ على الناس، الأمر الذي لا يتَّفِق مع مضامين الدعوة الإلهية لبني البشر، ولم يستطع الناس استيعاب ما تدعو إليه من عقائدَ وتصوُّراتٍ منحرِفة، وجعلت لنفسها حقَّ التفرُّد بمعرفة وفَهم تلك العقائد المنافية لبداهة العقل ومسلَّماته، ولم تقف عند حدود حجب العقل البشريّ عن التفكير وفَهم الدين؛ بل امتدَّ ذلك الطغيان ليشمل أمور الكون المادِّية، فمنعت العقل من التفكير في مسائل الكون والحياة وَفْقًا لما يقتضيه العلم من الملاحظة والمشاهدة والتجارب العلمية، وألزمت الناس بتفسيراتها وتصوُّراتها الباطلة. (طعيمة، ٢٠٠٤م، ص١٣-١٤)

وكان من الطبيعيّ عند تأصيل ظاهرة الإلحاد التأكيدُ على أن الكنيسة الأوروبية هي السبب الرئيسُ في ظهور هذه المشكلة، وتضخُّمها، حتى وصلت لهذا المستوى المخيف، فكانت سببًا مباشرًا وغيرَ مباشر في نشر الإلحاد والزَّنْدَقة والكُفر الكامل بوجود الله عزَّ وجلَّ.

أسباب ظهور الإلحاد في العالم الإسلاميّ:

من أهمِّ أسباب ظهور الإلحاد وانتشاره في المجتمعات الإسلامية ما يلي:

١- إهمال الأسرة للتربيةَ، وتراخيها عن القيام بمسؤوليَّاتها التي أمر الله تعالى بها في كتابه الكريم قائلاً سبحانه وتعالى﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون﴾[التحريم:٦]

وهذا ما يؤكِّده حسين (١٤٠٦هـ) بقوله: "أن ينشأ الشخص في بيت خالٍ من آداب الإسلام، ومبادئ هدايته، فلا يرى فيمن يقوم على أمر تربيته من نحوِ والدٍ أو أمٍّ أو أخٍ استقامةً، ولا يتلقَّى عنه ما يطبعه على حبِّ الدين، ويجعله على بصيرة من حِكمته، فأقلُّ شُبهةٍ تمسُّ ذهن هذا الناشئ تنحدر به في هاوية الضلال". (ص٨)

٢- الغفلة التي تَعْتري بعض الناس، فتعطِّل قلوبهم وعقولهم، فيَغفُلون عن آيات الله المبثوثة في الكون، ولا يؤمنون بالله حقَّ الإيمان، ولا ينتبهون إلى ما يجري حولهم من أحداث وتغيُّرات في سنن الله الكونية، ولا تلفتهم ظاهرة الحياة والموت، ومسار الشمس والقمر، ولا تغيُّر المخلوقات، وقد أشار القرآن إليهم، ووصَفَهم بأنهم - لبَلَادة حِسِّهم، وفساد طَبْعهم - أَضَلُّ من البهائم. (طعيمة، ٢٠٠٤م، ص١٢) كما في قول الله تعالي: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُون﴾[الأعراف:١٧٩]

٣-الهزيمة الحضارية التي استَوْلَت على نفوس بعض أبناء العالم الإسلاميّ، فأدَّت إلى احتقارهم لأُمَّتهم، ولإرْثِها العَقَديّ والحضاريّ، وأدَّت بالمقابل إلى النظر بعين الإعجاب والإكبار للغرب، وأنهم متفوِّقون، واعتقادهم أن سبب تفوُّقهم الماديّ إنما هو إلحادُهم، والتحرُّر من الأديان. (سندي، ٢٠١٣م، ص٢٣)

بالإضافة إلى الهجمات الأوربية الاستعمارية على العالم الإسلاميّ، وأثرها البعيد في زَلْزَلة العقائد الإسلامية، حيث أخذت بعض الشعوب الإسلامية تقلِّد المستعمر الأوربيَّ، وتتشبَّه بأخلاقه وعاداته، وتَدخُل في عقيدته الإلحادية؛ ظنًّا منهم أن الأوربيين لم يصلوا إلى القوَّة والتطوُّر الحضاريّ إلا برفضهم للدين. (عبدالخالق، ١٤٠٤هـ، ص١٤-١٥)

٤- الجهل والفضول والانجذاب نحو عالم الملاحدة، ومن أسهل الطُّرق الموصِلة إليهم: الشبكةُ العنكبوتية، التي شَرَعت الأبواب والمنافذ لكلِّ من يرغب في الوصول إليهم، وتبنِّي أفكارهم. (حسين، ١٤٠٦ه، ص٩)
والجهلُ مصدر أساسيٌّ للشُّبهات، فكلَّما زاد الجهل، زاد عدد الشُّبهات، ولا علاقة بين كثرة الشُّبهات وبين وجود ثَغَرات أو أخطاء في الإسلام دين الحقّ؛ وإنما هذا دليلٌ على تفشِّي الجهل بتعاليم الإسلام، والعبادات، والأحكام الشرعية. (الباحثون المسلمون، ٢٠١٧م، ص٩٧)
ومن أبرز صور الجهل فَهْمُ النصوص الدينية وتأويلها تأويلًا خاطئًا؛ مما يؤدِّي إلى ظهور الشُّبهات، واتِّجاه أصحابها إلى الانحراف والمَيل عن طريق الحقّ.
٥- قراءة الإنسان المسلم واطِّلاعه على مؤلَّفات الملحدين، وقد دَسُّوا فيها سمومًا من الشُّبهة تحت ألفاظ منمَّقة، فتَضعُف نفسه أمام هذه الألفاظ المنمَّقة، والشُّبهة المُبَهْرَجة، فلا يَلبَث أن يَدخُل في زُمرة الملاحدة الأعداء. (حسين، ١٤٠٦ه، ص٩)
٦- اتِّصال المسلم الضعيف بملحِد يكون أقوى منه نَفْسًا، وأبرعَ لسانًا، فيأخذه ببراعته إلى سوء العقيدة، ويُفسد عليه أمر دِينه، ومن هنا نرى الآباء الذين يُعْنَوْنَ بتربية أبنائهم تربيةَ الناصح الأمين، يَحُولون بينهم وبين مخالطة فاسدي العقيدة، يَخشَون أن تَسريَ إليهم العَدْوى من تلك النفوس الخبيثة.
٧- فتح العلم الماديُّ للناس أبوابًا عظيمة من أبواب الرفاهية والتَّرَف ومُغْرِيات الحياة، وألوانًا لم يَعهَدوها من الاستمتاع بالحياة، والانغماس في الشهوات والمَلَذَّات، ولمَّا كان الإسلام بوجه عامٍّ ينهى عن الإسراف، ويَأمُر بالقَصد والاعتدال، ويحرِّم الاستمتاع بالحرام؛ كالخمر والزنا والتعرِّي، فإن الناس الذين يجهلون سرَّ أمر هذا الدين بذلك ظنُّوا أن هذه قيود على حُرِّيتهم، وحَجْرٌ لمَلَذَّاتهم وشهواتهم، فازدادوا لذلك بُعْدًا عن الدين، وكراهية لمن يُذكِّرهم بالآخرة. (عبدالخالق، ١٤٠٤هـ، ص١٦)
٨-تقديم العقل على النقل، وإن ضلال من ضلَّ، وكُفر من كفر، وإلحاد من ألحد، سببُه تحكيم العقول دون تحكيم المنقول، ويؤيِّد ذلك قوله تعالى: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِين} [الأعراف: ١٢]

فإبليس قد حكَّم العقل، ولم يلتزم الأمر، واستند في امتناعه عن تنفيذ الأمر إلى عقله فقط، دون اعتبار للأمر الصادر له من الله تعالى بالسُّجود لآدَمَ. (غنيمي، ١٤٤٠هـ، ١٢٤)

٩- تناول موضوع حرية الأديان، ومحاربة المنظَّمات العالمية للحكومات المسلِمة تحت ذريعة الإرهاب، وغضُّ الطرف من الحكومات المسلمة عن التعدِّي على الدين وأهله، ومسايرة الحكومات الغربية الكافرة، والتهاون في الأحكام وتطبيق الشريعة، أدَّى ذلك إلى ظهور الملاحدة العرب، الذين لا يخجلون من إعلان إلحادهم أمام الملأ؛ بل ويتجاوزن الأدب، وجميع خطوط الذَّوق والأخلاق بالاستهزاء بالعقيدة الإسلامية، والأحكام والحقوق. (حسين، ١٤٠٦هـ، ص٢٢)

المبحث الثالث: الإلحاد في العالم الإسلاميّ وأثره على الفكر التربويّ الإسلاميّ:

دَخَل الإلحاد في ثوبه المعاصر إلى العالم الإسلاميّ في منتصف القرنِ التاسعَ عَشَرَ، مدعومًا من الاستعمار، ومغطًّى بغطاء التغريب، والدعوة إلى التحرُّر والعقلانية والتنوير، والإلحادِ وإنكار وجود الله - عزَّ وجلَّ - نهايةً، وتأثَّر العالم الإسلاميُّ بالمدِّ الإلحاديّ الغربيّ؛ نظرًا لهذا التقارب الكبير، والتواصل الواسع بين الأمم في العصر الحديث، وقد حفل التاريخ المعاصر بأسماءٍ حجزت لنفسها مكانًا في سجلِّ الإلحاد المُظلِم، من الداعين المتحمِّسين له، ومن المقعِّدين والمؤصِّلين لأصوله.(سندي، ٢٠١م،ص١٨-١٩)

والمتتبّع للتاريخ الإسلاميّ يَجِد حالاتٍ فرديةً وشاذَّة لأناس ارتدُّوا إلى الإلحاد، ومن أشهر أولئك: "ابن الراونديّ" الملحِد، الذي كان يهوديًّا ثم أعلن الإسلام، ثم تهوَّد، ثم أَلحَد.

وفي نهاية الأمر يقف ابن الراونديّ ضدَّ كلِّ الديانات، وجميع الأنبياء، وقضى أيَّامه ساعيًا وراء المَجْد الدُّنيويّ، ونال لقب الملحد الأكبر في تاريخ الإسلام، ومن أفكاره الإلحادية:

- أن القرآن ليس نصًّا فريدًا، ويمكِن كتابة ما هو أفضلُ منه، وليس هناك مبرّرٌ لإرسال الرُّسل.

- الحجُّ ومناسكه طقوس هندوسية، وغزوات الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - سَلْبٌ ونَهب.

- وتهكَّم على وصف الجنة في القرآن الكريم. (شريف، ٢٠١٧م، ص٤٢٠)

وسوف نستعرض لفكر شخصيَّتين تمثِّلان نَمُوذَجين للإلحاد المعاصر، هما: د. إسماعيل أدهم، الذي وُصِف "بالْمُلَيْحِد"؛ لموته قُبيل بلوغه الثلاثين من عمره، ولصِغَر كُتيِّبه الذي اشتُهِر به: "لماذا أنا مُلحد؟"، وعبد الله القصيمي، الذي يعتبره الملاحدة المعاصرون أبًا روحيًّا لهم.

المليحد د. إسماعيل أدهم: هو تركيُّ الأصل، وُلِد بالإسكندرية، وحصل على الدكتوراة في الرياضيات من جامعة موسكو بالاتِّحاد السوفيتيّ. يقول عن تأثير دراسته وحياته بالاتِّحاد السوفيتيّ: "كانت نتيجة الحياة أني تنكَّرت للأديان، وتخلَّيْتُ عن كلِّ المعتقدات، وآمنت بالعلم وحدَه، وبالمنطق العلميّ".

ويمكِن أن نلخِّص المفاهيم الإلحادية عند إسماعيل أدهم فيما يلي:

- الإلحاد هو الإيمان بأن الكَون يتضمَّن سببَه في داخله، وأن لا شيء وراء هذا العالَم.

- يفسِّر وجود كلِّ ما في الكَون بالاحتمالية والصُّدفة.

وعبدالله القصيمي: هو مفكِّر سعوديٌّ، من أكثر المفكِّرين العرب إثارةً للجدل؛ بسبب انقلابه من موقع النَّصير والمُدافِع عن الإسلام والسَّلفية إلى الإلحاد، ولذلك عدَّةُ تفسيرات تدور جميعُها حول بِنْيَته النفسية. لقد كان القصيمي شكَّاكًا بطَبعِه، حتى كانت تعتريه في أثناء دفاعه عن الإسلام الشُّكوك حول الله - عزَّ وجلَّ - وحول الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وكذلك كان ذا مزاجٍ مندفع متطرِّف، فهو دائمًا متمرِّد وثائر بشكل عنيف ضدَّ أعداء الدين، ثم صار ضدَّ مناصري الدين، وبعد انحرافه عن جادَّة الإيمان، كَتَب حوالي عشَرةِ كتب لا تخرج عمَّا يلي:

- التعدِّي على الذات الإلهية، وسبُّها بكلِّ فظاظة ووقاحة.

- سبُّ الرُّسل والأنبياء، والسُّخرية من الشرائع والديانات.

- التحقير بالعَرَب، والاستخفاف بالقضايا العربية والإسلامية.

- التغنِّي بآلام الإنسان وأحزانه بشكل غريب وفظٍّ. (شريف، ٢٠١٧م، ص٤٢٥-٤٢٦)

ويمكِن تصنيف المتأثِّرين بالإلحاد إلى ثلاث مجموعات رئيسة - كما ذكرهم العواجي (٢٠١٦م) - وهي:

١- مجموعة المفكِّرين والفلاسفة التائهين، الذين انخدعوا بنظرية داروين العلمية، ومن ثَمَّ أقنعوا أنفسهم بأن الوجود يرجع إلى المادَّة الأوَّلية، وأنه لا يُحتاج إلى إله، وعليه؛ فلا توجد ضرورة لبحث هذه المسألة، وأن العلم قد كفى الإنسان ذلك، فوجدوا في الإعراض راحةَ بال شكلية، وتخلُّصًا من مأزق الجدل العقيم.

٢- مجموعة الانتهازيين؛ كالشيوعيين الذين يريدون تسخير البشر لعبادتهم، والسَّير وراءهم؛ لاستغلالهم في الصناعة والإنتاج، فوجدوا الدين عائقًا دون تحقيق هذه المآرب الدنيئة، فحاربوه، وقاتلوا من لا يوافقهم، وأَكرَهوا على ذلك بلا رحمة.

٣- مجموعة الفئات الصامتة والمتفرّقة من شتَّى المِلَل والأديان ممَّن لديهم شكوكٌ كامنة عن وجود الله تعالى دون أن يطرحوها للنقاش؛ إما تردُّدًا، أو خوفًا. (ص٢٦٣)

وتتحدَّد أهمُّ الآثار السلبية للإلحاد على الفكر التربويِّ الإسلاميِّ فيما يلي:

- أن أول الآثار التي يخلِّفها الإلحاد في نفس الإنسان هو القَلَق والحَيْرة والاضطراب النفسيُّ، فلا يقدِّم له الإلحاد إجاباتٍ مقنِعةً ومُطَمْئِنة عن الأسئلة التي تدور في ذِهنه عن سرّ الوجود والحياة والكَون، فلا يَخرُج من الحَيرة والقلق مع إلحاح نداء الفِطْرة الداخليِّ، ومع تردُّد الأسئلة الخالدة في النفس يظلُّ الإنسان قَلِقًا معذَّبًا. (عبدالخالق، ١٤٠٤هـ، ص ١٨-١٩)

- الانفلات والتدهور الأخلاقيُّ، والتخلِّي عن القيم والمبادئ الأخلاقية الضابطة لسلوك الإنسان، كما يذكر الخضري (د.ت) أن الإلحاد يدعو إلى انفلات الغرائز الشهوانية؛ لأنه يَقطَع صلة الإنسان بالدار الآخرة كدار أخرى للنعيم إذا ما آمَنَ وأحسن العمل في الدنيا، فلا يبقى للإنسان الملحِد منظورٌ لهذه الدنيا غير الْمُتْعَة واللذَّة الشهوانية الخالصة، فيَجعَلها غايتَه السامية، وهدفَه الأوَّل، فهو يعيش ليتمتَّع بالشهوات فقط. (ص١٩)

- عدم الوثوق بشرائع الإسلام أو الشكُّ فيها، فقد اتَّجَه بعض المتأثِّرين بالنظريات الغربية إلى مواكَبة مَوْجة الإلحاد العالميِّ بالطعن في أُسس المصادر الإسلامية، والتشكيك بها، وعدم احترام مشاعر المسلمين، ويَرَون أن هذا الطَّعن يُبرز مدى التقدُّم الحضاريِّ، وكأنهم أرادوا بذلك مجاراة الغرب في نقدهم للدين المسيحيِّ. (عواجي، ٢٠١٨م، ص١٤٠-١٤١)

- للإلحاد آثارٌ مدمِّرة في الحياة الاجتماعية للإنسان، وهدم النظام الأُسريِّ؛ فالبُعْدُ عن الله تعالى لا يقتصر تأثيره على النفس البشرية فقط؛ إنما يمتَدُّ تأثيره على المجتمع الإسلاميِّ وتفكيكه، فإذا تمَّ تَشْويه عقيدة التوحيد، والابتعاد عن الدين الإسلاميِّ، والقيام بالعبادات التي تهذِّب النفس، وتسمو بالسلوك، فَسَدت تبعًا لذلك الروابط الأُسرية، وتفكَّكت الأسرة المسلمة، ومن ثَمَّ أثَّر ذلك على تفكُّك المجتمع بأكمله. (عبدالخالق، ١٤٠٤هـ، ص ٢٤)

- يولِّد الإلحاد الفساد المجتمعيَّ، وانتشارَ الجريمة؛ بسبب السِّباق المحموم على مُتَع الحياة وشَهَواتها بلا ضوابطَ دينيةٍ وأخلاقية، وتَكثُّر حالات الانتحار، والاضطرابات النفسية للملحِدين؛ بسبب فُقدان الهُوِيَّة، وتَيَهان الوعي، وغياب أيِّ معنًى رساليٍّ للوجود، وغائيٍّ للحياة. (الخضري، د.ت، ص٢٨-٣٠)

جهود المملكة العربية السعودية في مواجهة الإلحاد:

تتضافر الجهود في المملكة العربية السعودية في مواجهة الإلحاد، ما بين جهود رسمية، وغير رسمية؛ انطلاقًا من مكانتها القيادية في العالم الإسلاميِّ، ومن ذلك موقف الملك سعودِ بنِ عبدالعزيز - رحمه الله - في تأسيس إذاعة "نداء الإسلام"، التي بدأت العمل في ٧ ذي الحجة عام ١٣٨١هـ، الموافق ١١ مايو ١٩٦٢م، وكان من أهمِّ أهدافها تبليغُ رسالة الإسلام الخالدة، ونشرُ نور الهداية الإسلامية صافيًا نقيًّا، والتعريف بالإسلام ومبادئه، وبثُّ التوعية الإسلامية، ومحاربة الإلحاد والتيَّارات الفكرية التي تحاول النَّيل من الإسلام. وفي عهد الملك فيصلِ بنِ عبدالعزيز - رحمه الله - الذي تبنَّى قضية التضامن الإسلاميِّ، حيث جنَّدت المملكة العربية السعودية إذاعتها للدعوة للتضامن والتآخي بين المسلمين، ورجال الفكر والثقافة في العالم الإسلاميِّ؛ للتبصير بأمور الدين، والتحذير من التيَّارات السياسية الهدَّامة، ومحاربة الإلحاد، والتصدِّي للمدِّ الشيوعيِّ. (باهبري، ٢٠٢١م، ص١٤٩)

وقد استمرَّت المملكة العربية السعودية على هذا النهج؛ للحفاظ على وَحْدة الصفِّ، وحماية المجتمع من كلِّ ما يمكِن أن يؤدِّيَ به إلى التفرقة والكراهية والشَّتات، حيث أفادت في التقرير السَّنويِّ لمفوَّض الأمم المتَّحدة السامي لحقوق الإنسان (٢٠١٧م) بأن المادَّة ١٢ من الدستور تنصُّ على أن من واجب الدولة تعزيز الوَحْدة الوطنية، ومنع كلِّ ما يؤدِّي إلى الفُرقة والفتنة والانقسام. وتُشير المملكة إلى أنه بالرغم من أن جميع مواطني المملكة مسلمون، فإن حرية ممارسة العبادة لغير المسلمين مكفولة. (ص١٠)

وللمملكة العربية السعودية أيضًا مواقفُها فيما يتعلَّق بحرية الأديان، حسب ما ورد في موقع هيئة حقوق الإنسان السعودية (١٤٤١هـ): المملكة قِبْلة العالم الإسلاميِّ الذي يحتضن أكثرَ من مليار ونصف مليار مسلم، ويَفِد إليها كلَّ عام أكثر من (٧) ملايين مسلم لأداء الحجِّ والعُمرة، وجميع مواطنيها مسلمون، وإن كلَّ من يَفِد إليها من غير المسلمين يأتي بغرض التجارة أو العمل وَفْقَ عقود محدَّدة المدَّة، وقد نصَّ النظام الأساسيُّ للحُكم في مادَّته (٤١) على أن: "يلتزم المقيمون في المملكة العربية السعودية بأنظمتها، وعليهم مراعاة قيم المجتمع السعوديِّ، واحترام تقاليده ومشاعره"، وقد أصبح هذا الأمر موضعَ تفهُّم، ودافعًا لمزيدٍ من التعاون من قِبَل الجميع. وحريةُ ممارسة العبادة لغير المسلمين في المملكة مكفولة نظامًا وواقعًا عمليًّا في أماكنهم الخاصَّة.

واستشعارًا للمسؤولية الاجتماعية بين أفراد المجتمع السعوديِّ في محاربة الإلحاد؛ قامت نُخبة من الشباب المسلم الغيور على دينه ومعتقداته بإنشاء مركز براهين في أواخر عام ٢٠١٣م؛ لدراسة الإلحاد، ومعالجة النوازل العَقَدية؛ ليكون خُطوةً فعَّالة في تناول مِلَفِّ الإلحاد خارجَ إطار الشبكة العنكبوتية، وقام المركز بإصدار عدَّة أعداد من مجلَّة براهين. (عزمي، ٢٠١٥م، ص١٢)

وفي عام ٢٠١٤م تمَّ إنشاء الموقع الإلكترونيِّ لمركز براهين تحت اسم "مركز براهين للأبحاث والدراسات"، وهو مركز بحثيٌّ متخصِّص في نقد الزوايا العلمية والفلسفية للإلحاد، وأنتج أكثرَ من ثلاثين كتابًا، ويَهدُف إلى تقديم خطاب أكاديميٍّ ناقد للأفكار الإلحادية بكافَّة تشكُّلاتها الفلسفية والعلمية، وعرض أدلَّة صحة التصوُّرات الدينية عن الكَون والحياة والإنسان والعقل واللغة والعلم، وبيان محاسن الإسلام في النِّطاقات الفكرية ذات الصِّلة، ومحاولة تصحيح الخطابات

الدعوية غير الملتزمة بالضوابط الإسلامية في الاستدلال والإنصاف والحكمة، كلُّ ذلك من خلال براهينَ ساطعةٍ، وموعظةٍ حَسَنة، وحُسن بيان. (مركز براهين للأبحاث والدراسات، ٢٠١٨م)

السُّبل المقترحة التي يمكِن بها مواجهة التحدِّي العَقَديّ الإلحاديّ في العالم الإسلاميّ؛ للحدِّ من انتشاره:

أولًا: على مستوى الدولة:

القضاء على أيّ مشكلة أو تهديد للأمن الوطنيّ، والاستقرار المجتمعيّ، لا بدَّ أن يكون أوَّلاً من قِبَل الحكومات؛ فالإلحاد تهديد لاختراق الصفِّ المسلم الواحد، وزعزعة استقرار المجتمع، فلا بدَّ للحكومة أن تواجه هذا الأمر بإصدار القوانين والعقوبات؛ للقضاء على الفكر الضالِّ والمتطرِّف والشاذِّ، فالإلحاد كالسرطان، لا يجب معه سوى البَتر والإبعاد.

ولقد منَّ الله علينا في هذا البلد الآمن، المملكة العربية السعودية، بولاة أمر، عَمِلوا بجهد، وعمل دَؤوب، على نشر الدين والوسطية، وبسط الأمن، وتوعية المجتمع بجميع فئاته بخطر الأفكار المنحرفة والضالَّة التي تتسبَّب في فساد المجتمعات، ونشر الفساد والرذيلة، وتضافرت جهود ولاة هذا البلد على إقامة كلِّ ما من شأنه تنقية الفكر من الدعوات المشوّشة التي تبثُّ روح القَلَق والتفكُّك في الأمَّة، فجزاهم الله عن الأمَّة المسلمة عامَّةً، وأهل هذا البلد خاصَّةً، خيرَ الجزاء، وثبَّتهم، ووفَّقهم، وكفاهم شرَّ أعدائهم. (سوزان المشهراوي، ١٤٤٠هـ، ص١٠٠٤)

ومن السُّبل المقترحة التي يمكِن أن تقوم بها الدول الإسلامية لمواجهة الإلحاد ما يلي:

أ- الحفاظ على مبادئ العقيدة الإسلامية، وترسيخ الحصانة الفكرية للمواطنين ضدَّ التيَّارات والمذاهب المخالفة، التي تروِّج إلى الإلحاد، والانحرافات الفكرية، من خلال دعم وتشجيع ولاة الأمر، والمسؤولين، والمربِّين، والمؤسَّسات التربوية في الدولة.

ب- تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وعدم المساومة عليها.

ت- تقديم الدعم المعنويّ والماديّ للهَيئات والمؤسَّسات، والمراكز الدعوية والإسلامية، وتشجيعها .

ث- الدعوة إلى الحفاظ على الهُويَّة الإسلامية، والاعتزاز بالتراث التربويّ الإسلاميّ، وتاريخ المسلمين.

ثانيًا: على مستوى وسائل الإعلام المَرْئيَّة والمقروءة والمسموعة:

١. الاهتمام بوسائل الإعلام، المرئيّ منها والمسموع والمقروء؛ لأنها تؤثِّر في الأفكار والمُيول تأثيرًا كبيرًا، ويجب تَنْقِيَتها مما ينافي العقيدة، أو يؤدّي لفكر ضالٍّ منحرِف يؤثِّر على الفرد والمجتمع، لذا؛ لا يجوز عرض آراء الملاحدة على وسائل الإعلام بشتَّى صُوَرها حتى لا يتأثَّر بأقوالهم ضعاف العقيدة، ومن لا دراية لهم بعلوم الشريعة. (غنيمي، ١٤٤٠هـ، ص٢٥٤)
٢. حظر الكتب والمجلَّات ذات التوجُّهات والأفكار المنحرفة من الدخول إلى ديار المسلمين، ومنعُ بَيعها وتداوُلها، وإصدار القوانين الصارمة على من يُخالف ذلك.
٣. تنقية البرامج - ومنها برامجُ الأطفال - من أيّ إشارات، أو علامات كُفرية، أو رموز لأديان، أو طوائفَ أخرى، من الظهور على شاشات التلفاز.
٤. عمل اللقاءات في البرامج التلفزيونية حول اهتداء عدد ممَّن كانوا في الضلال، وأسباب هدايتهم.

٥. عمل البرامج الحوارية والمناظرات؛ لكشف الزَّيف والخَلَل، وقطع الشكِّ للحائرين أو الضالِّين.

ثالثًا: على مستوى المؤسَّسات التربوية:

١-الجامعات:

١. أن يناقش أعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد والكليات هذه المُعضِلة، وفتح باب الحوار مع الطلبة، والاستماع لآرائهم وأفكارهم، ومساعدتهم إن جال في خواطرهم ما يُقلِق راحتهم.
٢. توجيه أعضاء هيئة التدريس والطلاب والباحثين نحو عمل أبحاث ودراسات حول مشكلة الإلحاد؛ للوصول لحلِّ هذه المشكلة.
٣. إقامة المؤتمرات العلمية والتربوية؛ لمناقشة خطر الإلحاد، والخروج بتوصيات نافعة للأمَّة الإسلامية بحَول الله تعالى.
٤. إقامة النَّدوات، وحلقات النقاش التي تُسهم في كشف التهديدات التي تُحاك ضدَّ الدين والوطن والمجتمع، وإيضاح السُّبل لمواجهتها.
٥. دعم كراسي البحث العلميّ، وتقديم جوائزَ ماديةٍ، وحوافزَ للمهتمِّين والباحثين، والراغبين في حلِّ هذه المشكلة.
٦. إنشاء مكتب للحوار والمناظرة بالجامعات، يقوم عليه متخصِّصون في الشريعة الإسلامية، ويتمُّ تدريبهم على التعامل مع مثل هذه الحالات، حيث يجب التحلِّي بالصبر والهدوء والحكمة؛ ليتَّجِه نحوَها كلُّ حائر، فلا يضيع أو يتوه، فتتلقَّفه أيدي العُدوان والباطل.

٢-المدارس:

١. تضمين مقرَّرات التربية الإسلامية موضوعَ الإلحاد، وحُكمه، وعقوبته.
٢. تدريب المعلِّمين عامَّةً، والمرشِد الطلابيّ ومشرف المصلَّى خاصَّةً، على كيفية التعامل مع الطلبة الحائرين، وعلى الأجوبة الشافية الكافية التي تُعينهم على الفَهْم الصحيح للدين.
٣. الأنشطة من برامجَ وندواتٍ ومسابقات ومحاضرات؛ لتسليط الضوء، ونشر الوعي بين الطلاب حول مشكلة الإلحاد، وخطورة الوقوع فيه، والعياذ بالله.
٤. تفعيل دور التِّقْنيَة في عمل نماذجَ لدروس تربوية بتصاميمَ كرتونيةٍ أو واقعية؛ لتعزيز وتعميق الايمان بالله تعالى، ومراقبته في السرِّ والعَلَن.
٥. تفعيل دور المكتبات المدرسية؛ لتوجيه الطلاب للقراءة حول خطورة الإلحاد، وإرشادهم لكتابة تقرير حول ما قَرؤوه.
٦. الحرص على توعية الطلاب، بإبراز الشُّبَه الإلحادية التي قد تواجههم والردِّ عليها؛ ليتعلَّموا مهاراتِ التفكير الناقد، ولا يتشرَّبوا أيَّ فكرة أو رأيٍ.

رابعًا: على مستوى الأسرة:

يقع على عاتق الأسرة الدور الأكبر نحو توجيه وتربية النَّشء على الايمان، ومحبَّة الله – عزَّ وجلَّ - وعبادته. لذا؛ لا بدَّ أن تقوم الأسرة بعدد من الأدوار المنوطة بها كما يلي:

١. الحرص على أن ينشأ الطفل في بيئة مستقيمة، تقوم بحقِّ الله تعالى من طاعات وعبادات، دون كَسَل أو تَرَاخٍ، والاهتمام بغرس عقيدة التوحيد الخالصة، والقيم الخُلقية، ومحبَّة الله تعالى.

٢. تحذير الأبناء، وتوعيتُهم بما يواجهون من تحدِّيات ومشكلات؛ حتى يكون لديهم اطمئنان عند أوَّل شُبهة يجدونها في طريقهم.
٣. الحرص على تقوية العلاقات الأسرية، وفتح باب الحوار، وتقبُّل الأسئلة والاستفسارات الدينية، والإجابة عنها بوعيٍ، أو أخذهم لمن هو متخصِّص؛ ليُجيب عن تساؤلاتهم ومخاوفهم.
٤. الحرص على حضور البرامج التدريبية والتربوية؛ لتساعدهم في مواجهة التحدِّيات الفكرية والعَقَدية، وغيرها.
٥. اقتناء الكتب النافعة، وتشجيعهم على قضاء وقتهم فيما يَنفَعهم في الدنيا والآخرة.
٦. أخذ الأبناء لدُور تحفيظ القرآن؛ لينشؤوا على صوت القرآن، ومحبَّة كلام الله – عزَّ وجلَّ - وأهل القرآن.
٧. اختيار القنوات الفضائية المفيدة لهم علميًّا وفكريًّا، والابتعاد عمَّا سواها من القنوات غير الهادفة.

الخاتمة:

لا يقتصر تأثير التحدِّي العَقَديِّ والإلحاديِّ على التربية الإسلامية، والفكر التربويِّ الإسلاميِّ فقط؛ إنما يمتدُّ فيشمل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، الأمرُ الذي يقضي أن تتكاتف الجهود لمواجهته، والتحذير من أخطاره، والكشف عن الجهات التي تَدعَم الأفكار غير المنضبطة، وتروِّج لها باسم الدين، أو باسم التطوير، أو بطُرق مُلْتَوية وغير واضحة، تنتهي بأصحابها إلى الإلحاد.

النتائج:

تمَّ التوصُّل إلى عدد من النتائج، وهي كما يلي:

١- من الصعب تحديد تاريخ محدَّد لظهور الإلحاد قديمًا؛ بسبب اختلاف التسميات القديمة له.

٢- بدأ ظهور الإلحاد في أوربا بهذا الاسم في القرنِ السادسَ عَشَرَ الميلاديّ.

٣- أن طُغيان الكنيسة الأوربية هو السبب الرئيسُ في ظهور الفكر الإلحاديِّ الغربيّ، وانتشاره في العصور الوسطى.

٤- تمثَّلت أبرز أسباب ظهور الإلحاد في العالم الإسلاميّ فيما يلي:

- إهمال الأسرة المسلمة للتربية الصحيحة القائمة على القرآن والسُّنَّة المطهَّرة.
- الغفلة التي تعتري بعض الناس، فتعطِّل عقولهم وقلوبهم، فلا يتدبَّرون آياتِ الله تعالى.
- الهزيمة الحضارية والنفسية التي استَوْلت على بعض أبناء العالم الإسلاميّ، ودفعتهم إلى احتقار التراث التربويِّ والإسلاميّ، والانبهار بحضارة الغرب.
- أثر الاستعمار الأوربيّ على بعض بُلدان العالم الإسلاميّ، حيث أخذت بعض الشعوب الإسلامية تقلِّد المستعمر الأوربيَّ، وتتشبَّه بأخلاقه وعاداته وعقائده.
- الجهل والفضول والانجذاب من قِبَل الشباب نحو عالم المَلاحِدة.
- سهولة الوصول لكلِّ ما يتعلَّق بالإلحاد، وما يَنشُره الملحِدون عبر شبكات التواصل الاجتماعيّ، ومواقع الإنترنت.
- العلم الماديُّ الذي فتح الباب للناس للتعلُّق بالدنيا وما فيها، وإهمال الآخرة.
- تقديم العقل على الدين.
- من أسباب إقبال بعض الشباب على الإلحاد: محاربة المنظَّمات العالمية للحكومات المسلِمة تحت ذريعة الإرهاب،وتشويهُ صورة الإسلام والمسلمين من قِبَل الإعلام الغربيّ

- ظهر الإلحاد المعاصر في العالم الإسلاميّ في منتصف القرنِ التاسعَ عَشَرَ الميلاديّ.
- تتحدَّد أهمُّ الآثار السلبية التي خلَّفها الإلحاد على الفكر التربويّ الإسلاميّ في العصر الحديث فيما يلي:
- القَلَق والحَيرة والاضطراب النفسيُّ، فلا يقدِّم الإلحاد لصاحبه إجاباتٍ مُطَمْئِنَةً عن سرّ الوجود والكَون والحياة.
- انفلات الغرائز الشهوانية، والتدهور الأخلاقيُّ؛ بسبب التعلُّق بالحياة الدنيا ومَلَذَّاتها، والسعي للحصول عليها فقط؛ وإنكار الحياة الآخرة، والعمل الصالح لها.
- اتِّجاه بعض المتأثِّرين بالنظريات الغربية من أبناء الإسلام إلى التشكيك في شرائع الإسلام، وعدم الوثوق بها، والطَّعن في المصادر الإسلامية.
- تدمير الحياة الاجتماعية للإنسان، وتفكُّك الأسرة المسلمة، وفساد الروابط الأُسرية.
- -يولِّد الإلحاد الفساد المجتمَعيَّ، وانتشار الجريمة، وظهور حالات الانتحار، والهروب خارج البلاد، وشُيوع الرذيلة؛ بسبب السباق المحموم على الحياة وشهواتها بلا ضوابطَ دينيةٍ وأخلاقية.
- من جهود المملكة العربية السعودية في مواجهة الإلحاد ما يلي:
- تعزيز الوَحْدة الوطنية، ومنع كلِّ ما يؤدِّي إلى الفُرقة والفتنة والانقسام.
- إلزام المقيمين في المملكة باحترام أنظمتها الدينية والاجتماعية، ومراعاة قيم المجتمع السعوديّ، وتقاليده، ومشاعره.
- إنشاء مركز براهين لدراسة مشكلة الإلحاد والقضايا المتعلِّقة بالعقيدة الإسلامية.
- حرية ممارسة العبادة لغير المسلمين في المملكة العربية السعودية مكفولة لهم نظاميًّا في أماكنهم الخاصَّة فقط.

التوصيات:

١. أن تقوم الأُسرة المسلمة ببيان خطر الإلحاد والملحِدين للأبناء، خاصَّةً أنه يَسهُل الوصول إليهم عبر شبكات التواصل الاجتماعيّ.
٢. أن تقوم المدرسة والجامعة ببيان خطر الإلحاد والملحدين، من خلال عمل حَمَلات تَوْعَوية؛ كالندوات، والمحاضرات، والأنشطة، والمنشورات.
٣. أن يقوم المسجد بدوره في التحذير من خطر الإلحاد والملحدين، وبيان الأحكام الشرعية حوله.
٤. أن تقوم القنوات الإعلامية الرسمية بعمل برامجَ تَوْعَويةٍ هادفة حول خطر الإلحاد والملحدين.
٥. الدعوة إلى مقاطعة المواقع الإلكترونية للملحدين، وحساباتهم الشخصية في مواقع التواصل الاجتماعيّ، وشركات الإنتاج التي يتبنَّاها أشخاص ملحِدون، وعدم التعامل معهم.
٦. منع الملحدين من الالتحاق بالمؤسَّسات التعليمية والاجتماعية؛ لكيلا يمتَدَّ خطر تأثيرهم على أبناء المسلمين.
٧. عمل هيئات إسلامية، ومراكزَ متخصِّصةٍ لمعالجة الملحدين والمنحرفين فكريًّا، ودعوتهم إلى الهداية، وطريق الحقّ.
٨. إجراء الدراسات والبحوث التي تستهدف الكشف عن الوسائل والطرق الملتوية والمدسوسة، التي يتمُّ الدعوة من خلالها إلى الإلحاد المعاصر بشكل مباشر وغير مباشر.

المراجع:

- الباحثون المسلمون. (١٤٣٨هـ-٢٠١٧م). الإلحاد. مبادرة "الباحثون المسلمون العلمية".
- باهبري، سبأ. (٢٠٢١م). تأملات في الحرب الإعلامية. القاهرة: دار سما للنشر والتوزيع.
- حسين، محمد الخضر. (١٤٠٦ه-١٩٨٦م). الإلحاد: أسبابه – طبائعه – مفاسده - أسباب ظهوره - علاجه. الكويت: مكتبة ابن تيمية.
- الخضري، أنور بن قاسم. (د.ت). آثار ونتائج الانحرافات الفكرية (الإلحاد نموذجًا). بحث مقدم إلى مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي.
- خياط، ندى حمزة. (٢٠٢٠م). مفهوم الإلحاد واتجاهاته المعاصرة. جامعة جازان، مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية. مج ٩، ع١. ص٦٣-٨٥.
- -الداغستاني، سناء عيسى. (٢٠١٨م). العالم بين الإلحاد والتدين: بحث في سيكولوجية الإلحاد والتدين. جامعة بغداد، كلية الآداب: مجلة الآداب. ص٦٨٨-٦٩٧.
- درويش، محمود أحمد. (٢٠١٨م). مناهج البحث في العلوم الإنسانية. جمهورية مصر العربية: مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع.
- الراشدي، عمر حسن إبراهيم. (٢٠١٦م). الدور الوقائي للأسرة المسلمة في حماية الطفل من فكر الإلحاد. بحث منشور بمجلة كلية التربية. جامعة الأزهر. ع١٣٨.
- -رمضان، محمد أحمد. الإلحاد ووسائله من منظور العقيدة الإسلامية. بحث منشور، نسخة إلكترونية.
- سمارة، إحسان عبدالمنعم عبدالهادي. (٢٠٠٥م). مفاهيم أساسية في العقيدة الإسلامية. إربد: دار الكتاب الثقافي.
- سندي، صالح بن عبدالعزيز بن عثمان. (١٤٣٤ه-٢٠١٣م). الإلحاد: وسائله وخطره وسُبل مواجهته. بيروت: دار اللؤلؤة.
- شريف، عمرو. (٢٠١٧م). خُرافة الإلحاد. نيوبوك للنشر والتوزيع.
- صقر، شحاتة. (د.ت). أوهام الملحدين أوهن من بيت العنكبوت. الإسكندرية: دار الفتح الإسلامي.
- طعيمة، صابر عبدالرحمن. (١٤٢٥ه-٢٠٠٤م). الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين. بيروت: دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع.
- عبد الخالق، عبدالرحمن. (١٤٠٤هـ). الإلحاد: أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. ط٢.
- عبدالرزاق، عماد الدين. (٢٠١٧م). النقد الغربي للإلحاد: عن هشاشة المفهوم وأوهام التطبيق. المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، مجلة الاستغراب. س٣، ع٧. ص٢٠٣-٢١٢.
- عبدالله، محمود أحمد. (٢٠١٦م). الإلحاد: المفهوم والأنماط والمقاربات البحثية. المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلة الاجتماعية القومية. مج٥٣، ع٣. ص١٢٧-١٤٩.
- عبيد، معاذ محمد. (٢٠٢٠م). الإلحاد الجديد وطرق علاجه. دار الأطروحة للنشر العلمي، مجلة دار الأطروحة - الدراسات الدينية وعلوم القرآن. مج٥، ع١. ص٨٩-١١٢.
- عزمي، هشام. (٢٠١٥م). الإلحاد للمبتدئين: دليل المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد. الإسماعيلية: دار الكاتب للنشر والتوزيع. ط٢.
- العقل، ناصر عبدالكريم. (١٤١٢هـ). مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة. الرياض: دار الوطن للنشر.
- عواجي، عبدالرحمن بن غالب. (١٤٣٩ه-٢٠١٨م). الإلحاد الحديث: تاريخه، وأبرز نظرياته، وآثاره، وسبل مواجهته. الرياض: مركز دلائل.
- العواجي، محسن حسين عبدالله. (١٤٣٧ه-٢٠١٦م). إنك على الحق المبين. الرياض: مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع.
- عوض، رمسيس. (١٩٩٧م). الإلحاد في الغرب. سيناء للنشر: القاهرة، الانتشار العربي: بيروت.
- غنيمي، غنيمي عبدالستار. (١٤٤٠هـ). الإلحاد وسبل مواجهته في الفقه الإسلامي. بحث منشور بمجلة الشريعة والقانون، ع٣٣، م١.
- الفهداوي، عبدالجليل إبراهيم. (٢٠٠٨م). العقيدة الإسلامية في مواجهة التنصير. عمان: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.

- القحطاني، سالم؛ والعامري، أحمد؛ وآل مذهب، معدي؛ والعمر، بدران. (٢٠٢٠م). منهج البحث في العلوم السلوكية. الرياض: مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع.
- محمد، محمد عبدالله شاهين. (٢٠١٧م). التجارة الإلكترونية العربية بين التحدّيات وفرص النمو. دار حميراء للنشر والتوزيع.
- مركز براهين للأبحاث والدراسات. (٢٠١٨م). عن المركز. تم الاسترجاع من:
- https://www.braheen.com/about
- -المشهراوي، سوزان رفيق إبراهيم. (١٤٤٠هـ). الإلحاد المعاصر: سماته وآثاره وأسبابه وعلاجه. بحث منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى. ع ٣٥.
- مراجع من الإنترنت:
- موقع الباحث العربي، تمَّ الاسترجاع في (١٤٤١هـ):
- http://www.baheth.info/all.jsp?term=%D9%84%D8%AD%D8%AF
- التقرير السنوي لمفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان: في دورته الرابعة والثلاثين ٢٠١٧م:
- https://undocs.org/pdf?symbol=ar/a/hrc/34/35
- تقرير معهد جالوب، تم الاسترجاع في (١٤٤١هـ):
- https://www.atheistrepublic.com/tables/worldwide-atheism-religiosity-index-country-2012
- موقع هيئة حقوق الإنسان بالمملكة العربية السعودية، تم الاسترجاع في (١٤٤١هـ):
- https://www.hrc.gov.sa/ar-sa/HumanRightsInSaudi/Pages/FreedomOfReligion.aspx

التدافع بين الحق والباطل في مجال الفكر

The clash between right and wrong in the field of thought

أ.سمية بنت عبد الحفيظ تركستاني- المعيد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى- مكة المكرمة

Email: Sumaa10@msn.com

مستخلص البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن السنة الربانية في التدافع بين الحق والباطل، وخاصة في المجال الفكري، مع تأصيل هذه المسألة من الكتاب والسنة، وتنزيلها على الواقع المعاصر في مجال الفكر، بمنهج تحليلي استنباطي لبيان المراد.

وأهم نتائج البحث:

- التدافع بين الحق والباطل سنة ربانية لا تتغير مع مرّ العصور، وهي قائمة إلى قيام الساعة.
- التدافع الفكري بين الحق والباطل أوسع وأشمل من التدافع المادي، وأعظم أثرًا على المجتمعات.
- الإسلام أولى الفكر منزلة عظمى، وأمر بتنميته مع ضبط هذه التنمية الفكرية.
- التدافع بين الحق والباطل يحقق الأمن الفكري في المجتمع المسلم.

الكلمات المفتاحية: (التدافع- الحق- الباطل- الفكر)

Abstract

The research aims to reveal the divine Sunnah in the fight between right and wrong, especially in the intellectual field, with the rooting of this issue from the Holy Book and the Sunnah, and downloading it to the contemporary reality in the field of thought, with an analytical and deductive approach to clarify what is meant .

Results: The fight between truth and falsehood is the established way of Allah that does not change with the passage of time, and it continues until the Hour of Judgment. The intellectual fight between truth and falsehood is broader and more comprehensive than the material jostling, and has a greater impact on societies. The concepts of right and wrong are fixed and do not change with the change of time and eras. Islam has the highest status on thought, and commanded its development, while controlling this intellectual development. The fight between right and wrong achieves intellectual security in the Muslim community .

Keywords: (scramble - right - wrong - thought)

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن من أجلّ الهبات الربانية على البشرية، إرساله أنبياء ورُسلاً كانوا للهُدى أئمة، أيّدهم ربهم بما فيه صلاحُ كلِّ أمة، من كتب سماوية وصحف ربانية، كانت مناراً يُستنارُ بها في الدُّلجَة، وبها تُقمع كلُّ حُجّة، وأعظم هذه الكتب القرآن

الكريم، الذي لا تفنى عجائبه، ولا تنتهي فوائده، استشرحه العلماء على مر الأزمان، واستخرجوا منه النهج في كل مسارات الحياة، ومن جملة الموضوعات التي استخرجها العلماء من القرآن الكريم موضوعُ السننِ الربانية، ومن أبرز هذه السُّنن، سنةُ التدافع وهي من قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٥١]، فرتّب الله تعالى على عدم وجود هذا التدافعِ بين الناس فساد الأرض وخراب الدنيا، مما يدل على أنها سنة ربانية مهمة لقيام أمر الناس في هذه الحياة .

وانطلاقاً من أهمية سـنة التدافع ورغبة مني في توظيفها في المجال الفكري الإسـلامي، اخترتُ أن يكون عنوان بحثي: (**التدافع بَيْنَ الحَقّ والبَاطِلِ في مجال الفكر**) أردتُ بهذا العنوان بيان مفهوم التدافع بين الحق والباطل، وربطه بمجال الفكر، ثم تنزيله على الواقع المعاصر، وأسأل الله العظيم التوفيق والسداد، والعون والرشاد.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

أتى هذا البحث للإجابة على أسئلة في غاية الأهمية، وهي كتالي:

١/ ما مفهوم التدافع بين الحق والباطل، وما هو تأصيله الشرعي؟

٢/ هل اعتنى الإسلام بالمجال الفكري للإنسان، وهل قطع الإسلام التنمية الفكرية؟

٣/ ما علاقة التدافع بين الحق والباطل في مجال الفكر بالأمن الفكري؟

٤/ ما هو المنهج العملي لبناء الفكر في العصر الحاضر؟

أهداف البحث:

- بيان حقيقة التدافع بين الحق والباطل، وكونها سنة ربانية.
- التأصيل الشرعي لسنة التدافع بين الحق والباطل.
- ربط هذه السنة بالمجال الفكري، وتنزيلها على العصر الحاضر.

منهج البحث:

اتجهتُ في بحثي للمنهج التحليلي الاستنباطي، فقمت بتحليل ما يتعلق بسنة التدافع من الآيات والأحاديث الشريفة، ثم استنبط منها ما يتعلق بمجال الفكر، مع ربطه بالواقع.

منهجي في البحث:

١/ عزو الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع بيان اسم السورة، ورقم الآية، ووضع ذلك في المتن.

٢/تخريج الأحاديث النبوية من المصادر الأصلية، وبيان حكم العلماء على الحديث إن كان في غير الصحيحين.

٣/ الرجوع للمصادر الأصلية المعتمدة لتوثيق الأقوال والنصوص.

٤/ في التوثيق أكتفي بذكر اسم الكتاب والمؤلف مع رقم الجزء والصفحة، مع ذكر كافة معلومات الكتاب في فهرس المصادر والمراجع.

٥/ توضيح المعاني الغريبة في البحث، بالرجوع للمعاجم وكتب الغريب.

٦/ اكتفيتُ بذكر أهم المصادر والمراجع في الفهرس الخاص بالمصادر والمراجع، مع ترتيبه هجائيًا بحسب اسم الكتاب.

مفهوم التدافع بين الحق والباطل، تأصيله الشرعي.

أولًا: مفهوم التدافع بين الحق والباطل:

حتى نُبيّن المفهوم التدافع بين الحق والباطل، لابد أن نُحيل معاني مفرداتها للغة العرب، ليستقيم المعنى ويتّضح، ثم نُبين التعريف المركب الذي يوضح المقصود من العنوان فنقول:

تعريف التدافع:

لغة:

أصـلها الثلاثي (دَفَعَ) وتعني "الإزالة بقوة ... وتدافَعُوا الشـيءَ: دَفَعَه كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنْ صَـاحِبِهِ، وتدافَع القومُ أَي دفَع بعضُـهم بَعْضًـا "[٤٧٥]، ودَفَعَ الشـيء: "نحّاه وأزاله بقوة وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَـهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَـدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] ويُقال: دفعتُه عني، ودَفَعَ عنه الأذى والشـر، وإليه الشـيء: رده، ويُقال: دفع القول، رده بالحجة، وفلانًا إلى كذا: اضـطره"[٤٧٦] "وسـيّدٌ غيرُ مُدافَع، بفتح الفاء: غيرُ مزاحَم"[٤٧٧] ووزنها الصـرفي: تفاعل وتعني "التشريك بين اثنين فأكثر، كلٌ منهما فاعلاً في اللفظ، مفعولاً في المعنى"[٤٧٨].

فنخلُص إلى أن المعنى اُللغوي للدّفْع هو: الإزالة بقوة، والتنْحية والتزاحم بين الشـيئين، ووزن لفظ التدافع يفيد وقوع الأمر بين اثنين وأكثر.

اصطلاحًا:

عُرّف التدافع بأنه: " ظاهرة كونية إلهية، تنشـأ من احتكاك المتدافعين، إما بسـبب اختلاف التصـورات أو الطباع بدرجات متفاوتة من القوة"[٤٧٩].

ونلاحظ أن معنى التدافع في اللغة أعم وأشمل من معناه في الاصـطلاح، ففي اللغة يشمل التدافع الحسـي والمعنوي، أما الاصطلاحي فهو أخص بالناحية المعنوية من الحسية.

ويظهر الترابط الوثيق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لمعنى التدافع، ففي اللغة؛ تفيد التزاحم والتنحية بالقوة والإزالة، وهكذا التدافع في الاصـطلاح فيفيد معنى الاحتكاك، وهو ناتج من شـدة التزاحم، ويكون بين شـيئين مختلفين، لأسـباب معينة.

تعريف الحق:

لغة:

نقيض الباطل، ويُفيد معنى الثبات والوجوب، والمطابقة والموافقة[٤٨٠].

اصطلاحًا:

وذكر ابن تيمية[٤٨١]-رحمه الله- في فتاواه بأن للحق معنيين: "أحدهما: الموجود الثابت والثاني: المقصود النافع"[٤٨٢]

---

(٤٧٥) لسان العرب، ابن منظور (٨/ ٨٧)، ويُنظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٣/ ١٢٠٨) والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص٧١٥، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ومجموعة من المؤلفين (١/ ٢٨٩).

(٤٧٦) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ومجموعة من المؤلفين (١/ ٢٨٩).

(٤٧٧) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص٧١٦.

(٤٧٨) شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص٣٤.

(٤٧٩) سنة التدافع وحقيقة العلاقة بين الحق والباطل، خالد الزهراني: ص٧٨.

(٤٨٠) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (١٠/ ٤٩) وتهذيب اللغة، الأزهري (٣/ ٢٤١) والعين، الفراهيدي (٣/ ٦) والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص٨٧٤، والصحاح، الجوهري (٤/ ١٤٦١-١٤٦٢)، والمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصبهاني، ص٢٤٦.

(٤٨١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني، الشيخ الإمام العلامة الفقيه المفسر الحافظ المحدث، شيخ الإسلام ، ابن تيمية، تقي الدين، أبو العباس، ولد بحران سنة: ٦٦٢هـ، من أئمة النقد وعلماء الأثر، مع التدين والذّكر والصّيانة والنزاهة، ذو دراية بأقوال الخوارج والروافض والمعتزلة والمبتدعة، فكان لا يُشق فيها غباره، وقد أُمتحن وأوذي مرات، له مؤلفات كثيرة، منها: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ودرْء تعارض العقل والنقل، توفي في دمشق، سنة:٧٢٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٢/ ٢٨٨)، وفيات الأعيان، ابن خلكان (٤/ ٣٨٦)، فوات الوفيات، محمد بن شاكر (١/ ٧٤).

(٤٨٢) (٢/ ٤١٥).

ثم فسّرها-رحمه الله- بقوله: "فإن الشيء له مرتبتان: مرتبةٌ باعتبار ذاته؛ فهو إما موجود فيكون حقًا؛ وإما معدوم فيكون باطلاً. ومرتبةٌ باعتبار وجوده في الأذهان واللسان والبنان، وهو العلم والقول والكتاب؛ فالاعتقاد والخبر والكتابة أمور تابعة للشيء فإن كانت مطابقة موافقة كانت حقا وإلا كانت باطلاً"[٤٨٣].

وهو بذلك يريد أن الحق لا يكفي أن يكون موجودًا ثابتًا حتى يُطلق عليه حقًا، وإنما يستلزم وجود قرينة من علمٍ أو قولٍ أو كتابةٍ تبين المراد منه -والله أعلم-

وذكر ابن جرير الطبري[٤٨٤]-رحمه الله- أن الحق: كل أمر كان في طاعة الله ورضاه، وخالف به المسلم طاعة ابليس[٤٨٥].

فالمقصود بالحق في بحثنا: كل ما أثبته وأوجبه الإسلام والشرع الصحيح من اعتقاد أو قول أو فعل.

تعريف الباطل:

لغة:

ضد الحق، ويعني ذهاب الشيء، وقلة مكثه، مع فساده وسقوطه.[٤٨٦]

اصطلاحًا:

هو الذي لا يكون صحيحًا بأصله، ولا يُعتد به، ولا يفيد شيئًا.

أو ما كان فائت المعنى من كل وجه، مع وجود الصورة؛ إما لانعدام الأهلية أو المحلية، كأن يفقد ركنًا أو شرطًا بلا ضرورة، كبيع الحر، وبيع الصبي[٤٨٧].

قال ابن تيمية -رحمه الله- في فتاواه: "والباطل نوعان أيضًا:

أحدهما: المعدوم. وإذا كان معدومًا كان اعتقاد وجوده والخبر عن وجوده باطلاً؛ لأن الاعتقاد والخبر تابع للمعتقد المُخبَر عنه... وهو الكذب.

الثاني: ما ليس بنافع ولا مفيد"[٤٨٨].

وهذان وجهان للباطل، الأول يعود لعدم الوجود أصلًا، والثاني يعود لفساد الانتفاع به، وكلاهما يُوصف به الباطل.

والباطل: ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة، ووافق طاعة ابليس-لعنه الله-[٤٨٩]، وكل ما وافق هذا الوصف فليس بنافعٍ ولا مفيد، في العاجل أو الآجل، لأن مصيره إلى زوال.

والمقصود بالباطل في بحثنا: كل ما خالف الحق الذي أوجبه الإسلام بأي وجه من الوجوه، فاستحق الإزالة والذهاب والتنحية بحكم الشرع.

---

(٤٨٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/ ٤١٧).

(٤٨٤) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، أبو جعفر، إمام عصره وفقيه زمانه، المفسر العالم المؤرخ، أصله من طبرستان، ولد سنة:٢٢٤هـ، له مؤلفات عديدة في عدد من الفنون، من أشهرها: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار وغيرها، توفي سنة:٣١٠هـ، ينظر: الفهرست، ابن النديم، ص٢٨٧، وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٢/ ٥٤٨)، وطبقات المفسرين، السيوطي، ص٩٥.

(٤٨٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٥/ ٦٢)

(٤٨٦) يُنظر: لسان العرب، ابن منظور (١١/ ٥٦) والصحاح، الجوهري (٤/ ١٦٣٥) ومختار الصحاح، الرازي، ص٣٦، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص٩٦٦، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ومجموعة من المؤلفين (١/ ٦١)

(٤٨٧) ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص٤٢، والتعريفات الفقهية، البركتي، ص٤١، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للأنصاري، ص٧٤.

(٤٨٨) (٢/ ٤١٥)

(٤٨٩) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٥/ ٦٢)

ويظهر الارتباط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي في كون أصل مادة (بطل) تفيد الذهاب وقلة البقاء، وكذلك الباطل في المعنى الاصطلاحي يفقد الصحة في أصله فلا يبقى منه شيء، ولا يمكن الاستفادة منه بأي وجه من الوجوه الصحيحة، مع بقاء صورته الكاملة أحيانًا، لكن لفقدانه أصل الصحة لا يُستفاد منه.

المقصود بالتدافع بين الحق والباطل:

من خلال ما سبق من التعريفات، يمكن وضعُ تعريفٍ إجرائي للتدافع بين الحق والباطل بأنه:

سنةٌ ربانية، تقوم على مزاحمة الحق للباطل، وإزالته بالقوة، بما يُقدّرهُ الله من أسبابٍ ظاهرةٍ وباطنة، ويترتب على انتفاء هذه السنة الربانية فساد الدين والدنيا.

فالسنة الربّانية هي التي لا تتغير ولا تتبدل مع مرور الأزمان واختلافها، ونعني بمزاحمة الحق للباطل أي: مزاحمة أهل الحق لأهل الباطل، لأنهم من يحملون معاني الحق والباطل باختلاف صوره، وهذا التزاحم له أسباب وأسس وأساليب يقوم عليها، وبانتفاء هذا التدافع وسكونه يكون فساد الدنيا والدين، لأن الحق والباطل ضدان، والأضداد الحقيقية لا اجتماع لها بأي حال من الأحوال، فتحتّم عليه استمرار هذا التدافع بينهما، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا يُفسد تصور من يقول بإمكانية تعايش الحق مع الباطل والخير مع الشر في سلام وأمان في زمنٍ من الأزمان.

ومفهوم التدافع بين الحق والباطل يحتمل التدافع الظاهر الذي يكون بقوة الملك والسلطة، ويحتمل التدافع الخفي الذي يكون بسلطان العقل والفكر(٤٩٠)، ولا انفكاك بين النوعين أبدًا، بل كلاهما سائسٌ للآخر، فمتى كان التدافع الخفي قويًا، أثّر على التدافع الظاهر بسلطان الملك والحُكم والقضاء، والعكس.

فكلٌ من أهل الحق والباطل يسعون إلى إقامة الكلمة والحُكم وتسيير شؤون الحياة بحسب التصور الذي يؤمنون به، ويقدِّمون في سبيل ذلك كل ما يملكون من أدوات معنوية ومادية لتحقيق الغلبة لأنفسهم.

ثانيًا: التأصيل الشرعي للتدافع بين الحقِّ والباطل

إن القرآن الكريم وسنة نبينا محمد ﷺ ممتلئة بمعاني تدافع الحق مع الباطل، تصريحًا وتعريضًا، مع إيراد صور لهذا التدافع وأساليبه، فإذا نظرنا إلى القرآن الكريم وجدنا أن الله تعالى أورد ذكر هذه السُّنة في آيتين مختلفتين بصيغة المصدر (دفع)، وكلا الآيتين وردتا في سياقٍ يصوّر صراع الحق مع الباطل والخير مع الشر والإيمان مع الكفر.

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٥١].

وردت هذه الآية في ختام قصة طالوت ﷺ وجهاده لجالوت، فلولا أن الله دفع أهل الطاعة والإيمان به الذين كانوا مع نبيه طالوتٍ ﷺ "لفسدت الأرض وهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض، ولكن الله ذو منٍّ على خلقه، وتطوّلٍ عليهم بدَفعه بالبَر منْ خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر"(٤٩١) وهذه سنته تعالى في كل العصور، فيبقى الحق والباطل في تدافعٍ مستمرٍ إلى قيام الساعة، ليَميز الله الخبيث من الطيب، ويمتحن العباد، ولكنّ وعد الله الصادق بأن ينصر أهل الإيمان على عدوهم ويُظهرهم عليهم، قَرُب هذا النصر أم بعُد.

---

(٤٩٠) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني (١/ ٥١٤).

(٤٩١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٤/ ٥١٤-٥١٥) وينظر: زاد المسير، ابن الجوزي (١/ ٢٢٧) وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٦٦٩)

الموضـــع الثاني: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَـــهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج:٤٠].

وقد وردت في المؤمنين الذين اضـــطرهم كفار قريش للخروج من مكة وتركها، وذلك بإذاقتهم أشـــد أنواع العذاب، والتنكيل بهم، وطردهم وسبهم، كل ذلك بسبب إيمانهم بالله وحده، فاضطروهم للخروج منها بغير وجه حق، لأن ما فعله الكفار هو عين الباطل[٤٩٢]، فأذِن الله لهم بعد ذلك بالقتال بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾ [الحج: ٣٩] ثم قال تعالى في الآية التي بعدها ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَـــهُم بِبَعۡضٖ﴾ أي: فلولا دفع الله المشـــركين بالمســـلمين لتظالموا، ولغلب أهل الإشـــراك فقتلوا المســـلمين، وهدّموا هذه المعابد لطوائفَ أهل الكتاب، والمســـاجدَ للمســـلمين، التي تُقام فيها الصلوات، ويُذكر فيها اسمُ الله كثيرًا[٤٩٣]، وهذا فيه فسادٌ للأرض وأهلها، وهو أكبر الفساد وأعظمه.

ومن الآيات التي ذكر الله تعالى فيها تدافع الحق مع الباطل من غير ذكر لفظ (التدافع) لكنه يُفهم من سياق الآية ما يأتي:

١/ قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِـــفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٦-١٨] فذكر الله تعالى أن الغاية من خلق السماوات والأرض هو إظهار الحق وإزهاق الباطل، وأن سبيل ذلك لا يكون إلا بشيء من القوة والتدافع بينهما، وبتأييد الله تعالى للحق وأهله، وهذا هو أســـاس دعوة الأنبياء -عليهم الســـلام-، فكل ماجاؤوا به هو دعوة للحق، وكل ما نهوا عنه هو نهي عن الباطل، وهذا التدافع بين الحق والباطل سنّة إلاهية كتبها الله على بني الإنســـان، وناموسٌ ربّاني سيّر الله به الأكوان، وإلا لفسدت الأرض وهذا الفساد فساد لأهلها وفسادٌ لها على الحقيقة بالتخريب والتدمير، فإن للمعاصـــي أثر في إفســـاد الأرض، وللطاعة أثر في إصـــلاحها، قال تعالى ﴿وَلَا تُفۡسِـــدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡـــلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

٢/ قولـه تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَـــيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُـــهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢]

فالله β يخاطب نبيه γ ويُخبره بسـنته مع أنبياءه ورسـله، من ابتلائه لهم بمدافعة شـياطين الإنس والجن لما جاؤوا به من ربهم، وهؤلاء الأعداء في خصومة دائمة، وجدال مستمر، وتدافعٍ لا ينقطع مع أنبيائهم، يزيّن بعضـهم إلى بعض الدعوة إلى الباطل، بزخرفة الأقوال، وتحْســـين الفعال، حتى يُغروا بها الناس، فيعتقدون الباطل حقًا والحق باطلًا، بخلاف أهل الحق المتمسكين به، القائمين عليه، الداعين له، فلا ينخدعوا بتلك الزخرفة والتحسين، وقدوتهم في ذلك الأنبياء والرسل- عليهم الســـلام- وما كان هذا الأمر من تدافع الحق مع الباطل إلا من أجل الامتحان والاختبار والتمييز بين العباد، وهذه

(٤٩٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٦/ ٥٧٧).
(٤٩٣) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي (١/ ٢٢٧) وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: ص٥٣٩.

الآية الكريمة تُظهر دوام التدافع بين الحق والباطل وأنه من سنن الله التي تجري على كل الأنبياء والرسل-عليهم السلام- وأتباعهم.(٤٩٤)

٣/ من الآيات التي تحكي التدافع بين الحق والباطل في القرآن الكريم: قصص الأنبياء-عليهم السلام- وهي كثيرة مبثوثة في القرآن الكريم، فلا تخلو قصـــة نبي من الأنبياء من هذا التدافع، ويظهر في: بذلهم الجهد في تبليغ الحق، وجدالهم مع أقوامهم، ومحاجاتهم لهم، ومحاولة تغيير الباطل بالأقوال والأفعال، وجهادهم من أجل ذلك جهادًا كبيرًا، وأهلُ الباطل من أقوامهم لا يألُون جهدًا في دفع أنبيائهم، والتسلّط عليهم، وايذائهم بما يستطيعون من أنواع الإيذاء النفسي والجسدي، كالاســتهزاء بهم وســبهم، وطردهم من الأرض، ومحاولة قتلهم، وغير ذلك من صــور التدافع بين الحق والباطل في قصص الأنبياء-عليهم السلام-.

٤/ قصة آدم ν مع إبليس-لعنه الله-قال تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧] فهذه الآية وغيرها من الآيات التي تُذكر فيها قصــة آدم ν مع إبليس، ثم حواره مع ربهβ تصــوّر جانبًا كبيرًا من التدافع بين الحق والباطل، بل وتذكر الحوار مع الرأس الأعظم للباطل، وهو إبليس-لعنه الله- فجنوده هم جنود الباطل، وشــياطينه هم دعاة الباطل، ووسوسته لا تكون إلا بالباطل، وألفاظ القرآن شاهدةٌ على شدّة بغضه لآدم ν وذريته، ومن هذه الألفاظ قوله: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ﴾ [الأعراف: ١٦] وقوله: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ﴾ [الإسـراء: ٦٢]، وهي تدل على إرادته الشـديدة للاسـتيلاء عليهم واسـتئصـالهم، وبذل جهده في اسـتمالتهم عن طريق الحق، ورغبته المقرونة بالأفعال لصـدّ بني آدم عن الحق، وإغوائهم ودعوتهم للباطل(٤٩٥)، وأخبرنا الله تعالى عن مكر أســاليبه في إغواء آدم ν وزوجه حواء ليأكلا من الشــجرة التي منعهما الله أن يقرباها، فقال تعالى عن إبليس: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ [البقرة: ٣٦] وقال: ﴿فَوَسۡوَسَ﴾ [الأعراف: ٢٠] وقال: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢] ونلاحظ في هذه الأفعال عظم التلبيس والخديعة والمكر، مع إظهار خلاف ذلك تمامًا، وهذا كله يقرر اسـتمرار هذا التدافع وهذه العداوة إلى يوم القيامة، بل هي مسـتمرة حتى بعد دخوله في النار حين تبرُّؤه من أتباعه فيها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

أما في سنة الرسول γ فإننا نجد سيرته وحديثه يفيض بتقرير هذه السنة الإلهية، وما محاربة دعوته بعد مبعثه في مكة، وما ذاقه هو وأصـحابه -رضـي الله عنهم- من صـنوف الأذى وأشـكال التعذيب إلا دلائل وشـواهد على تدافع الحق مع الباطل، وكونها سنّة تجري في أيام الله مع خلقه.

ومن الأحاديث التي تؤصّل لهذا المعنى:

---

(٤٩٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٩/ ٤٩٧)

(٤٩٥) ينظر: المصدر السابق (١٠/ ٩٣) و(١٤/ ٦٥٤).

أن رسول الله γ خطّ خطًا بيده، ثم قال: **(هذا سبيل الله مستقيمًا)** قال: ثم خطّ عن يمينه، وشماله، ثم قال: **(هذه السبل، ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه)** ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣][٤٩٦] فهذا الصراط المستقيم هو صراط الحق الذي يدعو إليه كلُّ الأنبياء، وتلك السبل التي عن اليمين والشمائل هي طرقُ الباطل، وعلى كلّ طريق منها داعٍ من الشياطين يُزيّن اتباع الباطل والأخذ به، ونبذَ الحق وتركه[٤٩٧]، وأن طرق الباطل ومسالكه كثيرة متعددة، أما طريق الحق واحد مستقيم معتدل لا اعوجاج فيه، فدل الحديث على أن هناك تدافع بين طريق الحق والباطل، وأن هناك من شياطين الإنس والجن من يتلقفون الإنسان في كل وقت ليُزيغوه عن الطريق القويم، فيبقى في تدافعٍ مستمر بين الحق الذي دل عليه الشرع والفطرة وبين هذه السبل التي عليها الشياطين تزخرفُها له حتى تُوقعه فيها، فهو يعيش هذا الصراع بين الطريقين، إلى أن يأتيه أجله، فمن سلك جادّة الطريق نجا وأفلح، ومن خرج إلى طرق الباطل أفضت به إلى جهنم-والعياذ بالله-.

وذِكْر هذه النصوص على سبيل المثال لا الحصر، فمعاني تدافع الحق مع الباطل تتدفق بها الآيات والأحاديث النبوية الشريفة.

الفكر، تعريفه، مكانته في الإسلام، التنمية الفكرية وضوابطها.

إن مجال الفكر في الدين الإسلامي له أهمية عظمى تنبع من كونه القائد الأول والأساس لحركة الإنسان بل حتى عقيدته، فحيث يسير الفكر سار الجسد واعتقد القلب، وهو من أهم الساحات التي يظهر فيها تدافع الحق مع الباطل في القديم والحديث، فصلاح الفكر هو القائد لطريق الحق وإحقاقه، وفساد الفكر ولوثته هو المنادي لطريق الباطل وتأييده، إن الفكر "هو العمود المحوري الذي يوجّه الأمم، فما ترقى أمة إلا وتكون صاحبة فكرٍ قادرٍ على توجيه مناحي الحياة النفسية والمادية"[٤٩٨] لذا حُق لنا أن نولي الفكر كل اهتمام، تأصيلًا، وبيانًا لمكانته العزيزة من الدين، وإبرازًا لاهتمام الإسلام بالتنمية الفكرية عند المؤمن، مع بيان الضوابط التي تضبطه، وتوضيح المنهج العملي الاسلامي لبناء وتقويم الفكر في العصر الحديث، الذي وُسم بأنه عصر حرب الأفكار وتدافعها وتصارعها بين الأمم.

أولًا: تعريف الفكر:

لغة:

هو عمل الخاطر والقلب والخَلَد في الشيء، طلبًا لمعرفته وإدراكه.[٤٩٩]

تعريف الفكر اصطلاحًا:

وردت عدّة تعريفات لمصطلح الفكر بحسب اتجاهات أصحابها، وسنورد هنا أوضح هذه التعريفات وأقربها للاتجاه الفكري الذي نقصده بالدراسة في هذا البحث فنقول:

---

(٤٩٦) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- رقم (٤٤٣٧)، (٧/ ٤٣٦)، والحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام، رقم (٣٢٤١)، (٢/ ٣٤٨)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي. وحكم الأرناؤوط بحُسْن إسناده.

(٤٩٧) ينظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، الساعاتي (١٨/ ١٤١) وكفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، السندي (١/ ٨)

(٤٩٨) بناء الفكر، مسعد عيد العطوي، ص١٢.

(٤٩٩) ينظر: العين، الفراهيدي (٥/ ٣٥٨) وجمهرة اللغة، ابن دريد (٢/ ٧٨٦) ولسان العرب، ابن منظور (٥/ ٦٥) والقاموس المحيط، الفيروز أبادي، ص٤٥٨، ومقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ٤٤٦)، والتعريفات، الجرجاني، ص١٦٨.

١/ عرّفه ابن القيم[٥٠٠]-رحمه الله- بأنه: "طلبُ القلب ما ليس بحاصلٍ من العلوم من أمرٍ هو حاصلٌ منها، هذا حقيقتُه؛ فإنَّه لو لم يكن ثَمَّ موادُّ تكونُ موردًا للفكر استحال الفكرُ؛ لأنَّ الفكرَ بغير متعلَّقٍ متفكَّرٍ فيه محال، وتلك الموادُّ هي الأمورُ الحاصلة، ولو كان المطلوبُ بها حاصلًا عنده لم يتفكَّر فيه.

فإذا عُرِفَ هذا فالمتفكِّر ينتقلُ من المقدِّمات والمبادئ التي عنده إلى المطلوب الذي يريدُه، فإذا ظَفِرَ به وتحصَّل له تذكَّر به وأبصَر مواقعَ الفعل والتَّرك وما ينبغي إيثارُه وما ينبغي اجتنابُه"[٥٠١]

٢/جاء في كتاب المفردات في غريب القرآن بأن الفكر هو: "قوّة مُطرقةٌ للعلم إلى المعلوم، والتَّفَكُّرُ: جَوَلان تلك القوّة بحسب نظَر العقل"[٥٠٢] فالإنسان يربط جِماع عقله حتى يصل للتفكير السوي في الأمر، وهذا التفكير قد يفرض نفسه على الانسان أحيانًا دون تكلّف منه، خصوصًا إذا كان ذهنه منشغلًا بشيءٍ ما.

٣/عرفه صاحب المعجم الفلسفي بأنه "الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يُطلق على المعقولات نفسها"[٥٠٣]

فعنى بالجزء الأول من التعريف النظر والتأمل بالعقل، وبالثاني ذات الموضوع الذي يُتناول بالتفكير[٥٠٤]أي عملية التفكير نفسها، "وبعضهم يُدخل في ذلك العواطف والغرائز، والتخيلات الشعرية فيجعلها فكرًا، وآخرون يُخرجونها من مسمى الفكر"[٥٠٥]

٤/منهم من عرف التفكير بأنه" عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمسة"[٥٠٦]

ومع اختلاف تلك التعريفات لفظًا، إلا أنها متقاربةٌ معنىً، فاتفقت كلها أن الفكر: حركة العقل[٥٠٧] بالنظر والتأمل، وتكون في أمرٍ معلوم للوصول إلى أمرٍ غير معلوم.

ولا يخفى الترابط القوي بين المعنى اللُّغوي والاصطلاحي في المعنى، فكلاهما يدلان على أن الفكر: نظرٌ وتأمل، يقوم به القلب أو العقل، لمعرفة الأمر، والوصول للنتائج.

ثانيًا: مكانة الفكر في الإسلام.

إن أعظم برهان يدلّ على أن الإسلام أولى منزلةً عظيمةً رفيعةً للفكر ومجالاته، هو توافر النصوص الشرعية التي تُبرز مكانة الفكر وتُظهر الاهتمام به، و "قد اتفقت الأمة، بل سائر الملل على أن الشريعة وُضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل"[٥٠٨]

---

(٥٠٠) هو: محمد بن علي بن الحسين بن القيم الخزاز الخريمي أبو بكر الحنبلي، سمع من أبي الغنائم بن المأمون، والجوهري، والعشاري، توفي يوم الأحد سلخ ذي الحجة آخر يوم من سنة ثمانين وأربعمائة. ودفن بباب حرب، انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر (٣/ ١٦٤ - ١٦٥)، ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي (١/ ١١٣).

(٥٠١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٢/ ٦٠٧).

(٥٠٢) ص٦٤٣.

(٥٠٣) لجميل صليبا، (١٥٦/٢)

(٥٠٤) ينظر: المصدر السابق (١٥٦/٢)

(٥٠٥) حقيقة الفكر الإسلامي، عبد الرحمن الزنيدي، ص ١٠.

(٥٠٦) تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، فتحي عبد الرحمن جروان، ص٤٠.

(٥٠٧) مع اختلاف ألفاظهم وتعبيراتهم عن العقل فمنهم من قال: (القلب) مثل ابن القيم-رحمه الله-، ومنهم من قال (النفس) مثل جميل صليبا، ومنهم من قال العقل، وهذا يعود لاختلاف العلماء في موطن العقل ومكانه من جسم الانسان والله أعلم.

(٥٠٨) الموافقات، الشاطبي (١/ ٣١).

والله تعالى ختم جملةً من الآيات القرآنية بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] فحث العباد على إعمال الفكر والتأمل والتدبر بالعقل، ليصل الإنسان إلى الحق ببصيرته، ويرى الباطل بعين قلبه عن طريق التفكير الصحيح، فيتّبع عن علم وبيّنة.

وامتن الله تعالى على الإنسان بأن جعل له عقلًا يترفّع به عن مستوى البهيمية، وهذا العقل هو وسيلة التفكير والنظر، وتقليب الأمور، فإذا أهمله الإنسان أو عَمِل على تغطيته تنزّل بنفسه إلى الحضيض، فيصبح عقله قائدًا له إلى الشرور والمفاسد، بل وداعيًا له لمشابهة الحيوانات-والعياذ بالله- والقرآن في خطابه الأول الذي بُعث به نبي هذه الأمة- صلوات ربي وسلامه عليه- أمر العقل بالقراءة و تحليل الكلمة حتى يعي الانسان القول، ويصل بالتفكير إلى مراقي السعادة في الدارين، وجعل الله تعالى العقل محطّ استقبال الوحي الرباني، حفظًا وفهمًا وتدبرًا، بل إن تطبيق الوحي لا يكون إلا بعد الفَهم والإدراك، ومناط التكليف في الإسلام هو العقل فإذا زال سقط التكليف(٥٠٩)، ولم يعد الإنسان مقصودًا بخطاب الشرع أمرًا ونهيًا، وجاءت تعاليم الإسلام مشدّدة في الأمور التي من شأنها حفظ العقل وصيانته من التعطيل بأي طريقة كانت، فحرم الله الخمر الذي يغطي العقل فيعطل التفكير السليم، بل وصانه من التلوث المعنوي، الذي يصدّ الانسان عن الوصول إلى الحق، كالتبعية العمياء والتقليد للآباء، وأسقط الاحتجاج أمام الله بهذه الحجج الواهية، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠-١٧١] قال ابن سعدي(٥١٠)-رحمه الله- : "أخبر تعالى عن حال المشركين إذا أمروا باتباع ما أنزل الله على رسوله - مما تقدّم وصفه - رغِبوا عن ذلك وقالوا: ﴿ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالًا وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هُدوا لِرُشْدِهم، وحسُن قصدُهم، لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعًا، واتبعه إن كان منصفًا"(٥١١)، وبسبب هذا العقل استخلف الله الإنسان في الأرض وسخر له كل الموجودات فيها، حتى يعمرها ويسعى لإصلاحها، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]

ونهى الإسلام عن الظن السيء بلا تفكير، وحذّر من الانجراف وراء الأوهام والخرافات، وذكر الله تعالى في القرآن الكريم حال أهل الباطل في النار بعد أن لاقوا مصيرهم فيها بسبب تعطيلهم للعقل والفكر فقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ

---

(٥٠٩) ينظر: المستصفى، الغزالي، ص١٧٤.

(٥١٠) هو: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، النجدي، يكنى بأبي عبد الله، مفسر، محدث، فقيه، اصولي، متكلم واعظ. ولد في عنيزة القصيم بنجد، وحفظ القرآن، وطلب العلم على علماء نجد، منهم: محمد بن عبد الكريم الشبل ومحمد بن مانع ومحمد الشنقيطي، ثم درّس ووعظ وافتى وخطب في جامع عنيزة، وتوفي في عنيزة. من مؤلفاته الكثيرة: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن في ثماني مجلدات، تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن، القواعد الحسان في تفسير القرآن، طريق الوصول الى العلم المأمول من الاصول، والحق الواضح المبين في توحيد الانبياء والمرسلين، ينظر: معجم المؤلفين، عمر كحالة (٢٧٢/١٤)، الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، عبد الرزاق عبد المحسن العباد، ص١٧.

(٥١١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٨١.

كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ١٠-١١] فلا دين كالإسلام يُعلي العقل ويحترمه، ويعطيه من الحرية في التفكير بوسطية واعتدال وفق منهج إسلامي منضبط، لا إفراط فيه ولا تفريط.

ثالثًا: التنمية الفكرية في الإسلام وضوابطها.

إن من يقرأ نصوص الوحي من القرآن أو السنة يجد أنها نادت وبقوة إلى النظر والتأمل والتفكر، وإعمال العقل ورفعت من شأن العلماء الذين أعملوا عقولهم، وجعلت هذا التفكير محطّ التمايز بين الناس، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] أي "إنما يتّعظُ ويتدبرُ ويتفكُر أصحاب العقول"[٥١٢] لا غيرهم، فمن لم يُعمل عقله أصبح بمنزلة الفاقد له، والإسلام منذ نزوله نادى بالتنمية الفكرية، فكان أول ما نزل من القرآن الكريم: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥] ذكر الله تعالى في هذه الآيات أدوات التنمية الفكرية الأساسية للإنسان، وهي القراءة والكتابة بالقلم "فبدأت دعوة الإسلام بالترغيب في القراءة والكتابة، وبيان أنها من آيات الله في خلقه، ومن رحمته بهم، وكانت معجزة محمد γ الخالدة -وهو العربي الأميّ-: قرآنًا يُتلى، وكتابًا يُكتب، وأنه بذلك نقل أمته من حال الأميّة والجهل إلى أفق النور والعلم"[٥١٣]، وقد قرن الله تعالى القراءة بالكتابة في هذه الآيات لأن الكتابة هي "واسطة للتفاهم بين الناس كالتعبير باللسان ولولا الكتابة؛ لزالت العلوم، ولم يبق أثرٌ لدين، ولم يصلح عيش، ولم يستقر نظام، فالكتابة قيد العلوم والمعارف، ووسيلة ضبط أخبار الأولين ومقالاتهم، وأداة انتقال العلوم بين الأمم والشعوب، فتبقى المعلومات، ثم يُبنى عليها ويُزاد إلى ما شاء الله، فتنمو الحضارات، وتسمو الأفكار، وتُحفظ الأديان، وتُنشر الهداية"[٥١٤].

ودعا الله تعالى الإنسان في الآيات السابقة إلى التفكّر في بداية خِلقته وتطور نشأته، وهذه دعوة لإطلاق العقل في مجاله الذي سُمح له أن يعمل فيه، ليصل إلى الحق فيتبعه، ويميز الباطل فيجتنبه.

وذكر الله تعالى في القرآن الكريم الآلات التي يكتسب بها الإنسان العلم، فيستطيع أن يصل من خلالها إلى تنمية فكره وعقله، ويُميز بها الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] أي "أن الله تعالى أبان نعمه عليهم حيث أخرجهم جهّالاً بالأشياء، وخلق لهم الآلات التي يتوصلون بها إلى العلم"[٥١٥] وأعظم العلم الذي يُدركه الإنسان هو معرفته لخالقه وفاطره، وهو الهدف الأساس من هبة العقل له، "فإن الله سبحانه ركّب العقول في عباده ليعرفوا بها صدقه، وصدق رسله، ويعرفوه بها، ويعرفوا كماله، وصفاته وعظمته وجلاله، وربوبيته وتوحيده، وأنه الإله الحق، وما سواه باطل؛ فهذا هو الذي

---

(٥١٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٢٠) وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٣/ ٥٠٧)

(٥١٣) التفسير المنير، الزحيلي (٣٠/ ٣١٨).

(٥١٤) المصدر السابق (٣٠/ ٣١٧-٣١٨).

(٥١٥) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (٢/ ٥٧٥)

أعطاهم العقل لأجله بالذات والقصد الأول، وهداهم به إلى مصالح معاشهم التي تكون عونًا لهم على ما خُلقوا لأجله وأُعطوا العقول له، فأعظم ثمرة العقل معرفته لخالقه وفاطره"[٥١٦].

والإسلام لما دعا إلى التنمية الفكرية رسم منهجًا واضحًا لهذه العملية، فلم يُطلق حبل الفكر على مصراعيه، وإنما جعل له حدودًا وضوابطَ يسير عليها حتى يأمن الضلال، ويأتي في مقدمة ضوابط التنمية الفكرية في الإسلام ما سأورده في الأسطر التالية:

١/ معرفة منزلة العقل وحَدّه، فالعقل له حدوده التي يُدركها، كما أن للعين حدٌ للرؤية والإبصار، وللأذن حدٌ للسمع والانصات، فكذلك عقل الإنسان يبقى قاصرًا عن إدراك كل الأشياء، وهذه سِمة بشرية ملازمة لهم، " مع أن الإسلام ينظر تلك النَّظْرة العظيمة للعقل، ومع أن للعقل وظيفته العظمى إلا أن الإسلام يحدد مجال العقل، وذلك صوناً للطاقة العقلية أن تَتشتت أو تتبدد وراء الأمور الغيبية التي لا يستطيع العقل إدراكها، أو الوقوف على حقيقتها، كالذات الإلهية، والروح، والجنة، والنار، وكيفية صفات الله _ عز وجل _ وغيرها؛ ذلك أن العقل البشري له مجاله الذي يعمل فيه؛ فإذا ما حاول أن يتخطى هذا المجال فإنه سَيَضِل ويتخبط في متاهات لا قِبل له بها؛ فمجال العقل كل ما هو محسوس، أما الغيبيات التي لا تقع تحت مداركه فلا مجال للعقل أن يخوض فيها، ولا يخرج عما دلت عليه النصوص الشرعية في شأنها"[٥١٧].

فمن المجالات التي يُمنع التفكير فيها: التفكير في الذات الإلهية، وتجسيم عالم الغيب الذي لم يُطلعنا الله تعالى عليه، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] فهي مما اختص الله بعلمه، وجاء في الحديث الشريف عن النبي γ أنه قال:" **(يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولْيَنْتَه)**[٥١٨]، فنبه γأن هناك مجالاتٍ يمكن التفكير فيها؛ مثل التفكير في آيات الله ومخلوقاته وتشريعاته، والتفكر في النفس التي بين جنبي الإنسان، وما تحمله من عالم عجيب، يدل على عظمة خالقه، بل إن "أحسنُ ما أُنفِقَت فيه الأنفاسُ؛ التفكُّرُ في آيات الله وعجائب صُنْعِه، والانتقالُ منها إلى تعلُّق القلب والهمَّة به دون شيءٍ من مخلوقاته"[٥١٩].

٢/ من أهم ضوابط التنمية الفكرية في الإسلام: الاتفاق على مصدرية التشريع، وهما الكتاب والسنة، وأن حق التشريع لله تعالى وحده دون سواه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] يقول ابن سعدي-رحمه الله-: "أي: مَن هذا الذي يُقْدم على تحريم ما أنعم الله بها على العباد، ومن ذا الذي يضيق عليهم ما وسَّعه الله؟"[٥٢٠] فالتشريع حق من حقوقه تعالى، وعلى المسلم الإيمان والتسليم والانقياد لما شرّعه له خالقه- عز وجل- على أن يكون هذا التسليم والانقياد بلا أدنى ممانعة أو شكك، مع الإيمان بأن من مصادر التشريع المستنِدة على الكتاب والسنة؛ الاجماع والاجتهاد والقياس وغيرها، ومعرفة ضوابطها وشروطها، ومن هم أهل القيام بها من الأمة.

إن "جِماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك: أن يُجعل ما بعث الله به رُسُله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم

---

(٥١٦) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن تيمية (٢/ ٨٣٣)

(٥١٧) مصطلحات في كتب العقائد، محمد إبراهيم الحمد، ص١٢٩.

(٥١٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٧٦)، (٤/ ١٢٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم (١٣٤)، (٨٤/١).

(٥١٩) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٢/ ٦٠٨).

(٥٢٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٨٧.

والإيمان، فيصِدّق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يُعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يُعلم هل وافقه أو خالفه -لكون ذلك الكلام مجملاً لا يُعرف مراد صاحبه أو قد عُرف مراده ولكن لم يُعرف هل جاء الرسول ν بتصديقه أو تكذيبه- فإنه يمسك فلا يتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول γ وقد يكون عُلم من غير الرسول؛ لكن في أمورٍ دنيويةٍ مثل: الطب والحساب والفلاحة والتجارة، وأما الأمور الإلهية، والمعارف الدينية، فهذه العلم فيها مأخذه عن الرسول γ"[٥٢١]، فالاتفاق على مصدرية التشريع وكونه حق لله تعالى، يُنظّم عملية التنمية الفكرية، ويقنن مسارها، ويُوضح رؤيتها، ومعرفة هذا الضابط يحول دون الوقوع في كثيرٍ من التخبطات الفكرية عند المسلمين.

٣/ استحضار الأصول العقدية الإيمانية عند التفكير[٥٢٢]، وأعني بها أركان الإيمان الستة، لأنها السياج المنيع من السقوط في مهاوي الباطل في الجوانب الفكرية المنحرفة عند كثير من الناس، فيعتقد بها المسلم اعتقادًا جازمًا نابعًا من القلب، بل من الضروري أن يُراجع نفسه فيها على الدوام لتتأكد وتتثبت في قلبه وعقله، لأن وضوح الأصول العقدية في عقل المسلم يورثه الطمأنينة النفسية والسلام الداخلي، ويحميه من الزيغ والضلال في مهاوي الجهل والانحراف.

٤/ من ضوابط التنمية الفكرية في الإسلام: قصد الحق مع الدعوة إليه، وتجنب الباطل مع التحذير منه، وهذا من أهم الضوابط في التفكير، مع ضرورة عرض الحق والباطل على مقياس الشرع لا غيره، ثم إذا تبين لزِم اتباعه والدعوة إليه إذا كان حقًّا، ولزم اجتنابه والتحذير منه إذا كان باطلًا، لأن النفس البشرية أمارة بالسوء، وأعداء المسلم من الإنس والجن الداعون إلى الضلال كُثُر، فوجب أن يكون لدى المؤمن داعيًا ذاتيًا صادقًا يمنعه من الشر ويدعوه إلى الخير، وأن يطلب الله تعالى أن ينور بصيرته لرؤية الحق واتباعه، وتمييز الباطل واجتنابه.

٥/ معرفة ما يدخله التجديد في مجال الفكر الإسلامي، ومالا يقبل التجديد، ونعني بتجديد الفكر الإسلامي "إحياء ما اندرس من معالمه، وتنقيته مما أُلصق به من مُحْدَثات، وحمْل الناس على تمثّله في الواقع العملي"[٥٢٣] بحسب الزمان والمكان، مع ضرورة مراعاة العدل والاتزان في ذلك، وقلتُ عنه تجديدًا، لأن الأصول الثابتة من الدين لا مجال للتدخّل فيها بالتغيير بأي شكل من الأشكال، عدا ما كان داخلًا في باب الاجتهاد الفقهي[٥٢٤]، وهو أيضًا مرتكزٌ على الأصول الرئيسية، وهذا الاجتهاد له شروطه وضوابطه التي تبسط في بابه، ومن أهم ضوابط هذا التجديد: الاعتماد في فهم الدين على النصوص الشرعية الموثقة الصحيحة، واتباع مناهج علمية في فَهم النصوص، والالتزام بضوابط الاجتهاد الفقهي، ومنافاة الابتداع في الدين في التجديد لأنهما ضدان لا يجتمعان، فالتجديد لا يعني الابتداع كما يظن البعض[٥٢٥]، بل هو تطهير الدين الإسلامي من دخيل الجاهلية وأرجاسها، واحياء ما ندرس من معالمه، وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله γ : (**إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مِئة سنةٍ من يُجَدِّدُ لها دينَها**)[٥٢٦] والمقصود بالحديث أن الله يبعث من الأمة من "يبين السنة من البدعة وَيُكْثِرُ العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدعة ويذلهم)[٥٢٧].

---

(٥٢١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣/ ١٣٥-١٣٦)

(٥٢٢) ينظر: حقيقة الفكر الإسلامي، عبد الرحمن الزنيدي، ص٤٦.

(٥٢٣) المصدر السابق، ص١٩٧، وينظر: الفكر في مسار التجديد، عبد العزيز عثمان التويجري، ص٩.

(٥٢٤) والاجتهاد في الاصطلاح الفقهي: "استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه" الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي (٤/ ١٦٢)

(٥٢٥) ينظر: مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد خير، ص٢٩-٣٥.

(٥٢٦) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب: الملاحم، باب: ما يُذكر في قرن المئة، رقم (٤٢٩١)، (٦/ ٣٤٩).

(٥٢٧) عون المعبود شرح سنن أبي داوود، أبي عبد الرحمن شرف الحق العظيم أبادي (١١/ ٢٦٠)

فالدين الاسلامي لم يُجمّد العقل ويحرمه من التفكير السوي، ومن حريته الفكرية، بل سار معه في كل المجالات حتى عصرنا الحاضر، لكن بمنهجية معتدلة واضحة للناس، والأمثلة الشاهدة على هذا الأمر عبر التاريخ الإسلامي كثيرة ومبسوطة.

تحقيق الأمن الفكري من خلال التدافع بين الحق والباطل في العصر الحاضر:

إن مصطلح الأمن الفكري مصطلحٌ حادث جديد، لكنّ معناه قديم توافرتْ على قصده الأمم منذ نشأتها، فكل أمة تسعى إلى سُبل توفير أمنها وسلامتها في شتى المجالات، حتى تتحقق الحياة الكريمة لأفرادها، فهناك الأمن المالي والاقتصادي، والأمن العسكري، والأمن البيئي وغيرها من أنواع الأمن، لكننا نجد مصطلح الأمن الفكري قد برز في عصرنا الحاضر بشكل قوي، وذلك نتيجة الانفتاح الفكري بين الأمم، بلا حواجز أو قيود، مما جعل كثيرًا من الأمم تولي هذا الأمر الاهتمام الأكبر، لخطورته وعظم أثره.

أولًا: مفهوم الأمن الفكري:

نقصد بالأمن الفكري: "سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية، والسياسية وتصوره للكون"[٥٢٨] أو هو: "سلامة واعتدال التفكير ونتائجه، بما يتفق مع النمط الفكري للأمة التي ينتسب إليها الفرد، بعيدًا عن التطرف والغلو"[٥٢٩] وكلا التعريفين يرميان إلى مقصدٍ واحد وهو سلامة التفكير واعتداله وتوسطه في إدراك وفهم الأمور كلها، مما يساهم في استتباب الأمن عامة والأمن الفكري خاصة، والأمن الفكري مرتبطٌ بكل أنواع الأمن، لأنه الأساس وهو اللبنة الأولى التي يُعتمد عليها في دعم باقي أنواع الأمن، لأن الفكر هو القائد والمُحرّك الأساس، فإذا فقدت الأمة أمنها الفكري كان فقدانها للأمن العام أشد وأكبر.

ثانيًا: علاقة الأمن الفكري بالتدافع بين الحق والباطل:

إن علاقة الأمن الفكري بموضوع التدافع بين الحق والباطل علاقة وطيدة، فمن أبرز التطبيقات المعاصرة التي تظهر فيها ثمرة التدافع بين الحق والباطل هي تحقيق الأمن الفكري، فتحقيق هذا الأمن لا يتم إلا من خلال عدة وسائل، ومن أهم هذه الوسائل دفع الباطل ومزاحمته بالحق، في شتى المجالات، وخصوصًا الفكرية منها، فيقف هذا التدافع كالسد المنيع أمام معاول الهدم الفكري في عصرنا، الذي أصبحت فيه حرب الأفكار أشد فتكًا من حرب الدبابات والطائرات، وأخطر أثرًا، فاستمرار هذا التدافع بين الحق والباطل أمان للأمة، ودليل على بقاء الخير فيها، إلى أن يُظهر الله الحق وأهله.

ثالثًا: صور الانحراف الفكري في العصر الحاضر:

ونعني بالانحراف الفكري: أن يختلّ فكرَ الإنسان ويخرج بعقله عن الوسطية والاعتدال في الفَهم والتصور والتوجهات بالنسبة للأمور الدينية والسياسية وغيرها، إما إلى إفراطٍ أو تفريط[٥٣٠]، وتنبع أهمية عرض صور الانحراف الفكري حتى نتعرف على أنواع هذا الانحراف، ونستطيع معالجة كل صورة منه بالطريقة المناسبة، وإذا نظرنا إلى الساحة من حولنا نجد أن أبرز صور الانحراف الفكري:

---

(٥٢٨) الأمن الفكري الإسلامي، أهميته وعوامل بنائه، سعيد بن مسفر الوادعي، مجلة: الأمن والحياة، عدد: ١٨٧، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص:٥٠، ومن خلال تتبعي رأيته من أوائل من عرف الأمن الفكري تعريفًا مركبًا شاملًا.

(٥٢٩) نظرية الأمن الفكري، حسن عبد الله الدعجه، بحث مقدم إلى الملتقى العلمي: نحو استراتيجية للأمن الفكري والثقافي في العالم الإسلامي، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ص١٠.

(٥٣٠) ينظر: الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن الفكري، عبد الله بن عبد العزيز المغامسي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، السنة التاسعة عشر، العدد: ٣٨، ١٤٢٥هـ، ص ٤٠.

١/انتشار البدع[٥٣١] والمحدثات[٥٣٢] في الدين بين الناس، كقراءة الكف والفنجان والتعلق بالأبراج، والاعتقاد بالتمائم وغيرها، فأساس فشو هذه البدع هو الانحراف الفكري بين الناس، ثم ما يلبث أن يتحول إلى انحراف فكري عملي، ملبّس بالجهل.

٢/انتشار مذاهب الاعتقاد المنحرفة من خوارج[٥٣٣]وشيعة[٥٣٤]ومعتزلة، وهذه الفرق المنحرفة وإن كانت قديمة في الظهور، إلا أن أفكارها تتجدد عبر العصور، ومازالت مبثوثة بين الناس ومنتشرة، ولها دعاتُها الذين يروّجون لها، فهي قديمة معاصرة.

٣/ المذاهب الفكرية المنحرفة مثل: العلمانية[٥٣٥] والقومية[٥٣٦] وغيرها.

٤/ انتشار الكفر والالحاد[٥٣٧]والزندقة[٥٣٨] بين بني أمة الإسلام، مع اختلاف وسائل انتشار هذا الانحراف وسبله وطرقه، وتنوعها وتجددها، وما ظهرت كل هذه الانحرافات الفكرية إلا من غلو وتطرف في عن النهج القويم الذي شرعه الله تعالى للعباد.

رابعًا: تحقيق الأمن الفكري من خلال التدافع بين الحق والباطل في العصر الحاضر:

إن استمرار التدافع بين الحق والباطل سنة إلهية، تدل على بقاء الحق ولو قلّ أنصاره، وأن الباطل ولو علا شأنه وقويت شوكته في عصر من العصور مصيره إلى اضمحلال، وهذا التدافع مستمر باستمرار الحياة البشرية، ولو انتفى لفسدت الأرض، وعمّ الخراب فيها، قال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] فإذا كان زوال هذا التدافع فيه فساد الأرض، فإن بقائه واستمراره فيه صلاحها، وصلاحها يعني صلاح أحوال أهلها الديني والدنيوي، وهذا الصلاح يحقق الأمن العام لهم، ومن أجلّ أنواع الأمن: الأمن الفكري، بل هو البوابة الكبرى لاستتباب باقي أنواع الأمن.

---

(٥٣١) البدعة هي: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعيّة، يُقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية" الاعتصام، الشاطبي (١/ ٥١)

(٥٣٢) قال ابن حجر-رحمه الله- في الفتح "والمحدثات بفتح الدال جمع محدثة والمراد بها ما أحدث وليس له أصل في الشرع ويسمى في عرف الشرع بدعة" فتح الباري، ابن حجر (١٣/ ٢٥٣).

(٥٣٣) ويُقصد بالخوارج: كل من خرج على إمام المسلمين الذي اتفقت الجماعة عليه، في أي عصر وزمان، ينظر: الملل والنحل، أبو الفتح الشهرستاني (١/ ١١٤)

(٥٣٤) الشيعة: "اسم لكل من فضل علياً على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعاً، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة، وأن خلافة غيرهم باطلة" الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبد القادر شيبة الحمد، ص٢٠٩.

(٥٣٥) العلمانية: مذهب يُراد به فصل الدين عن الحياة، وذلك بفصل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية عن الإنسان والطبيعة، ويكون ذلك إما في العلن، أو بالسماح لما يخالف الدين بالانتشار. ينظر: العلمانية تحت المجهر، عبد الوهاب المسيري وعزيز العظمة، ص١٢١-١٢٢، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي (٢/ ٦٨٣)

(٥٣٦) ومعناها: تجمُّع أمة من الناس وارتباط بعضهم ببعض هدفًا وسلوكًا وغاية، فيكون أساس ارتباطهم إما اللغة، أو البلد، أو التشارك في الأمور السياسية والاقتصادية، فيرون نفسهم كتلة واحدة، ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي (٢/ ٩٠٩)

(٥٣٧) هو انكار وجود الله تعالى، والزعم بأن الكون وُجد بذاته في الأزل نتيجة تفاعلات جاءت عن طريق الصدفة، وأن كل ما وصل إليه الإنسان كان عن طريق التطور، لا أن هناك قوة إلهية تُدبره وتتصرف فيه. ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي (٢/ ١٠٠٣)

(٥٣٨) والمقصود بالزنديق: "كل من ليس على ملة من الملل المعروفة ثم استُعمل في كل معطل، وفيمن أظهر الإسلام وأسر غيره" مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض (١/ ٣١١).

إن من أبرز معالم التحصين الفكري التي يرفعها أهل الحق أثناء تدافعهم مع أهل الباطل والتي تحقق الأمن الفكري، ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم وما جاء به النبي ﷺ من الهدي القويم، الذي يُشكّل نوعًا من الإحاطة والحماية الفكرية عند المسلم، ومن هذه المعالم:

١/ الايمان بالله تعالى[٥٣٩]، فالإيمان والأمن متصلان ببعضهما اتصالًا وثيقًا، بل جعل الله تعالى من شروط تحقق الأمن: تحقيق الإيمان به، ومتى تحقق أحدهما تجد الآخر معه متحقق، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]

و"هذا وعد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدّلنّ بعد خوفهم من الناس أمنًا وحُكمًا فيهم"[٥٤٠]، فبقدر إيمانهم وعملهم الصالح سيكون الاستخلاف والتمكين والأمن، وبقدر التفريط يكون البعد عن الوعد.

٢/ الدعوة إلى العلم والتّعلم، فهو السلاح الأقوى لرد الفكر المنحرف، يتسلح به المسلم ليحمي عقله وفكره، ولا أضر على الجاهل من الأفكار المنحرفة، فتجده أسهل ما يكون تشربًا للانحرافات والشائعات، وأكثر الناس وقوعًا في شراك الغلو والتطرف والعياذ بالله، ونخص بالعلم الشرعي علم الكتاب والسنة، لأنهما المصدران الأساسيان في التلقي والتشريع، وما دونهما تبع لهما، فمتى ما حُجِب عقل الإنسان عن نور الوحي، أورثه ذلك القلق النفسي وأفقده الثقة بخالقه β، وجعله متخبطًا في ظلمات الجهل بعضها فوق بعض.

٣/ معرفة منزلة العقل في الإسلام، وضوابط التفكير به، والرجوع لأهل العلم في هذا الباب، لأن لها أثرًا كبيرًا في تحصين الفكر، "ولو لم يكن للعلم أبٌ ومُرَبٍّ وسائسٌ ووزيرٌ إلا العقل-الذي به عمارةُ الدَّارين، وهو الذي أرشدَ إلى طاعة الرسل، وسلَّمَ القلبَ والجوارحَ ونفسَه إليهم، وانقاد لحكمهم، وعَزَل نفسَه، وسلَّمَ الأمرَ إلى أهله-لكفى به شرفًا وفضلًا، وقد مدحَ الله سبحانه العقلَ وأهلَه في كتابه في مواضع كثيرةٍ منه، وذمَّ من لا عقلَ له، وأخبر أنهم أهلُ النار الذين لا سمع لهم ولا عقل، فهو آلةُ كلِّ علم وميزانُه الذي يُعْرَفُ به صحيحُه من سقيمه وراجحُه من مرجوحه، والمرآة التي يُعرف بها الحسن من القبيح"[٥٤١].

والدين الإسلامي ضبط الفكر، وسلك به أسلم الطرق حتى لا يضل أو يُضل، ومنها على سبيل المثال:

إعمال العقل وحثه على القيام بدوره الذي أوجده الله تعالى من أجله، والبعد عن تجميده والاتباع للغير دون دراية، مع الانصاف والعدل عند ابداء الأفكار وقَبولها، وطلب الدلائل والبراهين على الأقوال، والتبيّن والتثبّت من الأخبار، وعدم الاستجابة للشائعات من أي ناعقٍ لها، والبعد عن الغلو والتنطع واتباع هوى النفس، لأنها مسالك تقود للغواية الفكرية، وغيرها من الضوابط التي تصون عقل الإنسان وفكره من الانحرافات الفكرية، وتحقق له الأمن الفكري.

المنهج العملي لبناء الفكر في العصر الحاضر:

إن التدافع بين الحق والباطل في الزمن الحاضر تدافع فكري بالدرجة الأولى، يستهدف الدين والعقيدة والتشريعات والثوابت جلها، وحتى يتدافع الحق مع الباطل نحتاج إلى فكر إسلامي مؤصلٍ إيجابي متزن، يُحقق البناء الفكريَّ المتميز للمجتمعات الإسلامية على ضوء الوحي الرباني، والوصول لهذا المجتمع الإسلامي المتميز فكريًا لا يكون عن طريق

---

(٥٣٩) ينظر: الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص:١٣٣.

(٥٤٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٧٧) وينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٥٧٣.

(٥٤١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١/ ٣٢٢-٣٢٣)

تنظير الأفكار فحسب، بل يجب أن نتخطى مرحلة التنظير والكتابة، إلى المراحل العملية التي من شأنها أن تُفعّل الخطوات اللازمة لبناء الفكر في المجتمع الإسلامي، وهذه الخطوات العملية تحتاج إلى جهودٍ متظافرة متكاتفة جماعية وفردية، ومؤسسية، يقوم فيها كلٌ بدوره المُناط به، حتى يتكلل البناء بالنجاح والتميز.

وأنا هنا لستُ بصدد رصد الجهود التي بُذلت في الفترة الماضية في سبيل البناء الفكري الإسلامي المميز، فهي جهود ثابتة ويُشكر أصحابها، لكني من خلال بحثي أجتهد في كتابة المنهج العملي الذي يحقق هذا الأمر على أتمّ شكل، خصوصًا مع المتغيرات السريعة المتلاحقة التي تطرأ على الساحة الفكرية، في ظل الانفتاح الفكري الهائل الذي لم تشهد له البشرية مثيل قبل اليوم، وهذه الخطوات استنبطُّها من رصْدي للواقع الذي نعيشه، واحتكاكي بفئات المجتمع المختلفة، بشكل مباشر في الجامعة، وفي المدارس، وغيرها، وبشكل غير مباشر من خلال وسائل التواصل الاجتماعي التي قرّبت لنا العالم وكأنه بين كفينا، وسأبدأ بذكر هذه الخطوات فيما يلي:

١/ الحرص على غرس العقيدة الصحيحة في النفوس، والمراجعة الذاتية الدائمة لثوابت الدين، كأركان الإيمان والإسلام، والتأكيد على مصدرية التشريع الإسلامي، وهذه الخطوة تزيد أهميتها في زمن انتشار الفتن ومحاربة الثوابت من قِبل أعداء الإسلام، وهو أمر واجب على النطاق الفردي والجماعي من خلال المؤسسات الدينية، والتعليمية، والإعلامية، وغيرها.

٢/ التأكيد أهمية التربية الإسلامية القويمة، وتقوية الصلة بالخالق-عز وجل-، وخلق مفهوم مراقبة الله تعالى في النفوس، وأن تبدأ هذه التربية من الأبوين في الأسرة، دون توكيل هذه المهمة العظيمة برُمّتها على الإعلام والصحبة، والمجتمع، هذه الخطوة -إن طُبقت-كفيلة باختصار كثير من الخطوات التابعة لها، وذلك لما للأسرة من الأهمية الكبرى، فهي لبنة صلاح المجتمع وفساده، وهي العمود الفقري الذي تقوم عليه المجتمعات، وقد أولاها الإسلام كل العناية حتى تكون قاعدة أساسية عظمى في بناء المجتمع المسلم.

٣/ فتح باب الحوار والنقاش لأبناء الجيل الصاعد، والأخذ بعقولهم للتنمية الفكرية المنضبطة بضوابط الإسلام، من خلال محاضن فكرية خاصة تُعنى ببناء الفكر لجميع شرائح المجتمع المختلفة، من خلال إقامة الدورات والندوات واللقاءات التي تحفزهم لبناء الفكر الإسلامي القويم.

٤/ إنشاء مؤسسات فكرية تُعنى بتقديم برامج مكثفة تستهدف الشخصيات المؤثرة في المجتمع كالمدرسين والأئمة، والمدربين، وغيرهم، لما لهم من تأثير كبير على البناء الفكري للمجتمع.

٥/ معالجة مظاهر الانحراف الفكري، بالمناصحة والموعظة الحسنة، وفتح باب الحوار مع المنحرفين فكريًا من قِبل المتخصصين، وعدم السكوت على باطلهم وانحرافهم.(٥٤٢)

٦/ المبادرة برد الشبهات المتعلقة بالمجال الفكري، والتي تسبب اللوثة الفكرية لأبناء المجتمع المسلم، على أن يكون الرد من قِبل المتمكنين الراسخين في الفكر الإسلامي.

٧/ المراقبة الدائمة والمتابعة الدورية من قبل الدولة على منافذ تسرب الفكر الضال، من مواقع، وبرامج، وكتب مطبوعة والكترونية، وقنوات إعلامية.

٨/ التوقف قبل قَبول المستجدات الفكرية المعاصرة حتى تُعرض على الكتاب والسنة، ويُعرف رأي الشرع فيها، من خلال النظر والتفحص ومعرفة الحق من الباطل منها.

---

(٥٤٢) ينظر: مفهوم الأمن الفكري دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام، ماجد بن محمد الهذيلي، ص:٢٩.

٩/ دراسة ومقارنة الفكر الإسلامي بالفكر الغربي من حين نشأته إلى تطبيقه في الساحة، وإظهار مواطن الخلل في مبادئ الفكر الغربي مقابل ثبات الفكر الإسلامي ونجاحه على مر العصور في إسعاد البشرية، وتحقيق متطلباتها، ومواكبته للمستجدات.

١٠/ بذل الجهد في تحصين المجتمعات الإسلامية من سهام الغزو الفكري، التي ولّدت كثيرًا من الانحرافات الفكرية، وأصبحنا نرى أثرها السيء أينما ولينا وجوهنا.

وإيراد هذه الطرق العملية ليست على سبيل الحصر وإنما حاولت جمع أهم ما أراه في نظري، ويعين على إصلاح الواقع وتحصين المجتمع المسلم من مزالق الانحراف الفكري -والله أعلم-

الخاتمة:

من أهم نتائج البحث:

- التدافع بين الحق والباطل سنة ربانية لا تتغير مع مرّ العصور، وهي قائمة إلى قيام الساعة.
- التدافع الفكري بين الحق والباطل أوسع وأشمل من التدافع المادي، وأعظم أثرًا على المجتمعات.
- مفاهيم الحق والباطل ثابتة لا تتبدل مع تغير الأزمان والعصور.
- الإسلام أولى الفكر منزلة عظمى، وأمر بتنميته مع ضبط هذه التنمية الفكرية.
- التدافع بين الحق والباطل يحقق الأمن الفكري في المجتمع المسلم.
- الاعتناء بالعقيدة وغرسها في المجتمع من أهم لبِنَات بناء الفكر الصحيح.
- الاتفاق على مصدرية التشريع وأنه حق لله تعالى وحده من أهم ضوابط التنمية الفكرية.

ومن التوصيات:

-تحصين المجتمعات الإسلامية من الضلالات الفكرية من خلال المراكز التربوية، والمساجد، والمؤسسات الفكرية.

- صناعة المحتوى الهادف الجذاب من خلال وسائل التواصل الاجتماعي لشد انتباه فئات المجتمع نحو الحصانة الفكرية.
- الاعتناء بالجانب العملي التطبيقي لمدافعة الفكر الضال المنحرف.
- تصميم تطبيق يهتم برد الشبهات الفكرية، والتساؤلات التي ترِدُ على عقول أبناء المجتمعات المسلمة.

فهرس أهم المصادر والمراجع:

- **الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة**، عبد القادر شيبة الحمد، دون دار نشر، ط: الرابعة،١٤٣٣هـ.
- **الإحكام في أصول الأحكام**، علي بن محمد الآمدي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، ط: الثانية، ١٤٠٢ هـ
- **الاعتصام**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ٧٩٠هـ، سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- **بناء الفكر**، مسعد عيد العطوي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- **تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات**، فتحي عبد الرحمن جروان، دار الفكر-الأردن-عمان، ط: الثالثة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- **تهذيب اللغة**، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ت ٣٧٠هـ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.
- **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م
- **التعريفات**، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت ٨١٦هـ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- **التعريفات الفقهية**، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ٧٧٤ هـ، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المشهور بتفسير السعدي، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ٣١٠هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه** (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، مع جماعة، دار طوق النجاة- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **جمهرة اللغة**، لأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت: ٣٢١هـ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٧م.
- **حاشية السندي على سنن ابن ماجه** (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه)، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي ١١٣٨هـ، دار الجيل - بيروت، بدون طبعة.
- **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، ت: ٩٢٦هـ، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ
- **حقيقة الفكر الإسلامي**، عبد الرحمن الزنيدي، دار المسلم- الرياض، ط: الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لأبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية – الهند، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م
- **ذيل طبقات الحنابلة**، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت: ٧٩٥ هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: ٥٩٧هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ٢٧٥ هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- **سنة التدافع وحقيقة العلاقة بين الحق والباطل دراسة قرآنية موضوعية**، لخالد بن موسى الحسيني الزهراني، مكتبة الرشد- الرياض، ط: الأولى ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م

- **سير أعلام النبلاء**، محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت:٧٤٨هـ، تحقيق: مجموعة من تحقيقين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، ط: الثَّالثة، ١٤٠٥هـ.
- **الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة**، عبد الرزاق عبد المحسن العباد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١ه.
- شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي ١٣٥١هـ، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد -الرياض.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ
- **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **طبقات المفسرين العشرين**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ٩١١هـ، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٦
- **العين**، لأبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ت ١٧٠هـ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- **العلمانية تحت المجهر**، عبد الوهاب المسيري وعزيز العظمة، دار الفكر-دمشق، ط: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي ١٣٢٩هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٤١٥ هـ
- **الفكر في مسار التجديد**، عبد العزيز عثمان التويجري، دار السلام، ط: الأولى ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
- **فوات الوفيات**، لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، ت: ٧٦٤هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط: الأولى.
- **الفهرست**، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم ٤٣٨هـ، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ مـ
- **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني** ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي ١٣٧٨ هـ، دار إحياء التراث العربي، ط: الثانية.
- **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ١٢٥٠هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: الأولى - ١٤١٤ هـ
- **القاموس المحيط**، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى٨١٧هـ، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ
- **لسان العرب**، لابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري٧١١هـ، دار صادر – بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لأبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت:٧٥١، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، ط: الثالثة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
- **الموافقات**، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ٧٩٠ هـ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
- **المستصفى**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ٥٠٥هـ، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- **معجم المؤلفين**، عمر بن رضا كحالة الدمشقي ١٤٠٨هـ، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- **مصطلحات في كتب العقائد**، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، درا بن خزيمة، الأولى.
- **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، ط: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م
- **مفهوم تجديد الدين**، بسطامي محمد سعيد خير، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
- **المعجم الفلسفي** بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ١٩٧٩مـ.

- **المفردات في غريب القرآن،** لأبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، ت ٥٠٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: الأولى - ١٤١٢ هـ.
- **المعجم الوسيط،** لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
- **مجموع الفتاوى،** لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت: ٧٢٨هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل،** الإمام أحمد بن حنبل ٢٤١ هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- -**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، ت: ٦٨١هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط: ١٩٠٠/١٩٩٤م.

منهج القرآن في التصدي للشائعة وأثره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع

The Qur'an's Approach to Confronting Rumors and Its Impact on Achieving the Security of The Individual and Society

د. ساره بنت سعود مطيران العنزي -أستاذ مساعد- كلية الشريعة والقانون- جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية

Email: ssaud@ju.edu.sa

الملخص:

هدفت الدراسة تناول منهج القرآن في التصدي للشائعة وأثره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع، ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام المنهج الاستنباطي، وجاءت الدراسة مكونة من إطار عام شمل المقدمة وقضية الدراسة وأسئلتها وأهدافها وأهميتها ومنهجها، ثم مبحثين: المبحث الأول: التعريف بالشائعات وأضرارها في الإسلام، وتكون من خمسة مطالب: المطلب الأول: تعريف الشائعات لغة واصطلاحاً، المطلب الثاني: الإشاعة من منظور إسلامي، المطلب الثالث: مرادفات الشائعة في القرآن الكريم، المطلب الرابع: دوافع الإشاعة، المطلب الخامس: أضرار الشائعة، المبحث الثاني: ملامح منهج القرآن في مواجهة الشائعات، وتكون من ثلاثة مطالب: المطلب الأول: أسس المنهج القرآني في التصدي للشائعات، المطلب الثاني: منهج القرآن في الحد من تصديق الشائعات، المطلب الثالث: المنهج القرآني في منع انتشار الشائعات، ثم خاتمة بها أبرز نتائج الدراسة وتوصياتها ومقترحاتها.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الشائعات، أمن الفرد والمجتمع.

Abstract:

The study aimed to address the Qur'an approach to confronting rumors and its impact on achieving the security of the individual and society. It consists of five demands: the first requirement: defining rumors, linguistically and idiomatically, the second requirement: rumors from an Islamic perspective, the third requirement: synonyms of the common in the Holy Qur'an, the fourth requirement: the motives of the rumor, the fifth requirement: the harms of rumors, the second topic: features of the Qur'an's approach to confronting Rumors, and consist of three demands: The first requirement: the foundations of the Qur'anic approach to confronting rumors, the second requirement: the Qur'an's approach to limiting belief in rumours, the third requirement: the Qur'anic approach to preventing the spread of rumors, and then a conclusion with the study's most prominent results, recommendations and suggestions.

Keywords: The Holy Qur'an, Rumors, The Security of The Individual and Society.

المقدمة:

تمثل الشائعة كظاهرة اجتماعية عنصرًا مهمًّا في نسيج كل ثقافة من الثقافات البشرية، فهي وليدة مجتمعها، وتعبر تعبيرًا عميقًا عن ظروفه النفسية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية؛ ولذلك تعد المفتاح الذهبي لدراسة المجاهل العميقة لهذا المجتمع وتحديد ملامحه وخصائصه.

ولا يوجد مجتمع بشرى دون شائعات، فقد عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ وأولاها الباحثون بالاهتمام، ودرسوا أسبابها وسمات مروجها وطرق محاربتها عبر العصور المختلفة، وقد تزايدت هذه الأهمية لدراسة الشائعات في عصر المعلومات؛ حيث النمو المستمر والمتراكم والهائل للمعلومات في مختلف أوجه النشاط الإنساني وأحوال المجتمعات، لا سيما مع الانتشار السريع لأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وما يسمى بثورة المعلومات إلى أتاحتها وهيأت أرضها شبكة الإنترنت، والتي أصبحت هي نفسها أقوى وسيلة لترويج الشائعات وتفريخها (هاشم، ٢٠٠٣، ٥٥).

وللقرآن موقف واضح ومحرم للإشاعة فقد جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي حذر الله عز وجل بها من الكذب والإدعاء وإثارة الفتن ونشر الفسق وإثارة الشك والظن بالآخرين فقال تعالى: ﴿**فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾ (آل عمران:٥١)، وقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا**﴾ (الحجرات:٦)، وقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذي آمنوا اجتنبوا كثيراً من ظن إن بعض الظن إثم**﴾ (الحجرات:١٢).

لقد حاربت الشريعة الإسلامية الشائعات المضللة بطرق عديدة منها: محاربة الكذب فإن الشائعات تبدأ أولاً من الذين يصوغون الكلام المخالف للواقع مما يعد كذباً محرماً في الشريعة حيث تواترت النصوص بتحريم الكذب قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِين**﴾ [التوبة: ١١٩]، ويقول النبي ﷺ: (إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) (البخاري، ١٩٨٧، رقم ٦٠٩٤)، وفي الحديث الآخر: (الصدق طمأنينة والكذب ريبة) (الترمذي، ١٩٧٥، رقم ٢٥١٨)، ومن علامات المنافق أنه إذا حدث كذب (البخاري، ١٩٨٧، رقم ٣٣).

ولئن كان الكذب محرماً على الإطلاق يستحق صاحبه الإثم والعقوبة من الله، فإن الكذب الذي ينتشر بين الناس يكون أعظم إثماً وأشد جرماً، وقد ذكر النبي ﷺ أنه رأى في المنام أنه مُر به مع ملكين على رجلٍ مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكَلُّوب من حديد فإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى، قال: فقلت: سبحان الله ما هذان؟ إلى أن قال: فقالا لي: إن الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق) (البخاري، ١٩٨٧، رقم ٧٠٤٧).

ولما اتهمت إحدى النساء الفاضلات في عهد النبوة كذباً وبهتاناً شنع الله عز وجل على من أثار تلك الشائعة فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيم**﴾ [النور: ١١].

ولذلك يجب على العبد أن يحذر من إطلاق كلمة تكون سبباً في إثارة الشائعة، جاء في الحديث: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) (البخاري، ١٩٨٧، رقم٦٤٧٧).

ويهدف منهج القرآن الكريم في تعامله مع سلوكيات أفراد المجتمع الوصول إلى مجتمع الفضيلة محارباً أمراضه وأخطاءه السلوكية، يواجه الجريمة السلوكية قبل وقوعها، والفتنة قبل وصولها، ويجتث المشكلة ودوافعها من النفس والمجتمع، يبني السدود بين الإنسان وسبل الغواية؛ من خلال عملية تربوية متكاملة الأهداف والمقاصد والغايات؛ لإخراج مجتمع الخير والفضيلة المحقق لهدف الله من الخلق في الاستخلاف والعبادة (زيود، ٢٠٠٩، ١).

ويأتي تفرد المنهج القرآني في علاج مشكلات المجتمع وأمراضه في ظل تميز هذا المنهج بالتكامل عن غيره من المناهج التربوية الوضعية، فهو منهج يسع كل المجالات، صالح لكل زمان ومكان، يستغني بنفسه بل ويستوعب الصالح من العلوم الأخرى، يعالج قضايا التربية بصورة كلية، لا يخضع للعوامل القومية والجغرافية والإقليمية والمحلية التي تستمد مقوماتها من التقاليد والأعراف البشرية (رجب، ٢٠٠٠، ٧).

قضية الدراسة:

تفرد القرآن الكريم بمنهج يعالج مشكلات الإنسان وقضايا المجتمعات وما يعتريها من وهن أو انحطاط قيمي وسلوكي، فقد جاء هذا المنهج ليجتث كل مظاهر التخلف والجمود، يغيّر ويوجّه، ويقيّم ويقوّم، للارتقاء بهذه المجتمعات من مستوى الرذيلة إلى مستويات أعلى من الفضيلة، ومن التقليد إلى التجديد، عبر العصور المختلفة والأجيال المتعاقبة، جيلاً بعد جيل، لبناء مجتمع فاضل، تسمو فيه الأخلاق، وتعلو فيه الفضائل (عبد اللطيف، والغنام، وعبد النبي، ٢٠٢٠).

ومن هنا فقد اشتدت صراعات كثيرة في ظل البعد عن منهج القرآن الكريم وعن التمسك بالسنة والاقتداء بالسيرة العطرة، والركض وراء الحياة الفانية والانغماس في شهواتها وملذاتها، مما جعل الأغلبية من الناس يعيشون في خواء فكري وروحي، فخلت الخواطر والأفئدة من القيم الروحية، والخلقية والنفسية، والاجتماعية، وهذا نتيجة العيش في حياة التمزق والاضطراب (الحارثي، ٢٠١٠، ٦).

ولذا يمكن القول بأنه امتاز الخطاب القرآني بهداية الناس لما يصلح أحوالهم بفضل ما تميز به من أسلوب حكيم يوضح حقيقة الأمور بنظرة متكاملة وعلاج في مقدور كل فرد انتهاجه ومن ابرز التوجيهات التربوية في القرآن الكريم منهج التصدي للشائعة، فقد بينت الآيات القرآنية أسباب نشأة الشائعة، وما الواجب على الفرد والمجتمع للتصدي لها وإماتتها، لذلك رغبت أن ألفت النظر لهذا المنهج وابرز أهم ميزاته في دفع الشائعات وإماتتها من خلال هذه الدراسة.

أسئلة الدراسة: حاولت الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما المقصود بالشائعة في الإسلام؟
٢. ما دوافع الشائعات وأبرز أضرارها؟
٣. ما أسس المنهج القرآني في التصدي للشائعات؟
٤. ما ملامح منهج القرآن في الحد من تصديق الشائعات؟
٥. ما ملامح المنهج القرآني في منع انتشار الشائعات؟

أهداف الدراسة: سعت الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

١. بيان المقصود بالشائعة في الإسلام.

٢. تحديد دوافع الشائعات وأبرز أضرارها.

٣. عرض أسس المنهج القرآني في التصدي للشائعات.

٤. توضيح ملامح منهج القرآن في الحد من تصديق الشائعات.

٥. تحديد ملامح المنهج القرآني في منع انتشار الشائعات.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة من خلال ما يأتي:

١. اهتم المنهج القرآني في آيات النهي بجانب الفضيلة، والقضاء على نوازع الرذيلة، حيث إن الفضيلة هي أساس حفظ المجتمع، فإذا انتشرت الفضائل الخلقية صلحت المجتمعات، وإذا تلاشت الفضائل فسدت المجتمعات، لهذا تسعى الدراسة إلى تعزيز جوانب الفضيلة في النفس الإنسانية، وتحويلها إلى واقع سلوكي من خلال منهج القرآن الكريم.

٢. إبراز عناية القرآن بالتكامل الاجتماعي واهتمامه بعملية التلقي والإبلاغ للمعلومات والأخبار التي تتأثر بحاجات الأفراد واهتماماتهم.

٣. حماية المجتمع من أضرار الشائعة التي تؤثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والأمنية.

٤. بناء حاجز أمني قوي ضد المتربصين بالمجتمع الذين لا يألون جهداً ببث الشائعات.

٥. يمكن أن يستفيد من نتائج هذه الدراسة في توعية الشباب بمنهج القرآن في لمواجهة الشائعات المؤسسات التالية: الأسرة، المدرسة، الجامعات، وسائل الإعلام، مؤسسات قياس الرأي العام.

منهج الدراسة: استخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي، وذلك بالرجوع إلى آيات القرآن الكريم المرتبطة بالإشاعة ومدلولاتها واستنباط ملامح المنهج القرآني في التصدي لها.

التعريف بالشائعات وأضرارها في الإسلام:

تعريف الشائعات لغة واصطلاحاً:

تعريف الشائعة لغة:

عند تتبع أصل شاع في معاجم اللغة ومعنى قول: شاع الحديث، نجد أن أكثرهم يرجع الفعل إلى معنيين أساسيين: انتشر وذاع (ابن فارس، ١٩٧٩، ج٣، ٢٣٥، وابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٨، ١٨١، والجوهري، ١٩٨٧، ج٣، ١٢٤٠)، ومنهم من زاد افترق وظهر (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٨، ١١٨، والفيومي، د.ت، ج١، ٣٢٩). وعند التأمل نجد أن المعنى انتشر يدل على البعد المكاني وفي التنزيل العزيز (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض)، والمعنى ذاع يدل على البعد البشري وتفرق الخبر بين عدد كبير من الناس (الأزهري، ٢٠٠١، ج١، ٧٣).

تعريف الشائعة اصطلاحا:

يعرف (مختار التهامي) الإشاعة بأنها الترويج لخبر مختلف لا أساس له من الواقع أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة، أو إضافة معلومة كاذبة أو مشوهة لخبر معظمه صحيح أو تفسير خبر صحيح، والتعليق عليه بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة؛ وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو العالمي أو القومي تحقيقًا لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة واحدة أو عدة دول أو على النطاق العالمي بأجمعه. (التهامي، ٢٠٠٩م، ١١٤).

وهي فكرة خاصة يعمل رجل الدعاية على أن يؤمن بها الناس، كما يعمل على أن ينقلها كل شخص إلى الآخر حتى تذيع بين الجماهير جميعها، ويجب أن تكون قابلة للتصديق وغير مبالغ فيها. (حاتم، ٢٠٠٩، ٣٤).

والشائعات هي الأقوال والأحاديث والروايات التي يتناقلها الناس دون التأكد من صحتها، بل دون التحقق من صدقها.

فالإشاعة هي رواية تتناقلها الأفواه دون أن ترتكز على مصدر موثوق به يؤكد صحتها أو ترويج لخبر مختلق أو مبالغة وتحريف لخبر يحتوي على جزء من الحقيقة. (رضوان، ٢٠٠٨م، ص٣٤).

وبناء على ما سبق فإن الشائعة تتضمن ترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع أو هي المبالغة التي تكون في سرد خبر يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة. وتنتقل عن طريق اللفظ أو من خلال النكتة أو الحركة التعبيرية، وتهدف إلى التأثير على تفكير الإنسان وعلى انفعاله وخياله بصورة تجعله يضيف إلى الشائعة كلامًا وفي الوقت نفسه تزداد انتشارًا وجاذبية. (عبد الله، ٢٠٠٩، ١٦٥).

الإشاعة من منظور إسلامي

حذر الإسلام من إشاعة الخبر الكاذب، ووصف الله سبحانه وتعالى، ورسوله الكريم مبتدع الإشاعة، ومروجها بمجموعة من الأوصاف؛ فقد وصف بالفاسق في قوله تعالى: ﴿**يا أَيها الّذين آمنُوا إِن جاءكُم فَاسقٌ بِنَبإٍ فَتَبينُوا**﴾ (الحجرات: ٦)، والكاذب في قوله تعالى: ﴿**إِنّما يفْتَرِي الكَذب الّذين لا يؤْمنُون بِآيات اللّه وأُولَئِك هم الكَاذبون**﴾ (النحل: ١٠٥)، وحذر الله سبحانه وتعالى من الكذب؛ وبين العقوبة التي يستحقها الكاذب؛ فقال تعالى: ﴿فَنَجعلْ لَعنَةَ اللّه علَى الكَاذبِين﴾ (آل عمران: ٥١)، وقال تعالى: ﴿**ويوم القيامة تَرى الّذين كَذَبوا علَى اللّه وجوههم مسودةٌ**﴾ (الزمر: ٦٠).

أما السامع فقد أمره الله سبحانه وتعالى بالتثبت، والتأكد مما يسمع، وحذره من المسارعة في تصديق كل ما يبلغه فيقع في ندامة من أمره، قال تعالى: ﴿ **يا أَيها الّذين آمنُوا إِن جاءكُم فَاسقٌ بِنَبإٍ فَتَبينُوا أَن تُصيبوا قَوماً بِجهالَة فَتُصبِحوا علَى ما فَعلْتُم نَادمين**﴾. فكم من إشاعة أطلقها مغرض، وسمعها، وصدقها متعجل أدت إلى تباغض الإخوان، والأصدقاء، والعداوة بين الأصحاب، والزملاء، وإساءة سمعة الفضلاء، وتشتيت أسر، وتفريق جماعات، ونكبة شعوب، وانهيار، وهزيمة جيوش؛ فترك ذلك جراحاً عميقة؛ لا تندمل، وفرقة دائمة لا تجتمع (الهمص، وشلدان، ٢٠٠٨).

ومن أمثلة الشائعات الكاذبة ما أشاعه المنافقون في العهد النبوي، عن السيدة عائشة رضي الله عنها، من أقوال باطلة مقصدهم منها التشكيك في نبوة النبي صلي الله عليه وسلم، وقذف السيدة عائشة رضي الله عنها في عرضها وفي طهارتها. وقد انزل الله تعالى ست عشرة آية من سورة النور برأ فيها السيدة عائشة، وعلم المؤمنين كيف يحاربون الإشاعات،

وأرشدهم إلى أن يكتموا هذه الإشاعات حتى تموت في مهدها، كما أمرهم بأن يزجروا من يتفوه بها أو يعمل على ترويجها (حماد، ٢٠١١، ٢٣).

مرادفات الشائعة في القرآن الكريم:

عبر القرآن عن مصطلح الإشاعة بعدة ألفاظ منها:

- الإرجاف وسمى المروجون للشائعة مرجفون: وأَصل الرجْف الحركةُ والاضْطِرابُ (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٩، ١١٢). وهذا متحقق في الشائعات فالمرجفون هم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٩، ١١٢، وابن عاشور، ٢٠٠٠، ٤٣). قال الله تعالى ﴿**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً**﴾ (الأحزاب: ٦٠) قال ابن كثير: " والمرجفون في المدينة يعني الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء" (ابن كثير، ١٩٨٠هـ، ج٦، ٤٢٦).
- الإذاعة، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا**﴾ (النساء: ٨٣) والمعنى من هذه الآية أنها إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة (ابن كثير، ١٩٨٠هـ، ج٢، ٣٢٢، والزحيلي، ١٤١٨هـ، ج٥، ١٧٧).
- **دوافع الإشاعة:**

تتعدد دوافع الشائعات ويقسمها العلماء إلى ما يلي:

أولاً: دوافع نفسية انفعالية، وتشمل:

- **تحقيق المصلحة**: يتجلى هذا الدافع في انتهاج بعض الأفراد لسلوك معين لنيل أغراض محددة بعد العجز عن تحقيقها واقعيا بطرق مشروعة. فيلجئون إلى الحيلة ويعتمدون على الكذب والنفاق (ساسي، ١٩٩٩، ٦٧).
- الإسقاط: وبعض العلماء يسميه الإلصاق وهو نسبة بعض السلوكيات إلى فرد بريء في المجتمع بالافتراء والبهتان للإيقاع به في دائرة الاتهام ولإلحاق الضرر به (أكحيل، ٢٠١٥).
- جذب الانتباه والاستمالة: يمثل جذب الانتباه للغير من الدوافع النفسية للغير لأنه يحقق تسليط الأضواء نحوه، فيتصف بالناصح والمرشد إلى الحقائق الخفية عن النظر. فلما يبلغ درجة الإقناع يستميل المتأثر به إلى تطبيق ما زعم اكتشافه من خفي عن الأفراد (كحيل، د.ت، ٧٧).
- العداوة والكراهة: إن العداوة هي الشعور المضمر في وجدان الفرد لإلحاق الضرر بفرد آخر. وهي تتجلى في مظاهر الاعتداء المختلفة سواء كانت مادية أو معنوية.

وأما الكراهية فهي مرحلة من مراحل الاعتداء. وتمتاز بالشعور الباطني المشمئز والمتحامل على شخص أو فكرة أو ظاهرة، وينتج عن العداوة والكراهية الحقد والحسد والبغض وسو الظن والتقليل من القيمة والاستهزاء بالباطل.

وينتج عن العداوة والكراهية الحقد والحسد والبغض وسو الظن والتقليل من القيمة والاستهزاء بالباطل (كحيل، د.ت، ٢٦٩).

ثانياً: دوافع عقلية فكرية، وتشمل ما يلي:

- التفسير: من الدوافع العقلية والفكرية لظهور الإشاعة حاجة العقل إلى الفهم والاطلاع على أسباب ومراحل ونتائج ظاهرة جذبت انتباهه. فيكون العقل في تلك الحالة ساعيا للربط بين الظواهر وأسبابها وأدلتها للإجابة على الأسئلة التي تلح عليه.
- دافع التوقع والاستباق: ويتمثل هذا الدافع في ادعاء أحدهم العلم أمام العديد من الأفراد ليظهر بصفة العارف؛ حتى ترتفع مكانته كمحلل للأحداث ومفسر للظواهر (أكحيل، ٢٠١٥).

أضرار الشائعة:

إن في ترويج الشائعات إظهاراً للمنكرات؛ لأن المرء عندما يسمع عن خلق كثير بأنهم يفعلون منكراً معيناً يخف استنكار هذا الفعل في قلبه مما يحتمل معه إقدامه عليه، ولذلك جعل الله ترويج الشائعات من إشاعة الفاحشة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون﴾ [النور: ١٩]؛ قال ابن كثير: "هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ فقام بذهنه شيء منه، فلا يتكلم به ولا يكثر منه ولا يشيعه ولا يذيعه فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح" (ابن كثير، ١٩٨٠، ج٣، ٢٨٥).

وفي حادثة الإفك عاب الله على الذين يروجون تلك الشائعة النكراء بقوله: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيم. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيم إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيم. وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيم. يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِين﴾ [النور: ١٤-١٨]. وعبر بقوله: (تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ) مع أن التلقي يكون بالأذن؛ لأنهم يسمعونه بآذانهم ثم يتكلمون به بألسنتهم مباشرة بدون تفكير في صحته فكأنهم يتلقونه باللسان مباشرة بدون مرور على أذن تسمع ولا عقل يفكر.

قال سعيد بن جبير: في هذه الآية عبرة عظيمة لجميع المسلمين إذا كانت فيهم خطيئة، فمن أعان عليها بفعل أو كلام أو عرض لها أو أعجبه ذلك أو رضي به فهو في تلك الخطيئة على قدر ما كان منه (السيوطي، ٢٠١١، ج٦، ١٥٣).

وتعوق الشائعة عملية فهم المجتمعات لطبيعة الظروف التي تمر بها، كما أنها تجعل هذه المجتمعات عاجزة عن استيعاب الضرورات التاريخية التي تؤثر في اتجاه حركتها ونموها على أرض الواقع، وفي العموم ليس من السهل معرفة مدى خطورة الشائعات في إعاقة خروج المجتمعات من أزماتها في الوقت المناسب واكتشاف الكيفية التي تعمل بها وفهمها بهذا الاتجاه، فالشائعة تعمق الأزمة وتوسع نطاقها أيضًا، وتعمل على استفحال حالات الفوضى التي تصيب الواقع، والمشكلة الكبرى أن تهمل السلطات المعنية وأجهزة الإعلام التعامل معها ومواجهتها باعتبارها شائعات لا أهمية لها، وليست حقائق، وبهذا تتضخم الشائعات، وتصبح في مثل هذه الأوضاع مؤثرة إلى الحد الذي تعجز معها السلطات

وأجهزة الإعلام أحيانًا عن مجاراتها، ولهذا كانت الحاجة ملحة لدراسة الشائعات وتحليلها للخروج من دائرة الأزمة.(أحمد، ٢٠٠٠، ٨٦).

وتلحق الشائعة بالفرد والمجتمع الأضرار الجسيمة فبالإضافة إلى أضرارها التي نصت عليها الآية من الحكم الجائر على الأمور والتعدي على الغير بجهالة وعدم وعي، نجد للإشاعة أضرار أخرى يمكن تصنيفها إلى ما يلي:

- أضرار نفسية: تعد الإشاعة من أقوى الأسلحة التي تستخدم في الحروب ضد الأعداء، لأنه يتوجه بالدرجة الأولى إلى نفسية الفرد في المجتمع المستهدف، فيضعف من معنوياته ويصيبه بالخور والإحباط، وهذه الهزيمة النفسية للفرد تمثل حواجز أمامه فلا يفكر من تحسين وضعه أو تطوير مكانه بسبب القلق الذي تملكه بعد تصديقه للشائعات المغرضة.
- أضرار اجتماعية: لا يمكن حصر الآثار السلبية التي تلحقها الإشاعة بالمجتمع، على مستوى جميع مؤسساته، من أهم تلك الآثار أنها تساعد على نشر الخصومة والبغضاء بين أفراد المجتمع، كذلك إيصال المجتمع إلى ذروة الاهتزاز والاضطراب وعدم الثقة بإفراده وقواده، تعطيل التنمية والتطوير بالانشغال بأخبار عارية من الصحة. وإذا ما سرت الإشاعة في المجتمع وحملت مضامين سيئة أو مخيفة أو محبطة أو ليست في صالح ذلك المجتمع عامة أو تلك الفئة الاجتماعية خاصة، فإن الإشاعة سوف تنجح في مهمتها، ويستجيب لها الناس، وتحدث الأثر المطلوب.
- أضرار اقتصادية: تلعب الإشاعة دور كبير في التأثير على الاقتصاد، وتؤثر على المنتج والمستهلك سواء كان فرداً أم مؤسسة أم شركة أم دولة، ولاشك أن دوافع المنافسات الاقتصادية من الترويج لمنتجات أو تحقيق الربح أو التضخم عامل مهم في خلق وترويج الشائعات، ومحاولة كل طرف نشر الإشاعات ضد منتجات الطرف الآخر ووصفها بعدم الجودة أو الغش أو ارتفاع الأسعار وما إلى ذلك من إشاعات، والحقيقة الشائعات مضرة بالاقتصاد وتعرقل نشاطه وتطويره، وتنعكس سلبًا على المنتج والمستهلك، ولا تخدم بأي حال من الأحوال قضايا المجتمع ومسائله الاقتصادية المتنوعة.
- أضرار سياسية: تكمن خطورة الإشاعات في المجال السياسي في هز ثقة الأفراد بأولي الأمر، من خلال تتبع شؤونهم الخاصة والعامة، ومحاولة نشر القصص والأخبار التي تقلل من مكانتهم لدى العامة، مما يشجع على الخروج على النظام الحاكم، كما تؤثر الشائعات في أوقات الحروب في بث القلق بين الأفراد وزعزعة الأمن الداخلي للدولة وبث الهزيمة النفسية لدى الشعب لذلك تعد الشائعة من أقوى الأسلحة التي تستخدم ضد الأعداء.

يتضح مما سبق أن الإشاعات لها أضرارها الخطيرة في مناحي الحياة الخاصة والعامة، وهي لا تقتصر على مجال محدد، بل تمتد لتشمل كل مجالات النشاط البشري.

ملامح منهج القرآن في مواجهة الشائعات:

أسس المنهج القرآني في التصدي للشائعات:

لكل منهج أسسه وثوابته التي يقوم عليها؛ يرسي من خلالها معالم الفكر المستنير، ويعالج قضايا التربية داخل النفس الإنسانية؛ فترقى إلى منازل الفضيلة، وتنأى عن مهاوي الرذيلة، فيتحقق هدف التربية وهو إنشاء جيل صالح يعبد الله، ويمكن إجمال الحديث عن أسس المنهج القرآني في النقاط التالية:

١- الأساس العقدي (عقيدة التوحيد نموذجا):

العقيدة كل تصور ذهني تنطوي عليه نفس الإنسان، وتطمئن إليه، ويستيقنه صاحبه على نحو لا يمازجه ريب ولا شك بحقيقة الحياة والإنسان والكون، قادر على توجيه سلوكيات أفراد المجتمع وتحديد أهدافهم وغاياتهم (الأشقر، ١٩٩٩،

١١). فالمنهج القرآني يغرس معالم العقيدة الصحيحة في الفرد المسلم، ويحييها في قلبه وعقله بكل حواسه ووجدانه، ويحييها في سلوكه وتصرفاته وأعماله (فاروق، ١٩٨٦، ٨٨).

٢- الأساس الأخلاقي:

حث الإسلام على الأخلاق ودعا الناس إلى الفضيلة، والأديان السماوية كانت دعوتها هادفة إلى تحرير الإنسان من المعتقدات السابقة وإرشاده إلى الفضائل، فالخلق الكريم والاستقامة والفضيلة أساس من أسس السعادة، وهدف من أهداف الرسـالات السماوية، ولقد تربى المسلمون الأولون على هذه الأخلاق فكانت قلوبهم نظيفة وأيديهم طاهرة ووجوههم مشرقة بنور الإيمان (معمر، ٢٠١١، ٢١).

فالخُلُق هو العلم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الإنسان، والبعد عن الرذائل وكيفية اتقائها فيتخلى عنها، والإلمام بقواعد السلوك الإنساني وبالمقياس الذي تقاس به أعمال الإنسان الإرادية، فيحكم عليها بأنها خير أو شر، ومن هنا تكون الأخلاق هي المقياس الذي تقاس به أعمال الإنسان الإرادية فيحكم عليها بأنها خير أو شر (حجازي، ١٩٩٧، ١٩٧، ١٩٨).

فإذا رسخت الأخلاق في النفس الإنسانية صدرت عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا (الغزالي، د.ت، ١٩٠، ١٩١).

٣- الأساس العقلي والمعرفي:

ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان بالعقل، ومنحه طاقة يستطيع بها إدراك الأشياء على ظاهرها، وقد حرص الإسلام على تربية العقل وتنميته ليتسنى له القيام بوظيفته التي هيأه الله لأدائها، وأن يقوم بدوره في خلافة الأرض، وما فرض العلم في الإسلام إلا نوع من التربية العقلية؛ ليأخذ العقل طريقه نحو النمو والنضوج والوصول إلى النتائج العلمية والمعرفة الصحيحة (ناجي، ٢٠١٣، ١٦٣).

وقد ظهر اهتمام المنهج القرآني بالعقل والمعرفة من خلال الآتي:

- فهم الكون تعرف على الله تعالى:

إن النظر في ملكوت السموات والأرض وتدبر ما فيهما من حكم وأسرار، يوسع من مدارك الإنسان ويفسح أمامه المجال للتعرف على سنن الله في كونه للاستدلال بها على قدرة الله - (ﷻ) -، والاستفادة منها في حياته التي يقضيها وسط هذا الكون الفسيح المملوء بالعجائب والأسرار، وما يعقلها إلا العالمون، قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت: ٥٣] (بدر، ١٩٩٣، ٤٥).

- التعرف على الطبيعة الإنسانية:

فضل الله الإنسان على غيره من المخلوقات بالعقل، والعقل غذاؤه العلم والمعرفة، ومن ثم كان الإنسان الفاضل في الإسلام هو العالم. وهذا الإنسان الفاضل يزداد فضلاً بقدر ما يزداد علماً، وبهذه الحقيقة أدرك الإنسان مهمته في الكون وفي هذا الوجود، فهو خليفة الله في الأرض كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ**

خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فالبيان الحقيقي للإنسان وتكوينه ودوره في حياته النفسية والفردية والجماعية والإنسانية يمكن تلمسه من الآية القرآنية المشار إليها آنفاً، وكلمة خليفة ذات دلالات عميقة وشاملة أهمها ما يأتي (سابق، ١٩٨٠، ٥):

- يعلن الله تعالى الخالق بنفسه مَقْدِمَ الإنسان لهذا الكون. وهذا نوع من التكريم لأهميته في الحياة.
- يطلب الله من الملائكة أن يسجدوا لمعجزة خلق الإنسان لأنه كائن حي فريد في تكوينه وليس كسائر الكائنات.إنه خليفة الله للكون، فالخليفة لابد أن يكون مزوداً بوسائل الخلافة من وسائل العمل والتدبير والعقل.

٤- الأساس الوجداني:

الأساس الوجداني: هو استعداد شعوري بتجربة تأملية خاصة، للقيام بسلوك معين إزاء شيء أو شخص أو جماعة أو فكرة مجردة، وتعد العاطفة أو الوجدان استعداداً مكتسباً، وذلك لتميزها عن الميول الفطرية ثم تتأثر بالعوامل الاجتماعية، وتنمو وتقوى تحت تأثير التفكير والتأمل والتجارب الانفعالية المختلفة، ويتخذ السلوك في ظل الأساس الوجداني عدة أشكال مثل: سلوك الانتظار، أو البحث أو التوقع الذي يتوسط سلوك الإقدام والإحجام، الذي يكون مصحوباً بانفعال خاص يتمثل في الشعور بالرغبة أو الحماس أو التردد أو الغرابة أو الأمل الذي تتخلله فترات من الخيبة والقنوط. أما ما يقابل سلوك الإقدام أو الإحجام من العواطف فيمكن إجماله في عاطفتين أساسيتين هما الحب أو الكراهة، وتتخذ هاتان العاطفتان أشكالاً معينة تبعاً لموضوع العاطفة (العثماني، ١٩٦١، ٥٥٥٢).

منهج القرآن في الحد من تصديق الشائعات:

اتخذت الشريعة الإسلامية عدداً من الإجراءات للحد من تصديق المؤمنين للشائعات، منها ما يأتي:

ذم الذين يبادرون بتصديق الشائعات، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِين﴾ [التوبة: ٤٧].

- وفي حادثة الإفك عاب الله على بعض المؤمنين تصديقهم لهذه الشائعة الكاذبة فقال سبحانه: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِين﴾ [النور: ١٢].
- ورغبت الشريعة في الإعراض عن استماع اللغو، قال تعالى: ﴿(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِين﴾ [القصص: ٥٥]، ولا شك أن الشائعات المغرضة والمعلومات المضللة تعتبر من اللغو الذي يعرض عنه أهل الإيمان.
- وأمر الله بالتثبت من الشائعات قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين﴾ [الحجرات: ٦]، قال الضحاك: إذا جاءك فحدثك أن فلاناً أن فلانة يعملون كذا وكذا من مساوئ الأعمال فلا تصدقه (السيوطي، ٢٠١١، ج٧، ٥٥٨). وعلى هذا المنهج دأب علماء الشريعة في أن المدعي يطالب بالبينة.
- رغبت الشريعة في الرد على الإشاعات المغرضة يقول النبي ﷺ: (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة) (الترمذي، ١٩٧٥، رقم ١٩٣١).

- حرصت الشريعة على تهيئة المسلمين عند ورود الشائعات على احتمالها والتصرف تجاهها بما يتطلبه الموقف، قال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].
- على أن المؤمن حريص على إبعاد الشائعات عن نفسه من خلال تجنب مواطن الشبهة كما قال النبي ﷺ: (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) (البخاري، ١٩٨٧، رقم ٥٢). ولما اقترح بعض الناس على النبي ﷺ قتل بعض المنافقين امتنع وقال: (لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) (البخاري، ١٩٨٧، رقم ٣٥١٨). ولما رأى اثنان من الأنصار النبي ﷺ ومعه زوجته صفية جريا فقال: (على رسلكما إنها صفية، إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فخشيت أن يلقي في قلوبكما شيئاً) (البخاري، ١٩٨٧، رقم ٢١٧٥).

المنهج القرآني في منع انتشار الشائعات:

حوى القرآن عدة نصوص مجملة لكن عند تدبرها ترسم مناهج كاملة في التصدي للشائعة ومنع سريان آثارها السلبية في المجتمع ولعل من أبرزها ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦)} (الحجرات: ٦).

فهذه الآية حوت منهج متكامل في التعامل مع الشائعة، وبينت المنهج السليم في تلقي الأخبار ومن أهم ما حوته من تنبيهات:

أولا: سمت الآية منشئ لإشاعة بالفاسق، والمراد به هنا الكاذب (الطبري، ٢٠٠٠، ج١٠، ٣٧٦)، أو الخارج عن الطاعة وهذا معنى الفسق (النعماني، ١٩٩٨، ج١٧، ٥٣٦)، مما يدل على أن الإشاعة لا تصدر من شخص صالح معلوم صدقه، كذلك لا تخرج من فرد حريص على اتباع القوانين المسنونة في المجتمع لحفظ أمنه. وإنما تأتي من شخص فاسق، وفي هذا تنبيه للمجتمع بانتقاء المصدر عند تلقي الخبر، فمن لم يعرف بالصدق والصلاح أو كان مجهول الحال لا يصح أن نرجع إليه لمعرفة الجديد من الأخبار، أو أن نتلقف كلامه بالتصديق والنقل.

وعندما ننظر لوسائل التواصل الاجتماعي الحديثة نجد أن المصادر الرسمية للمؤسسات العامة والخاصة تمثل المصدر الموثوق في حين أن الحسابات الشخصية للتويتر أو الفيس بوك كذلك المجلات الالكترونية لاسيما غير المعروفة قد ينطبق مفهوم هذه الآية.

ثانيا: في قوله تعالى (فَتَبَيَّنُوا) التوجيه للمجتمع بأهمية التثبت والتبيّن، (واختلف القرّاء في قراءة قوله (فَتَبَيَّنُوا) ففي قراءة الجمهور بالتاء (فتبينوا) من التبين، وفي قراءة حمزة والكسائي بالثاء: (فتثبتوا)، من التثبّت" (الطبري، ٢٠٠٠، ج١، ٤٠٩).

وعند النظر في المعنى نجد هناك تفاوت بين معنى التبين والتثبت إذا اجتمعا: فالتبين التَّعَرُّفُ وَالتَّفَحُّصُ والعلم الذي حصل بعد التباس وغموض (الشوكاني، ١٤١٤هـ، ج٥، ٧١). "أَبَنْتُ الأمر: أَوْضَحْتُه، واسْتَبَانَ الشيءُ: ظَهَرَ، واسْتَبَنْتُه: عَرفْتُه، وتَبَيَّنَ الشيءُ: ظَهَرَ" (الزبيدي، د.ت، ج٢٤، ٢٩٧)، والتثبت: هو التحري والتأني والتأكد من صحة الخبر قبل قبوله أو نشره بطلب الدليل والحجة (الشوكاني، ١٤١٤هـ، ج٥، ٧١)، فـ"تَثَبَّتَ فِي الأَمْرِ والرَّأْيِ، و (اسْتَثْبَتَ): إِذا (تَأَنَّى) فِيهِ، وَلم يَعْجَلْ. واستَثْبَتَ فِي أَمرِه: إِذا شاوَرَ، وفَحَصَ عَنهُ." (الزبيدي، د.ت، ج٤، ٤٧٦) و"الثَّبَتُ، بالتَّحريك: الحُجَّةُ والبَيِّنَة" (الزبيدي، د.ت، ج٤، ٤٧٦).

ويُرى أن المعنيين متقاربان لاسيما إذا افترقا؛ لأن من تبيّن فقد تثبّت، ومن تثبّت فقد تبين (الطبري، ٢٠٠٠، ج٢٢، ٢٨٦، وابن خالويه، ١٤٠١هـ، ١٢٦) فيكون المعنى العام لهما: " ترك العجلة، والتدبر والتأني فِي الْأَمر" (السمعاني، ١٩٧٩، ج٢، ١٦٢).

والله عز وجل عندما يأمر المؤمنين بالتبين الذي هو التأني واستيضاح الأمر الغامض وإزالة ما فيه من لبس، والتثبت الذي هو التأني وطلب الدليل والحجة لقبول الخبر، هو يُعلّم ويوجّه المسلمين إلى ضرورة اتباع المنهج العلمي في قبول الأخبار، فلا يقبل خبر بلا دليل يثبته. وهذا لا يعني أننا نرد أو نتحرى ونتأنى في جميع الأخبار التي تردنا، لكن ينبغي التدقيق في التعرف على مصدر الخبر أو الراوي هل هو ممن عرف بالصلاح والصدق فيقبل أما من عرف بالفسق والتجاوز والكذب فيتبين عن خبره ويتثبت منه ويطلب له الدليل والحجة.

ومدلول الآية عام، وهو يتضمن مبدأ التمحيص والتثبت من خبر الفاسق فأما الصالح فيؤخذ بخبره، لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة، وخبر الفاسق استثناء. والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج التثبت لأنه أحد مصادره. أما الشك المطلق في جميع المصادر وفي جميع الأخبار، فهو مخالف لأصل الثقة المفروض بين الجماعة المؤمنة، ومعطل لسير الحياة وتنظيمها في الجماعة. والإسلام يدع الحياة تسير في مجراها الطبيعي، ويضع الضمانات والحواجز فقط لصيانتها لا لتعطيلها ابتداء.

ثالثا: قوله تعالى: {أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ}.

"وقوله تعالى: «أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ» هو بيان.. للعلة التي من أجلها كان الأمر بالتبين والتثبت لما يجئ للمسلمين من أنباء يحملها قوم لم يعرفوا في المسلمين بالصدق، ووثاقة الإيمان" (الخطيب، د.ت، ج١٣، ٤٤١).

وقوله "بجهالة " معناها أعم من ارتكاب الخطأ وهو الوقوع في الزلل والطيش والسفه (ابن الأثير، ١٣٩٩هـ، ج٢، ٣٧٦). مما يصور سوء النتيجة التي وقعوا بها ويحكي خطورة الموقف الذي وصلوا إليه.

كذلك نجد أن قوله تعالى: «بِجَهالَةٍ» إلفات للمسلمين إلى ألّا يقيموا أمرا من أمورهم على جهل، وعلى عدم رؤية واضحة لهذا الأمر، فذلك من شأنه إن أصاب مرة أن يخطئ مرات كثيرة. فالآية بينت نتيجة تلقي الخبر دون استخدام المنهج الذي أوصت به في قبوله وهو أننا سنصيب قوماً بجهالة وسنقع في الخطأ وسنوقع الضرر على بعض فئات المجتمع ونحن جاهلون حالهم، وهذه أسوء نتيجة لقرار أو حكم يتخذه الفرد أو القائد في المجتمع.

رابعاً: قوله {فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}. يبين لنا القرآن الأثر النفسي الناتج من عدم إتباع المنهج العلمي في تلقي الخبر، وهو الندم والأسف، فجاء في تفسير قوله تعالى: «فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ» أي أن الأخذ بالنبأ الوارد من فاسق قبل التثبت منه، يعود على المسلمين بالحسرة والندم، لأنهم وضعوا الأمر في غير موضعه، ورتّبوا على هذا القول الكاذب أمورا لا يمكن إصلاحها بعد أن وقع عليها ما وقع" (الخطيب، د.ت، ج١٣، ٤٤١).

فالآية تحكي النتائج السيئة التي تترتب على تصديق خبر الفاسق، وقوله (فَتُصْبِحُوا) بمعنى تصيروا، والندم: غم يلحق الإنسان لأمور وقعت منه، ثم صار يتمنى بعد فوات الأوان عدم وقوعها (طنطاوي، ٢٠٠٩، ج١٣، ٣٥٠). وهذا يصور الحالة النفسية والندم الشديد والغم وتأنيب الضمير للفرد بعد حكمه وقبوله للخبر، لما أقدم عليه من أمور وما ارتكب من أخطاء في فئة من الأفراد بناء على أمور لا أساس لها من الصحة، لدرجة أن يتمنى لو يعود الزمن حتى يصحح موقفه ولم يصدر منها هذا التصرف، وهذه أشد درجات الندم من الإنسان على تصرفاته المسبقة.

وفي هذا التصوير البياني تصوير لمآل وعاقبة من يقبل الخبر متهاونا في منهج التبين والتثبت في تلقي الأخبار من مجهول الحال، ويكفي اللبيب التأمل في ذلك للالتزام بمنهج القرآن في تلقي الخبر والابتعاد عن قبول الشائعات.

خامساً: التعبير في الآية بأداة «إن» التي تفيد الشك، ولم يأتي التعبير بـ: «إذا» لأنها تفيد التحقيق؛ للدلالة على أن وقوع مثل هذا الحدث في المجتمع الإسلامي على سبيل الندرة، وأن الأصل في المؤمن الصدق والبعد عن إصدار أو ترويج أي خبر عارٍ من الصحة (البقاعي، د.ت، ج١٨، ٣٦٤).

ومن هداية الآية نعلم أهمية انتهاج منهج التثبت من الأخبار، والتحذير من الاعتماد على مجرد الأقوال، فلا يقبل خبر إلا بدليل يثبت صحته فالمنهج العلمي يكون من طبع الفرد في تعامله مع الأخبار التي ترده؛ منعًا من إلقاء الفتنة بين أفراد وجماعتهم، وأخذًا بالحيطة والحذر، وعدم إيذاء الآخرين بخطأ فادح، فيصبح المتسرع في الحكم والتصديق نادمًا على العجلة، وترك التأني والتأمل.

ولو تأملنا علاج الشائعات ومنع تفشيها في المجتمع الذي أرشدت له الآية هو عبارة عن غرس قيمة أخلاقية في شخصية الفرد المسلم، بحيث إذا حاد الفرد عن هذه القيمة ووقع في الزلل والخطأ شعر بالندم وتأنيب الضمير، وهذا الأسلوب الذي يتعمد على غرس القيم في أفراد المجتمع يعد من أقوى طرق العلاج الذي يمكن أن تتخذ في دفع آفات المجتمع.

كذلك من الآيات الملهمة التي تضمنت توجيه متكامل في منع انتشار الشائعة: قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)**﴾ (النساء: ٨٣).

{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ} أي إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم (الطبري، ٢٠٠٠، ج٨، ٥٦٩، والسعدي، ٢٠٠٠، ٨٣، وطنطاوي، ٢٠٠٩، ج٢، ٨٦٤). ومعنى قوله تعالى: {أَذَاعُوا بِهِ}: أي افشوه وبثوه (الطبري، ٢٠٠٠، ج٨، ٥٦٩).

فالآية تنبه على خطورة نشر وإذاعة ما يسمعه المرء من أخبار هي محط الاهتمام وتتعلق بالمصالح العامة أو بالأمور الأمنية أو هي أشياء تثير مخاوف الأفراد حاضراً أو مستقبلاً لاسيما في فترات الحروب، فإن التجاوز بإفشاء هذه الأخبار وتناقلها يضر بالصالح العام. فالواجب على الأفراد أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بل يردونه إلى أهل الرأي والعلم والنصح، بمعنى أن يرد الخبر إلى المصادر الرسمية المسئولة عنه، فتلك المصادر تعرف هل المصلحة في إذاعته ونشره أو الأفضل عدم التصريح به، وهل هذا الخبر صحيح أم أضيف له كثير من المعلومات المغلوطة أو هو عارٍ من الصحة تماماً. فقوله تعالى: (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أي يستنتجون ويستخرجون بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة ما هو الأصلح للمجتمع في ذلك، ثم قال الله تعالى في خاتمة الآية: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) هذا امتنان من الله تعالى، على عباده المؤمنين بحفظهم من شر هذا السلوك الشائن الصادر من ضعاف الإيمان وذوي الغفلة خلال توجيههم للمنهج الأصلح (الطبري، ٢٠٠٠، ج٨، ٥٦٩، والسعدي٢٠٠٠، ٨٣، وطنطاوي، ٢٠٠٩، ج٢، ٨٦٤).

فالآية منهج عظيم للشعوب الإسلامية في المحافظة على السرية فما يتعلق بالأمور الأمنية، فكل فرد هو رجل أمن في مجتمعه ومسئول عما يتفوه به من أخبار، فلو اطلع على أمر ذي بالٍ ويسبب إرجاف وبلبلة في الدولة أياً كان مجال هذا الخبر، فالواجب شرعياً ألا يتعجل ويتأنى ويحافظ على السرية ويتواصل مع الجهات الرسمية المسئولة عنه، وذلك لكونهم الأعلم بما هو أصلح لأمن المجتمع هل التكتم عليه أفضل أمنياً حتى وإن كان ذلك الخبر صحيحاً، أو إذاعته والتصريح به بأسلوب لا يسبب إرجاف وتشويش لأمن الدولة.

فلو وعى المسلمون معنى هذه الآية لما احتيج للتوعية عن أضرار الإشاعة لاسيما في فترات الحروب أو الجوائح أو الفترات الحرجة التي تمر بها الدول، ولدفعت كثير من الأضرار النفسية والاقتصادية والبدنية الناتجة عن عدم الالتزام بهذا المنهج.

الخاتمة:

هدفت الدراسة تناول منهج القرآن في التصدي للشائعة وأثره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع، ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام المنهج الاستنباطي، وجاءت الدراسة مكونة من إطار عام شمل المقدمة وقضية الدراسة وأسئلتها وأهدافها وأهميتها ومنهجها، ثم مبحثين: المبحث الأول: التعريف بالشائعات وأضرارها في الإسلام، وتكون من خمسة مطالب: المطلب الأول: تعريف الشائعات لغة واصطلاحاً، المطلب الثاني: الإشاعة من منظور إسلامي، المطلب الثالث: مرادفات الشائعة في القرآن الكريم، المطلب الرابع: دوافع الإشاعة، المطلب الخامس: أضرار الشائعة، المبحث الثاني: ملامح منهج القرآن في مواجهة الشائعات، وتكون من ثلاثة مطالب: المطلب الأول: أسس المنهج القرآني في التصدي للشائعات، المطلب الثاني: منهج القرآن في الحد من تصديق الشائعات، المطلب الثالث: المنهج القرآني في من انتشار الشائعات، ثم خاتمة بها أبرز نتائج الدراسة وتوصياتها ومقترحاتها، وكان من أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ما يلي:

١. للقرآن موقف واضح ومحرم للإشاعة فقد جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي حذر الله عز وجل بها من الكذب والإدعاء وإثارة الفتن ونشر الفسق وإثارة الشك والظن بالآخرين.

٢. الشائعة هي ترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع أو هي المبالغة التي تكون في سرد خبر يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة. وتنتقل عن طريق اللفظ أو من خلال النكتة أو الحركة التعبيرية، وتهدف إلى التأثير على تفكير الإنسان وعلى انفعاله وخياله بصورة تجعله يضيف إلى الشائعة كلامًا وفي الوقت نفسه تزداد انتشارًا وجاذبية.

٣. عبر القرآن عن مصطلح الإشاعة بعدة ألفاظ منها: الإرجاف والإذاعة.

٤. تتعدد دوافع الشائعات ويقسمها العلماء إلى ما يلي: أولاً: دوافع نفسية انفعالية، وتشمل: تحقيق المصلحة، والإسقاط، وجذب الانتباه والاستمالة، والعداوة والكراهة، ثانياً: دوافع عقلية فكرية، وتشمل ما يلي: التفسير، ودافع التوقع والاستباق.

٥. تلحق الشائعة بالفرد والمجتمع الأضرار الجسيمة يمكن تصنيفها إلى ما يلي: أضرار نفسية، وأضرار اجتماعية، وأضرار اقتصادية، وأضرار سياسية.

٦. تتمثل أسس المنهج القرآني في التصدي للشائعات فيما يلي: الأساس العقدي، والأساس الأخلاقي، والأساس العقلي المعرفي، والأساس الوجداني.

٧. اتخذت الشريعة الإسلامية عدداً من الإجراءات للحد من تصديق المؤمنين للشائعات، منها ما يأتي، ذم الذين يبادرون بتصديق الشائعات، والترغيب في الإعراض عن استماع اللغو، والأمر بالتثبت من الشائعات.

٨. حوى القرآن عدة نصوص مجملة لكن عند تدبرها ترسم مناهج كاملة في التصدي للشائعة ومنع سريان آثارها السلبية في المجتمع.

التوصيات:

١. ضرورة تفعيل معالم المنهج الإسلامي في محاربة الشائعات من خلال المؤسسات المجتمعية المختلفة.

٢. العمل على التوعية المجتمعية بالشائعات وأضرارها على الفرد والمجتمع.

٣. الاستفادة من التراث الإسلامي في مواجهة الشائعات عبر الفترات التاريخية المختلفة.

٤. سن قوانين صارمة لمعاقبة مروجي الشائعات للحد منها سواء في الواقع أو من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

٥. توجيه أفراد المجتمع لضرورة التثبت في قبول الأخبار وترديدها من المصادر الموثقة.

٦. توعية أفراد المجتمع بالجهات والمواقع الإلكترونية التي تبث أخباراً ملفقة وتحذيرهم من الاعتماد عليها في استقاء الأخبار والمعلومات.

المقترحات:

١. عوامل انتشار الشائعات في المجتمع وكيفية الحد منها في ضوء الرؤية الإسلامية.

٢. دور العقيدة الإسلامية في محاربة الشائعات وكيفية تفعيله في الواقع المعاصر.

٣. تصور مقترح لدور الجامعة في محاربة الشائعات وفق الرؤية الإسلامية.

٤. منهج السنة النبوية المطهرة في محاربة الشائعات وكيفية تفعيله في الواقع المعاصر.

المراجع

- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ). (١٩٧٩). النهاية في غريب الحديث والأثر، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد. (١٤٠١هـ). الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم،الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة الرابعة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (المتوفى: ١٣٩٣هـ). (٢٠٠٠). التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ). (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الفكر،عام النشر
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). (١٩٨٠). تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ). (١٤١٤هـ). لسان العرب دار صادر، بيروت،الطبعة: الثالثة.
- أحمد، غريب محمد (٢٠٠٠). الآثار الاجتماعية للحرب النفسية والشائعات، الرياض، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.
- الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ). (٢٠٠١). تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأشقر، عمر سليمان. (١٩٩٩). العقيدة في الله، ط١٢، دار النفائس، الأردن.
- أكحيل، رضا عيد حمودة. (٢٠١٥). الشائعات في المواقع الإخبارية الأردنية وتأثيرها في نشر الأخبار من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، رسالة ماجستير، قسم الإعلام: كلية الإعلام: جامعة الشرق الأوسط
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٩٨٧). صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير.
- بدر، عبد اللطيف محمد. (١٩٩٣). تابع وسائل تربية الفرد المسلم: التربية العقلية، مجلة التوحيد، ع١، س٢٢، جماعة أنصار السنة المحمدية، مصر.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ). (د.ت). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. (١٩٧٥). سنن الترمذي، ج٤ تحقيق: إبراهيم عطوة، القاهرة، مطبعة الحلبي.
- التهامي، مختار. (٢٠٠٩). الرأي العام والحرب النفسية، الجزء الأول، ط (٤)، القاهرة، دار المعارف.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ). (١٩٨٧). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،الناشر: دار العلم للملايين، بيروت،الطبعة: الرابعة.
- حاتم، محمد عبد القادر. (٢٠٠٢). الإعلام والدعاية نظريات وتجارب، الأنجلو المصرية، القاهرة.
- الحارثي، سعود بن سعد بن شارع. (٢٠١٠). التربية بالملاحظة في ضوء الكتاب والسنة وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى.
- حجازي، سامي. (١٩٩٧). التربية الأخلاقية ضرورة للحياة الإنسانية، مجلة التربية، ع١٢٣، س٢٦، قطر.
- حماد، شريف علي. (٢٠١١). التأصيل الشرعي للإعلام الدعائي وترويج الإشاعات. جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.
- الخطيب،عبد الكريم يونس (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) (د.ت). التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.
- رجب، مصطفى. (٢٠٠٠). الإعجاز التربوي في القرآن الكريم، جدار للكتاب العالمي، عمَّان.
- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (المتوفى: ٢٠٥هـ) (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى. (١٤١٨هـ). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر- دمشق، الطبعة: الثانية.

- زيود، حازم حسني حافظ. (٢٠٠٩). التربية الوقائية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية بفلسطين.
- سابق، سيد. (١٩٨٠). التربية العقلية في الإسلام، ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، السعودية.
- ساسي، منذر الحاج. (١٩٩٩). الإشاعة في النص القرآني ومدلولها الاجتماعي، رسالة دكتوراه، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ). (٢٠٠٠). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني (المتوفى: ٤٨٩هـ). (١٩٩٧). تفسير القرآن: المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (٢٠١١). الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المكتبة الوقفية.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ). (١٤١٤هـ). فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ). (٢٠٠٠). جامع البيان في تأويل القرآن المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- طنطاوي، محمد سيد. (٢٠٠٩). التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- عبد التواب، إبراهيم رضوان. (٢٠٠٨). مصر والحرب النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- عبد اللطيف، محمد فؤاد، والغنام، محمد عبد القوي شبل، وعبد النبي، كمال حامد. (٢٠٢٠). منهج القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية في التعامل مع السلوكيات الخاطئة في ضوء آيات النهي (دراسة تحليلية)، مجلة التربية، كلية التربية بنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، العدد ١٨٧، الجزء الخامس، يوليو.
- عبد الله، معتز سيف. (٢٠٠٩). الحرب النفسية، والشائعات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
- العثماني، راغب. (١٩٦١). من وحي العقل حاجتنا إلى تربية عواطفنا، ع٧، ج٦، هدي الإسلام، الأردن.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (د.ت). إحياء علوم الدين، ج٥، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي. (د.ت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.
- كحيل، عبد الوهاب. (د.ت). الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول عبد الوهاب كحيل، عالم الكتب: بيروت.
- معمر، جلول خدة. (٢٠١١). الدراسات الفلسفية الأخلاقية في الفكر المغاربي المعاصر، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر.
- منصور، فاروق. (١٩٨٦). التراث التربوي الإسلامي: القرآن منهج للدين والعلم، مجلة التربية، ع٧٩، قطر.
- ناجي، قاسم صالح. (٢٠١٣). الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني من خلال مؤلفه إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة، ج١، دار عالم الكتب، الرياض.
- النجار، فهمي. (د.ت). الحرب النفسية أضواء إسلامية، دار الفضيلة، الرياض.
- نصر، صلاح. (١٩٧٩). الحرب النفسية -معركة الكلمة والمعتقد، الناشر: دار القاهرة للطباعة والنشر - القاهرة، الطبعة: الثانية ١٣ ابريل-.
- النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ). (١٩٩٨). اللباب في علوم الكتاب، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
- هاشم، سامي محمد. (٢٠٠٣). الشائعات من المنظور النفسي في عصر المعلومات، ندوة الشائعات في عصر المعلومات، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض.
- الهمص، عبد الفتاح عبد الغني، وشلدان، فايز كمال. (٢٠٠٩). الأبعاد النفسية والاجتماعية في ترويج الإشاعات عبر وسائل الإعلام وسبل علاجها من منظور إسلامي. الجامعة الإسلامية، فلسطين.

من أسس بناء النظام الاجتماعي في المجتمع المسلم
قراءة سوسيولوجية (المؤاخاة) كأساس لبناء المجتمع الإسلامي
One of the foundations of building a social system in a Muslim society
A sociological reading (brotherhood) as a basis for building an Islamic society

أ.د. سليمان بن عبدالله العقيل - أستاذ علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

هذه الدراسة بحث في التنظيم الأول(الاخوة) كفعل اجتماعي، في إطار إيجاد آلية محددة للبدء ببناء المجتمع وتنظيمه، ومن ثم قيامه على أسس قوية سوف يستمر عليها. ويعد فعلا اجتماعيا بالقدر الذي يضع فيه الفاعلون السلوك حسب توجه وتصريفه. إن فكرة (الأخوّة)، كتنظيم، لبناء المجتمع الاسلامي تنقسم إلى قسمين: الأول: ما يفسر من الناحية الدينية لارتباطها بالعقيدة الإسلامية. الثاني: ما يفسر من الناحية الاجتماعية، كتنظيم اجتماعي ينظم حركة حياة المجتمع. يهدف هذا البحث لاستعراض أهمية (الأخوة) وتتبعها بجانبيها الديني والاجتماعي. مع التأكيد على الجانب الاجتماعي لاستكشاف وتحليل علاقة (الأخوة) ببعض المفاهيم الاجتماعية الأخرى مثل النظام الاجتماعي وتنظيم المجتمع والتفاعل الاجتماعي والاغتراب والتغير الاجتماعي والسلوك الجمعي وتحليل تلك العلاقة اجتماعياً، ومحاولة ربط (الأخوّة) بالمفاهيم الأخرى ربطاً اجتماعياً يُظهِرُ أهمية الأخوة في المجتمع الإسلامي في ضبط حركة المجتمع وفعل الأفراد والسلوك الناتج عن تلك العلاقة وتوجيه ذلك كله.

الكلمات المفتاحية: النظام الاجتماعي – المجتمع المسلم

Abstract

This study examines the first organization (brothers) as a social act, within the framework of finding a specific mechanism to start building and organizing the community, and then establishing it on strong foundations that it will continue on. It is considered a social act to the extent that the actors set the behavior according to its direction and conduct. The idea of (brotherhood), as an organization, to build the Islamic community is divided into two parts: The first: what is explained from the religious point of view of its connection to the Islamic faith. The second: What is explained from the social point of view, as a social organization that regulates the movement of society's life. This research aims to review the importance of (brotherhood) and follow it with its religious and social aspects. With an emphasis on the social aspect of exploring and analyzing the relationship of (brotherhood) with some other social concepts such as the social system, community organization, social interaction, alienation, social change, collective behavior and analysis of that relationship socially, and an attempt to link (brotherhood) with other concepts socially, showing the importance of brotherhood in Islamic society in controlling movement Society, individual action, and behavior resulting from that relationship and directing it all.

Keywords : social system - Muslim society

مقدمـــــة:

تحـدّثت كتب الحديث والسيرة والتاريخ بأشكال مختلفة عن فترة زمنية، بعث فيها النّبي صلى اللّـــه عليه وسلم في مجتمع مكـــــــــة، ثم هاجر إلى المدينة المنورة، وأنشـأ فيها مجتمعا اعتبر مجتمعا مثاليا من حيث الفكرة والهدف والتنظيم. وحين ينظر الباحث من ُبعد الى تلك الحقبة التاريخية، يجد أن هناك مادة غزيرة جديرة بالنظر فيها، وإعادة دراسـتها خصـوصـاً في هذه الفترة التي يمرّ بها المجتمع الإسـلامي؛ لتعاقب الثقافات والاحتكاك الثقافي، والتواصـل العلمي الفكري بين المجتمعات البشرية والمجتمع الإسـلامي. وفي الجانب الآخر الزخم الهائل من الموروث الإسـلامي المعتمد أسـاسـا على جانب ديني، وكذا تأرجح الفكر الاسـلامي المعاصـر بين التراث الاسـلامي، ومسـتجدات العصـر الحديث. وكما أثبت التاريخ، فإن الغالب يفرض ثقافته وتنظيمه الاجتماعي، على المجتمع المغلوب، قال بذلك ابن خلدون. (١) وقال أبو حيان التوحيدي أيضـاً (٢)، عن عصـره "اكتسـب الناس عادات، وعقلية جديدة لم تكن موجودة لديهم من قبل"، وكذا هي سنة اللّـــــــه في المجتمع. ومن ذلك يحدث نوع من التجديد لبعض المفاهيم الاسلامية، مع ما استجدّ من مفاهيم وخلافه، وتكون الغلبة للقوة، والتجديد، وكذا يُفصل بينها وبين روحها، ونقصد بذلك النظم الاجتماعية الإسلامية، والاعتقاد.

ولقد مرّ الفكر الإسـلامي بأزمات وتجارب عديدة، تولّدت منها اتجاهات وتيارات فكرية وتطبيقات فقهية مختلفة ونظرات للمجتمع وحركته من منطلق تلك الاتجاهات، وذلك نظراً لتطوّر الحياة الاجتماعية وانفتاح المجتمع الإسـلامي على المجتمعات الأخرى. وتنطلق نظرة الإســلام الى المجتمعات بجميع حركتها من أنها ذات أصـــل واحد، وأن تلك المجتمعات والشـــعوب أصـــبحت أجزاء مختلفة في بعض المظاهر الحياتية، ولكنها تجتمع جميعاً في نظرة واحدة، هي أنها مجتمع بشـــري، يتشـــابه في الفعل. وقد نجد أن تلك الفكرة موجودة في تراث بعض المجتمعات الاخرى، ولكن المفهوم الإسلامي لها يختلف في الاعتقاد وفي الممارسة. إذ إنه لا يفرّق بين الناس على أساس اللون أو العرق أو خلافه من الناحية الدينية أو الاجتماعية. ذلك أن الأمر جاء من الخالق بهذا التعليم لكي تتم عمارة الأرض وتحقيق ما أمر به الإسلام، لذا فإن معظم المفاهيم الإسلامية ذات جانب اجتماعي.

من تلك المفاهيم (الأخوة) ودورها في تأسيس المجتمع، وكذا صيانته على فترات، حينما تكون هناك حاجة لذلك، وتكون مستمرة باستمرار المجتمع أو الجماعة وبقائهما.

أهميـــة البحـــث:

تزخر كتب السنة والسيرة والتراث الإسلامي بالكثير من المفاهيم والممارسات التي كانت في مرحلة الإعداد لإنشاء المجتمع الإسلامي الأول. من هذه المفاهيم والممارسات مفهوم (الإخاء) وممارسته، ذلك المفهوم الذي ظهر في أول قيام المجتمع. ولا يخلو هذا المفهوم من التسـاؤلات التي تدور حوله: هل هو تنظيم اجتماعي؟ أم تنظيم للمجتمع؟ أم نوع من العصـبية؟ أم تكتل اجتماعي، اقتصـادي نفسـي؟ أم هو مرحلة أولى لإعداد مجتمع جديد يكون متكاملاً ويحوي كل هذه المفاهيم السـابقة من الناحيتين العملية والنظرية، لذا فهو تعليم رباني أكّده القرآن الكريم، كمفهوم جاء ليبقى، ويستمر، مع بقاء واستمرار، القـرآن الكـريم.

ثم إن هنـاك من ينظـر الى نظـام المؤاخاة، الذي جاء مـع بدايـة التنظيم الاسلامي للمجتمع في المدينة المنورة باعتباره أحد الأسـس لتنظيم الجماعة والمجتمع في بدايات التكوين، حيث كان المسـلمون يعيشـون بين فئات مختلفة في الاعتقاد منبعاً، وفي الحياة الاجتماعية سلوكا، وكذا فان المسلمين أنفسهم كانوا يعيشون مرحلة جديدة من حياتهم المرتبطة بالنّبي الكريم صلى اللّـــه عليه وسلم، حيث التعليمات والأوامر والنواهي تتعاقب يأخذ بعضها بعجز بعض، وكذلك فجزء من المســلمين مهاجرون إلى المدينة وهي بيئة تختلف عن بيئتهم الأصـــلية (مكة) ولذلك فلابد من إيجاد نظام ضـــروري

لاستمرار وجود المجتمع، فكانت تلك (المؤاخاة) وتلتها (الأخوة) لأن هذا النظام يعتبر المحرك غير المادي المستمر في صياغة العلاقات وإعادة صياغتها وتشكيلها بين أفراد المجتمع، وتذهب النظرة الى أبعد من ذلك، باعتبارها كتلة عاطفية وشحنة شعورية تدفع إلى الحاجة للاتحاد، والاندماج في كيان واحد. فالمجتمعات تبحث ثم تتشبث بمثل هذه المفاهيم في ربطها الشعوري النفسي، وكذلك لابد من وجود مثل هذه التنظيمات غير البيروقراطية بالمفهوم الحديث لها، والتي تدعم وجودهم، وتؤكّد على استمراريتهم.

لذا فان أهمية البحث تكمن في استجلاء بعض الجوانب الحديثة لهذا المفهوم (الأخوة) ومحاوله مناقشته من وجهة نظر علم الاجتماع، التي قد تكون إضافة لفهم تراث المجتمع الإسلامي، بل ومدخلاً لمناقشة الكثير من المفاهيم في التراث الإسلامي من الوجهة الاجتماعية البحتة لفهم حركتها وآلياتها الاجتماعية.

هدف البحث:

إن الكثير من الأفكار، وبخاصة ما كان يدور في عصر التنوير، يزعم بعض مفكري الغرب أنها من إنشائهم، قد يكون الأصل فيها للحضارة العربية الإسلامية التي انتشرت وترجمت في الغرب ومن ثم اتصفت بصفاتهم وأصبح قصب السبق لهم، لأنهم أخرجوها بهذا الثوب الجديد. ويذكر على سبيل المثال لا الحصر فكر ابن خلدون، الذي يعتبر الأساس في معظم الأفكار التي جاءت فيما بعد مثل فكر ميكيافيللي وماركس وروسو ودوركايم وغيرهم، فإذا كان بعض من مفكري الغرب قال بأفكار اجتماعية معينة، فلا يعني ذلك ابتداعها، أو أن أصلها يرجع إلى الفكر الديني الغربي، بقدر ما يكون أصلها مستمداً من الفكر الإسلامي، فالإسلام أكثر الديانات التي أكّدت أهمية المجتمع والجماعة، وديناميا‌تها وحاولت تنظيم العلاقات القائمة بين الفرد والمجتمع والتجمعات والجماعات والمجتمعات الأخرى، والكثير من نصوص القرآن والسنة النبوية وتراث السلف تدل على ذلك. لذلك فإن محاولة استخدام بعض الأفكار الغربية ومطابقتها، لا تعني بالضرورة استقلاب تلك النظريات والأفكار حتى تتناسب مع النصوص الإسلامية، أو محاولة التأكّد من النصوص الإسلامية بعرضها على النظريات الغربية، ولكن القصد محاولة المطابقة لإثبات أن الأصل هو في النصوص الدينية الإسلامية، والدعوة إلى محاولة تفسيرها تفسيراً اجتماعياً يناسب الواقع المتغير، ومحاولة التنظير لهذا الواقع من خلال تلك النصوص وتفسيراتها المعاصرة، والقاعدة في ذلك أن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان. ولأن مفهوم الاخوّة وممارستها ينتج عنه أفعال اجتماعية، فإن علم الاجتماع يوصف انه علم يكرّس جهوده للوصول الى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي Social Action وأسبابه ومصاحباته والنتائج المترتبة على ذلك. ويعرّف الفعل الاجتماعي بوصفه نتاجا للمعنى الذاتي الذي يخلّفه الأفراد على سلوكهم، سواء كان هذا المعنى واضحاً أو كامناً. ويعد الفعل اجتماعيا بالقدر الذي يضع فيه الفاعل سلوك الاخرين في حسبانه توجهاً وتصرفاً (٣)، فالفكرة الإسلامية حول (الأخوّة) وغيرها من الأفكار تنقسم إلى قسمين: الأول: ما يفسر هذا المفهوم من الناحية الدينية حيث ارتباطها بالعقيدة الاسلامية مباشرة وأدبيات ذلك الارتباط من ناحية الأجر والعقاب والرضى وغير ذلك. أما القسم الثاني: فهو ما يختص بالمجتمع، إذ أن هذا المفهوم (الأخوة) له علاقة مباشرة بحركة المجتمع من التفرّق إلى الوحدة ومن الانحلال إلى التماسك، وعلاقة هذا المفهوم بتلك الحركة، هي قدرته على تفعيل العناصر الداخلية التي تزيد من القدرة والفاعلية وتحقيق هدف ذلك المفهوم المطلوب منه. لذلك فإن البحث يهدف إلى استعراض أهمية (الأخوة) وتتبعها بجانبيها الديني والاجتماعي. مع التأكيد على الجانب الاجتماعي لاستكشاف وتحليل علاقة (الأخوة) ببعض المفاهيم الاجتماعية الأخرى مثل النظام الاجتماعي وتنظيم المجتمع والتفاعل الاجتماعي والاغتراب والتغير الاجتماعي والسلوك الجمعي وتحليل تلك العلاقة اجتماعياً، ومحاولة ربط (الأخوّة) بالمفاهيم الاخرى ربطاً اجتماعياً يُظهِرُ أهمية الأخوة في المجتمع الإسلامي في ضبط حركة المجتمع وفعل الأفراد والسلوك الناتج عن تلك العلاقة وتوجيه ذلك كله.

المـؤاخــاة والأخــوة:

حينما قدم النبي صلى اللّـــه عليه وسلم الى المدينة المنورة (يثرب) مع مَنْ هاجر مِن مكة، كان المجتمع جديدًا عليهم وكان معظمهم لا يملك المال فأصبحوا ـــ فئة في نظر المجتمع المهاجر إليه ـــ عالة على غيرهم عديمي القوة، والمكانة، مسلوبي الارادة. ولأن القوة تكمن في المكانة الاجتماعية والاقتصادية فقد أقدم النبي صلى اللّـــه عليه وسلم على خطوات عملية من شأنها رفع مستوى الفئة المسلمة (نواة المجتمع الجديد) من جميع النواحي وإحداث بعض النظم التي تكفل لهم بقاءهم وحدةً واحدة حتى ينهض المجتمع الواعد، ويحقق الآمال والطموحات التي كان قد قالها لبعض صحابته، سواء كانت في الحياة الدنيا أو في الآخرة، ولكنها وعود دافعة نحو التلاؤم والوحدة وإنشاء مجتمع يقوم على تلك القيم، بالإضافة إلى أنها جزء من الدين. وتذكر كتب السير والحديث والتاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم قد وعد آل ياسر بالجنـــة (٤)، وكذا وعد سراقة بن مالك بأن يعطيه مفاتيح كسرى، وغير ذلك من الوعود لأشخاص معينين أو لعامة أفراد الجماعة أو المجتمع الاسلامي. (٥)

ومن الخطـــوات العملية التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلّم بناؤه المسجـــد، واجتماع المسلمين فيه ليكوّن الجماعة الاولى في المجتمع الجديد، ليعمل على إحداث نوع من إعادة التنشئة الاجتماعية لكل من المهاجرين والانصار. ثم كانت الخطـــوة التي تلت ذلك المؤاخاة، فقد أراد النبي صلى اللّـــــه عليه وسلم أن يوجد تشريعا يعالج للمهاجرين أوضـــاعهم الاقتصـــادية وذلك بتعاونهم مع أهل المدينة (الانصـــار) في إيجاد مصـــادر رزقٍ لهم ومحاولة دمجهم في المجتمع وتكيفهم فيه، ويشعرهم أيضا بأنهم ليسوا عالة على اخوانهـم الأنصار فكـان أن شـرّع نظـام المؤاخـاة.(٦) وذكر ابن حجر (٧)، أن من أغراض المؤاخاة أن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوة، فآخى النبي صلى الله عليه وسلّم، بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر مؤاخاته صلى اللّـــــه عليه وسلم لعلي بن أبي طالب، لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثـــة واستمر الي ما بعدهما، وكذا مؤاخاة حمزة بن عبدالمطلب وزيد تن حارثة£ لأن زيدًا مولاهم فقد ثبّت أخوتهمـــــا ، وهمـــــا من المهـاجـرين. وقد آخى النبي صلى اللّـه عليه وسلم لما قدم المدينة بين المهاجرين بعضهم ببعض، وآخى بين المهاجرين والأنصار. آخى بينهم على الحق والمساواة ويتـوارثون بعـد الممـات دون ذوي الأرحـام. وقيـل إن إعلان المـؤاخـاة كـان فـي المسجـد، وقيـل كانـت المـؤاخـاة فـي دار أنـس ابـن مـالـك. (٨)

في البدء قال الرسول صلى اللّـــه عليه وسلم للأنصار "إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا عليكم، فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال النبي صلى اللّـــــه عليه وسلم، أو غير ذلك؟ قالوا وما ذاك يا رسول اللّـــــه قال: هم لا يعرفون العمل، فتكلفونهم وتقسمونهم الثمر قالوا نعم. (٩)

وفي رواية أخرى، قال الأنصار للنبي صلى اللّـــه عليه وسلـم إن شئت فخـذ منا منازلنا، قال لهم خيرًا، وابتنى لأصحابه في أرض وهبتها لهم الأنصار ليست ملكاً لأحـد. (١٠)

وفي روية ثالثة، قالت الأنصار للنبي صلى اللّـــه عليه وسلم: اقسم بيننا وبينهم النخل قال النبي صلى اللّـــه عليه وسلم: لا. قال يكفونكم المؤونة ويشركونكم في الثمر، قالـوا: سمعنـا وأطعنـا. (١١)

ومن التطبيقات العملية لهذه المؤاخاة، قصـة عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقد قال سعد ابن الربيع لعبدالرحمن بن عوف، إني أكثر الأنصـــار مالاً، فأقســـم لك نصـــف مالي، وانظر أي زوجتيّ هويت نزلت لك عنها ، فإذا حلّت تزوجتها، فقال عبدالرحمن بن عوف، لا حاجة لي في ذلك. ثم سأله هل من سوق فيه تجارة؟ فدلّ على سوق بني قينقاع. والقصة مذكورة بالكامل في فتح الباري. (١٢)

وتزخر كتب الســـيرة والتاريخ بالقصـــص التي حدثت بين المهاجرين والأنصـــار من مواقف جليلة، فيها من التنازل عن الذات، والمآثر، ما يشجع على دراسة ذلك المجتمع بديناميكياته وتفاعلاته.

إذاً، فالنبي صلى اللّـــه عليه وسلم جمع ـ في تلك العملية ـ بين المهاجرين والأنصار، وبين المهاجرين أنفسهم وعيّن أن فلاناً أخو فلان، فردًا بفرد حتى أصبح ربطاً بين الناحيتين الشعورية النفسية والاجتماعية، وقد تكون اقتصادية في بعض الاحيان، في آن واحد حيث إن المجتمع في تلـك الفتـرة تطغـى عليه أخوة الدّم (الاجتماعية ـ الوراثية) أكثر من أي عقـد اتفـاق أو معاهـدة أو ارتباط آخر مهما كان، فالرابطة العضوية هي الأكثر والأقوى. فكان ذلك الرباط بين مجموعـة محـدودة من الأفـراد لكي يمتزجوا في المجتمع. (١٣) لذا فإن النبي صلى اللّـــه عليه وسلم آخى بين الصحابة حينما نزلـوا المدينـة، لِيُذْهِبَ عنهم وحشة الغربة ويستأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عزّ الاسلام واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة وانخرطوا في الحياة، وعرفوا وسائل اكتساب الـــرزق، حدث تعديل في ذلك التنظيم مواكباً للتغير الاجتماعـــي والاقتصادي والسياسي الذي حدث في ذلك المجتمع الاسلامي وبالتالي أُبطِل من نظام المؤاخاة التوارث. وانتقل مفهوم (المؤاخاة) إلى مفهوم (أخوّة) المؤمنين، وأنزل اللّـــــــه تعالى في ذلك الآيات الكريمـــة "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّـــــــه؛ إن اللّـــــه بكل شيء عليم". (١٤) "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّـــه من المؤمنـين والمهاجرين؛ إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً؛ كان ذلك في الكتـاب مسطـورا". (١٥)

ثم جُعِلَ المؤمنون كلّـــــــهم إخوة فقال تعال "إنما المؤمنون إخوة" (١٦)، وذلك لانقطاع المنفعة الاقتصـــادية المباشرة بين المتآخين (التوارث)، ولكن بقي التواد والتراحـــم وغير ذلك من المنافـــع الأخـــرى سواء كانت مادية مباشـرة، أو غير مادية تشـكل في مجموعها النظام العام للأخوة التي جاءت كنظام اجتماعي جديد ليبقى، ويسـتمر على أنقاض المؤاخاة بين فردين.

وكانت المؤاخاة في المدينة مســبوقة بمثلها في مكّة بين المهاجرين أنفســهم . . . ذكر ذلك البخاري في الفتح. (١٧) إذ كانت المؤاخاة مرّتين، مرّة بين المهاجرين خاصـــة، ومرّةً بين المهاجرين والأنصـــار. (١٨) لقد كان التآخي على الحق والعدل والمسـاواة وعلى أن يتوارثوا بينهم بعد الممات، بحيث يكون أثر الأخوة الإسـلامية في ذلك أقوى من أثر القرابة، ثم ربط النبي صلى الله عليه وسلم بين أفراد الصحابة برباط عام من الأخوة والموالاة. وقد قامت هذه الأخوّة على أُسـس مادية أيضـاً. وكان حكم التوارث فيما بينهم من بعض الظواهر المادية، وظلّت عقود هذا الإخاء مقدمة على حقوق القرابة حتى موقعة بدر الكبرى حيث نزل قوله تعالى " وأولو الارحام ..... الآية. (١٩)

وكذا ذكر ابن عباس أن ما ألغي من نظام المؤاخاة هو الإرث فقط أما النصـــر والرفادة والنصـــيحة فباقية، ويمكن أن يوصى ببعض الميراث بين المتآخين.

وبعد تحول هذ المفهوم، أيصـــبح مفهوماً جديداً بالإمكان التعامل معه في أي مجتمع وفي أي وقت. لذا فإن عقد هذه الأخوّة يعتبر بمثابة تنظيم جديد وتأصـــيل لقيم ومعايير جديدة في مجتمع المدينة (المجتمع الجديد) الذي يقوم في أصـله على الأخوة والتآلف، حيث صـغر إلى جانبه الأحقاد التاريخية والثأرات القبلية، والأطماع الشـخصـية والرايات العنصرية. (٢٠)

وعلى هذا فإن الأخوّة تقسيم تشـريعي لنسـبة الأخوة بين المؤمنين، ولها آثار شـرعية وحقوق اجتماعية فالأخوة منها أخوة طبيعية لها أثر في الشـرائع والقوانين، وهي اشـتراك إنسـانين في أب أو أم أو فيهما، وفي أخوة اعتبارية لها آثار اعتبارية، وهي في الاسـلام أخوة نسـبية لها آثار في النكاح دون الإرث، وأخوة دينية لها آثار اجتماعية ولا أثر لها في النكاح والإرث. وينظر إليها في غالب الأمر من الناحية المصلحية وصيانة المجتمع بشكل مستمر، لا كتنظيم يخدم البناء الاجتماعي ويؤثر فيه. واوضـح قطب (٢١)، أنه يترتب على الأخوة أن تكون عناصـر الحب والسـلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف أو القتال هو الاستثناء الذي يجب أن

يُردُ الى الأصل فور وقوعه، وأن يستباح في سبيل تقريره، فالمؤمنون يقاتلون البغاة من إخوانهم ليردوهم الى الصف، وليزيلوا هذا الخروج على الأصل والقاعدة.

ونظر الغزالي (٢٢)، إلى الأخوة على أنها رابطة بين شخصين كعقد النكاح بين الزوجين، ولكنها رابطة معنوية لها تطبيقات في واقع الحياة العملية. فكما يقتضي النكاح حقوقاً يجب الوفاء بها قياماً بحق النكاح، فكذا عقد الأخوة، فلأخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء والتخفيف وترك التكليف. لذا فإنه يفهم ممّن تناول مفهوم الأخوة أنها حق لكل فرد على أخيه، وفيها منافع كثيرة، منها ما يتعلق بمعالجة الظروف الحياتية التي تواجه كلاً من الأخوة، أو الوقوف لصد أي نائبة من نوائب الدهر عنه، وفي الجانب المعنوي والنفسي، النصح والارشاد والتأييد له وهوما يساعد الأخ في مواجهة المشكلات المتعلقة به من هذا الجانب.

وحينما تتعدى الأخوة معناها الظاهر، من التقارب في الجانب الطبيعي (الفيزيقي) وكذلك الجانب العاطفي بكل أشكاله ومعانيه بين فردين لتكامل الحياة الاجتماعية ـــ لتدخل حيزاً آخر هو الحب في اللّـــه بين الفرد الواحد وأبناء المجتمع الكلي أو بين أفراد المجتمع جميعاً، فإن الكثير من الموازين العقلية التي تحكمها المصلحة (الرأسمالية) في أغلب الأحيان تتلاشي ويظهر تقويم آخر. وهذا يقتضي استقلاب كل المعاني والصفات الجميلة من العدل والصدق والاخلاص وخلافه، لتصبح حقيقة واقعة بين الأفراد وتصبح قيما اجتماعية يتفاعل معها أفراد المجتمع وتؤثر فيهم وتبقى جزءاً من البناء الاجتماعي.

علاقة الأخــوة بالنظام الاجتماعي:

تعتبر (الأخوة) مركزاً شعورياً وفريقاً متجانساً يشعر فيه العضو بانتمائه الحقيقي إلى وحدة فعّالة، ويحتاج هذا الشعور بالوحدة، وما يرافقه من ضرورة العمل المشترك من الأعضاء، إلى وعي وتنظيم شكلي ظاهري. لذلك فإن الشعور بالوحدة يسهل مهمة اشتراكهم معاً في الأهداف المشتركة. وحينما لا تكون الجماعة تواجه عقبات خارجية، في المجتمع الضد، فإن هذه المشاركة تهدف إلى خدمة الأغراض التي اجتمعوا عليها وتآخوا حولها، ففي المجتمعات الإسلامية تكون الأهداف حول تصحيح المفاهيم وتطبيق النظام الإسلامي العام على المجتمع، ومحاولة الزيادة في الفهم للدين وتوظيفه في الحياة الاجتماعية بشكل أكثر فاعلية. ولكن حينما تكون هناك عقبات في المجتمع الخارجي، عقبات خارجية ليس في التنظيم نفسه، أو محاولة منع هذا التنظيم من ممارسة نشاطاته، فإن المشاركة بين الأفراد والمنتمين تؤكد ذاتها داخل الجماعة، وقد تنصرف إلى محاولة تجاوز تلك العقبات الخارجية التي وضعها المجتمع. ويتأكد ذلك في المجتمعات التي لم تكن في أصلها إسلامية، حيث تنصرف إلى العمل لتذليل العقبات التي تواجهها وتحسين الصورة. وكذا كان في المجتمع الصحابي الأول في مكة والمدينة فإن الوظيفة لذلك النظام كانت تنصب على أن يقوم انتماء قوي بين الأعضاء ومن ثم بدأ هذا التنظيم بفعالية، في محاولة تذليل العقبات الخارجية في المجتمع التي تعيق عمله واستمراريته. (٢٣)

إذاً فالجماعة (الأخوة) ليست دائرة كاملة للحياة الاجتماعية، بل نتيجة التفاعل المتكامل في شخصية المجتمع المؤسسي بوظائفه المختلفة، فالتعاون المنظم هو همها الوحيد، وتطوره لا يعتمد مباشرةً على الشعور بالجماعة فقط بين الأفراد، بل بالترابط الوثيق والعلاقات والتفاعل المنسجمة بين جميع الهيئات والمؤسسات الوظيفية ضمن المجتمع الكلي أيضاً. أن النظام الاجتماعي يشير الى أنماط بنائية أو عملية، وهناك من يحصر النظام الاجتماعي في انتظامات التفاعل التي تحظى بالقبول والموافقة من جانب المجتمع او التي يفترض ان تكون وظيفية، وهناك من يرى أن مفهوم النظام الاجتماعي العام غالباً ما يختلط بالنواحي الأخلاقية والمثالية الخيالية (اليوتوبية). (٢٤)

إن نظام (الأخوة) يؤدي وظائف عديدة، فهو لا يحقق هدفاً واحداً بعينه، ولا ظهر ليشبع حاجة واحدة في وقت معين. (٢٥) وقد كان نظام (الأخوة)، ـــ ومازال ـــ يحقق حاجات عدة، ويؤدي مجموعة من الوظائف تعرّض لها المجتمع

المحلي والعام في فترة المجتمع الصحابي وما بعده، واستمر هذا النظام يؤدي الوظائف نفسها بشكل مختلف لاختلاف الحاجات والمجتمعات أو التجمعات. ورغم أن نظام (الأخوة) قد يؤدي أكثر من وظيفة اجتماعية، او يحقق أكثر من هدف، ويشبع أكثر من حاجة، فإنه قد تكون له وظيفة أساسية أو محورية، وُجد هذا النظام من أجلها، وكذا تحقق المجموعة الأخرى المتعلقة به من الحاجات.

إن نظام (الأخوة) يشبع الكثير من الحاجات الاقتصادية، والسياسية والدينية، والنفسية، وذلك واضح بجلاء في القرآن الكريم وكذلك في مجموعة الأحاديث النبوية الشريفة، وسيرة السلف ومن خلفهم. وهذه الوظائف تؤدى بجانب الوظيفة الأساسية أو المحورية وهي الوظيفة الاجتماعية. ونظر ميرتون Mertonإلى النظام الاجتماعي ووظائفه، حينما ميّز بين الوظيفة الظاهرة Manifest Function والوظيفة الكامنة Latent Function للنظام. إذ إن الوظيفة الظاهرة للنظام الاجتماعي (الأخوة) هي تلك المدركة أو الظاهرة لأفراد المجتمع والتي يحقق من خلالها المصالح المتعددة. ولكن الوظيفة الكامنة أو غير الظاهرة هي تلك التي لا يدركها أعضاء المجتمع، وهي مجموعة من الأدوار التي يؤديها ذلك النظام وتحتاج إلى تحليل وبحث حتى تظهر وتتحدد هذه الوظيفة الكامنة، وهي تختلف بالضرورة باختلاف المجتمعات والتجمعات، وتكون في الأقليات مختلفة عنها في المجتمعات الإسلامية الصرفة، وكذا تكون في المجتمعات المشتركة أو التي بدأت تأخذ شكل الحياة المختلف عما في المجتمع الإسلامي. يضاف إلى ذلك أن هذا النظام (الأخوة) تعليم رباني جاء به الوحي لينظم حياة الناس، سواء كانوا مسلمين او غير مسلمين. ولكن المسلمين هم المعنيون بهذا الامر، لذا فهو يعتمد في أصله على الوحي وفي تطبيقاته على العقل وعلى الفعل الاجتماعي الذي يبحث عن المصلحة الاجتماعية والنفسية والمادية والسياسية وغيرها.

وإذا كانت هذه وظائف نظام (الأخوة) فإن سلوك أفراد المجتمع واتجاهاتهم تتشكل في صورة النظم الاجتماعية القائمة فيه، فحينما يكون هناك التزام بهذا النظام تؤدّى وظائفه كاملةً، ولكن تظهر المشكلات الاجتماعية في المجتمع ـ خصوصاً المجتمعات الإسلامية ـــ حينما يكون هناك اختلال في أداء نظام (الأخوة) لوظائفه. واختلال أداء النظام (الأخوّة) يكمن في علاقته بالنظم الأخرى في المجتمع، وطريقتها في تأدية وظيفتها سلبا او إيجابا، فنظام (الأخوة) كمفهوم مازال موجوداً، ولكن اختلّت الوظيفة الظاهرة والتطبيقات العملية له وأصبح هناك نوع من الشك في مؤدّاها. ولأنه تعليم ديني مرتبط بجذره، فإنه لا يعمل بشكل فاعل سوى في البيئة التي تكون مهيأة له. بالإضافة إلى أن الدور الذي يقوم به قد يتلاشى في الجو الاجتماعي الذي قد يكون مشحوناً بالشك في معظم الاتجاهات.

علاقة الأخوّة بتنظيم المجتمع:

يشير التنظيم الاجتماعي إلى أنساق علاقات الالتزام التي تسود بين الجماعات، وداخلها في مجتمع معين، وينظر فيرث Firth إلى التنظيم الاجتماعي على أنه يعبر عن الترتيبات الفعلية في المجتمع، أي عملية ترتيب الأفعال، وانتظام العلاقات من أجل أهداف اجتماعية.

وينظر إليه آخرون من دارسي علم الاجتماع على أنه يشير إلى بناء، وعملية في الوقت نفسه، فهو بناء يقصد به أي نمط مستقر للعلاقات المتبادلة بين الأجزاء المكونة بحيث يشكل كلاً له خصائص لا توجد في الأجزاء مستقلة، وهو عملية تشير إلى طريقة تكوين هذه الوحدات الكلية والتنظيمات الاجتماعية على هذا النحو تؤدي وظائفها بصورة أكثر كفاءة من الأشخاص الذين لا يربطهم هذا التنظيم. (٢٦)

وينظر روبرت ماكيفر MacIver إلى النظام بأنه الصور والأشكال الثابتة التي يدخل الناس بمقتضاها في علاقات اجتماعية. (٢٧) هذه التعاريف السابقة تقودنا إلى القول بأن النظم الاجتماعية هي الأساليب المقننة والمتفق

عليها اجتماعياً التي تستهدف إشباع حاجات أبناء المجتمع وهذه النظم تتفاعل وتتساند لتجعل نظام (الأخوة) نسقاً معيارياً يتضمن السلوك المتوقع، والهدف، ونماذج العلاقات بالإضافة إلى الغايات القيمة والضوابط والجزاءات.

والتنظيم يمتاز بأن بقاءه لا يشكل هدفاً أولياً وحيداً، وإنما يشكل هدفاً مهماً ودالاً في نظر أعضاء المجتمع. إن التنظيم الاجتماعي ينطبق في آن واحد على ظواهر بنيوية ثقافية، وإنه يتناول ترتيباً إجمالياً، وتفاعل عدد من العناصر بقدر ما يؤلف هذا الترتيب وهذا التفاعل وحدة يمكن تعريفها ولها سمات خاصة. (٢٨)

إن التنظيم الاجتماعي المعتمد على مفهوم (الأخوة) الذي جاء به الإسلام، طبق في الفترات الأولى من قيام المجتمع الاسلامي الأول، وبقي هذا النظام قائماً بشكل تنظيم، يمارس في فترة دون أخرى وفي مجتمع دون آخر، حسبما تقتضيه الحاجة أو الظروف المحيطة بالمجتمع. لذلك فإن هذا التنظيم (الأخوة) يعتبر مجموعة من التنظيمات منفتحة بعضها على بعض، بمعنى أن سير عمله لا يتوقف فقط على شروط داخلية، مثل البنية الترابطية بين جزيئات هذا التنظيم وإنما يتوقف أيضاً على تبادل التنظيم (الأخوة) وعلاقاته بمحيطه الخارجي، فانتساب الأعضاء إليه، وتوفير الحاجات وتنفيذها وغير ذلك، يتأثر بها التنظيم سلباً وإيجاباً. ويوضح لورو (٢٩)، أن التنظيم يدل على بعض المسالك الاجتماعية وبعض السياقات الاجتماعية، كعملية تنظيم هذه النشاطات المتعددة والوسائل الكفيلة بتحقيق الأهداف الجماعية، مثل الإنتاج والتثقيف والتوزيع، وإدماج مختلف الأفراد ضمن وحدة متجانسة.

لذا فإننا نستطيع القول بأن التنظيم الاجتماعي عبارة عن سلوك اجتماعي موجه نحو أهداف محددة، في وقت محدد، أما نظام (الأخوة) فيشمل التنظيم الاجتماعي في أبسط معانيه بالإضافة إلى استمراريته وشموله وقوة بنائه الداخلي، حيث إنه يرتكّز على جذر عقائدي ليظلّ تنظيماً اجتماعياً قائماً وبخصوصية معينه الى نهاية المجتمع، ويصلح تطبيقه في كل المجتمعات إذا رعيت بعض الخصوصيات لهذه المجتمعات.

خصائص النظم الاجتماعية:

ذكر السمالوطي (٣٠)، مجموعة من خصائص النظم الاجتماعية وذلك في معرض حديثه عن المجتمع الاسلامي ونظمه، وهي:

١ - لكل نظام من النظم الاجتماعية وظيفة معينة أو مجموعة من الوظائف التي يؤديها داخل المجتمع، لأن هذا النظام نوع من السلوك المقصود أو الهادف.

٢ - النظام الاجتماعي يرتبط بالمعايير أو القواعد الضابطة للسلوك في المجتمع.

٣ - يرتبط الالتزام بهذه القواعد بفكرة الجزاءات الاجتماعية.

٤ - يتطلب النظام الاجتماعي فترة طويلة من الزمن حتى يتحقق، لأنه سلوك اجتماعي، ولأن النظام والسلوك يستمران فترة طويلة، أطول من أعمار الأفراد أنفسهم.

٥ - تتضمن كل من النظم الاجتماعية مجموعة معقدة ومتشابكة من النماذج السلوكية لأنها تتسم بدرجة عالية من التعقيد.

٦ - هناك ترابط وظيفي بين النظم الاجتماعية داخل المجتمع، لأنها ليست مستقلة، ولكنها تمثل أجزاء مترابطة ومتساندة ومتداخلة ومتكاملة.

بعض الأحاديث المنظمة للمجتمع المعتمدة على مفهوم الأخوة:

تشتمل السنة النبوية على مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية الشريفة التي مدارها ومحورها الأخوة، والتي تكوّن في مجموعها توجيه الحياة الاجتماعية، بل وتحدد شكل الفعل الاجتماعي للأشخاص المنتمين. وسوف نستعرض بعضاً من هذه الأحاديث حتى تعطي صورة واضحة حول المفهوم الذي هو محور الحديث (الأخوة).

١ - عـن ابن عمـر رضي اللّـــه عنهمـا أن رسول اللّـــه صلى اللّـــه عليه وسلـم قال" لا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا ــ وأشار الى صدره ــ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه". (٣١)

ويقتضـي هذا الحديث بأن لا ينقص المسلم من حال المسلم أو من حقه بغصـبٍ أو غيره، وأن يحقق العدالة بين أبناء المجتمع الواحد بين البائع والمشتري في السوق، أو في أي جانب من جوانب الحياة الاجتماعية على وجه العموم. وفيه أيضـاً نوع من بناء النظام الذي يكفل حريه الأفراد، فلا يسلمه الى عدوه، وهي أيضـاً بناء للتكامل، سواء كان هذا العدو خارجاً أو نفســـه، بمعنى أن يمنعه من ارتكاب ما هو خاطئ في حقه أو حق المجتمع ويدخل في ذلك نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لدفع المجتمع إلى سـلوك صـحيح يدفع إلى النماء والتقدم، ثم لا يقف عند المنع أو الدفع، ولكن يتعدّاه إلى مرحلة البناء (من كان في حاجة أخيه)، تحقيقـاً لتكامل نظام الأخوة وصيانتها، بالبذل والعطاء والتضحية، سواء كانت هذه التضحية الجماعيـــة والفـــرديـــة، من الناحية المالية (المادية) أو من الناحية النفسية والاجتماعية، حتى يحافظ المجتمع على تماسكه وتوازنه. وتحقيقاً لذلك جاء (كان اللّـــه في حاجته). ثـم التأكيـد على تفريج الكرب بأن اللّـــــه أعدّ لذلك جزاء عظيماً يوم القيامة. ولكي يتحقق نظام الأخوة في الحياة الاجتماعية فلابد من وجود جزاء أخروي يطمح إليه الناس، ويبذلـون ما في طاقتهـم لتحقيق ذلك النظـام الاجتماعي والمحافظـة عليه في الدنيا، وبذلك يتحقق لهم مكسبان الأول صيغـة النظام الاجتماعي وتحقيق فوائد دنيـوية اجتماعية وسياسية واقتصادية وأمنية وغيرها، والثاني الجـزاء الأخـروي الذي يطمـح إليه كل مسلم، بل إن كل فعـل يقـوم به المسلـم فـي حياته يعـدّه مكسبـاً يـدّخـرا لـلآخـرة.

٢ - عن أنس رضي اللّـــه عنه قال: قال رسول اللّـــه صلى اللّـــه عليه وسلم " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يا رسول اللّـــــه أنصره إذا كان مظلوماً، أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره". (٣٢)

وهذا نوع آخر من التنظيم الاجتماعي سُـن ليصـبح التزاماً بين أفراد المجتمع الواحد يكفل عدم الظلم، أو ردّه سواء كان بين الأشخاص أو بين الشخص ونفسه ويكون جزءً من التنشئة الاجتماعية أو إعادة التنشئـــة الاجتماعية Re-socialization.قال البيهقي (إذا كان ظالماً) إن الظالم مظلوم في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسـاً ومعنى (٣٣)، ولأن حياة المجتمع العربي في أصـلها تقوم على علاقة الدمّ والثأر، فإن هذا الحديث جاء ليسـنّ تنظيماً جديداً قد يكون فيه نوع من مخالفة السـائد وذلك بمنع الظلم، ويكون نظاماً بعد ذلك للمجتمع الإسـلامي، لأن فيه دعوة الى عدم الاعتداء وهضـم حقوق الآخرين ودعوة الى تحكيم العقل. وهي في مجملها دعوة الى توازن المجتمع وتناسـقه ليكوّن وحدة كاملة. والأخوة هنا تعني منع الظلم سـواء كان ذلك بالإرشـاد او بالقوة ليتحقق ذلك التوازن والتكامل. ثم يستمر التكامل في بناء التنظيم حتى ليصبح أمرًا واقعاً، سواء في ذلك المجتمع الذي أوجد فيه هذا التنظيم، أو فيما بعد لكل المجتمعات، الإسلامية وغيرها بوصفه تنظيماً اجتماعياً للمجتمع.

٣ - عن أبي هريرة رضي اللّـــه عنه قال. قال رسول اللّـــه صلى اللّـــه عليه وسلـم "من عاد مريضاً أو زار أخاً له في اللّـــه ناداه مناديان: طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا" رواه الترمذي. (٣٤)

ولا يزال التدعيم للتنظيم (الأخوة) مستمراً من قبل النبي صلى اللّـــه عليه وسلم مشرعاً من قبل اللّـــه تعالى، وكذا تدعيم هذا التشـــريع بمجموعة من الجزاءات في الدنيا والآخرة، ويلاحظ أن معظم الجزاءات تكون في الآخرة وكذلك العقاب. ولأن المنال بعيد عن الناس فهم ينظرون إليه، ويجاهدون أنفسـهم ويصـابرون حتى يفوزوا بالحصـول على هذه الجزاءات، لذا فإنهم يحبون أن يتفانوا في تطبيق هذا التنظيم. والجانب الآخر تقعيد هذه الأنظمة حتى تصـبح

جزءاً من الحياة الاجتماعية ويصبح التفاعل معها وتأييدها جزءًا لا يستغني عنه أي فرد في المجتمع، فهم يحققون الأخوّة بينهم لإصلاح دنياهم وجعلها نظاما مستمرا ومثالاً بين المجتمعات الاخرى. هذا التفاني لا يعني عدم حصول بعض التجاوزات او عدم تطبيق المبدأ في بعض الحالات، فالصحابة بشر يمكن ان يخطئوا ويصيبوا ولكنهم بكل المعايير خير من طبّقوا هذا النظام وأقاموه في مجتمعهم.

وتضيق الدائرة حتى تصبح العلاقات أكثر قوة بين الأفراد او بين المجتمعات المحلّية، وتصبح المحافظة على التنظيم (الأخوة) شأن كل واحد من أفراد المجتمع كما انها شأن المجتمع بمؤسساته الاجتماعية الاخرى (الأسرة، القبيلة، المسجد ...)، والمحدد لهذه العلاقة هو الإيمان باللّـه تعالى.

٤ - عن أبي سعيد الخدري رضي اللّـه عنه عن النبي صلى اللّـه عليه وسلم قال "لا تصاحب إلاّ مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلاّ تقي" رواه الترمذي وأبو داوود. (٣٥)

ثم يدخل هذا التنظيم في باب أوسع من (الأخوة) وهو الحب في اللّـه والبغض في اللّـه فإن الحب في اللّـه قضية ليست تنظيماً مادياً ظاهراً فقط، ولكنها تتعلق بالناحية النفسية للأشخاص وبالتالي تكون روحاً للتنظيم (الأخوة). فالحب في اللّـه قضية تتعلق بنفسية الإنسان، وربه مباشرة، فالرقابة عليها مباشرة من اللّـه تبارك وتعالى، بينما نجد أن بعض المدعمات الأخرى لهذا التنظيم أو محتواه قد يظهر فيها الجانبان، بمعنى أنها قد تكون هياكل مادية، لا تحمل المعنى الحقيقي ولو أنها تطبق بعض العمليات مثل التعاون والنصرة، وغيرهما من ديناميات الجماعات وخصوصاً تلك الجماعات التي تقوم من أجل هدفٍ مادي بحت، فهذه الهياكل التنظيمية، التي هي أساساً محتوى الأخوة، قد تخلو من المعنى وهي تطبق، لذلك فلا بد من وجود تعليم ديني يدعم هذه الهياكل لتصبح ذات معنى وروح.

٥ - عن أنس بن مالك رضي اللّـه عنه عن النبي صلى اللّـه عليه وسلم قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" متفق عليه. (٣٦) قال العلماء في هذا الحديث: إن من الفقه كون المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة فينبغي أن يحب لها ما يحب لنفسه من حيث إنها نفس واحدة كما في الحديث "المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لما يصيب الإيمان، كما يألم الرأس لما يصيب الجسد". (٣٧) وجاء الحديث حضّاً على التواضع ومحاسن الأخلاق وترغيباً في محبة المسلمين بعضهم لبعض وائتلافهم، ولأن ذلك سوف يؤدي إلى التعاضد والتناصر، وبه ينتظم شمل الإيمان وتتأيد شرائعه. (٣٨) وقال البيضاوي: إنما المؤمنون إخوة، أي من حيث إنهم المنسوبون إلى أصل الإيمان الموجب للحياة الأبدية، ورتب على هذه الأخوة المقتضية لمزيد الشفقة التناصر والتعاون. (٣٩)

هذه بعض الوظائف الظاهرة (للأخوة)، وقد يكون هناك الكثير الذي لم يُتحدث عنه، وهي تهدف إلى إرساء وبناء مجتمع جديد قد يختلف عما سبقه.

علاقة الأخوة بالتفاعل الاجتماعي:

يعتبر النظام الاجتماعي شبكة من العلاقات بين الناس، وبين الجماعات. هذا النظام يجمع بين مجموعة من الفاعلين ـــ الأفراد داخل المجتمع ـــ في علاقات واحدة. وينظر إلى هؤلاء الفاعلين في داخل هذا النظام، من خلال تفاعلهم مع أفعال الآخرين. لذا فإن الموضوعات الفيزيقية والرمزية والثقافية لا تتصل بالنظام الاجتماعي، بل إنها تمثل عوامل خارجية تحدد التفاعل بين الفاعلين، وتضع عليه شروطاً معينة (٤٠)، وقد يكون الفاعلون والمتفاعلون داخل النظام الاجتماعي أفراداً وقد يكونون جماعات أو تجمعات كالقرية والمنطقة الجغرافية، أو الطبقات الاجتماعية أو مجتمعاً بأسره. لذا فإن نموذج التفاعل الذي قدمه بارسونز لا يرتبط بمستوى العلاقات الشخصية بين الأفراد فقط بل يمكن أن يتعداه إلى مستويات مختلفة من الواقع الاجتماعي، في كل المجتمعات وفي أماكن مختلفة. ونحاول استجلاء علاقة الأخوّة بالتفاعل الاجتماعي من خلال مجموعة من الأفعال التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم، أو من خلال الأقوال أو الآيات أو حتى ممارسات الصحابة في مجتمعهم الإسلامي الأول. إذ إن التفاعل كان قائماً بين الصحابة في

المدينة المنورة، وبعد ذلك في المجتمعات وعبر الأزمان على مبدأ الاخوة، تلك الرابطة او ذلك النظام الذي يتفاعل المسلمون من خلاله في جميع شئون حياتهم وعلى مستويات مختلفة، تبدأ من المستوى الشخصي(الفردي) مثل عيادة المريض وقول المعروف ومساعدة الآخر أو الحسد، والهجران وغير ذلك، إلى مستويات أعلى مثل حدوث خلاف أو قتال بين فئتين (جماعتين) من المسلمين، وكذا الرابطة الأخوية بين المجتمعات الأخرى. فالأخوة نموذج مثالي للتفاعل الاجتماعي بين أبناء البشر خصوصاً إذا كانوا مسلمين بخلاف أخوة الدم حيث يكون مداها محدوداً.

ونموذج بارسونز للتفاعل الاجتماعي له ثلاثة عناصر (٤١)، هي:

الأول: يجب أن توجد توقعات متبادلة بين الأفراد. فالفرد يتوقع من الفرد الآخر أو الأفراد الآخرين أن يتصرفوا بطريقة معينة، واضعاً في الاعتبار ظروفهم المشتركة والعلاقة التي تربط بينهم. وحتى يتم ذلك التفاعل بين الصحابة، فإن مجموعة من التوجيهات والأحاديث وكذا الممارسات التي أمر بها النبي صلى اللّـــه عليه وسلم، تحدد تلك التوقعات المتبادلة، فالأفراد يعملون وفق هذه التوجيهات " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذ له . . .لخ. فوفقاً لهذا الحديث مثلاً تكون التوقعات، لأن الفاعل والمتفاعل يعودان إلى قضية أساسية في تعاملهما وهي الأخوة فالذي يتوقعه المتفاعل أنه لا يُظلم والذي يفعله الفاعل أنه لا يظلم وكذا شؤون الحياة الأخرى.

ثانياً: يجب أن توجد مجموعة من المعايير والقيم تحكم سلوك الفاعلين، أو من المفروض أن تحكمه. والمحقق أن التوقعات المتبادلة توجد بسبب وجود القيم والمعايير، لذا فإن الفاعل يعرف ما هي المعايير التي تحكم سلوك المتفاعل، وفي الوقت نفسه يعرف المتفاعل المعايير التي تحكم الفاعل. لذا فإن كلاً من الفاعل والمتفاعل يستطيع من خلال القواعد ـ قواعد السلوك المعروفة ـ أن يتنبأ بما يجب أن يفعله الآخرون في موقف معين (٤٢)، ومن خلال القواعد والمعايير التي تسنّ بناءً على تعليم ديني فالفاعل والمتفاعل عنصران تقوم عليهما الحياة الاجتماعية، وهما يعرفان أن هذا التفاعل حدث لأنهما أخوان، فكل منهما يلتزم بهذا المعيار. مثال ذلك عدم الغش، عدم الخداع، عدم الكذب وهكذا. تلك القواعد تجعل المجتمع متماسكاً يدعو الى الأمن والسلام. ويحاول الفاعل والمتفاعل ان يرضي ربه بأن يكون ملتزماً بما قرره الدين بأن ينتهج سلوكاً صحيحاً ليتوقع سلوكاً صحيحا من الجهة المقابلة.

ثالثاً: إن الجزاءات تمثل عنصراً ثالثاً في عملية التفاعل ويوجد هذا العنصر في معظم صور الحياة الاجتماعية سواء كانت (إسلامية) قائمة على تعليم ديني أو في المجتمعات الاخرى غير المسلمة، فكل مجتمع له جزاءات وعقوبات. فالفاعل والمتفاعل يثيب ويعاقب بعضهم بعضاً، طبقاً لتوافق أي منهم مع التوقعات المتبادلة أو عدم توافقه، ويكون بذلك نسقاً محكماً وأكثر ضبطاً يتفاعل الإخوة من خلاله. لذا فالتفاعل ما هو إلا ضرب من تبادل للمعلومات عن التوقعات المتبادلة، ومظاهر الإشباع والإحباط.

ولأن الأخوّة نظام يشمل تنظيم المجتمع على مستويات مختلفة في واقع الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى كونه تعليماً دينياً يمارسه الأفراد ليتعبّدوا الله به، فإن الأخوة أيضاً تحوي مجموعة من الجزاءات، وهي موزّعة على الدنيا (حياة المجتمع)، حيث الأمن والاستقرار والصدق والدافعية نحو العمل والإنتاج وخلافه. والآخرة حيث الجزاء من الله تعالى بما وعد به من طبّق هذا النظام. لذا نستنتج أن هذا النظام يشمل الحياة المتوازنة في الدنيا والجنة في الاخرة.

علاقة الأخوّة بالاغتراب:

كان مجتمع النبي صلى اللّـه عليه وسلم وصحابته، في مكة والفترة الاولى من الهجرة، في مرحلة انتقالية، يعد معها التنظير لمجتمع جديد، وإقامته على أسس معينة. ولأنه يعيش في مرحلة انتقالية فلا بد من أن يكون قد تعر ض إلى نوع من التنافر بين ثقافة ذلك المجتمع الجديد وبين المجتمع الذي كان يعيش فيه. لذا فإن المجتمع الصحابي قبل وبعد المؤاخاة لفترة بسيطة أصبح يعيش في مرحلة انتقالية تسمى بالمجتمع المزدوج Dual Societyوالذي يتصف بأنه يعيش حسب نمطين مختلفين من الحياة الاجتماعية، فالمجتمع الأول، مجتمع يثرب، مجتمع تقليدي ذو ثقافة معينة

ومناشط اقتصادية محددة وعلاقات مع المجتمعات الأخرى، وهوما يجعل التغيير صعبا. وفي تلك المرحلة نشط فيها المنافقون واليهود في بث الفرقة وإشاعة الاضطرابات وتأليب أهل يثرب على المهاجرين، واتضح ذلك في أقوال عبدالله بن سلول وعبدالله بن سبأ. والمجتمع الثاني، مجتمع الرسول والصحابة، المجتمع الجديد إذ يعتبر مجتمعاً عصرياً في وقته. المجتمع العصري يملك خزيناً غنياً بالتجارب والخبرات الاجتماعية الخاصة بالحياة التقليدية، وفي الوقت نفسه يتبنى الأفكار والابتكارات الجديدة أو الطارئة والحرجة. هذه الحالات وتكرارها وتنوعها تدفع بالمجتمع المزدوج من الاتجاه التقليدي لكي يكون مجتمعاً حديثاً. (٤٣) في تلك المرحلة الانتقالية، أحدث تفاعُلُ المجتمع التقليدي مع الأفكار الحديثة نوعاً من الاغتراب لأبناء المجتمع التقليدي أو الحديث، إذ إن الافكار الجديدة جميلة ومنطقية بينما ثقافة المجتمع التقليدية بما تملك من مخزون تقف دون ذلك. وفي المقابل يحمل أبناء المجتمع الحديث تلك المبادئ والأفكار، بالإضافة إلى وضع المهاجرين، وتصطدم بالواقع التقليدي وهوما يضعف عملية التفاعل بين أبناء المجتمع ويحدث نوعاً من الاغتراب، ولولا وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين الصحابة لأخذت العملية أبعاداً مختلفة.

فالاغتراب إذاً هو حالة نفسية اجتماعيه تسيطر على الفرد أو الجماعة سيطرة تامة فتجعله غريباً وبعيداً عن بعض نواحي واقعه الاجتماعي. (٤٤) هذا التعريف لمفهوم الاغتراب، قيل به على زمن الفلاسفة من الرواقيين وبسكال وروسو وهيجل وخلافهم. وقد عدّ (بسكال) الاغتراب الذاتي حالةً ثابتةً ودائمةً في حياة الفرد والمجتمع لارتباطه بالطبيعة الإنسانية والوضع البشري. وكذا فإن (روسو) يعتبر الاغتراب الذاتي أمراً تاريخياً، فهو ينشأ تحت ظروف تاريخية معينة تتميز بالقهر، من أي نوع سواء كان ذلك قهراً اجتماعياً أو سياسياً، أو اقتصادياً، أو خلافه، ولكن هذا الاغتراب يزول بزوال هذه الظروف. (٤٥) وكذلك فإن هيجل يرى أن الاغتراب عن الذات الفردية لا ينبغي أن يؤدي إلى خضوع الفرد لآخر، أو اعتماده عليه، بل يكون الاغتراب مقبولاً إلى الحد الذي تقتضيه الحياة الاجتماعية فقط، أي أن الذاتي يخضع للموضوعي والفردي للاجتماعي والجزئي للكلي دون أن يفنى فيه. (٤٦) وعلى هذا يكون الاغتراب بوجه عام، يعني العزلة الاجتماعية والنفسية للإنسان في محيطه الاجتماعي. (٤٧) ومفهوم الاغتراب ليس غربياً بحتاً، وإنما هو مفهوم قديم لا يخلو التاريخ والتراث الإسلامي منه. من ذلك غربة النبي صلى الله عليه وسلّم في وطنه الأول (مكة)، ويلحظ ذلك بتعزية الله تعالى له في مجمل قصص الأنبياء السابقين، وكيف تعامل كل منهم مع واقعه. وكذلك غربة الصحابة في مجتمعهم (مكة) حيث التعذيب والنبذ والاستهانة وخلافه، حتى هاجر بعضهم الى الحبشة سعياً وراء تحسين أوضاعهم. إذاً فالاغتراب لا يخص المجتمع الغربي ـــ حتى لو نُظّر له هناك ـــ إنما أُخِذَ من الفكر والتراث الإسلامي مثلما أُخِذَ من غيره، وطُوّعَ للمجتمع الغربي ونُظِّرَ له وفقاً لما تقتضيه الظروف في ذلك المجتمع.

وقد تطور هذا المفهوم (الاغتراب) ليشمل مجموعة من الاستخدامات كما ذكرها سيمان Seeman(٤٨)، ويمكن أن تفسّر بعض ردود الأفعال للنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وبعض أفراد المجتمع الصحابي في مرحلته الأولى قبل أن يصبح مجتمعاً متكاملاً، من خلال هذه التقسيمات لمفهوم الاغتراب، ذلك أنها قاعدة إنسانية عامة وليست محصورة في مجتمع معين دون سائر المجتمعات. فمن هذه الاستخدامات.

الاول - انعدام القوة Powerlessness الذي يعني شعور الفرد بأنه ليست لديه القدرة على التأثير في المواقف الاجتماعية المحيطة به. ويلاحظ ذلك في محاولات النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في مرحلة مجتمع مكة وفي الفترة الاولى من مرحلة مجتمع المدينة. بل يمكن ان يلاحظ من خلال نصيحة النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن. لذا يمكن القول: إن نظام (الأخوّة) الذي جاء به النبي من ربه وطبّقه كفل نوعاً من إزالة تلك الغربة.

الثاني - فقدان المعنى Meaninglessness الذي يتضـــمن عجز الفرد عن الوصـــول إلى قرار أو معرفة ما ينبغي أن يفعله، أو إدراك ما يجب أن يعتقده موجهاً لسلـوكـــه. ويلاحظ ذلك في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم حينما ذهب الى الطائف لدعوة أهلها ووجد العنت ولم يؤمن به أحد منهم، وكذلك في مكة مع بني قومه وهو يدعوهم، وكان القرآن ينزل بسـرد قصـص الانبياء السـابقين عليه ليبين ما كانوا فيه من غربة شـديدة أيضـا. ويتأكد المعنى بجلاء حينما جاء جبريل للنبي في الطائف وقال له بعدما أُدميت قدماه وكان في حالة نفسـية متعبه "لو أمرتني أطبقت عليهم الأخشـبين". وكذلك كان فعل الصحابة في فترات مختلفة من مراحل الدعوة.

الثالث - فقدان المعايير Normlessness وهو لجوء الفرد إلى استخدام أساليب غير مألوفـة من وجهة نظر المجتمع الذي يعيش فيه، وغير موافق عليها اجتماعياً لتحقيق أهدافـــــه، حتى لو كانت الأهداف سـامية، وذلك مثل ما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع صحابته في مكة، خصوصاً الذين هاجروا إلى الحبشة أو إلى المدينة في أول الهجرة أو قبلها.

الرابع - العـزلة Isolation ومعناها انفصال الفرد عن تيار الثقافة السائـدة، وتبنـي مبـادئ أو مفهـومات مختلفة، ممـا يجعـلـه غيـر قـادر على مسايرة الأوضـاع القـائمـــة في المجتمع. ذلك أنه يحمل أفكاراً ومبادئ وقيماً مغايرة لما هو سائد في المجتمع، لذا فإنه يُحارَب أو على اقل تقدير يذهب الناس من حوله؛ وذلك ما كان يعاني منه النبي والصحابة في بداية البعثة والهجرة، وقد كانت الأخوّة مخرجاً مهماً لإدماج المهاجرين في المجتمع.

الخامس - غـربـة الـذات Self-Estrangement وهـي إدراك الفرد بأنـه أصبح مغترباً حتـى عـن ذاتـــه. وهي حالة طبيعية لمن في حال النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وقد كان القرآن ينزل ويعزيهم ببعض الحوادث ويؤكد عليهم بالصبر والاحتساب لما هم فيه من وضع. لذا نجد أن الاغتراب يتمثل في انقسام الذات إلى فاعل ومفعول. ذاتٌ تناضل وتسعى للتحكم في مصيرها، تلك هي الذات المسلمة الدافعة التي تسعى لأن تُحكّم شرع الله وتسعى لقيام مجتمع قوي يكون عماده تلك القيم والمبادئ السـامية، وتعمل من أجل الجزاء والثواب الذي أعدّه الله لها في الآخرة. وكيان يتأثر وينفعل بالآخرين من خلال إيجاد النظم أو القوانين التي تحكم المجتمع، وتفاعل المجتمع السـابق مع هذه النظم ومدى تأثيرها على المجتمع.

إن مجتمع يثرب كان يعيش حالة القلق وفقدان المعايير الأخلاقية والتنظيم الذي يؤدي الى وحدة المجتمع وتآلفه، وكما ذكرت كتب السـيرة، فإن مجتمع يثرب كان يتألف من حيين، الأوس والخزرج يجاورهما اليهود، ولطالما أوقد اليهود الفتنة وقامت الحروب بينهما. (٤٩) لذا فقد كان من الأولويات للمجتمع الجديد تأسـيسـه على نظام أخلاقي قوي، يزيل تلك الغربة ويزرع المحبة والفداء. وحتى يندمج المهاجرون في مجتمع يثرب ويتكيفوا مع واقعهم الجديد وتزول عنهم الغربة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار " إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم، فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال النبي أو غير ذلك؟ قالوا وما ذاك يا رسـول الله؟ قال: هم قوم لا يعرفون العمل، فتكلفونهم وتقاسـمونهم الثمرة. (٥٠) ويضـيف أحمد (٥١)، أن من أغراض المؤاخاة ان بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة، فآخى النبي بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى. ولقد كان هذا نوعاً آخر من الطرق التي أقدم عليها النبي صـلى الله عليه وسـلم لإزالة حالة الاغتراب في واقع الحياة الاجتماعية الاولى في المدينة بين المهاجرين وأهل المدينة. وأقدم النبي على خطوة أُخرى لإزالة حالة الاغتراب وتأسـيس نظام جديد، حينما كتب النبي صـلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصـار وادع فيه اليهود وعاهدهم، وأقرّهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم. (٥٢) وأضاف النبي صلى الله عليه وسلم ونادى كلاً باسمه فقال "هذا كتابٌ من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم إنهم أُمة واحدة من

دون الناس، المهاجرين من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفيدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو . . .. الخ. (٥٣) وحتى تزول الغربة ويؤسس مجتمعاً إيمانيا قوياً لابد من إيضاح وإقرار بعض الامور وتقعيدها، فكانت تلك الخطوات التي جاءت بعد انتقال المهاجرين الى يثرب، لأن هناك اختلافا بين المهاجرين وأهل يثرب في كثير من صور الحياة الاجتماعية، لذلك كانت الوثيقتان الأولى والثانية والخطبتان والمؤاخاة (٥٤)، وذلك ليؤكد ما عليه القبائل من بعض صور التفاعل والتكامل الاجتماعي، وإدخال المفاهيم الإسلامية الجديدة (الأخوّة) لتكون رابطاً قوياً يزيل الغربة بين المهاجرين أو بين الأنصار أو بين المهاجرين والأنصار على حدٍ سواء. من هنا نجد أن مفهوم الإخاء ثم الأخوة هو المخرج الذي سعى إليه النبي الكريم صلى اللّه عليه وسلم وطبّقه حتى يخرج تلك العصبة من معاناة الاغتراب ويظل المبدأ تشريعاً بعد ذلك.

ومن المعاني التي تدور حول الاغتراب في المجتمع الإسلامي بشكل عام وخصوصاً عند الأقليات المسلمة في المجتمع المعاصر، عدم وجود القوة عند الفرد المسلم، أي أن الاغتراب هو شعور ينتاب الفرد، فيجعله غير قادر على تغيير الوضع الاجتماعي الذي يعيشه، وغير قادر على أن يتفاعل معه، وبالتالي ينكفئ الأفراد ذوو الانتماء الواحد أو الهم المشترك، خصوصاً إذا كان ذلك الهم يختص بمسألة دينية، على بعضهم ليخدم بعضهم بعضاً ويحققوا معنى الأخوة فيما بينهم، ويكونوا فعالين فيما بينهم، وذلك يمكن أن يكون بسبب سلبيتهم في المجتمع الخارجي، او في مجتمعهم الذي يعيشون فيه. فالحدّ الأدنى من ذلك هو العيش في جماعة صغيرة، تتحقق فيها كل تلك المعاني. فالمسلمون، أو تلك الجماعة الصغيرة، لهم أهداف كبيرة وغير محدودة، منها إعداد مجتمع مختلف عن المجتمع الذي يعيشون فيه، ولكي ينشئوا ذلك المجتمع، فلابد من أن يتمحوروا حول أنفسهم تحقيقاً لمعنى الأخوة التي جاء بها النبي صلى اللّه عليه وسلم والعزلة عن المجتمع الخارجي، أي العزلة الشعورية؛ وذلك هو أحد معاني الاغتراب وهي العزلة Isolation لفصل الفرد عن تيار الثقافة السائدة إذا كانت غير إسلامية، لتبني مفاهيم ومبادئ، وتركيزها بتطبيقات عملية في مجتمعهم الصغير، حتى تكّون جيلاً أو جماعة قوية متماسكة. ليس لأن هذه الجماعة غير قادرة على مسايرة الأوضاع القائمة، ولكن لتحقيق أهداف محددة؛ وهنا تكون العزلة والاغتراب عملية مفيدة، إذ تعمل على إعادة التنشئة الاجتماعية والدينية في المجتمعات المغايرة. لذلك فإن النظام الاجتماعي القديم لا يختفي قبل أن يكتمل نمو كل قوى الإنتاج القائمة فيه، فإذا اكتملت تلك القوى في بنائها ثم بدأت تختلّ، كان ذلك مؤشرًا لظهور قوى وعلاقات اجتماعية جديدة، ولا تظهر هذه قبل أن تنضج الظروف المادية لوجودها في رحم المجتمع القديم. (٥٥) كانت تلك الظروف بارزة في مجتمع يثرب قبل الهجرة، حيث إن التفاعل الاجتماعي ومنتجاته قد اكتملت في الظهور، ثم بعد ذلك ظهر عليها الاختلال فكان مؤشراً بالتغيير، لذلك فإن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة والبدء في بناء المسجد وتحقيق الإخاء ثم الأخوّة بما تحمل من معاني قوية وجميلة تدعو في مجملها الى الحب والتراحم والتعاطف والبر والعدل والاحسان والمساواة وخلافها، كانت أساساً لمجتمع صالح، وسوف يستمر هذا المفهوم للمجتمعات الإسلامية اللاحقة. لذا فإن التلازم قائم بين التآخي والوثيقة (٥٦)، ويحدد معالم كثيرة وتصوراً واقعياً لشكل الحياة الاجتماعية القادمة في المجتمع الجديد، وبدأ بعد ذلك توالي الأحداث ونزول الآيات التي تزيد شكل المجتمع توضيحاً، بعلاقاته المختلفة. فعلاقات الاخوة في الله هي التي سوف تكون الاساس في بناء المجتمع الجديد.

علاقة الأخوّة بالتغير الاجتماعي:

يرى ابن خلدون أن الانسان لابد له من الصراع لكي يعيش ويبني (العمران)، ولكن ليس معنى ذلك أن هذا الإنسان حيوان أو وحش بطبيعته، ولكنه يعيش في ظروف كثيرة ومعقدة، ومتضامنة، ومتضاربة، ومتوافقة في أحيان أخرى. من هذه الظروف ما يجعله مكبلاً بقيود الفردية الضيقة، ومنها ما يجعله اجتماعياً متفتحاً، وبعضها يجعله على

خلاف ذلك من حب الحياة والاندفاع وراءها أو الجمود باسم العادات والتقاليد. وفي الجانب الآخر قد يكون مضطراً للتكيف مع تغير هذه الظروف من السلب للإيجاب والعكس.

إن القاعدة العظيمة في منطلق تغيير أحداث العالم متضمنة في قوله تعالى "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (٥٧)، فقد جعلت تغيير أحداث العالم مرتبطة بما في أنفس الناس، والناس هم الذين يغيرون ما بأنفسهم ويتبع ذلك تغيير في السلوك والنظم ومعظم صور الحياة الاجتماعية. (٥٨)

ويذهب شريط (٥٩)، إلى أن التفكير الوسيط بأجمعه إسلامياً كان أو مسيحياً لم ينتبه إلاّ إلى ما يناقض هذا التنبيه، وهو أن اللّه هو الذي يغير وليس الإنسان. إذاً فالتغير بهذا الشكل ليس تغير الانسان بظروفه وحياته، وإنما هو نوع من الصراع ـ يصارع الإنسان البيئة من حوله بشقيها الحسي، والمعنوي، ويتغلب عليها، "لأن إرادة التغلب هي من مطالب النفس، وخُلُقُ التألّه هو من طباع البشر". (٦٠) لذا فإن الصراع الاجتماعي، صراع طبيعي لابد فيه من توازن، لأنه لا يمكن القضاء عليه، ولكن يمكن التلطيف من حدته، وجعله محتملاً إنسانيا.

وحتى نستطيع تحليل العلاقة بين التغير الاجتماعي و(الأخوة)، لابد من استعراض العوامل والعناصر التي ينطوي عليها هذا التغير. فباستعراضنا لفكرة ابن خلدون عن التطور، تبيّن أن هناك مجموعة من العناصر التي تنطوي عليها تلك الفكرة: (٦١)

العنصر الأول: عنصر الحركة الذي يشعرنا بأننا لا نعيش في عالم جامد وإنما نعيش في عالم روحه الحركة، التي نجدها عامة في الموجودات الكونية، وخاصة الإنسان والمجتمع. فتكون فكرة الأخوة في حدّ ذاتها وحركتها وتفاعلها في المجتمع، تهدف الى تغيير المجتمع من الوضع الذي كان فيه، ليصبح مجتمعا متماسكا يتحقق التضامن فيه بنظم اجتماعيه مبنية على أساس ديني اجتماعي.

العنصر الثاني: هو أن هذه الحركة لا تسير كيفما اتفق، ولا تسير بالخصوص إلى الوراء، وإنما الكائنات عندما تنتقل في حركتها، تنتقل إلى ما هو أرقى. وكذا كان البدء في حركة التغير في المجتمع الإسلامي الأول، حيث بدأت الحركة من الجماعة الأولية، ثم المهاجرين والانصار، وعممت على المجتمع المحلي، مجتمع المدينة المنورة، ثم تلا ذلك المجتمع الاسلامي بأشكاله ومناطقه المختلفة في العالم على مرّ العصور والأزمان.

العنصر الثالث: أن هذه الاستمالة والتطور تتم بأسباب تتكون عنها مسببات. بمعنى أن الأخوة الاسلامية كانت أحد أسباب إنشاء المجتمع الاسلامي المتماسك، والعلاقات الأولية القوية بين الأفراد المسلمين. تلك العلاقات وذلك التفاعل المبني على الوحي هما السبب في إنشاء وتكون تلك الوحدات الأساسية والأولية للمجتمع الإسلامي، ونواة التغير الذي حدث في مجتمع المدينة المنورة.

العنصر الرابع: إنها تتبع نظاماً محكماً من الترتيب في التطوير، وعدم الوقوف عند نهاية معينة، وهدف هذا النظام أن يرقى دائماً، ولا يرضى بالسكون، أو بالأحرى الرجوع الى الوراء. ويعني ذلك أن نظام الأخوة نظام مستديم، ما بقي الدين الاسلامي لأنه يستمد قوته منه، ولأن الدين الإسلامي كما هو معروف صالح لكل زمان ومكان، فإن نظام الأخوة، يسعى لتنظيم المجتمع وفق المعايير المحددة المرفقة به، ويسعى لتغيير دائم في المجتمع الإسلامي نفسه وفي المجتمعات الأخرى في كل الأوقات، وقد فهم هذا النظام في فترات من الزمن على أنه تعنصر أو تطرف أو إرهاب أو خلافه، ولكن بفهم هذا النظام اجتماعياً يسهل التعامل معه وإبعاده عن تلك البؤر. (٦٢)

لقد انطلقت التصورات الحديثة لتفسير التغير الاجتماعي منذ سروكن Sorokin في نظريته إلى التقلبات الاجتماعية والفكرية، وابتداع الدائرية. وكذلك توينبي Toynbeeوشبنجلر Spangler وماركس Marx في نظرية الصراع، بتحليله للتكوينات الاجتماعية المتمخضة عن أساليب وعلاقات الانتاج والتي تفضي إلى صراع بين الطبقات في المجتمع. وكذلك سبنسر Spencer في نظريته للتغير من خلال أفكاره في الداروينية الاجتماعية. (٦٣)

وقد أجمع دارسو التغير الاجتماعي على أن هناك عوامل خارجية، وأخرى داخلية، تؤدي إلى تغير المجتمع. فالدراسات التي أجراها المؤرخون حول انهيار، المدن وبنائها، واضمحلال التجارة، وضعف البرجوازية، في المجتمعات السابقة، تشير إلى عامل مهمٍ إذا وجد، وهو العامل الديني. وفي الجانب الآخر نجد في الدراسات السوسيولوجية التي اهتمت بدراسة تاريخ الجزيرة العربية وثقافتها، والثقافة العربية بشكل عام ما يشير إلى أهمية هذا العامل منذ إشارة ابن خلدون إلى تحول المجتمع، حتى الدراسات الحديثة حول هذه المنطقة من العالم وكذلك في المجتمعات الإسلامية.

إن الكثير من المفاهيم مثل التقدم، والتغير، والتطور، وغيرها من المفاهيم التي سادت الفترة التي سبقت الثورة الفرنسية، وكذلك أفكار الإصلاح الديني وتأثيرات عصر التنوير، كان لها دور في قدرة الإنسان الاوربي على تغيير ظروفه المادية والروحية (٦٤)، باستيعاب هذه المفاهيم ومحاولة التفريق بينها وضبط حركتها، وكذا الاستفادة من مضامينها. وإن التغير الاجتماعي له عوامل داخلية وخارجية لإحداثه، لكن هذه العوامل لا تؤدي في حد ذاتها إلى التغير، لذا فقد تتوافر هذه العوامل دون أن يحدث أي نوع من التغير، والسبب في ذلك أن المجتمع يحوي مجموعة من عوامل أخرى تؤدي إلى التوازن، فإذا كانت العوامل المؤدية إلى التغير أقوى من عوامل التوازن كانت الغلبة إلى التغير وأصبح ذلك واضحاً جلياً في أشكال مختلفة من التغير، وإذا كانت العوامل المؤدية إلى التوازن أقوى من العوامل المؤدية إلى التغير، حتى لو توافرت عوامل التغير، كان المجتمع متوازناً ومتكيفاً كلياً مع ثقافته غير مستعدٍ للتغير. ولأننا بصدد التعرّف على علاقة الأخوة بالتغير الاجتماعي للمجتمع الإسلامي، في المجتمع الإسلامي الأول، وإمكان حدوثه في المجتمع الاسلامي بشكل عام، فسوف نستعرض بعضاً من الشروط التي وضعها بارسونز في معرض حديثه عن الاستعدادات التي يجب توافرها في المجتمع حتى يكون متهيئا للتغير، وذلك لمحاولة إثبات علاقة الأخوّة بالتغير الاجتماعي الذي حدث في مجتمع يثرب إبّان الهجرة، والدافعية القوية نحو التغير الذي أحدثه الاسلام في ذلك المجتمع، إذ كانت فكرة الأخوّة منهجا وعاملا مهما في إحداث ذلك التغير، ويمكن أن يحدث في المجتمعات اللاحقة إذا أُخذت بتلك الروح. ومن هذه الشروط التي وضع بارسونز:

أولا: يجب أن تكون التوترات داخل المجتمع من القوة بحيث تولّد دافعية التغير وتحافظ عليها. وباستعراض المجتمع المدني في العهد النبوّي، نجد أن مجتمع يثرب قبل الهجرة، كان يعيش في مجموعة من التوترات، منها ما هو مختص بالحروب، والتنا قضات بين القبائل والفوارق الطبقية، وكذا وجود

الطبقات المستغِلّة من اليهود، والاختلافات الدينية، وهو ما جعل هناك حاجة للتغير. وكما تذكر كتب السيّر، فإن عبداللّه بن سلول، كان يكاد أن يتوجّ قبل مجيء النبي صلى اللّه عليه وسلّم، وهذا يظهر أن المجتمع كان في حاجة إلى التغير.

الثاني: يجب أن تتطور مجموعة من الوسائل لمقاومة أولئك الذين من مصلحتهم المحافظة على الوضع القائم أو عزلتها، وإلا فسوف تكون هناك مخاطرة بأن تخلق التوترات، في مواجهة قوى الضبط، ضرباً من السلبية أو أشكالاً من العداء غير المباشر. وبذلك كانت الأخوة في حدّ ذاتها بمنهجها وتطبيقاتها والتبعات النفسية والاجتماعية والدينية والسياسية التي لحقت بها، أهم الوسائل التي حطّمت مصالح المستفيدين من اليهود والمنافقين في ذلك المجتمع، ثم تطوّرت لتخلق مجتمعاً جديداً متوازنا.

ثالثاً: من الضروري أن يظهر نموذج للمجتمع على درجة من الوضوح، والواقعية، ويمكن تحقيقه. فبدون هذا النموذج فإن قوى التغير، تحدث استنزافاً سريعاً دون إحداث أي فعل مؤثر. إن النموذج المثالي كامل الوضوح، كان في الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وبما يحمل هذا الدين من قوة في العقيدة تنعكس على السلوك والممارسات سواء كان ذلك بين الصحابة أنفسهم أو علاقتهم بالمجتمع الخارجي. كان ذلك واضحاً في مفهوم (الأخوة) وما تبع ذلك من ممارسات ومفاهيم أخرى تابعة له، وتعتمد عليه مثل التكافل والتواد والتعاطف في المجتمع المدني.

رابعا: يجب أن تظهر بسرعة مجموعة من أشكال الجزاء، بحيث تثاب أشكال السلوك الجديد في ضوء معايير جديدة، تحاول تحطيم المعايير القديمة كان لابد من أن يكون المجتمع الإسلامي الأول يُظهِرُ بعض الجزاءات، وتظهر بعض المعايير لتثبت لمجتمع يثرب صحة تلك الأفكار والمعايير والمفاهيم والقيم وأهميتها وجدواها. لذا كان مفهوم الأخوّة أحدها، إذ تمثلت في قول النبي صلى الله عليه وسلم "سلمان منّا آل البيت"، والمعروف أن سلمان كان فارسيا ولم يكن عربيا. وكذلك كانت معاملة النبي لليهود والمنافقين في مواقف كثيرة قبل أن يقوى المجتمع الاسلامي وبعده، وغير ذلك من الممارسات ممثلة في الجزاءات التي تثيب على السلوك الحسن المنسجم مع القيم والمعايير الجديدة، والعقاب أو الاستبعاد لمن لم يكن منسجماً معها. هذه الإجراءات والتطبيقات، تنبع من أن الأخوة لها مدخلات، ومخرجات، وكل ما يخالف ذلك تنطبق عليه الجزاءات وكل ما يوافق ينطبق عليه الثواب، في الدنيا بالإضافة إلى ما هو موعود به في الآخرة. وقد أضاف بارسونز ظرفاً جديداً، إذ يجب أن تصل قوى التغير على أعلى درجة ممكنة بحيث تصل إلى مستوى الرموز والقيم. (٦٥)

تعتبر الأخوة جزءاً مهما من الدين الإسلامي الشامل، تأخذ جانبا في الاعتقاد وآخر في الحياة الاجتماعية. وقد جاء ذلك في مواقف وأقوال ومناسبات مختلفة لتؤكد وتثبت أن مفهوم (الأخوّة) قيمة دينية واجتماعية. من ذلك: "المسلم أخو المسلم...، من غشنا فليس منا...، من حفر حفرة لأخيه...، لا يؤمن أحدكم...، وغير هذا من الأقوال والممارسات في المجتمع الإسلامي الأول وما بعده، وهو ما يدلل على أن الأخوة قيمة دينية واجتماعية مهمة، وقد تكون محور الحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي وبذلك تصبح رمزا للوحدة والتوحّد والتكاتف والتعاطف والحب والتراحم، وبهذا الرمز تستمر الحياة في صدق وأمان. إذاً فهي الرمز الذي ينظر إليه، والتف حوله المسلمون في أوقات مختلفة وفي أماكن متباعدة وكذا فهي (الأخوة) نوع من الضبط الذي يكون محوراً لحركة هذه الجماعة والمجتمع.

علاقة الأخوة بالسلوك الجمعي:

حينما يكون الحديث عن السلوك الجمعي والأخوة فإن الذهن لا يخلو من مشاركة مفاهيم أخرى مثل التماسك، أو التكامل داخل الجماعة أو المجتمع المعين، وهو ما يوحي به مضمون مفهوم الأخوة، لأن مفهومي التماسك والتكامل يشيران إلى أن هناك نوعاً من الترابط القوي بين جزئيات الجماعة أو المجتمع. ويمكن أن يحكم على هذه الجماعة أو المجتمع بأنها متماسكة، أو متكاملة، من خلال تراث ديناميات الجماعة، ودرجة الجذب التي تمارسها على أعضائها، وكذا وفقاً للأسلوب والمنهج الذي تعتمد عليه في تحديد درجة التماسك أو التكامل داخل الجماعة، كما تحدّث دوركايم عن التضامن الاجتماعي في معرض حديثه عن التماسك داخل المجتمع. ومفهوم الأخوة يحمل تلك المفاهيم السابقة، وله منهج معين في جذب الأعضاء إليه، إذ إنه يعتمد على الإيمان بالله والالتزام بالإسلام حتى يتحقق، ويكون قادراً على معالجة معظم ما يمكن أن يتعرض له من السلبيات. لذ انجد أن من يلتزم بهذا المفهوم (الأخوة) يُعد له جزاء في الآخرة، وهناك الكثير من الآيات والأحاديث التي تصف الجزاء الذي أُعَدّ للمتحابين المتآخين. وهذا يجعل هناك قوة في المفهوم فكرةً وتطبيقاً.

والسلوك الجمعي هو نتيجة مباشرة لمواقف عامة، تتميز بالتفاعل الواضح بين الأفراد، وهذه المواقف لا يمكن أن تحدث بما تتميز به إلا أن تكون هناك رابطة قوية من نوع خاص، وذلك هو ما تهدف إليه الأخوة، ومن خلالها تظهر الدوافع والنزعات، وتنتشر وتنتظم وتتحرك في اتجاه معين.

وإذا حاولنا معرفة العلاقة بين الأخوة والسلوك الجمعي، نجد أن بعض النظريات الاجتماعية (٦٦)، تنظر إلى السلوك الجمعي بوصفه يعبّر عن تقارب الأفراد في الميول، والاستعدادات والأفكار والأهداف والآمال. إذاً فالسلوك الجمعي يعرّف بأنه السلوك الناتج عن أي نوع من التماثل بين الكائنات الإنسانية، حينما يتحرك كل فرد، ويفكر، ويسلك تحت تأثير نزوع معين، أو حالة عقلية، يشارك فيها مجموعة أفراد بغض النظر عن الظروف العامة، وينتج عن

ذلك السلوك الجمعي. (٦٧) كما ينظر للأخوة بوصفها نوعاً من التقريب والتأكيد على تقارب الأفراد في ميولهم وأهدافهم، بما يحويه هذا المفهوم من الدافعية نحو تماسك المجتمع ونبذ الصراع المؤدي إلى التفرقة، وإلى بناء المجتمع القوي، والتأكيد على الأساس العقدي له. وحتى يتكامل مفهوم الأخوة ويشكل سلوكاً يقاس عليه معظم أفعال الملتزم بذلك، فإن هناك مجموعة من العوامل والمحددات التي يجب توافرها حتى يصبح ذلك سلوكاً جمعياً. يذكر الفيصل (٦٨)، هذه المحددات على النحو التالي:

الأول: التيسير (اليسر) البنائي Structural Conduciveness، الثاني: التوتر البنائي Structural Stain، الثالث: نمو معتقد عام (معمم) وانتشاره Growth and Spread of Generalized Belief، الرابع: العوامل المسرّعة Precipitating Factors، الخامس: التعبئة والتنظيم Mobilization of Motivation into Action Organized، السادس: الضبط الاجتماعي Social Control.

يتمثل السلوك الجمعي في الأخوة بتوافر تلك المحددات، بالإضافة إلى أن هناك أيضاً مجموعة من الخصائص لهذا السلوك الذي يتمخض عن الاعتقاد الديني ثم الالتزام بهذه الأخوة. هذه الخواص كما ذكر الفيصل (٦٩)، تكوّن سلوكاً خارجاً عن الشرعية الاجتماعية، حيث لم يعتد المجتمع في مكة قبل الفتح، ولا في يثرب قبل الهجرة أن يتبنى مثل هذا السلوك من قبل، إذ تروي كتب السيرة والتاريخ كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الطبقات المختلفة في المجتمع، في نوع من التوحد في السلوك وفي الاعتقاد، ويعكس هذا السلوك ما يحمله الأفراد من فكر جديد. بل إن الشرعية الاجتماعية في تلك المجتمعات تكرّس نوعا معينا من الفكر والسلوك الذي قد لا يكون بنائيا، دافعا، أو خلاّقا يعمل على توحّد المجتمع وفعاليته. لذا فقد ركّز النبي صلى اللّـــه عليه وسلم على ذلك في معظم الأحاديث التي كان محورها شئون المجتمع والمعاملات، والتي تكون قائمة في أصلها على الاعتقاد الجازم بأن من يفعل ذلك يجازى بما عند الله من الثواب في الآخرة. بالإضافة إلى تنظيم المجتمع في الدنيا، مثل "لا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا ....." وكذا "حب لأخيك ما تحب لنفسك" (٧٠)، وكذلك كثير من الآيات والأحاديث التي تحث على الالتزام بالأخوة في محتواها الفكري وتطبيقاتها العملية المتشكلة منها مثل السلوك الجمعي. يضاف إلى ذلك من الخصائص، الحاجة إلى وجود توتر في البيئة يستلزم هذا النوع من السلوك. وفي هذا الجانب نجد أن البيئة الاجتماعية في يثرب قبل الهجرة، وفي المراحل الأولى من الهجرة، كان هناك توتر في الحياة الاجتماعية والدينية، وهو ما استلزم ظهور مثل هذا المفهوم، واستمر مشكلاً قاعدة تنطلق منها المجتمعات والأفراد، ومفهوما يتاح المجال للتنظير فيه، سواء كان ذلك في المجتمعات الإسلامية او غير الإسلامية، لأن مفهوم الأخوّة في جانبه الاجتماعي ليس حكرا على المجتمعات الاسلامية، بل تشترك في ذلك المجتمعات الإنسانية. لذا يمكننا القول: إن نظريات الجماعات والجماعات الصغيرة وديناميا تها ودراسة المجتمعات الصغيرة والمحلية والأقليات، قد انطلقت من هذا المفهوم.

وأخيراً، ضرورة وجود معتقد عام يستند عليه المشاركون لتفسير التوتر، وتخفيف حدته، كاعتقادهم بوجود مؤامرة عليهم أو وصمهم لمجتمع ما، بأنه مغاير لهم لذلك فان الترتيبات الاجتماعية تتطلب تعبئة لمجهودات المشاركين. (٧١) إن الأخوة تكون سلوكاً جمعياً، وتكون شكلا من متطلبات الوجود الاجتماعي لمجموعة معينة من الناس الذين يؤمنون بمفهوم الأخوّة، اعتقاداً وتطبيقاً، لأن ذلك الإيمان والالتزام علاج لأية مشكلة، أو مصاعب تواجه تلك الجماعة او المجتمع المنتمين إليه. ويكون ذلك في الامتثال لمتطلبات النظام الاجتماعي (الأخوة) وتقبل عمل النظم الاجتماعية الأخرى المساندة له أو المنطلقة منه، مع الاعتراف بأن عمل هذه النظم هو السبيل الوحيد للخروج من الصعوبات، وهو حل للأزمات، بالإضافة إلى كونه جزءاً من هوية المجتمع، كما أنه جزء من التكليف الديني الملزم للمسلم. لذلك فإن التوصل إلى النظام والعقلانية في الشئون الاجتماعية لا يتم إلا من خلال الكشف عن آليات (ميكانزمات) النظام

الاجتمـــاعـــي (٧٢)، وذلك ما كان البحث يسعى له من خلال إبراز بعض الجوانب الاجتماعية المتعلقة بمفهوم الأخوّة وعلاقته بالنظم الاجتماعية الأخرى، مع محاولة الكشف عن ديناميّاته وفاعليته في المجتمع الإسلامي.

الخلاصة:

بـــدأ مفهوم الأخوة، واستمر في ذهـــن الكثير من المسلمين، على أساس أنه مفهوم ديني يوجب الالتزام بعد الاعتقاد. ولكن لم ينظر إليه من جانبه الاجتماعي وينظّر فيه، بل إن هذا المفهوم انتقل خارج الحدود، حيث دُرِسَ ونظّر له من منطلقات فكرية مختلفة. فمنهم من نظر إليه من زاوية الجماعة والجماعات الصـــغيرة وديناميّاتها وتفاعلها، وكذا النظام الاجتماعي، وبعضهم الآخر من زاوية السلوك الاجتماعي والجمعي ومقوماته وخصائصه وغير ذلك من المفاهيم الاجتماعية الأخرى المتعلقة بذلك. وفرق ثالث رأى أنه تشـــابه في الأفكار، وتحليل لحركة المجتمع، إذ إن المجتمع الإنساني يتشابه في الكثير من المقومات والحركة. ولأن هذا الجانب من المجتمعات الأخرى لم يغفل التراث الاسلامي، بل تعرّض له بشكل او بآخر، نقلاً أو استعارة نظرا لأهمية المجتمعات الإسلامية لكونها مهد الحضارات، بالإضافة إلى الحضـــارة الاســلامية التي أنتجت فكر كثير من المفكرين الاجتماعيين. لذا فقد تكون تلك النظريات امتداداً لما طُرِقَ من قبل في المجتمع الإســلامي، من أمثال أفكار ابن خلدون. وحتى نســتوضــح مفهوم الأخوة نســتعرض بعض ما قيل عنها وأغراضــها واســتخداماتها في المجتمع الاســلامي. فقد قال بعض الحكماء: ليس للإنســان تنعّم إلا بمودة الإخوان، وقال آخر الازدياد مـن الاخوان زيادة فـي الآجال، وتوفير لحسن الحـال. وقيل: عاشر الناس معاشرة، إن عشتم صفوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم. وقال علي بن أبي طالب رضـى اللّـه عنه لابنه الحسن: ابذل لصديقك كل مودة، ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة، وأعطه كل المواســـاة ولا تفش إليه كل الأســـرار. وقال العباس بن جرير: المودة تعطف القلوب، وائتلاف الأرواح، وأنس النفوس ووحشة الأشخاص عند تنائي اللقاء

وظهور السرور بكثرة، والتزاور، وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق في الخصـال. وقال بعضـهم: من لم يؤاخ من الإخوان إلا من لا عيب فيه، قلّ صديقه، ومن لم يرض من صديقه إلا بإيثاره إياه على نفسه دام سخطه، ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه. وكان يقال: أعجز الناس من فرط في طلب الإخوان. (٧٣)

من ذلك يستنتج أن هذا المفهوم (الأخـوة) يؤخذ كلاًّ، وبشكل متوازن ومتكامل حتى يكون روحاً للمجتمع، فيؤكدّ عليه في الأدبيات بكل أشكالها وعلى اختلاف المستويات الثقافية في المجتمع. وكما يتصور بارسونز النسق الاجتماعي من أنه يولد داخل عمليات لتحقيق التكامل والتوازن، ويعمل على طرد مستمر لمصادر التوتر أو التغير أو الصراع في المجتمع، فإن المسـلمين يرون ذلك في مفهوم الأخوة والالتزام بها على أسـاس أنها نظام اجتماعي ديني أسـاسـه العقيدة الإسلامية، وروحه الالتزام بالدين. لأن هذا المفهوم (الأخوة) ليس إفراز المجتمع وحاجته إليه، ولكنه نظام تشريعي جاء من عند الله عن طريق نبيه.

بالإضـــافة إلى أن هناك تكاملاً بين التوجيهات الدافعية والتوجيهات القيمية في هذا المفهوم، وتكاملاً بالاعتماد المتبادل بين النظم الفرعية للنسـق الاجتماعي، وعملية التشـكّل النظامي المسـتمر لهذه النظم داخل المجتمع الإسـلامي. فنظام الأخوة يدعو إلى التوازن والعمليات التابعة لـــذلك، مـــن مستلـــزمات وظيفية أو ميكانزمات الضبط الاجتماعي داخل مفهوم الأخـوة. (٧٤) وفـي جانب آخـر، فإن التآخـي (الأخـوة) قـد تؤخـذ بأنها رمز لهذا التجمّـع (المجتمـع الجـــديـــد) وله مجموعة من الشروط والالتزامات، لذا فإن التفاعل بين الصحابة في ذلك المجتمع كان مبنياً على فهمه لهذا الرمز (الأخوة) لأن المسـلمين يتصـرفون تجاه الأشـياء والموضـوعات المتعلقة بهذا المفهوم على أسـاس ما تحمله هذه الأشياء من معانٍ ودلالات، فالأشياء والموضوعات ليست أهميتها في ذاتها، أو كما نراها، بل بما تحمله في طياتها من قيمة ومعنى، بالنســبة للفرد والمجتمع الذي يتعامل معها. لذا فإن مفهوم الأخوة له دلالات ووظائف متعددة في المجتمع الإسلامي الأول. واستمر هذا المفهوم بهذا الشكل عبر الأزمان لارتباطه بالدين في أصله، لذا فإن قوته وضعفه

وفاعليته وعدمها تعتمد على مدى ارتباط المجتمع بالدين. ويلاحظ في بعض المجتمعات الإسلامية عدم جدوى هذا المفهوم في بعض الاحيان، حيث تنتشر العنصرية والحروب وغيرها من مظاهر التشتت. وتظهر في مجتمعات أخرى الكثير من مظاهر الأخوة مثل الصدق والأمانة والمحبة وسواها. وكذلك يظهر بشكل ذي دلالة في بعض المجتمعات الإسلامية والتجمعات الإسلامية والعربية (الجماعات والتيارات) بشكل واضح داخل المجتمعات الإسلامية أو غيرها (الأقليات الإسلامية)، لأنها تبرز الطريقة الفعلية التي تؤثر في الناس والتي يؤثر فيها بعضهم في بعض، من خلال استخدامهم للأخوة والمتمثلة في تصرفاتهم أو ردود فعلهم أو اتجاهاتهم أو ما ينطوي عليه هذا المفهوم من دلالات بين المتآخين. وأخيراً، فإن اختلال الالتزام بروح هذه المفاهيم المطروحة دينياً واجتماعياً، يكون ذلك عاكساً لكثير من الاختلال في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية وخلافها، ومن خلال ذلك تظهر البنى العرقية والطبقية وترتبط حركة المجتمع في ازدهاره أو تقدمه أو تخلّفه حسب التفاعل بين الفكرة ومعتنقيها، وهذا ما سطّرته كتب التاريخ وعالجه علماء الاجتماع.

الهوامش والمراجع:

(١) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الواحد وافي، الطبعة الاولى (القاهرة: دار الشعب ،١٩٦٠م)، ص ٤٨٠.

(٢) ابو حيان علي بن محمد التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٥٣م)، ج٣، ص ٢٣.

(٣) عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ١٩٨١م)، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٤٤، ص ٥٥.

(٤) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، (حيدر اباد)، ج٣، ص ٣٨٨.و ابن هشام، السيرة النبوية،تحقيق مصطفى السقا، (القاهرة: مكتبة الحلبي ١٣٧٥)، ج١، ص ٣٩٥، و على بن ابي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد، (القاهرة: مكتبة القدسي،١٣٥٢هـ) ج٩، ص ٢٩٣.

(٥) احمد بن علي بن محمد الكناني ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨م)، ج١٥/١٠٤/٣٩٠٨

(٦) مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية: دراسة تحليلة، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ١٩٩٢م) ص ٣٠٢.

(٧) ابن حجر ـ فتح الباري ج١٥ ص ١٢٩.

(٨) ابن حجر ـ فتح الباري ج١٥ ص ١٣٠.

(٩) ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، (القاهرة: مطبعة الفجالة الجديدة ١٩٧٠م)، ج٣

(١٠) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الاشراف، تحقيق محمد حميدالله، (القاهرة: دار المعارف ١٩م) ج١ ص ٢٧٠.

(١١) ابن كثير، البداية ج٣، ص٢٥٠، وابن حجر، الفتح، ج١٢٣،١٥، ص ٣٩٢٩.

(١٢) ابن حجر، الفتح، ج٩، ص ١٣٣ ـ ١٣٤، ج٦، ص٢٠٤٨.

(١٣) أحمد، السيرة النبوية، ص ٢٥٢.

(١٤) سورة الانفال آية ٧٥.

(١٥) سورة الاحزاب آية ٦.

(١٦) سورة الحجرات آية ١٠.

(١٧) ابن حجر، الفتح، ج٧، ص ١٩١.

(١٨) ابن عبد البر، الدرر في المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف (القاهرة: دار الفكر، ١٩٦٦م)، ص ١٠٠.

(١٩) محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة: دراسات منهجية علمية لسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وماتنطوي عليه من عظات ومبادئ واحكام، (دمشق: دار الفكر، ١٩٧٧م)، ص ١٥٦.

(٢٠) سيد قطب، في ظلال القران، (بيروت: ١٩٧٨م)، ج١، ص ٤٤٣.

(٢١) قطب ـ الظلال، ج٤، ص ٣٣٤٣.

(٢٢) ابو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، تحقيق عبد القادر الارناؤط (عمان: دار الفكر، ١٩٨٦م)، ج٢، ص ١٨٨.

(٢٣) جي اتش كول، النظرية الاجتماعية، ترجمة عبد الوهاب الكيّالي، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٨م)

(٢٤) محمد علي محمد، مصطلحات العلوم الاجتماعية لطلاب قسم الاجتماع، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م)

(٢٥) Cecilial Ridgeway,The dynamics of Small Groups, (New York: St. Martin's Press,1983) ،pp. 17.

(٢٦) محمد، مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص ٤٢١.

(٢٧) أحمد ابوزيد، البناء الاجتماعي: مدخل لدراسة المجتمع، (القاهرة: الدار القومية، ١٩٦٦م)، ج٢

(٢٨) جان كزنوف، دائم علم الاجتماع، ترجمة عادل العوا، (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة، ١٩٨٩م)، ص ٢٨،٢٧.

(٢٩) جورج لاباساد رينيه لورو، مقدمات في علم الاجتماع، ترجمة هادي ربيع، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م)، ص ٦٦،٦٥.

(٣٠) نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، (بيروت: دار الشروق، ١٩٨١م)، ص ٨٢.

(٣١) محمد ناصر الدين الالباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، الفتح الكبير، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م)، ج٢

(٣٢) ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرىّ النيسابورىّ، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (الرياض: رئاسة البحوث العلمية والافتاء، ١٩٨٠م)، ج٤، ص ١٩٩٨.
(٣٣) ابو زكريا محيي الدين بن شرف النووي،اشرح صحيح مسلم، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٤م)، ج٢، ص ٢٤ .
(٣٤) الألباني، صحيح الجامع، ص ١٢٠٨.
(٣٥) الألباني، صحيح الجامع، ص ١٢٢٦.
(٣٦) الألباني، صحيح الجامع، ص ١٢٥٨.
(٣٧) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيئ من فقهها وفوائدها، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٧م) ج٣،
(٣٨) محمد بن علان الشافعي الاشعري المكي الصديقي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤م)، ج٢، ص ٢٣.
(٣٩) النووي ١٩٧٤م، ج٣، ص ١٦.
(٤٠) جي روشيه، علم الاجتماع الأمريكي: دراسة لأعمال تالكوت بارسونز، ترجمة محمد الجوهري وأحمد زايد، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م)، ص ٧٠.
(٤١) روشيه، علم الاجتماع الأمريكي، ص ٧٦.
(٤٢) روشيه، علم الاجتماع الأمريكي، ص ٧٧.
(٤٣) معن خليل عمر، نحو نظرية عربية في علم الاجتماع، ط٢، (عمّان: دار مجدلاوي، ١٩٩٢م)، ص٨٢.
(٤٤) دينكن ميشيل،معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، (بغداد: دار الرشيد ١٩٨٠)، ص٢٠.
(٤٥) محمود رجب، الإغتراب، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٨م)، ص٧٦.
(٤٦) نبيل رمزي، علم اجتماع المعرفة: الإيديولوجيا والوعي الاجتماعي، (الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ١٩٩١م) ج٢، ص ٩٣.
(٤٧) محمد عبدالمولى الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، (عمان: دار مجدلاوي، ١٩٨٧م)، ص ٢٥١.
(٤٨) ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لإبن هشام، ضبطه وعلّق عليه طه عبد الرءوف سعد، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م)، ج٢، ص ٢٤٢.
(٤٩) R.Serge Denisoff &Ralph Wahrman,An introduction to Sociology,(New York: Macmillan Publishing Co., INC 1983), pp 66 -67.
(٥٠) ابن حجر، الفتح ج١٤، ص ٣٧٨٢،٢٦٤/ ابن كثير، البداية، ج٣، ص٢٥٠.
(٥١) أحمد، السيرة النبوية، ص ٣٠٣.
(٥٢) السهيلي، الروض الأنف، ج٢، ٢٤٠.
(٥٣) السهيلي، الروض الأنف، ج٢، ٢٤١.
(٥٤) أكرم ضياء العامري، المجتمع المدني في عهد النبوة: خصائصه وتنظيماته الاولى، (المدينة المنورة: إحياء التراث الاسلامي، ١٩٨٣م)، ص ١١٩.
(٥٥) نبيل رمزي، علم اجتماع المعرفة: ايديولوجيا الإكراه الديني والإرهاب السياسي، (الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ١٩٩١م)، ج٣، ص ١١٩.
(٥٦) ابو محمد عبد الملك ابن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تعليق وضبط ومراجعة محمد محي الدين عبد الحميد، (الرياض: رئاسة البحوث العلمية والافتاء)، ج٢، ص ١١٨.
(٥٧) سورة الرعد آية ١١.
(٥٨) جودت سعيد، الانسان حين يكون كلاً وحين يكون عدلا، (بيروت: دار الثقافة للجميع ١٩٧٨م)، ص ٣٥.
(٥٩) عبد الله شريط، الفكر الاخلاقي عند ابن خلدون، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م)، ص ١٨٣.
(٦٠) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٨٠.
(٦١) شريط الفكر الاخلاقي ص ٢٦١.
(٦٢) شريط الفكر الاخلاقي ص ٤١٨.
(٦٣) السيد الحسيني، نحو نظرية اجتماعية نقدية، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٥م)، ص ٥٣.
(٦٤) حيدر ابراهيم علي، التغير الاجتماعي والتنمية: مدخل نظري، (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م)، ص ١٨.

(٦٥) روشيه، علم الاجتماع الامريكي، ص ١١٩.
(٦٦) محمد عارف، المحتمع بنظرة وظيفية: الوظيفية، اشكالها وامكاناتها التصورية والمنهجية في دراسة المجتمع، (القاهرة: مكتبة الانجلو، ١٩٨٢م)، ص٥٩.
(٦٧) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م)، ص ٩٦.
(٦٨) عبدالله عبدالرحمن الفيصل،"حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من خلال نظرية سملسر"، مجلة كلية الاداب ، جامعة الملك سعود، م٢ (١٩٩٤) ، ص ص ٧٣٨.
(٦٩) الفيصل، حركة الشيخ ابن عبد الوهاب، ص ٧٤٠.
(٧٠) الألباني، صحيح الجامع،
(٧١) الفيصل، حركة الشيخ ابن عبد الوهاب، ص ٧٤٠.
(٧٢) محمد احمد بيومي، علم اجتماع القيم، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية ١٩٧٨م)
(٧٣) عمر بن بحر الجاحظ، المحاسن والاضداد، تحقيق فوزي عطوي، (بيروت: دار الصعب، ١٩٦٩م)، ص ٥٣.
(٧٤) احمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م)، ص ٩١١.

معالم مدرسة المستقبل رؤية من منظور مدرسة النبوة

The landmarks of the School of the Future: A vision from the perspective of the School of Prophecy

د. رُفيدة عدنان حامد الأنصاري- أستاذ تقنيات التعليم المشارك- جامعة طيبة- المدنية المنورة

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى محاولة إلقاء الضوء على موضوع يتسم بالحداثة والجدة في مجال جديد في الدراسات التربوية والخاصة بمدرسة النبوة إذ ليس المقصد منها هو رواية سيرة الرسول المعلم ﷺ وإنما وضع رؤية وبناء تصور لمعالم مدرسة المستقبل من منظور مدرسة النبوة يمكن الاسترشاد بها والعمل على أساسها في المواقف التربوية والتعليمية المختلفة ففي دروس السيرة النبوية مَعين لا ينضب كونها وافرة العطاء قوية التأثير فالهدف منها هو التأسي بالرسول المعلم ﷺ فدروسها اقتداء ثم اهتداء ولتكون استيعاب علمي يمكن أن يحقق مزيداً من العطاء والتقدم وليتم وضع السلوك التربوي الذي باشره الرسول المعلم ﷺ في نطاق العملية التربوية والتعليمية. وتتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس: ما معالم مدرسة المستقبل رؤية من منظور مدرسة النبوة؟ واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وذلك لمناسبته لموضوع الدراسة والقائم على تحليل مضمون الأبحاث والدراسات المتعلقة بموضوع الدراسة والإنتاج الفكري المقدم في ذلك. وتبين من نتائج الدراسة أن مدرسة المستقبل لا تكتفي فيها العملية التربوية والتعليمية بالجوانب النظرية بل تكون أهدافها قابلة للتطبيق ومرتبطة بالواقع ومتغيراته ومستجداته المختلفة كما كان الحال في عهد مدرسة النبوة.

الكلمات المفتاحية: مدرسة المستقبل؛ مدرسة النبوة.

Abstract :

This study attempts to shed lights on an issue that is known as novel and serious in a new phase of Islamic studies, particularly the prophecy school. The aim is not related to narrate the prophetic biography of Muhammed (peace be upon him), but to place a vision and build the perception for the landmarks for future school from the prophecy school prospective that could be used as a guide and to work on its bases in different educational and instructional situations. The lessons of the prophetic biography are an inexhaustible source. They are abundant in giving and has a strong influence. Its goal is to follow the example of the Prophet, the teacher, so lessons are modelled and then guided, and to be scientific assimilation that can achieve more progress, and to put the educational behaviour that the Prophet, the teacher, began within the scope of the educational and instructional process. The problem of the study is represented in the main question: What are the features of the school of the future; a vision from the perspective of the school of prophecy? The study adopted the descriptive-analytical approach, due to its relevance to the issue of the study, which is based on analysing the research content related to the issue

of investigation and the intellectual production in the issue of the research. The results of the study showed that the school of the future is not limited to the educational process in theoretical aspects, but rather its objectives are applicable and linked to reality and its various variables and developments as was the case in the era of the School of Prophecy.

Keywords: school of the future; School of Prophecy.

المقدمة

حث الإسلام على طلب العلم كما وعنى به عناية بالغة فجعله ضرورة من ضرورات الحياة السعيدة، وقد تتابعت آيات القرآن الكريم وتكاثرت أحاديث الرسول المعلم ﷺ في بيان فضل العلم وأهله فكان من جلّ نعم الله على خلقه أن هيأ لهم سبله وجعل العلماء ورثة الأنبياء ورفعهم في ذلك مكاناً علياً. ولقد كانت حضارة الإسلام وعلومه بمثابة القبلة التي يُتجه للنهل من معينها والارتواء من فيضها. وعندما أرسى الإسلام دعائمه جعل طلب العلم فرضاً على كل مسلم وذلك بُغية أن يرفع من شأنه من حيث كونه خليفة الله في أرضه. وكانت مدرسة النبوة تدعو الجميع إلى العلم وتستقبل في رحابها المتلقين يرتشفون من ينابيع الفيض الإلهي فلا فرق فيها بين أبيض وأسود.

وكان الرسول المعلم ﷺ صورة حية لهذا العلم الذي علَّمه ربه يحوله إلى واقع حيّ ملموس حيث أفاض العليم ﷻ عليه من علمه وعلَّمَه ما لم يكن يعلم وعلى أمته من بعده ما به من العلوم تسلم وبآثاره تسمو وتنعم، وكان ﷺ يتعلم مالا يعلمه ويُعلم مَن لا يعلم بما يعلم. ولقد لمس الرعيل الأول من هذه الأمة الروح التربوية في الرسول المعلم ﷺ وفي حُسنِ طرائقه التربوية وذلك حين كان يخُطئ أحد متعلميه رضوان الله عليهم أجمعين فيعالجه بأسلوب تربوي حكيم فيتعلم المتعلم كل ما ينبغي له أن يتعلم؛ حتى قال في ذاك معاوية بن الحكم السلمي ﷺ:" فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه[٥٤٣] ". فكان صلوات ربي وسلامه عليه بحق المعلم الأول والذي قام بهذه المهمة منذ اللحظة الأولى التي تنزل فيها الوحي فأضاء روحه الصافية، وأضاء وجه الأرض كله كما لم يضيء من قبل.

واحتلت طرق الرسول المعلم ﷺ التربوية في مدرسة النبوة ووسائله التعليمية بخاصة مكانة مرموقة كانت أسسا للتربية والتعليم إذ أن جذور تلك الوسائل المستخدمة كانت بمثابة جواز المرور إلى مستحدثات التقنية وتوظيفاً لها واستثماراً فقد أُخذت عنها ثم واصلت زحفها في تقدم مطرد ففازت بالقيادة. والحق أن تلك المستحدثات لم تكن لتكون بديلاً عن تلك الوسائل ولا عدواً لها وإنما إطار ومنهج وحضارة وتقدم في حدود محورها، فمستحدثات التقنية كالبناء الضخم الذي كان أساسه جذوره التي قام عليها من الوسائل التعليمية ثم علا وازدهر وظهر على المسرح مالكاً لزمام الأمور. ومن ثمَّ كانت وجهة النظر التي تثبت بأن تلك المستحدثات لها جذور كجميع الحضارات إلاَّ أنها جذوراً غربية لا أصل لها في كيان مدرسة النبوة وإن كانت ترتد في جذورها كما ترتد جميع أصناف العلوم وألوانها إلى قرون خلت صاحبت الإنسان منذ نشأته على هذه الأرض.

وها نحن اليوم نعيش عصر العلم والمعرفة شئنا أم أبينا فمستحدثات التقنية بخاصة قد وصلت مداها فباتت تصر وهي في أوج وأزهى عصورها أن تقيم للرقي في كل ركن مَعلما وللتطور في كل موقع صرحاً ومن ثم اتجهت صوب

٥٤٣ صحيح مسلم، رقم الحديث (٥٣٧)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

التربية والتعليم حيث أسهمت في نشر العلم وجعلته أكثر رغداً وصيرت العالم بأكمله يبدو وكأنه قرية كونية صغيرة حيث أزالت الحدود والحواجز رغم كثرتها وتعددها.

ومع ذلك كله يواجه التعليم المعاصر كثير من المشكلات والتحديات تمليانها طبيعة العصر. وهو في محاولته التغلب عليها ومواجهتها يستند إلى استخدام مستحدثات التقنية باعتبارها من أهم الدعامات التي لا غنى عنها إذ أنها وسائل لغايات وليست غايات في حد ذاتها، هذه الغايات هي تحسين العملية التعليمية وجعلها أكثر كفاية وقدرة على إحداث التعلم المرغوب. ويرتبط هذا مع تربية القرن الحادي والعشرين والتي تتبنى مبدأ التعلم مدى الحياة فهدف التربية هو تنمية المتعلم وتهيئته للمستقبل، ولا يخفى على كل ذي بال أن إعداده لا يمكن القيام به على الوجه الأكمل إلاَّ من خلال تحديد احتياجات المجتمع وفهم المتغيرات المتوقع حصولها والتعرف على العوامل المؤثرة فيها واستيعاب أبعادها وأثارها المحتملة بما يساعد على رسم خيارات مناسبة للظروف والمواقف في المرحلة القادمة في إطار فهم الأمة ومبادئها وإمكاناتها.

وقد نشأ عن ذلك ضرورة التعامل مع رؤى وأهداف واستراتيجيات مختلفة نوعاً وكماً من خلال أساليب تعتمد فكراً تربوياً مغايراً فكراً ينظر إلى المستقبل بهدف متحرك أساسه نظام تربوي قوي مرن ومتجدد، ومحوره جيل الغد القادر على تحليل الحاضر والتفاعل الفوري مع المتغيرات وابتكار الحلول العملية وذلك بناء على رؤى تربوية لما ينبغي أن يكون عليه النظام التربوي في مرحلته الجديدة. فالمستقبل ليس له وجود كشيء مستقيل ولذا فإنه لا يمكن دراسته بل من الممكن دراسة أفكار عنه وقد يكون مصدر هذه الأفكار هو الماضي أو الحاضر فمستقبل أمة قد يكون حاضر أمة أو ماضي أخرى.

ولذا كان لزاماً لذلك إعادة النظر في تلك المستحدثات وآليات التطوير وأدواته وخططه كافة وإعادة هيكلة مؤسسات التربية والتعليم ونظمها التعليمية من أجل إعداد أجيال الغد لعصر المعرفة وثورة المعلومات باعتبارها منطلق التعلم بما تعطيه للمتعلم من مفاتيح يمكن أن يقف بها على مختلف العلوم والمعارف واضعة في حسبانها أنها إذا انتزعت نفسها من ثوابت هذه الأمة وقيمها حكمت على أهدافها ومناهجها وبرامجها بالذبول ثم الفناء.

ولقد كان التخطيط السليم القائم على التنبؤ بالمستقبل والاستعداد له خير معين على ترجمة كثير من التصورات إلى خطط عملية سعت للارتقاء بعملية التربية والتعليم لتوافق التطلعات والآمال. فقد ظهر في الآونة الأخيرة اتجاه تصوري يسعى إلى استشراف المستقبل علّه يساعد في تهيئة الأمم لمتطلبات العصر المختلفة. ولأن المدرسة تؤدي دوراً رئيساً في نهضة الأمم ورقيها كان البحث في مستقبل المدرسة أحد اهتمامات التربويين الحديثة ومن هنا ظهر على السطح التربوي ما يسمى بـ "مدرسة المستقبل" وما يتعلق بها من تطبيقات عملية.

ولأن أي فكرة جديدة أو محاولة للإصلاح والتغيير تخضع للبحث والدراسة والرأي والرأي الآخر كانت هذه الدراسة وهي محاولة لتسليط الضوء على بعض الجوانب التي قد تساعد في جلاء الرؤية ووضوحها حول مدرسة المستقبل بحيث تصب في المحاولات المختلفة التي تنظر إلى مدرسة المستقبل من نوافذ مختلفة لتشكيل رأي علمي يستند إلى فلسفة صحيحة وأسس ومبادئ يمكن أن يكون نبراس ينير الطريق ويدعو إلى مزيد من التأمل والبحث. فمن كرم الله ﷻ أن جعل التفكير في المستقبل والتأمل فيه والعمل من أجله ليس رجماً بالغيب بل هو ضرورة دعا إليها الرسول المعلم ﷺ في قوله "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لأخرتك كأنك تموت غدا".

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

لا تستطيع أمة من الأمم تنشد التقدم أن تتخلى عن ماضيها فهي إن تخلت عنه تخلت معه عن أسباب تقدمها وازدهارها وماضي هذه الأمة هو مدرسة النبوة فضلا عن كونها حاضرها ومستقبلها، ولم ينبع ذلك من فراغ وإنما نبع من فلسفة تربوية خاصة بها في التربية والتعليم اشتقت أهدافها وغايتها في أجمل حلة نظمها الرسول المعلم ﷺ بوحي الكتاب والسنة حيث مكنت من تخريج متعلمين أضاءوا الأرض علماً وحكمة فكانوا بحق رجالاً صنعوا الأمجاد وسطروا الحضارات.

ولما كان لكل أمة طابعها الخاص في التربية والتعليم والذي ينسجم مع شخصيتها وكيانها، والذي لا يمكن أن تستورده أمة تريد ألاَّ تكون ذيلاً لغيرها أو ضائعة في كيانها. وإنما ارتطم العالم الإسلامي في بؤرة الضياع بغياب التربية النبوية والجهل بعناصرها وأهدافها. ونظرا لأن العالم المعاصر يموج بألوان وأنواع عديدة ومعقدة من التحديات لتحسين نوعية التعليم في ظلال عصر المعرفة وثورة المعلومات كان لزاماً لذلك وضع فلسفة تربوية جديدة لتطوير العملية التربوية والتعليمية تهدف إلى إدخال مفهوم مدرسة المستقبل من منظور مدرسة النبوة وإعادة النظر في ذلك النظام وتكييفه ليتوافق مع عصر المعرفة وثورة المعلومات. ومن هنا لزم الإطلاع على تراث الأمة إطلاع اختيار وانتقاء فروح العمل التربوي الناجح يجب أن يكون نابع من شخصية الأمة مبدأً وهدفاً والعمل التربوي الأصيل لابد وأن يتسم بالمعالم الأساسية لشخصية الأمة. فالحكمة ضالة المؤمن أينما كانت على أن تأتي بالأفضل والأحسن لا أن تكون مجرد نقل أعمى. ومن هنا نبعت فكرة الدراسة التي تتمثل مشكلتها في السؤال الرئيس: ما معالم مدرسة المستقبل رؤية من منظور مدرسة النبوة؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى محاولة إلقاء الضوء على موضوع يتسم بالحداثة والجدة في مجال جديد في الدراسات التربوية والخاصة بمدرسة النبوة إذ ليس المقصد منها هو رواية سيرة الرسول المعلم ﷺ وإنما وضع رؤية وبناء تصور لمدرسة المستقبل من منظور مدرسة النبوة يمكن الاسترشاد بها والعمل على أساسها في المواقف التربوية والتعليمية المختلفة ففي دروس السيرة النبوية مَعين لا ينضب كونها وافرة العطاء قوية التأثير فالهدف منها هو التأسي بالرسول المعلم ﷺ فدروسها اقتداء ثم اهتداء ولتكون استيعاب علمي يمكن أن يحقق مزيداً من العطاء والتقدم. فمجال البحث التربوي في مدرسة النبوة مجال فسيح واسع وليتم وضع السلوك التربوي الذي باشره الرسول المعلم ﷺ في نطاق العملية التربوية والتعليمية. وذلك من خلال النقاط الآتية:

- الكشف عن معالم مدرسة المستقبل رؤية من منظور مدرسة النبوة
- الخروج ببعض المقترحات والتوصيات في مجال التربية والتعليم بوجه عام وفي مجال تقنيات التعليم بوجه خاص.

أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من كونها ليست من ضمن السيرة النبوية وإنما هي تحقيق لدراسة متخصصة بصورة مقصودة في مجال التربية والتعليم؛ فقد تفيد الباحث المسلم وغير المسلم في تبيان أسس مدرسة المستقبل من منظور مدرسة النبوة فإبراز هذه الذخيرة العلمية يُعد أمراً مهماً جداً لتطبيقها في الواقع التربوي إذ يُعد هدف الدراسة من أهم

الأهداف لما ينبغي أن تسعى التربية إلى تعزيزه ذلك لما يترتب عليه من تحقيق التقدم على مسارات النهضة والحضارة. خاصة وأن الفكر العلمي المسلم هو الذي حمل مشعل الحضارة الإنسانية فعدلها وأضاف إليها وساهم فيها. وهو عمل اجتهاد في محاولة الدراسة الجادة للفكر التربوي في مدرسة النبوة مبدأ وتطبيقاً. وتتبين أهميتها وذلك من خلال النقاط الآتية:

- محاولة الكشف عن معالم مدرسة المستقبل رؤية من منظور مدرسة النبوة.
- توضيح الأبعاد الأساسية لموضوع الدراسة وذلك في إطار فكري شامل ينأى به عن السطحية والشكلية مبيناً صلته الجذرية وما له من أصول تربوية في مدرسة النبوة.
- حرص التربويين على الرقي بأسلوب التربية والتعليم نحو الأفضل مع المحافظة على القيم التربوية الإسلامية وبيان إسهاماتها المتعددة في مجال التربية والتعليم.
- ندرة الدراسات التي تناولت موضوع الدراسة الحالية مما يجعل الدراسة تثري المكتبة العربية بما تضيفه من معرفة علمية في هذا المجال؛ إذ أن فيها مساهمة لمحاولة سد الثغرة الموجودة في الدراسات التربوية التي بحثت في مجال التربية والتعليم.

منهج الدراسة:

سيتم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي: وذلك لمناسبته لموضوع الدراسة إذ يعتبر أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم بغرض الوصول إلى إجماع حول الأسس العلمية التي يعتمد عليها والقائمة على تحليل مضمون الأبحاث والدراسات المتعلقة بموضوع الدراسة والإنتاج الفكري المقدم في ذلك، ولكونه أكثر ملائمة لطبيعة الدراسة مقارنة بغيره من أساليب مناهج البحث الأخرى للتعرف على أكبر قدر ممكن من المعلومات والتي قد تخدم غرض الدراسة وأهدافها.

حدود الدراسة:

أولا: الحدود الموضوعية:

- تقتصر الدراسة على تقصي وضع رؤية وتصور لمعالم مدرسة المستقبل من منظور مدرسة النبوة وتقديم نموذج دراسي لأهم تلك الملامح والأطر.
- تقتصر الدراسة على المواقف التربوية للرسول المعلم ﷺ في مدرسة النبوة فلقد قدم ﷺ من خلال أحاديثه العديد من اللمحات التربوية مما يشكل في جملته معينا رائعا يمكن الغرف منه في مجال التربية والتعليم.
- تقتصر الدراسة على تناول وعرض بعض الرؤى العلمية والتي يمكن أن تثير بعض القضايا العلمية مما يدعو إلى مزيد من التأمل والبحث في مفهوم: "مدرسة المستقبل وفق رؤية من منظور مدرسة النبوة" وما يتعلق به من تطبيقات فعلية.

خطوات إجراءات الدراسة:

وتتمثل الطريقة المتبعة في تحديد خطوات إجراءات الدراسة كما يلي:

- جمع وحصر البيانات والمعلومات الخاصة بموضوع الدراسة والتي أمكن التوصل لها.

- تصنيف البيانات والجمع بين المتكرر منها، ومن ثم تحليلها في صياغة جديدة مما يسهم في تقديم مبدأ أساسي أو إبراز مجالاً هاماً تسعى الدراسة لإيضاحه.
- ترتيب البيانات والمعلومات بغرض الخروج بخلاصة علمية يمكن للدراسة التوجه إليها في ضوء ما تهدف التحقق منه.

مصطلحات الدراسة:

مدرسة المستقبل:

ويعرفها العبد الكريم بأنها: المدرسة المتطورة التي يسعى التربويون لإيجادها لتلبي حاجات المتعلمين المختلفة ولتزودهم بالأسس المناسبة لمواصلة دراستهم الجامعية أو ما في مستواها، وتزودهم بما يؤهلهم للعيش بفعالية وبتكيف في مجتمعهم الحديث[٥٤٤].

ويعرفها عثمان بأنها: هي نوعا من المداس يقوم على الإمكانات الهائلة لتكنولوجيا الحاسبات والاتصالات والمعلومات بكافة أنواعها، فهي مدرسة متطورة جدا باستخدام التكنولوجيا الحديثة وتعمل على تشجيع الطلاب على التعلم الذاتي، وإتاحة الفرصة لهم للاتصال بمصادر التعلم المختلفة (المحلية- العالمية)، والحصول على المعلومات بأشكالها المختلفة (المسموعة – المقروءة – المرئية .... إلخ) وذلك من خلال معامل الحاسبات الملحقة بها[٥٤٥].

كما ويعرفها المالكي بأنها: المدرسة المتطورة في بنيتها التعليمية والإدارية والتقنية والتي تلبي حاجات المجتمع والمتعلمين بمستوى عال من الفاعلية، وتوظف التقنيات الحديثة في مختلف أنشطتها الإدارية والتعليمية، كما تعنى بالحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للمجتمع السعودي، وتقدم للمجتمع خريجين يتميزون بالكفاءة في مواصلة دراستهم الجامعية والانخراط بفاعلية في أنشطة المجتمع التكنولوجي الحديث [٥٤٦].

المفهوم الإجرائي: مصطلح يُراد به ما يستجد جديد في منظومة مؤسسات التربية والتعليم وما تتضمنه من نظم وأساليب ونماذج في آليات العمل في تلك المؤسسات بالإضافة إلى ما تتبناه من وسائل وتقنيات تكنولوجية حديثة وغيرها بغرض تحقيق المرونة والتفاعل في عمليتي التعليم والتعلم بحيث تستهدف تطوير وتحديث العملية التعليمية من أجل تحقيق أهدافها بكفاءة وفاعلية.

مدرسة النبوة:

ويعرفها وزان بأنها: سنة الرسول ﷺ المتمثلة في أقواله وأفعاله وتقريراته ومنها قوله ﷺ (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)[٥٤٧].

---

[٥٤٤] العبد الكريم، راشد. مدرسة المستقبل تحولات رئيسية، ورقة عمل مقدمة لندوة أبحاث مدرسة المستقبل، ١٤٢٣= ٢٠٠٢،

[٥٤٥] عثمان، ممدوح. التكنولوجيا ومدرسة المستقبل " الواقع والمأمول". ورقة عمل مقدمة لندوة أبحاث مدرسة المستقبل، ١٤٢٣.

[٥٤٦] المالكي، محمد عبد الله، نموذج مقترح لمدرسة المستقبل السعودية في ضوء الاتجاهات المعاصرة لتطوير التعليم وتكنولوجيا المعلومات. جامعة الملك سعود، ١٤٢٨= ٢٠٠٧.

[547] وزان، سراج محمد، التدريس في مدرسة النبوة، دعوة الحق، ١٤١٣=١٩٩٣،٢٥

المفهوم الإجرائي: مصطلح يراد به مجالس حلقات الرسول المعلم ﷺ والتي صنعت في ظلالها القيادة الناجحة في كل ميدان ومجال، ومثل فيها صحابته الكرام رضوان الله عليهم مُثل عملية وصور قيّمة من علماء ودعاة وقادة ارتفعوا من مستوى الكلام والنظريات إلى مستوى السلوك والاختراع والمنجزات العلمية.

الدراسات السابقة:

رغم كثرة الدراسات التي أجريت في مجال التربية النبوية الشريفة في جوانبها المختلفة بصورة عامة، إلا أن هناك ندرة في الدراسات الأصيلة ذات الصلة بموضوع الدراسة مباشرة فمن الملاحظ ندرة الدراسات التي تناولت موضوع الدراسة، فعدم توافر دراسات متكاملة في هذا المجال قد يكون عنصراً ايجابياً في الموضوع إذ يشكل ذلك مصدر الجدة والحيوية وهو أحد العوامل الدافعة للدراسة والبحث فيه والنظر في موضوعاته والتأمل في مسائله. غير أنه من جانب آخر قد يكون هذا العنصر ذاته بمثابة غياب المرشد وهو أحد العوامل الرئيسة للتعثر بل وحتى الانتكاسة في تحصيل نتائج علمية وعملية لعدم وضوح الرؤية والتصور المتكامل الذي يوجه البحوث ويرسم خريطة سيرها نحو العمق والجدة والأصالة.

وما ذكر هنا هو ما تيسر الحصول عليه والتي يمكن استخلاص منها نموذج تطبيقي لمدرسة المستقبل وفق رؤية تربوية من منظور مدرسة النبوة. وقد تمَّ عرض الدراسات في ترتيب زمني تصاعدي بدء بالقديم وصولا للحديث منها:

دراسة متولي بعنوان " الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية في مدرسة المستقبل". هدفت الدراسة إلى تعزيز الانتماء الديني والقومي لدى الأجيال العربية في سياق التواصل الحضاري والإنساني، وبما يُمكّن من التصدي الواعي للغزو الثقافي وحماية الهوية الدينية والثقافية والحضارية للأمة العربية الإسلامية. وتمكين المتعلم العربي من التعامل والتكيف الإيجابي الفعال مع بيئته ومجتمعه المحلي والوطني والقومي والعالمي، وتمكينه من فهم الحضارات والحوار الهادف والبنَّاء مع الآخرين أفراد وجماعات، وإكساب المتعلم العربي التعلم الذاتي والقدرات التي تمكنه من البحث والحصول على المعرفة من منابعها. واستخدمت المنهج التحليلي لأهم المفاهيم التي تناولتها حيث تطرقت إلى مفهوم (الهوية) بحثاً عن المعاني والدلالات والوظائف التي حملها هذا المفهوم في الفلسفة والاجتماع والتربية والسياسة، ومن ثمَّ انتقل التحليل إلى بيان خصائص المعاني والقيم التي يستند إليها تصور "الهوية العربية الإسلامية" وذلك استمراراً من المصادر والكتابات التي بحثت هذا المفهوم. وكما استخدمت المنهج التخطيطي الاستراتيجي وذلك عند استعراض الدور التربوي المتوقع لمدرسة المستقبل للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، من خلال رصد الوارد والإجراءات اللازمة لتفعيل هذا الدور مما أفاد الدراسة في الخروج برؤية تخطيطية لما يتعلق بمدخلات وعمليات منظومة مدرسة المستقبل. وكان من أهم نتائج الدراسة إيضاح ملامح الدور التربوي لمدرسة المستقبل في المنطقة العربية الإسلامية والحث على تبني نموذج أو أكثر من هذه النماذج ليكون بمثابة مدرسة للمستقبل في النظام التربوي والتعليمي العربي، ولتكون قادرة على إعداد متعلميها إعداداً شاملاً ومتكاملاً بحيث يكونوا قادرين على التعامل مع المتغيرات والتحديات المستقبلية مع المحافظة على هويتهم وذاتيتهم العربية والإسلامية.

دراسة عثمان بعنوان "التكنولوجيا ومدرسة المستقبل". هدفت الدراسة إلى تحديد الواقع الحالي للمدارس في الوطن العربي٠ وتحديد مواصفات مدرسة المستقبل في ضوء التكنولوجيا٠وكان من أهم نتائج الدراسة أن استخدام الحاسبات الآلية وشبكات المعلومات المحلية والعالمية سيكون في متناول المتعلم٠كما وأن التعلم سيكون في

جماعات تعاونية مع تأكيد مبدأ التعلم الذاتي، وسيكون المعلمون قادة ومرشدين لتعليم متعلميهم من خلال استخدامهم للحاسبات وشبكات المعلومات المحلية والعالمية بكونها ستتيح التغلب على مشكلة التغيير الهادر في محتوى المواد التعليمية ٠كما وأنه سيحل التنوع في الموضوعات والمحتوى تبعا لتنوع رغبات المتعلمين محل التجانس المفروض حاليا بحجة أن أي شيء يناسب الكل ٠وفي ضوء نتائج الدراسة كان هناك عدد من التوصيات من أهمها : ضرورة إعادة النظر في المناهج الدراسية التي تدَرس حتى تواكب عصر التكنولوجيا والمعلوماتية٠والتأكيد على ضرورة إعادة النظر في البيئة التعليمية بالمدارس بكافة المراحل التعليمية حتى تتمشى مع متطلبات التكنولوجيا الحديثة. والدعوة لعقد دورات تدريبية للمعلمين وإكسابهم الرؤية الصحيحة نحو توظيف الثورة التقنية والتكنولوجية.

دراسة محمد بعنوان " المدرسة كقاطرة لمجتمع المستقبل". هدفت الدراسة بيان أهمية دور المدرسة في صنع المستقبل، والكشف عما يعتري الواقع التربوي من عقبات تحول دون القيام بالدور المستقبلي لها. بالإضافة إلى تحديد الإمكانيات المتاحة والشروط الضرورية التي يكون من شأن توافرها وتفعيلها في الواقع القائم أن تقوم "مدرسة المستقبل" بالدور المنتظر منها. واختيار الأساليب التخطيطية الملائمة لقيام مدرسة المستقبل بتغيير الواقع القائم وتأسيس الواقع القادم. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي في تحليلها للواقع التربوي بينما اعتمدت في تأسيس التصور المستقبلي لدور مدرسة المستقبل في تغيير هذا الواقع وتحريكه نحو الواقع القادم على المنهج المستقبلي. وكان من أهم نتائج الدراسة: إدراج الفكر المستقبلي في المناهج والمقررات بالمدارس العربية. وإعادة تأهيل المعلم على أساليب التدريس المنطلقة من منهجية المستقبل. والدعوة لفتح المدرسة العربية على الثقافة العربية بهدف تجديدها لا ترديها أو تلقينها. والتأكيد على ضرورة فتح المدرسة العربية على الثقافة العالمية بهدف التفاعل معها لا الوقوف منها موقف المنبهر أو الخائف المنعزل.

دراسة المالكي بعنوان "نموذج مقترح لمدرسة المستقبل السعودية في ضوء الاتجاهات المعاصرة لتطوير التعليم وتكنولوجيا المعلومات". هدفت الدراسة إلى تحديد سمات مدرسة المستقبل التي يتطلع إليها جمهور التربويين في العصر الحديث الذي يتسم بالتقدم التكنولوجي والانفجار المعرفي والتغيرات السريعة في العديد من المجالات المادية والتقنية والاقتصادية والثقافية من خلال تحديد الفلسفات والاتجاهات المعاصرة في إصلاح التعليم. وتحديد مشكلات الواقع الحالي للمدارس الحالية في المملكة العربية السعودية ومعوقات تحقيق رؤية مدرسة المستقبل. بالإضافة إلى مبررات ودواعي صيغة مدرسة المستقبل في التعليم السعودي. وتحديد مواصفات مدرسة المستقبل في المملكة العربية السعودية والتي يمكن أن تكون بديلاً فعالاً للمدرسة الحالية ومدخلاً لتطوير التعليم. وقد استخدمت المنهج الوصفي التحليلي للتعرف على الواقع الحالي للمدارس التقليدية، ولتحديد معوقات تجديد وإصلاح التعليم في المملكة العربية السعودية. بالإضافة إلى المنهج المستقبلي " الاستشراف – التحليل المستقبلي" وذلك لما سوف تكون عليه مدرسة المستقبل في ضوء تكنولوجيا المعلومات، ولتحديد مواصفات مدرسة المستقبل في المملكة العربية السعودية. حيث اعتمد هذا المنهج على استشراف ملامح ومواصفات مدرسة المستقبل السعودية في ضوء " مدخل السيناريوهات وأسلوب دلفاي ".

دراسة ويدمير بعنوان " مرة واحدة المدرسة والمستقبل"جاء فيها بيان أن جميع المدارس المنفتحة لها مبدأ مشترك فهي تعتمد توسيع نطاق الجهود الرامية إلى إتاحة الفرصة للحريات أمام المتعلمين، كما وتضمنت بيان بعض السمات المميزة للتعليم المنفتح منها إشراك أكبر عدد من الناس بحيث يراعى احتياجاتهم واهتماماتهم فيرتبط المنهج بالحياة ويكون على صلة وثيقة به مع الاهتمام كذلك بنطاق بيئة التعلم والتركيز على المتعلم وتراجع الاعتماد على المعلم.

فالمبدأ الأســاس هو اســتمرارية التعلم وقد نتج ذلك عن الانفجار المعرفي والســكاني وزيادة الحاجة إلى إعادة التأهيل والتدريب والكفأة بالإضافة إلى الاحتياجات الخاصة للأقليات. وأوضح الدارس ضرورة إنشاء نظم التربية والتعليم من المهد إلى اللحد ومزاوجتها مع أنظمة التعليم القائمة وليكون ذلك النهج مدى الحياة. وأشار فيها بأحد النماذج المعاصرة لمدرسة المستقبل والشاملة لنموذجها المقترح وهي مدرسة ولاية ويكسوسن فقد رعي في تصميمها التجديد وتوليد نماذج جديدة وتطبيقات حديثة.

دراسة بيمارك بعنوان " نماذج عن برامج الاستشارة ومدارس المستقبل". تضمنت الدراسة إنشاء تصور لمدارس المستقبل في عام ٢٠٢١، وكان لزاما لذلك تصور صورة المدارس الرسمية في المستقبل وما ستؤول إليه إذ من المتوقع وجود توجه لها وهو الابتعاد عن هياكل المؤسسات التعليمية الكبيرة على أن يراعى فيها إعادة التصميم بحيث تتضمن عددا من المراكز ومصــادر للتعلم بداخلها بحيث تعمل كما تعمل الجامعات اليوم فتتناول جميع التخصــصــات المختلفة المجالات. وضمن هذا التصور تتغير أدوار مدير المدرسة والمرشد بها وكذلك المعلم والمتعلم فمهمتهم الأساسية هي تســهيل عملية التعلم للمتعلم. وفي ســياق هذه التغيرات يقترح الدارس بأن المشــرف التربوي ســيخضــع لتحول كبير ومناصب قيادية واستشارية.

دراسة ليو بعنوان " تقدير احتياجات مدارس البلدان النامية للالتحاق بمدارس المستقبل". هدفت الدراسة إلى تصميم دليل يســهم في تقديم بعض المســاعدة في التربية والتعليم للخبير الإحصــائي التربوي أو المهتم بأمر التقنية الذي يواجه مهمة تقديم بعض التوقعات عن مدرســة المستقبل وذلك لبيان مدى تطور البلاد. حيث قرر الدارس بعض العوامل التي تساعد في تطوير المدرسة فهناك بعض من التخمينات التي تحدد معدلات الالتحاق بمدارس المستقبل. وجاء فيها بيان دراســة ثلاث حالات من البلدان النامية كانت: الســودان، والفلبين وكولومبيا. وكان الغرض هو توضــيح حالات معينة لتتناسب مع احتياجات معينة.

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة يتضح أن مدرسة المستقبل أحد أهم الأطروحات التربوية التي ينشدها التربويون في عصر المعرفة وثورة المعلومات. وقد أفادت هذه الدراسات موضوع الدراسة في مجملها بما أكدت عليه وهو التركيز على مدرسة المستقبل إذ لا تكتفي العملية التربوية والتعليمية بالجوانب النظرية فقط بل تكون أهدافها قابلة للتطبيق ومرتبطة بالواقع ومتغيراته ومستجداته المختلفة.

وعليه، فإن أهم ما يميز هذه الدراســة هو اعتماد كل ما كُتب حولها على الرؤى المســتقبلية وما يصــاحبها من تنبؤات قائمة على دراسات تحدد التوجهات العامة التي ستشكل الملامح الرئيسية لمدرسة المستقبل.

معالم مدرسة المستقبل رؤية من منظور مدرسة النبوة:

لم تكن مدرسة النبوة بقيادة الرسول المعلم ﷺ حكراً لجيل بعينه بل كانت تستهدف بناء أجيال الغد وكان ذلك لا يغيب عن ذهنه ﷺ فيوصي متعلميه بمن يليهم وهكذا تمتد الوصية من هذه النظرة فعن أبي هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " يأتيكم رجالاً من قبل المشرق يتعلمون فإذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيراً" قال: فكان أبو

سعيد إذا رآنا قال: "مرحبا بوصية رسول الله ﷺ"[٥٤٨]. ولم يكن هذا المد العلمي قاصراً على الوافدين فقد كان ﷺ يرسل بعوثه ويوضح لهم منهج الدعوة والتعليم.

ولما كانت رسالته ﷺ عالمية للناس جميعاً كان من جملة ذلك أن أعد متعلميه لما سيكون في المستقبل من حاجته لترجمة ما هو كائن بينه وبين أرباب اللغات الأخرى ومنه أمره لكاتب وحيه زيد بن ثابت ﷺ بتعلم اللغة السريانية وإتقانها قراءة وكتابة حتى يستغني به في ذلك عن اليهود فعن زيد بن ثابت ﷺ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود. قال: إني والله ما آمن يهود على كتابي. قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له. قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم[٥٤٩].

وما فتأ ﷺ أخذا بأحداث أساليب التقنية في عصره باعتبار كونها الوسيط المستخدم في نقل المعلومات وتداول الأفكار مما رسخ أصلاً ثابتاً في أرض المعرفة وفي ساحة التربية والتعليم مع العمل المستمر على ترقيتها وتيسير أسبابها ليعم خيرها ويسعد المتعلم بجناها[٥٥٠]. ومن ذلك ما أخذه ﷺ من واقع عصره حين أرسل إلى ملوك وعظماء عصره الكتب والرسائل. فعن أنس ﷺ قال: " لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى العجم قيل له: إن العجم لا يقبلون إلاَّ كتابا عليه خاتم فأصطنع خاتما. قال: فكأني أنظر إلى بياضه في كفه"[٥٥١]. فلم يتردد ﷺ في الأخذ بذلك وإن كان أصل الفكرة وميدان الاستعمال غير متعارف عليه في بلاد العرب لقلة عنايتهم بالكتابة والمراسلات أو غير ذلك. فثقافة التقنية مرحلة ثقافية بشرية تُغير معها مقاييس الثقافة كلها إرسالاً واستقبالاً وفهماً وتأويلاً فهي منظومة متكاملة من الرموز والأشكال والمعلومات المنظمة والتي تحمل خبرات ورصيد الشعوب الحضاري والتاريخي عبر الزمان والمكان وتتصف بصفاتها المتميزة فهي نامية ومتجددة وديناميكية فهي نظام لظاهرة تنتقل بسهولة ويسر بين الفئات الإنسانية. ولعله كان في ذلك استنباتاً للتقنية في مدرسة النبوة واستيعابا لأبجدياتها أخذا بزمام المبادرة وتوجيها لها نحو خدمة أهداف الأمة وهو ما يعبر عنه المثل الصيني ((لا تعطيني سمكة ولكن علمني كيف اصطادها)). لقد كان ذلك الانفتاح الحضاري والتقني في مدرسة النبوة انفتاحاً مدروساً حيث اقتبس من علوم ومعارف وخبرات البشرية واستقدم معه كل ما هو ضروري لتغير الحياة نحو الأفضل فكانت الرؤية فيها تقوم على الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح. باعتباره مفتاح النهوض وأساس الحضارة وسبيل الكشف العلمي الذي لانهاية له وبذلك يكون ﷺ قد شرع نهجاً ووضح وجهة بما يشكل منطلق للتقنية وامتداداً لها وكان ذلك ثمرة مدرسة النبوة في التربية والتعليم.

وحينما نتوقف أمام مدرسة المستقبل من منظور مدرسة النبوة من أجل الموائمة بينهما فذلك على أساس أن العبرة فيما يُـقدم من فكر تربوي ليس لمجرد وجاهته واتساقه المنطقي ومعقوليته وإنما العبرة هي في مقدار قابليته للتحقيق والتنفيذ لنستبين كيف أنها كانت تجسيداً ونموذجاً فعلياً لكل ما كان يدعو إليه الرسول المعلم ﷺ من توجيهات ومبادئ مكنت من تربية وتعليم المتلقين عنه وتحقيق ما كلفوا به. ففي مدرسة النبوة مفخرة علمية فالفكر التربوي المسلم فكر منفتح يقبل الحكمة ويأخذها أنَّى وجدها، وما كان في مدرسة النبوة من مواقف وتوجيهات يصب في صميم الفكر التربوي والمفاهيم التربوية ولا نغالي بأن أسس التربية والتعليم في مدرسة النبوة كانت مصدراً أساسياً للعلم والحضارة وكان ذلك لزاماً

---

[٥٤٨] جامع الترمذي، رقم الحديث (٢٦٥١)، كتاب العلم، باب " ما جاء في الاستيصاء بمن يطالب العلم "، ٥/ ٣٠. وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي هرون عن أبي سعيد.

[٥٤٩] جامع الترمذي، رقم الحديث (٢٧١٥)، كتاب الاستئذان، باب " ماجاء في تعلم السريانية"، ٦٤/٥. وقال حجيث حسن صحيح.

[٥٥٠] حمادة، مرجع سايق، ٧١

[٥٥١]، كتاب الاستئذان، باب " ما جاء في ختم الكتاب"، وقال: حديث حسن صحيح. جامع الترمذي، رقم الحديث (٢٧١٨)

للبحث في ميدانها من خلال الأحاديث النبوية الشـريفة. مما يمكننا من الوقوف أمام مجموعة من القضـايا المعرفية نحن أحوج ما نكون إليها، وقد كانت عند الأوائل وصدر هذه الأمة من المسلمات بل البديهيات وغدت في حاضرنا هذا ومن قبله بقليل من المستغربات هذه القضايا أفكار ومفاهيم أشبه ما تكون بأسس العلم والحضارة. وهو ما تصبو إليه مدرسة المستقبل في تحقيق حلمها ورسم صورتها الجديدة وذلك في إنشاء مدرسة تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتتسم بالجودة الشـاملة، تسـعى إلى تخريج متعلمين يمتلكون قدرات عقلية عليا وكفايات مهارية وسـلوكيات قيمية تمكنهم من التفاعل الذكي والمستنير مع معطيات العصر وتداعيات المستقبل. وترتبط مدرسة المستقبل بمدرسة النبوة بصورة عامة ضمن عدد من القضـــايا والعوامل الجوهرية وذلك من جوانب متعددة ومداخل مختلفة من حيث المنهج والوســائل والغايات. فمدرسة النبوة تضع الأسس كما تبين التفصيلات في عملية تكوين الإنسان الصالح وبناء المجتمع المتماسك عقدياً وثقافياً وفكرياً وذلك ما ينسجم مع رؤية مدرسة المستقبل.

وجاءت هذه الدراسة لتكون تأكيدا عمليا لمبدأ التلاحم ما بين مدرسة المستقبل ومدرسة النبوة واستحداث أسلوب للموائمة بينهما في رؤية جديدة تسـتهدف الرقي بمجلات التربية والتعليم. ومن هذا المنطلق كانت البداية وهي إطلالة حيث تأتي أهمية التفكير في إعداد رؤية لمدرسـة المسـتقبل من منظور مدرسـة النبوة والبحث في ذلك الميدان وذلك في إطار شامل ومتكامل ومساهمة في إعادة التشكيل الثقافي وتحقيق الوعي الحضاري فالأسس الجوهرية في الحضارة لا تضيع أبدا مهما حلَّ بها من زلازل وأوبئة ولابد لهذه الأمة أن تحمل راية الحضارة من جديد تطور ما وصل إليه الغرب وتزيد فيما انتهى إليه فلا نغالي بأن أسـس حضـارة مدرسـة النبوة كانت أصـول ودعائم وشـعارات امتازت بها عن كل حضارة.

هذا وتتضح طبيعة أي موضوع في البحث العلمي بوضوح الموضوعات التي يتناولها أو بتحديد الإشكالية التي يعالجها أو بتقرير المسائل التي يُنظر فيها بصورة عامة فالتوغل في البحث من غير وضوح الإشكالية أو من غير تحديد مسائله إنما هو أشبه بمشوار بلا هدف أو سير بلا غاية. فـــ " مدرسة المستقبل " و"مدرسة النبوة "مبحثان مختلفان من حيث طرائق البحث ومنهج النظر ولكنهما متحدان من حيث الموضـوع والغاية. إذ يتعلق كل منهما بالظاهرة الإنسـانية ويرميان إلى تحقيق أحد متطلباته الجوهرية. فبيد أن لكل من المصـــطلحين موضـــوعات ومباحث معروفة في تاريخ العلوم الإنسانية إلاَّ أن مكون " مدرسة المستقبل" يعتبر من الموضوعات الحديثة نسبياً إذ لم تسبق بدراسات وبحوث عميقة تعالج هذا الموضوع بصورته المطروحة في ها العصر. كما وأن مسائلهما مرتبطة مع بعضهما البعض من حيث السببية والأثر ومن حيث التأثير والتأثر ولذلك فإنه لا يمكن فهم موضوع " مدرسة المستقبل" بصورة صحيحة بمعزل عن فهم العديد من القضـايا الفكرية والثقافية في تاريخ الأمة. بالإضـافة إلى أنه لا يمكن فصـله عن القضـايا المعاصـرة وآلياتها التي تحرك هذا العصر المتغير وتتحكم في حركته واتجاه سيره وتحدد مالاته وتحصد نتائجه.

الخاتمة:

وبعد فإنه من خلال ما عُرِض مما سبق نجد أن معالم مدرسة المستقبل من منظور مدرسة النبوة ينحو بالتربية والتعليم نحو رؤية جديدة تفتح أفاقاً رحبة هي أكثر تميزاً وتجدداً من أجل تجويد العملية التعليمية والتربوية خصـوصـاً وأنها لا تتحصّـل إلاَّ بعد الخبرة وبعد الرويّة، وتفعيل التجربة تلو التجربة، والتواصـل الفاعل مع مختلف المسـتجدات والاتجاهات المعاصرة في ميدان التربية والتعليم.

المراجع العلمية

- بادي، جمال وَشوقار، إبراهيم (١٤٣٠). الأمن الفكري وأسسه في السنة النبوية. بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري " المفاهيم والتحديات". في الفترة ٢٢-٢٥ جماد الأول ١٤٣٠. كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري جامعة الملك سعود.
- بكر، عبد الجواد سيد (د.ت). فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف. سلسلة مكتبة التربية الإسلامية (٥)، دار الفكر العربي.
- بوسنينة، المنجي (٢٠٠٥). مستقبل التعليم العالي في الدول العربية في ظل التحديات الراهنة. ورقة عمل مقدمة إلى الملتقى الثاني للتربية والتعليم في الفترة من ٢٨ سبتمبر حتى ١ أكتوبر، بيروت.
- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الحر، عبد العزيز محمد (٢٠٠١). مدرسة المستقبل. الدوحة، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- حسين، أبو لبابة (د. ت). التربية في السنة النبوية. الرياض، دار اللواء.
- حمادة، فاروق (١٤١٧/ ١٩٩٦). أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية. ط١، الرياض، دار طيبة.
- زرزور، عدنان محمد (١٤٢٨/ ٢٠٠٧). طبيعة التفكير والتجديد في الثقافة الإسلامية. ط١، عمَّان، دار الإعلام.
- زرمان، محمد عبد الله (١٤٣١/ ٢٠١٠). العالم الإسلامي وهاجس النهضة. ط١، عمَّان، دار الإعلام.
- زرمان، محمد عبد الله (١٤٣١/ ٢٠١٠). الحضارات بين الأنا والآخر والمعادلة المفقودة. ط١، عمَّان، دار الإعلام.
- الصالح، بدر بن عبد الله (١٤٢٤/ ٢٠٠٣). مستقبل تقنية التعليم ودورها في إحداث التغير النوعي في طرق التعليم والتعلم. مركز البحوث التربوية (بحث رقم ٢٠٥)، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- عباس، بشار (١٤٢٢/ ٢٠٠١). ثورة المعرفة والتكنولوجيا. ط١، دمشق، دار الفكر المعاصر.
- عثمان، ممدوح عبد الهادي (١٤٢٣/ ٢٠٠٢). التكنولوجيا ومدرسة المستقبل " الواقع والمأمول". ورقة عمل مقدمة لندوة "مدرسة المستقبل". في الفترة من ١٦-١٤٢٣/٨/١٧هـ.كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- العبد الكريم، راشد (١٤٢٣/ ٢٠٠٢). مدرسة المستقبل تحولات رئيسية. ورقة عمل مقدمة لندوة "مدرسة المستقبل". في الفترة من ١٦-١٤٢٣/٨/١٧هـ.كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- آل عبد الله، إبراهيم بن محمد (د.ت). مستقبل التعليم والأمن في عصر العولمة. المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب.جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. المجلد١٩، العدد ٣٨.
- علي، سعيد إسماعيل (١٤٢٣/ ٢٠٠٢). التربية النبوية رؤية تربوية. ط١، القاهرة، دار الفكر العربي.
- عيسى، كمال محمد (١٤٠٢/ ١٩٨٢). خصائص مدرسة النبوة. ط١، جدة، دار الشروق.
- الغتم، نورة أحمد عبد الله (٢٠٠٦). مدارس المستقبل لتحولات المستقبل. مجلة التربية، العدد ١٩.
- القرضاوي، يوسف (١٤١٥/ ١٩٩٥). الرسول والعلم. ط ٦، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- كدوك، عبد الرحمن محمد (١٤٢١/ ٢٠٠٠). تكنولوجيا التعليم. ط١، الرياض، دار المفردات.
- المالكي، محمد عبد الله (١٤٢٨/ ٢٠٠٧). نموذج مقترح لمدرسة المستقبل السعودية في ضوء الاتجاهات المعاصرة لتطوير التعليم وتكنولوجيا المعلومات، الرياض، جامعة الملك سعود.
- متولي، نبيل (١٤٢٣/ ٢٠٠٢). الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية في مدرسة المستقبل. ورقة عمل مقدمة لندوة "مدرسة المستقبل". في الفترة من ١٦-١٤٢٣/٨/١٧هـ.كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- محفوظ، سهير أحمد (٢٠٠١). تكنولوجيا المعلومات ومكتبات الأطفال على مشارف القرن ٢١. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- محمد، عبد اللطيف محمود (١٤٢٣/ ٢٠٠٢). المدرسة كقاطرة لمجتمع المستقبل. ورقة عمل مقدمة لندوة "مدرسة المستقبل". في الفترة من ١٦-١٤٢٣/٨/١٧هـ.كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- الميمان، بدرية صالح (١٤٢٣/ ٢٠٠٢). نحو تأصيل إسلامي لمفهومي التربية وأهدافها. ط١، الرياض، دار عالم الكتب.
- النصار، صالح بن عبد العزيز (١٤٢٣/ ٢٠٠٢). "مدرسة المستقبل": رؤية من نافذة أخرى. ورقة عمل مقدمة لندوة "مدرسة المستقبل". في الفترة من ١٦-١٤٢٣/٨/١٧هـ.كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- الهاشمي، عبد الحميد (١٤٠١/ ١٩٨١). الرسول العربي المربي. ط٢، الرياض، دار الهدى.

- وزان، سراج محمد عبد العزيز (١٤١٣/١٩٩٣). التدريس في مدرسة النبوة. مجلة دعوة الحق سلسلة شهرية تصدرها رابطة العالم الإسلامي ب مكة المكرمة. السنة الحادية عشر، العدد ١٣٢.
- يالجن، مقداد (١٤٢٥/ ٢٠٠٤). أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون. ط٢، الرياض، دار عالم الكتب.

المراجع الأجنبية

- **Kolderie, ted and mcdonald , tim . How Information Technology Can Enable 21st Century Schools. The Information Technology & Innovation Foundation. July 2009.**
- **Sanders, William L .and Rivers, June C. Cumulative and Residual Effects of Teacherson Future Student Academic Achievement. November 1996.**
- **The future of higher education: How technology will shape learning. A report from the Economist Intelligence UnitSponsored by the New Media Consortium. October 2008**
- **Liu, Bangnee Alfred. estimating future school enrolment in developing countries. Enesco/ united nation. FRANCE**
- **Bemark, fred. paradigms for future school counseling programs. Education resources information (E R IC).2002**
- **Wedemeyer, Charles A. The once and future school. 1973**

مفهوم الشمول الاعتقادي عند أهل السنة والجماعة.. صوره وثمراته (دراسة في ضوء النصوص القرآنية)

The concept of comprehensiveness of belief among Ahlus-Sunnah wal-Jama`ah: Its forms and impacts (A study in the light of the Qur'anic texts)

أ.نسيبة ممدوح السيد - طالبة دكتوراه-قسم الدراسات الإسلامية-جامعة الملك عبد العزيز-المملكة العربية السعودية

Email: nn_200945@yahoo.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى إيضاح مفهوم الشمول من منظور اعتقاد أهل السنة والجماعة، وأدلته، وصوره، والثمرات التي يمكن استنباطها من خلال هذه النظرة الشمولية.

من خلال تبين صور الشمول الاعتقادي عند أهل السنة والجماعة، وكيفية استيعاب الأدلة القرآنية لجميع الجوانب العقدية من ربوبية وألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات وجميع ما ينضوي تحتها أو يلحق بها. وقد تنوعت هذه الصور بين شمول في تفصيل الإخبار عن الله تعالى والإنسان والكون، وشمول الاعتقاد بجميع أركان الإيمان ولوزمه، وشمول في بلاغها للناس كافة، وشمول الخطاب الاعتقادي، وشمول التكليف الجسدي والروحي.

وكان من أبرز ثمرات خاصية الشمول، التناسق في السلوك الإنساني، وطمأنينة القلب وتسليمه، وخلود هذه الرسالة وعالميتها، ولذلك فإن الباحثة توصي بدراسة الخصائص العقدية الأخرى، كالتوازن، والإيجابية، والواقعية، وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الشمول الاعتقادي. صور الشمول. ثمرات الشمول.

Research Summary:

This research aims to clarify the concept of comprehensiveness from the perspective of the belief of Ahlus-Sunnah wal-Jama'ah, its evidence, its forms, and the fruits that can be deduced from this comprehensive view.

By showing the images of the belief inclusiveness of the Sunnis and the group, and how to assimilate the Qur'anic evidence for all the doctrinal aspects of deity and divinity, and the unification of names and attributes and all that falls under them or is attached to them. These images varied between comprehensiveness in detailing the news about God Almighty, man and the universe, and the inclusion of belief in all the pillars and essentials of faith, and in its communication to all people, and the comprehensiveness of the belief discourse, and the comprehensiveness of the physical and spiritual assignment.

One of the most prominent fruits of the characteristic of comprehensiveness was consistency in human behavior, peace of mind and delivery of the heart, and the immortality and universality of this message. Therefore, the researcher recommends studying other nodal characteristics, such as balance, positivity, realism, and others.

Keywords: belief inclusion. Inclusion photos. The fruits of inclusion.

مقدمة:

الحمد لله وحده، تفرد بالكمال والجمال والجلال، لا شريك له ولا ند له، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

لم تزل العقيدة الإسلامية الصحيحة السليمة الموافقة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، تمتاز من الأزل إلى اليوم وإلى قيام الساعة، بخصائص عديدة، ومميزات فريدة، مما يجعلها بحق، أتم العقائد، وأصفاها وانقاها، وقد منّ الله تعالى عليّ أن شغلني بدراسة هذه العقيدة والتخصص فيها حيث الهمني دراسة الدكتوراه في تخصص العقيدة، ومما أشكره عليه وأبالغ في الثناء عليه أن يسر لي الخوض في بحوث عن خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة في ضوء نصوص القرآن الكريم، وقد اخترت هذا البحث الموسوم بـ (مفهوم الشمول الاعتقادي عند أهل السنة والجماعة صوره وثمراته)(دراسة في ضوء النصوص القرآنية) للمشاركة في المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية، المنعقد خلال الفترة (١٨-٢٠ ذي القعدة، ١٤٤٣ه، الموافق ١٧-١٩ يونيو ٢٠٢٢م)، والله أسأل تمام التوفيق والأجر والإصابة، وحسن الثواب في الدنيا والآخرة.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في حصر مقاصد الشريعة الإسلامية عموما والعقدية في جانب واحد من جوانب التكليف والاعتقاد مما يضيّق الأفق الذي قصدته الشريعة وسعت لتحقيقه، ويمكن إيضاح هذا الإشكال من خلال السؤال الآتي:

-ما مفهوم الشمول من منظور اعتقاد أهل السنة والجماعة، وما هي أدلته، وصوره، وما هي الثمرات التي يمكن استنباطها من خلال هذه النظرة الشمولية؟

أهمية البحث أسباب اختياره:

ومن خلال مشكلة البحث برز لنا عدة مسببات دعتني للخوض في خضم هذا البحث، وسأوجز أبرزها في الآتي:

١- أن هذا البحث متعلق باعتقاد أهل السنة والجماعة، ومقارنته باعتقاد بعض الفرق المخالفة لنصوص القرآن الكريم.

٢- أن هذا البحث يناقش خاصية من خصائص العقيدة السنية الصحيحة، وهي صفة الشمول.

٣- أن هذا البحث مستل من رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، والرسالة تبحث في خصائص العقيدة الإسلامية من منظور أهل السنة والجماعة، في ضوء النص القرآني.

أهداف البحث:

ويهدف البحث إلى:

١- تبيين مفهوم الشمول في الاعتقاد عند اهل السنة والجماعة من خلال تحليل النصوص ومنهج الاستدلال بها.

٢- إيضاح أبرز الصور التي يمكن من خلالها إظهار صفة الشمول العقدي، والجوانب التي تقاس عليها تلك الصور.

٣- الإشارة إلى بعض ثمرات الشمول الاعتقادي عند أهل السنة والجماعة.

منهجية البحث:

ستتبع الباحثة المنهج الوصفي والاستقرائي.

مفهوم الشمول

معنى الشمول لغة واصطلاحا:

الشمول في اللغة من (شَمَلَ)، والشِّينُ وَالْمِيمُ وَاللَّامُ أصلان منقاسان مطردان، كل واحد منهما في معناه وبابه.

فالأول: يدل على دوران الشيء بالشيء وأخذه إياه من جوانبه. من ذلك قولهم: شملهم الأمر، إذا عمهم. وشملهم أمرٌ: أي: غشيهم [٥٥٢]، وهذا أمر شامل. ومنه الشملة، وهي كساء يؤتزر به ويشتمل. وجمع الله شمله، إذا دعا له بتألف أموره، وإذا تألفت اشتمل كل واحد منهما بالآخر، واشْتَمَلَ عَلَيْهِ الأَمْرُ: أَحاط بِهِ [٥٥٣].

ومن الباب: شملت الشاة، إذا جعلت لها شمالا، وهو وعاء كالكيس يدخل فيه ضرعها فيشتمل عليه. وكذلك شملت النخلة، إذا كانت تنفض حملها فشدت أعذاقها بقطع الأكسية.

ومن الباب: المشمل: سيف صغير يشتمل الرجل عليه بثوبه.

والأصل الثاني: يدل على الجانب الذي يخالف اليمين. من ذلك: اليد الشمال [٥٥٤].

الشمول في الاصطلاح:

يتنوع مفهومه الشمول بتنوع الفنّ المتسمى به، ففي الأصول يراد به: (تناول الكلي لجزئياته) [٥٥٥] أو (تناول الكل لأجزائه) [٥٥٦]

قال الكفوي: "أي: أن يتعلق الحكم بكل واحد مجتمعا مع غيره، أو منفردا عنه مثل: من دخل الحصن فله درهم، فلو دخله واحد استحق درهما، ولو دخله جماعة معا أو متعاقبين استحق كل واحد درهما"[٥٥٧]

قال المناوي (ت: ١٠٣١هـ) "...وقال أبو البقاء [٥٥٨]: العموم والشمول بمعنى واحد، وهو الإكثار وإيصال الشيء إلى جماعة"[٥٥٩].

ويرادفه الاستغراق: أي: الشمول لجميع الأفراد بحيث لا يخرج عنه شيء [٥٦٠].

وكذلك العُموم: أي: الشمول، وهي عبارة عن إحاطة الأفراد دفعةً [٥٦١].

مفهوم الشمول في العقيدة الإسلامية:

وأما مفهوم الشمول في العقيدة: فيراد به: "العموم والاستيعاب والإحاطة المفصلة الواضحة الكاملة في كل ما يتعلق بأمور العقيدة ومفرداتها"[٥٦٢].

ومن شواهده قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

وقوله سبحانه: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]،

وقوله " ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]"

---

(٥٥٢) ينظر: العين، الفراهيدي: (٦/ ٢٦٥)
(٥٥٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: (١١/ ٣٦٧- ٣٦٨)
(٥٥٤) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: (٣/ ٢١٥)
(٥٥٥) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني: (٢/ ١٢٥)، الكليات، الكفوي: (ص: ٨٥١).
(٥٥٦) ينظر: بيان المختصر، الأصفهاني: (٢/ ١٢٦)، الكليات، الكفوي: (ص: ٨٥١).
(٥٥٧) الكليات، الكفوي: (ص: ٨٥١).
(٥٥٨) يريد أبا البقاء الكفوي، صاحب الكليات، ولم أجد العبارة فيه.
(٥٥٩) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: (ص: ٢٤٧)
(٥٦٠) ينظر: كتاب التعريفات، الجرجاني: (ص: ٢٤)
(٥٦١) ينظر: التعريفات، الجرجاني: (ص: ١٥٧)
(٥٦٢) ينظر:: معجم مصطلحات العلوم الشرعية: (ص:٩٧٢).

وقوله:" ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] "(٥٦٣)

الشمول في العقيدة، وفيه عدة مطالب:

صور الشمول في العقيدة الإسلامية، وأدلتها:

الصورة الأولى: تفصيل الإخبار عن الله تعالى والإنسان والكون:

الحديث الذي يتسم بالتفصيل والوضوح والاستيعاب لكل مفردات الكليات بحيث لا تدع مجالا للشك ولا للحيرة في الإيمان بها، والربط بين مفردات العقيدة وعدم الفصل بينها، وخاصة ذلك الشمول في التعريف بربوبية الله ﷻ، وألوهيته، أسمائه وصفاته، والشمول بالتعريف بالحياة والأحياء وربطها بالألوهية لله، والشمول في تفسير الوجود بأكمله.

ومن مظاهر هذه الشمولية، أيضا:

١. اشتملت العقيدة السنية على تفسير التصورات الكبرى من الغيبيات التي ضلّ فيها كثير من الناس قديما وحديثا، وتاهت فيها الكثير من الأمم، وكذلك أوضحت أركان الإيمان وقواعده وما يتفرع عن ذلك، وفسرت حقيقة الألوهية وحقيقة هذا الكون كله (٥٦٤).
٢. فصلت العقيدة الإسلامية تفصيلا واضحا بما لا يدع مجالا للشك والريبة: من هو الله تعالى، وما هي أسماؤه، وما هي صفاته، وكيفية تحقيق توحيده بكل أقسامه ودلائله، وما هي النبوات، ومن هم الرسل، وما حقيقة علاقتهم بالله، وعلاقتهم بالناس، ومن هم الملائكة، وما هي صفة خلقهم، وما طبيعة علاقتهم بالله سبحانه، وكيف تكون علاقتهم مع الناس، وعلاقة الناس بهم، ومن هم الجن، وما حقيقة خلقهم، وماهي الكتب المنزلة على الرسل، وهل هي كلامه سبحانه أم غير ذلك (٥٦٥).
١. أنها أعطت الإنسان تصورا كاملا عن الكون الذي يحيا فيه (٥٦٦).
٢. أنها تناولت كل القضايا التي بها تستقيم حياة الإنسان (٥٦٧).
٣. أنها أحاطت بحقيقة الإنسان من حين ولادته وحتى وفاته. وأسباب خلقه، وكيف بدأ الخلق، وبيان مصيره الذي يؤول إليه، إما إلى الجنة أو النار (٥٦٨).

وهذه الموصوفات وجملة المسؤولات مما شغل عقول البشر، وعجزت أفهامهم عن إدراكها، ولم تُشبع الأديان التي اختلقوا رغباتهم في معرفة حقيقة ذلك كله، واستيعابه وتفسيره تفسيرا واضحا كاملا لا لبس فيه.

فتارة تجد غلاة المتصوفة في توصيف أمر (وحدة الوجود) يجعلونه وجودا واحدا لعدم قدرتهم على تقديم معنى واضحا مفصلا شاملا لكلا الأمرين على حدة، وعدم التفريق بين واجب الوجود وممكن الوجود، فخلطوا بين الأمرين، كذلك لم يستطيعوا أن يقدموا عقيدة شاملة لاعتقاد الإنسان وصفاء روحه واتصاله بربه، وشاملة لتطبيق أثر تلك العقيدة في حياة البشر، فعزلوا الاعتقاد والروح عن الحياة العملية التطبيقية فضلوا (٥٦٩).

---

(٥٦٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: (٦٢/٦)، (٣٨٠/٥)، (١٠/ ١٤٦)، وينظر: الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، السفياني: (ص: ١٣٨)

(٥٦٤) ينظر: طريق الهداية، محمد يسري: (ص: ٢٥٨).

(٥٦٥) ينظر: طريق الهداية، محمد يسري: (ص: ٢٥٨)

(٥٦٦) ينظر: المفيد في مهمات التوحيد، د/ عبد القادر صوفي: (ص: ٣١)

(٥٦٧) ينظر: المفيد في مهمات التوحيد، د/عبد القادر صوفي: (ص: ٣١).

(٥٦٨) ينظر: المفيد في مهمات التوحيد، د/عبد القادر صوفي: (ص: ٣١).

(٥٦٩) ينظر: العرش، الذهبي: (٨١/١).

قال الذهبي: "...وهناك مسلك رابع: وهو مسلك أصحاب وحدة الوجود الذين يعطون أسماءه سبحانه لكل شيء في الوجود، إذ كان وجود الأشياء عندهم هو عين وجوده ما ثمت فرق إلا بالإطلاق والتقييد، وهذا منتهى قول طوائف المعطلة، وغاية ما عندهم في الإثبات قولهم هو: (وجود مطلق) أي وجود خيالي في الذهن، أو وجود مقيد بالأمور السلبية [٥٧٠].

وأما الأفكار والنظريات الفلسفية فقد احتارت في تفسير حقيقة الألوهية، وحقيقة الكون والإنسان خصوصا، تفسيرا شاملا واضحا، فوضعت النظريات والتجأت للتكهنات، والذي ينبغي معرفته أن أكثر الفلاسفة لا يؤمنون بوجود الله حقيقة، ولا يؤمنون بوحي ولا نبوة ولا رسالة، وينكرون كل غيب، فالمبادئ الفلسفية غالبها تقوم على أصلين هما:

الأصل الأول: أن الأصل في العلوم هو عقل الإنسان.

الأصل الثاني: أن العلوم محصورة في الأمور المحسوسة المشاهدة فقط، وما دون ذلك خيالات وتهيؤات[٥٧١].

قال الذهبي: "فتحت الأصل الأول أبطلوا الوحي، وتحت الأصل الثاني أبطلوا الأمور الغيبية بما فيها الإيمان بالله واليوم الآخر. وقد تسلط الفلاسفة على المسائل الاعتقادية وزعموا أنها مجرد أوهام وخيالات لا حقيقة لها ولا وجود لها في الخارج، فلا الله موجود حقيقة، ولا نبوة ولا نبي على التحقيق، ولا ملائكة، ولا جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور"[٥٧٢].

وأما النصرانية فتاهت في تفسير الألوهية فتخبطت بين الثالوث المقدس كما زعمت، واحتارت في الفصل بين حقيقة اللاهوت وحقيقة الناسوت [٥٧٣]، وتضاربت الأناجيل في توضيح معنى شامل كامل لذلك الإله الواحد المتعدد في الوقت نفسه [٥٧٤].

وتظل الهندوسية حائرة في تفسير الموت، ومصير الإنسان، وكيفية جزائه على الخير والشر فتتخبط بين تناسخ [٥٧٥] الأرواح والاتحاد بالبراهما[٥٧٦] وفلسفة الكارما[٥٧٧] وغيرها، محاولة تفسير التساؤل الكبير الذي احتار فيه الإنسان منذ الأزل: إلى أين المصير؟[٥٧٨].

وتنكر عدد من الأديان الوثنية: الوحي من الله ثم تستعيض عن الرسل بتقديس رموز وإعطائهم منازل فوق منازل البشر، وذلك لعدم قدرتها على تفسير مسألة الوحي تفسيرا واضحا شاملا، وعدم قدرتها على الجمع بين السمو البشري والاصطفاء من الله والاتصال به وبين بشرية الإنسان [٥٧٩].

---

(٥٧٠) العرش، الذهبي: (٨١/١).
(٥٧١) ينظر: شرح الأصبهانية، ابن تيمية: (ص: ٥٧٣)، العرش، للذهبي: (١/ ٤٧)
(٥٧٢) العرش، للذهبي: (١/ ٤٧-٤٨)
(٥٧٣) الاهوت والناسوت لفظان اشتقا من الإله والناس، وزعمت طائفة من النصارى باتحاد اللاهوت بالنسوت في المسيح، ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسين المَلَطي: (ص:٢١). درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية: (٢٣٨/١٠)، شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز: (ص: ١٨٤)
(٥٧٤) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية: (٣: ٤٦١-٤٦٨)
(٥٧٥) والتناسخ عندهم: أن نفس الإنسَان إذا ارتكبت ذنباً وأتاها الأجل وهي مرتكبة للذنوب تخلق في زمن بعيد آخر في شكل حيوان، وتعاقب وتتصفى حتى تكون مؤهلة لئن تتحد بالبراهما الذي يسمونه الله، يسمون البراهما "الإله الكلي" التي تلتحق به هذه النفوس، فالمجتمع في العهد الهندوسي مقسَّم إلى طبقات هي: البراهما والكاشتريا والشودري, وأقسام فرعية أخرى كثيرة. ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، الحوالي: (ص: ٧٧٠)، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب عواجي: (٢/ ١٢١٥)
(٥٧٦) البراهمة: ومن معتقداتهم إنكار جميع النبوات، هي معتقدات سائدة في كثير من بلاد الهند، وينتسبون إلى رجل منهم يقال له "براهم". ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني: (٣/ ٩٥-٩٦)، وينظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، ابن أبي بردة: (ص: ٧٩)
(٥٧٧) الكارما، مصطلح لما يعرف عند الهندوس بقانون الجزاء، أي: الجزاء ثواباً كان أو عقاباً، وهو يقع في هذه الحياة، فلا قيامة ولا بعث ونشور عندهم، وقيل: الكارما كائن مادي يخالط الروح ويحيط بها ولا سبيل لتحرير الروح منها إلا بشدة التقشف والحرمان من الملذات. ينظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، ابن أبي بردة: (ص:٧٩)
(٥٧٨) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم: (٦٣/١).
(٥٧٩)ينظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، ابن أبي بردة: (ص: ٧٩)، الملل والنحل، الشهرستاني: (٣/ ٩٥-٩٦).

بينما يحتار الوثنيون في أمر الملائكة وعلاقتهم بالله وكيفية علاقة البشر بهم فمن قائلين بأنهم بنات الله ومن معادين لهم ومن عابدين مؤلهين لهم[٥٨٠].

في حين إن العقيدة الإسلامية تفسر كل موضوع من تلك المواضيع الكبرى، وتجيب على كل الأسئلة الوجودية لدى الإنسان بإجابات كافية شافية لا لبس فيها، مفصلة لكل شيء، ومتوائمة مع كل احتياجات البشر، وجامعة لكل تفاصيل الاعتقاد في الموضوع الواحد. عقيدة تربط بين الاعتقاد ومستلزماته من القول والعمل، لا ينفك واحد منها عن الآخر بأي حال من الأحوال.

وفيما يلي تفصيل لبعض الأدلة القرآنية الدلة على شمول العقيدة الإسلامية وتفصيلها لكل مفردات الاعتقاد:

- قال تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾. [المائدة: ٣].

فبعد أن فصل سبحانه المحرمات التي استحلها المشركون من غير علم، وبيّن لهم علة تحريمها وأنها فسق، امتن عليهم بنعمتين جليلتين، **الأولى:** البشارة لهم بيأس الكفار من دينهم، وأنه باق وبالغ ما بلغ الليل والنهار، حيث قال: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ**﴾. **والثانية:** الامتنان عليهم بكمال الدين، وتمام النعمة، من جميع صورها، الظاهرة والباطنة. فقال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾. فهم بعد نزول هذه الآية لا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه.

قال ابن عباس: "وهو الإسلام، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا"[٥٨١].

قال الطبري﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾. أيها المؤمنون فرائضي عليكم وحدودي، وأمري إياكم ونهيي وحلالي وحرامي وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه بوحي على لسان رسولي والأدلة التي نصبتها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم فأتممت لكم جميع ذلك فلا زيادة فيه بعد اليوم ... "[٥٨٢].

فبيّن لهم أعلمهم بكمال العقيدة والتشريع، فليس بعد هذا نقص في الدين يستدعي الإكمال، ولا قصوراً يستدعي الإضافة [٥٨٣].

- قوله سبحانه وتعالى ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل: ٨٩]"

في الآية الأولى، أخبر سبحانه وتعالى أنه أكمل لهم الدين، وأتم لهم النعمة من غير تفصيل، للأحكام، وإن كانت الآية قد أشارت إلى بعض الأحكام وبعض القواعد الأصولية، كقاعدة الضرورة تبيح المحظورات، وغيرها[٥٨٤]، إلا إنه في هذه

---

(٥٨٠) الفرق بين الفرق، الأسفراييني: (ص: ٢٣٨، ٣٤٥)، الملل والنحل، الشهرستاني: (٢/ ٢٣٦)
(٥٨١) ينظر: جامع البيان، الطبري: (٩/ ٥١٨)
(٥٨٢) جامع البيان، الطبري (٩/ ٥١٨)
(٥٨٣) الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، السفياني: (ص: ١٣٨)
(٥٨٤) ينظر: الموافقات، االشاطبي: (٥/ ٩٩).

الآية فيها من العجب ما تقف له العقول حائرة، إذ إن فيها دلالة على أنه سبحانه وتعالى قد بين في هذا القرآن بيانا واضحا لكل شيء، في الاعتقاد، والتشريع، والهداية، والرحمة، والبشارة، وكلها معان جامعة، ودلالة ـ أشكل على الديانات الأخرى تفصيلها ومعرفة ما هيتها ـ بل زاد على التبيان دلالة فقال: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِين ﴾ [يونس: ٣٧]، وقال في سورة يوسف: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

فما من عقيدة، ولا ديانة اجترأت على إعلان هذا البيان عن منهجها وغايتها، إلا هذه العقيدة، ففي القرآن والسنة من جوامع الكلم، وما استقرأه العلماء من الأصول العقدية والتشريعية ما جعلها بحق أكثر شمولا واتساعا، واستيعابا، للتشريع والاعتقاد.

قال القرطبي: " أي ما تركنا شيئا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب، قال الله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.[النحل: ٤٤]، وقال ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، فأجمل في هذه الآية وآية (النحل) ما لم ينص عليه مما لم يذكره، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره، إما تفصيلا وإما تأصيلا، وقال﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣][٥٨٥].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾. [الأنعام: ٣٨].

في الآيتين الأول بين سبحانه وتعالى أنه أكمل الدين، وأتم النعمة، مع ما في الآيات من الإحالة إلى مواضع أخر في القرآن أو تفاصيلها المبيّنة من سنة النبي عليه الصلاة والسلام، إلا أنه في هذه الآية يقرر صراحة أن هذا الدين بما يشمله من عقيدة وشريعة ليس فيه تفريط، ولم يغفل شيء يمكن أن يقوم للناس به صلاح، أو يُدفع به عنه فساد، فكل شيء مفصل، مبيّن، شامل لكل الجزئيات والكليات، فيه تحد واضح ليس في غيره من الديانات، والاعتقادات [٥٨٦].

-ومنها قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾. [هود: ١].

بعد وصف دين الإسلام بالشمول والبيان، والتفصيل، واستيعابه لكل تكليف اعتقادي، أو تشريعي عملي، وصف سبحانه وتعالى هذا الكتاب بالإحكام والتفصيل، المنزل من الحكيم الخبير.

---

(٥٨٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: (٦/ ٤٢٠)

(٥٨٦) هذا الرأي على قول من ذهب إلى أن المراد بالكتاب في الآية القرآن، وإلا فقد قيل: بأن المراد به اللوح المحفوظ، ينظر: قال الشوكاني: " والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، فإن الله أثبت فيه جميع الحوادث وقيل: إن المراد به القرآن أي ما تركنا في القرآن من شيء من أمر الدين إما تفصيلا أو إجمالا" فتح القدير: (٢/ ١٣٠). وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: (٦/ ٤٢٠).

قال الطبري: " ... وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ من قال: معناه: أحكم الله آياته من الدَّخَل والخَلَل والباطل، ثم فصَّلها بالأمر والنهي؛ وذلك أن إحكام الشيء: إصلاحه وإتقانه، وإحكام آيات القرآن: إحكامها من خلل يكون فيها، أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قِبَله..."(٥٨٧)

فهذا هو القرآن الذي أحكمت آياته من الباطل ثم فسرت وبينت ووضحت فيها أمور الدين كله بما يتضمنه من عقيدة وشريعة ففصلت العقيدة فيه تفصيلا مبينا واضحا، ثم تلتها الآيات: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢)وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)﴾ [هود: ٢ – ٣] ، فقد فصلت العقيدة وما يتعلق بتوحيد الله تعالى، وإثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وإثبات اليوم الآخر والثواب والعقاب فقال: ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرجِعُكُم وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٖ قَدِيرٞ ﴾ [هود: ٤]. وهذه الإشارات إلى التفصيل كثيرة في القرآن كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٢]، **وقوله تعالى في تفصيل بعض الأحداث الكونية ومتعلقاتها: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٖ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢]، وقوله سبحانه في تفصيل القصص والأخبار وبيان صدقها: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].**

وأما ما جاء في السنة من الأثر المبيّن لدلالات الشمول في الآيات السابقة، فكثيرة، منها:

- قوله عليه الصلاة والسلام: " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم، فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعليكم بالطاعة، وإن عبدا حبشيا عضوا عليها بالنواجذ، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد "(٥٨٨).

- ففي الحديث عدة جوه احتملت العموم والشمول (٥٨٩)، **الأول:** من حيث مكنونها ومضمونها، فهي بيضاء واضحة مفصلة، لا يزيغ عنها ولا يبتغي سواه إلا ضال هالك.

والثاني: أنها جامعة وعاصمة من الاختلاف والتنازع، فدل ذلك على شمولها واستيعابهم لجميع من يمكن أن يكون محل نزاع واختلاف.

والثالث: تقييد الشمول والاتساع بكتاب الله ﷻ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم مفصلة لها مبينة لها، لا تنفك عنها ولا تعارضها بحال، وسنة الصحابة رضي الله عنه لاحقة لسنة النبي عليه الصلاة والسلام فهم أعلم الناس بحاله صلى الله عليه وسلم ومراده؛ لمعاينتهم الوحي والتنزيل.

---

(٥٨٧) جامع البيان، الطبري: (١٥/ ٢٢٧).

(٥٨٨) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده: (٢٨/ ٣٦٧)، وابن ماجة: (٢٩/١)، والحاكم في المستدرك: (١/ ١٧٥)، وقال الألباني معلقا على سند الحديث: "...وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات معروفون غير عبد الرحمن ابن عمرو هذا، وقد ذكره ابن حبان في " الثقات "، وروى عنه جماعة من الثقات، وصحح له الترمذي وابن حبان والحاكم"، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: (٦١٠/٢)

(٥٨٩) ينظر: شرح الأربعين النووية ابن دقيق العيد: (ص: ٩٦)، جامع العلوم والحكم، ابن رجب: (٢/ ٧٥٨)، التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي: (٢/ ١٩٣).

والرابع: الإشارة إلى أهمية الأمن المجتمعي المسلم المتمثل باستقامة الأمر والحكم، وإن آل الأمر إلى عبد حبشي.
والخامس: شمول وصف المؤمن بالأنف المنقاد لله تعالى، متبع لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولولاة أمره.
والسادس: عموم الإخبار لما سيكون من الاختلاف، ودواعيه التشريعية – مخالفة كتاب الله وسنتة رسوله-، والنفسية المتمثلة في زيغ القلوب وتتبع المتشابه واتباع الهوى.
فهذه المحاور المستقاة من الحديث الآنف، تُوضِحُ جوانب الاتساع والشمول الذي استوعبته النصوص القرآنية، المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه(٥٩٠).

- قوله عليه الصلاة والسلام: "أيها الناس ليس من شيء يقربكم إلى الجنة، ويباعدكم من النار، إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم من النار، ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه"(٥٩١).

في الحديث دلالة صريحة على شمول العقيدة الإسلامية، وعمومها، وأنها للناس كافّة، وإن كانت للناس كافة، فكيف لا تكون كاملة شاملة؟! فما من شيء يهم المسلم من الاعتقاد والتكليف الموصل إلى الجنة إلا وقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم، إما عن طريق القرآن، أو عن طريق فعله وأمره صلى الله عليه وسلم وتقريره، وما من أمر يكون مُؤداه ومَآله إلى النار إلا حذر منه ونهى عنه، وقد روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: " لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائرٌ يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا"(٥٩٢)

الصورة الثانية: شمول الاعتقاد بجميع أركان الإيمان ولوازمه:

اتضح من الصورة السابقة أن العقيدة الإسلامية قد اشتملت جميع جوانب الحياة الاعتقادية والتكليفية والنفسية والعقلية، وغيرها، فلزم من ذلك أخذها جملة وتفصيلا، والإيمان بها قلبا، وعملا، وقولا، فإن الإيمان بها لا بد أن يكون إيمانا شاملا، فهي عقيدة لا تقبل التجزئة؛ إذ يجب الإيمان بها كلها بلا أدنى شك أو ارتياب في أي جزئية من جزئياتها، فالإسلام هو التسليم لله في كل ما أنزل الله، والإيمان بجميع أركان العقيدة والعمل بمقتضيات ذلك الإيمان (٥٩٣).

فلا إيمان بجزء من القرآن دون بعض ولا إيمان ببعض الرسل دون بعض، ولا تفريق بين الملائكة، ولا فرق بين الاعتقاد بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، فالإيمان بواحد منها يستلزم الإيمان بالآخر، الكفر بواحد منها كفر بها جميعا(٥٩٤)، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٨٦)﴾ [البقرة: ٨٥ – ٨٦].

فسمى سبحانه وتعالى تعنتهم في بعض التكاليف كفرا؛ لنبوع هذا التعنت والترك من القلب، ولم يكتف بإقرارهم القولي، بل قرنه بأعمالهم، ثم بيّن أن جزاءهم ومآلهم موافق لكفرهم، وأنهم من أهل النار، لا يخفف عنه العذاب، ولا

---

(٥٩٠)ينظر: شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد: (ص: ٩٦)، جامع العلوم والحكم، ابن رجب: (٢/ ٧٥٨)، التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي: (٢/ ١٩٣).
(٥٩١) أخرجه ابن بشران في الأمالي: (١/ ٢٣٢) والبيهقي في شعب الإيمان: (١٣/ ١٩)، والبغوي في شرح السنة: (١٤/ ٣٠٥)، قال الألباني في مشكاة المصابيح: " رواه في شرح السنة، والبيهقي في شعب الإيمان، إلا أنه لم يذكر: (وإن روح القدس)".
(٥٩٢) حديث صحيح، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (٢/ ١٥٥)، قال الألباني: "... وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وفطر وهو ابن خليفة وثقه أحمد، وابن معين"، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: (٤/ ٤١٦)
(٥٩٣) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية: (٧/ ٦٧٥).
(٥٩٤) ينظر: شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني: (ص: ٧٨)، الإيمان، ابن تيمية: (ص: ١٣٢).

ينصرون، فإن كان الأمر كذلك فإنه مقرر لخلودهم في النار، على اعتبار أن فعلهم كفر أكبر، موجب للخلود[٥٩٥]؛ ولذلك قال بعدها: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُم اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ(٨٧) وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾ [البقرة: ٨٧ – ٨٨].

ومن هنا يلزم من آمن بالله تعالى أن يؤمن بالملائكة والكتب والرسل، واليوم الآخر، وبالقدر، وكل المُخْبرات، من أمور الدنيا والآخرة، على وفق ما جاء به القرآن الكريم، وبينته سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عنهم [٥٩٦].

فمن كفر بجبريل أو ميكال فقد كفر بكل الملائكة، ومن عاداهما وأبغضهما، فقد أبغض جميع الملائكة، بل إن كفره صريح لاعتراضه ابتداء على أمر الله وطعنه وشرعه ووحيه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)** ﴾ [البقرة: ٩٧ – ٩٨]، ومن آمن بالله وأحبه ووالاه سبحانه استلزم منه أن يوالي أولياءه من المؤمنين ويبرأ من الكافرين به، قال صلى الله عليه وسلم: " إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"[٥٩٧].

ومن آمن برسول وصدق برسالته وآمن بما أنزل عليه من كتبه استلزم منه أن يؤمن بجميع الرسل وما أنزل عليهم لأن رسالتهم واحدة ومرسلهم واحد، قال تعالى، موجها عباده: ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾. [البقرة: ١٣٦]، وقال في حق من محذرا الكفر برسله أو بأحد رسله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾ [النساء: ١٣٦][٥٩٨].

وقال سبحانه مبينا وجوب عدم التفريق بين الله ورسله فيؤمنون به -زعما- ويكفرون بأنبيائه ورسله، أو يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض، أو يبغضون بعض الأنبياء والرسل: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠)أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** [النساء: ١٥٠ – ١٥١]

---

(٥٩٥) ينظر: تجريد التوحيد المفيد، المقريزي: (ص: ٣٧).
(٥٩٦) ينظر: الإيمان، ابن تيمية: (ص: ١٥٩)
(٥٩٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع: (٨/ ١٠٥)، رقم(٦٥٠٢). وينظر: الإيمان، ابن تيمية: (ص: ١٥٩)
(٥٩٨) ينظر: شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني: (ص: ٧٨)، الإيمان، ابن تيمية: (ص: ١٣٢)، تجريد التوحيد المفيد، المقريزي: (ص: ٣٧).

ثم أعقب ذكرهم بذكر المؤمنين بهم جميعا فقال: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾. [النساء: ١٥٢].

ومن آمن بآيات الوعد في القرآن وجب عليه أن يؤمن بآيات الوعيد، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨][٥٩٩]

ومن صدق بآيات العقائد وجب عليه أن يؤمن بآيات الأحكام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ (٤)﴾. [يونس: ٣ – ٤][٦٠٠]

وهكذا فإن الإيمان بعقيدة أهل السنة والجماعة كل لا يتجزأ، إقرار بالقلب وتصديق باللسان وعمل بالجوارح، ويزيد بالطاعة ويضعف -ينقص- بالمعصية، وتلك خاصية من أهم خصائصها[٦٠١].

فالاعتقاد والعمل بمقتضيات تلك العقيدة كل لا يتجزأ عند أهل الإسلام أهل السنة والجماعة؛ ولذلك قرن الله تعالى في أكثر من خمسين آية صراحة بين الإيمان والعمل، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: ٨٢، وأما ما ترابط فيه الحكم التكليفي أو الخطاب أو الخبر المقترن بالإيمان فأكثر من تحصى، بل يمكن استقاؤها من كل آية في القرآن، ومن كل كلمه، فكل – أي القرآن- دليل على الوحدانية، وكل مقتضياتها من قول واعتقاد وعمل تكليفي أو قلبي[٦٠٢].

كما في اقتران أحكام الطلاق بتقوى الله سبحانه وتعالى والإيمان به، وأن الاستجابة لأمره فيها فيه ما فيه من مراقبته سبحانه والتوكل عليه وغير ذلك من الأعمال القلبية الخاصة بالعقيدة[٦٠٣].

ومذهب أهل السنة والجماعة في هذا كله أن العمل من الإيمان، ومن فصل الإيمان عن العمل وقع في الغلط وخالف مذهب أهل السنة والجماعة كالمرجئة الذين اعتقدوا أنه لا علاقة للعمل بالإيمان وقالوا لا يضر مع الإيمان كبيرة.

فتعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو قول وعمل وهو يزيد وينقص، بخلاف المرجئة الذين يعرفون الإيمان بأنه التصديق، أو الإقرار، أو العلم. ولا يصح عند أهل السنة والجماعة شيء من هذه التعريفات، فالمرجئة متفقون على أن العمل لا علاقة له بالإيمان، ولذا يستوي عندهم إيمان أفسق الناس بإيمان أتقى الناس. بينما أطلق القرآن على بعض الأعمال أنها من الإيمان وأنها الإيمان ذاته[٦٠٤]

---

(٥٩٩) ينظر: شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني: (ص: ٧٨)، الإيمان، ابن تيمية: (ص: ١٣٢)، تجريد التوحيد المفيد، المقريزي: (ص: ٣٧).
(٦٠٠) ينظر: الإيمان، ابن تيمية: (ص: ١٣٢)، تجريد التوحيد المفيد، المقريزي: (ص: ٣٧).
(٦٠١) ينظر: العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن حنبل: (ص: ١١٧).
(٦٠٢) ينظر: لمعة الاعتقاد، ابن قدامة: (ص: ٢٦).
(٦٠٣) ينظر: العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن حنبل: (ص: ١١٧)، لمعة الاعتقاد، ابن قدامة: (ص: ٢٦).
(٦٠٤) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي: (٥/ ٩٥٧)

قال ابن القيم في مقتضيات الإيمان بأسماء الله وصفاته: "والأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية، والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين، فكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، عني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضرر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق، والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا، وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأن يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح. ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره، وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة، والباطنة بحسب معرفته وعلمه، وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي من موجباتها، وكذلك علمه بكماله وجماله، وصفاته العلى يوجب معرفة خاصة بمنزلة أنواع العبودية فرجعت العبودية، كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات"(٦٠٥).

الصورة الثالثة: شمول بلاغها للناس كافة:

من شمول عقيدة الإسلام أن الأمر ببلاغها شامل لشتى الناس في كل الأزمان، ومختلف الأماكن والبلدان، فليست محصورة في قوم دون قوم، ولا في زمان دون زمان، ولا في مكان دون مكان، قال جل شأنه: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون.** ﴾ الأعراف [سبأ: ٢٨]، وقال: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.** ﴾الأعراف: ١٥٨]، فعموم رسالته صلى الله عليه وسلم يشمل كل من بلغته الرسالة، بشارة ونذارة، داعية إلى توحيده سبحانه وتعالى لاستحقاقه كمال التفرد والتنزه، والملك، الإبداء والإعادة، وكل لوازم الربوبية والألوهية، والجلال والإكرام.

يقول الطبري -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: "يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للناس كلهم: إنّي رسول الله إليكم جميعًا، لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرُّسل مرسلا إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم"(٦٠٦).

فقد أمر سبحانه وتعالى رسوله الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ التوحيد للناس كافة وجعل التواني في تبليغها لجميع الناس تقصيرا، وقد بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل بلاغ وأتمه وما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد أدى ما عليه من البلاغ ونصرة الدين والجهاد في سبيل الله لتصل العقيدة لكافة الناس في جميع الأمصار(٦٠٧).

قال عليه الصلاة والسلام: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة،

(٦٠٥) مفتاح دار السعادة، ابن القيم: (٢/ ٩٠)
(٦٠٦) جامع البيان، الطبري (١٣: ١٧٠)
(٦٠٧) ينظر: لوامع الأنوار البهية، السفاريني: (٢/ ٣٠٨)

وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة "[٦٠٨]، والحديث عند البخاري، وفي رواية مسلم: "... أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود"[٦٠٩]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة"[٦١٠]

فهذا الشمول لجميع الناس، ولكل الأزمان، والبقاع من لوازم كون تلك العقيدة خالدة باقية إلى يوم الدين، وكونها خاتمة الرسالات، فهو شمول موضوعي وزماني، ومكاني، وهذا ما يمكن أن يعبر عنه بعالمية العقيدة[٦١١].

الصورة الرابعة: شمول الخطاب الاعتقادي:

صاغ القرآن الكريم خطابه العقدي مخاطبا وجدان العبد وفطرته تارة، ومخاطبا فيه عقله تارة أخرى، فاستدل بالمحسوسات على الغيبيات، وحث على إعمال الفكر في الاستدلال والتفكير المنطقي ليصل به للإيمان الوجداني، واستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، وأيد الآيات السمعية بالآيات الكونية، كل ذلك في منظومة متكاملة متناسقة لا تتجزأ ولا تنفصم ولا تضطرب ولا تتضارب، لتصيغ إنسانا مؤمنا مطمئنا سليم الاعتقاد، سليم الفطرة، سليم النفس، سليم السلوك[٦١٢].

فإن الشارع سبحانه وتعالى قد أورد في كتابه العزيز أمورا يصعب على العقل البشري إدراكها، بل إنه يستحيل على العقل ذلك، كصفات المولى ﷻ وأحوال القيامة، والحياة والخلود في النار، ونقل عرش بلقيس لسيمان عليه السلام بلمح البصر، والإسراء والمعراج إلى بيت المقدس ثم إلى السماء وتكليم الرب سبحانه وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى، وكلها أحداث عظام يصعب تقريرها إلا من خلال منهج واضح شامل، حيث بدأ سبحانه وتعالى بتقرير مبدأ الإيمان بالمغيبات، سواء الخبرية، أو العقلية، ثم بيّن أن اتضاح ذلك لا يكون إلا به، ولكنه لم يترك العقل هملا، بل جعل من العقل وسيلة يستدل من خلالها على تقرير وجوب الاعتقاد بصدق هذه المخبرات، من خلال التصديق الكامل الشامل بما جاء به القرآن الكريم، وأنه من عند الله تبارك وتعالى، ووحيه أنزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم[٦١٣].

ثم أورد الادلة والبراهين على صدق القرآن وما جاء به، وأيد ذلك بالآيات والمعجزات الظاهرات، فقال تعالى متحديا لهم أن يأتوا بمثل القرآن، أو بعشر سور، أو بسورة واحدة، أو أن يجدوا فيه بطالا واحد، خطأ في لفظه، أو معناه، أو تشريعه، أو خبره ورسمه[٦١٤]: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.**﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿**أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾ [هود: ١٣].

---

(٦٠٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، رقم(٣٣٥)، ينظر: صحيح البخاري: (١/ ٧٤)

(٦٠٩) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، رقم(٥٢١): (١/ ٣٧٠)

(٦١٠) أخرجه أحمد في مسنده: (٣٢/ ٣٠٥)، وقال محققه: " صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، سعيد بن جبير لم يسمع أبا موسى الأشعري، فقد ولد سعيد سنة ٤٦هـ، وتوفي أبو موسى نحو الخمسين على أحد الأقوال، وقد أشار إلى إرسال رواية سعيد عن أبي موسى البزار، والحافظ في "التقريب". وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين"، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: (١١/ ٢٣٨)، قال الألباني: "صحيح لغيره".

(٦١١) ينظر: جامع البيان، الطبري (١٣: ١٧٠)، التعريف بالإسلام: (ص: ٣٢٤)

(٦١٢) ينظر: مجموع الفتاوي: ابن تيمية: (٤/ ٣٩)، تلبيس إبليس، ابن الجوزي: (ص: ٣٤٣)، شرح العقيدة السفارينية، ابن العثيمين: (ص: ٢٣٩)

(٦١٣) ينظر: مجموع الفتاوي: ابن تيمية: (٤/ ٣٩)، تلبيس إبليس، ابن الجوزي: (ص: ٣٤٣)، شرح العقيدة السفارينية، ابن العثيمين: (ص: ٢٣٩)

(٦١٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: (٢/١٠٨-١١٢)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: (٤/٤)

﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (٢٣) فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين.(٢٤)﴾ البقرة: ٢٣ - ٢٤

﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. فصلت ٤١-٤٢ ﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢] (٦١٥)

ثم خاطب العقل بالمحسوسات لتقرير حقيقة المخبرات وإمكان حدوث المغيبات، في كثير من النصوص، فقال سبحانه (٦١٦)﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ [الواقعة: ٥٧ – ٦٢].

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية: ١٧ – ٢٠].

﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ [الذاريات: ٢٠ – ٢٣].

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾ [العنكبوت: ٢٠].

﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [الأعراف: ٥٤](٦١٧)

وقد شملت هذه الخطابات العقدية لجميع المكلفين(٦١٨)، فتارة يخاطب الإنسان منبها على أصل خلقته، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥](٦١٩).

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات: ١٣].

---

(٦١٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي: (١٠٨/٢-١١٢)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: (٤/٤)
(٦١٦) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية: (٤٧/٦)، تلبيس إبليس، ابن الجوزي: (ص: ٣٨).
(٦١٧) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية: (٤٧/٦)، تلبيس إبليس، ابن الجوزي: (ص: ٣٨).
(٦١٨) ينظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية: (١٠١/١)
(٦١٩) ينظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية: (ص: ٣٢٠).

﴿يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ [الأعراف: ٣٥].

وتارة يخاطبهم بنسبتهم إليه وحقيقة ربوبيته وألوهيته [٦٢٠]، ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ [العنكبوت: ٥٦].

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر: ٥٣].

وتارة يخاطب المؤمن بإيمانه، والكفار بكفره، فنادى المؤمنين منهم فقال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنو كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ونادى الكافرين فقاليا ﴿أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون. ﴾ [التحريم: ٧]

وتارة يعمم الخطاب للذكور والإناث وتارة يفصل فيخاطب الرجال والنساء. قال تعالى ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال: ﴿ من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل: ٩٧][٦٢١]

وكل ما أوردته من شواهد النصوص القرآنية مع ما فيه من شواهد شمول الخطاب، فإنه أيضا يشير إلى جوانب أخرى، عقدية كتقرير توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وغير ذلك، كتلازم الإيمان والعمل، وغيره.

ثمرات الشمول في العقيدة الإسلامية:

يمكن من خلال صور الشمول العقدي المذكور آنفا أن تتجلى لنا ثمرات عدة من أظهر ثمرات شمول العقيدة الإسلامية، تتمثل في:

إشباع الرغبات المعرفية العقلية عند الإنسان، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر: ٦٧]، ففي الآية مختصر الحياة وغايتها، وأن الأمر فيها مقضي سلفا، وغاية ما في الحياة أنها حرث لما يزرعه الإنسان، ويشتغل فيه[٦٢٢].

إشباع حاجات النفس البشرية:

وهي في القرآن على قسمين[٦٢٣]:

الأول: جانب عقدي، لا يستقر فيه حال الإنسان حتى يعرف ربه، فإن عرف اطمئن إليه وتوكل عليه، فهجع قلبه، وسكنت نفسه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال سبحانه:

---

(٦٢٠) ينظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية: (ص: ٣٢٠). شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز: (٥٩٧/٢)

(٦٢١) ينظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية: (ص: ٣٢٠). شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز: (٥٩٧/٢)

(٦٢٢) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات، د. غالب عواجي: (٢/ ١٢٥٠).

(٦٢٣) ينظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي: (ص: ٣٤٣)، شرح العقيدة السفارينية، العثيمين: (ص: ٢٣٩)

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [الزمر: ٢٣](٦٢٤)

والثاني: جانب جسدي، فيه متطلبات الجسد ورغباته، فقد أباح الخالق سبحانه وتعالى للإنسان كل طيب، وحرم عليه كل خبيث، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ۖ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [المائدة: ٤]، وقال: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥](٦٢٥)

وقال سبحانه وتعالى مجمل كل طيب، وناهيا عن كل خبيث: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وكل ذلك وفق حدود شرع الله تعالى عقوبات لمتعديها، غير أنه تبارك وتعالى وعد بالجنة وما فيها من طيب العيش وهناءة المستقرة، والخلود وما يصاحبه من الرَوح والريحان، وكل حسن لم يخطر على قلب بشر، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٠ – ٧٣]، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي عن رب العزة في وصف نعيم الجنة وطِّيب ما فيها: "قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] "(٦٢٦).

- التناسق في السلوك الإنساني:

التناسق بين الاعتقاد والعمل، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة الذي يؤهل المسلم لكي يؤدي أعظم الأدوار في خلافة الأرض؛ لأن هذا الشمول في العقيدة يعطي المسلم تصورا شاملا؛ فلا تنفك عقيدته عن سلوكه وعمله، فإن العمل لازم من لوازم الاعتقاد، ولا يواجه المسلم ذلك الانفصام الذي تفرزه المعتقدات الفلسفية النظرية، والهرطقات الكلامية التي

(٦٢٤) ينظر: حاشية (الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب)، عبد الرحمن بن محمد: (ص: ٦)
(٦٢٥) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم: (٣/ ١١١)، شرح العقيدة الواسطية: هرّاس: (ص: ١٨٤).
(٦٢٦) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ينظر: صحيح البخاري: (١١٨/٤)، رقم(٣٢٤٤)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: صحيح مسلم: (٢١٧٤/٤) رقم(٢٨٢٤)، واللفظ للبخاري.

ليس لها فائدة في الواقع العملي، ولا تلك المعتقدات العلمانية التي تفصل الدين عن حياة الناس وأمور سياستهم ومعاشهم(٦٢٧).

- طمأنينة القلب وتسليمه:

فإن راحة العقل من التيه فيما لا يقدر على الإحاطة به، ورد مالا يعلمه إلى علم الله، يورث المؤمن بكمال هذه العقيدة وشمولها القدرة على بلوغ الكمال البشري، والوصول لصفة أولياء الله، مع تلبية حاجات النفس الجسدية والروحية والنفسية وعدم الفصل بينهما(٦٢٨).

- خلود هذه الرسالة وعالميتها:

استيفاء العقيدة الإسلامية لجميع متطلبات الإنسان الجسدية والعقلية والروحية واتصافها بهذا الكمال والشمول أمر يحتم على العلماء وطلبة العلم في هذا العصر استخراج شمول تلك العقيدة، والمقارنة بين الإسلام وبين غيره من الأديان والمذاهب في تلك الخاصية، وتحرير ما أشكل، أو التبس على الناس في جزئيات تلك العقيدة، وكشف ما أوهم من الظنون التي توحي بأنها ليست شاملة، أو أنها قاصرة عن استيعاب أمر من الأمور، أو جزئية من الجزئيات(٦٢٩).

الخاتمة:

وفيها النتائج والتوصيات:

أولا: أبرز النتائج:

١- تبين من خلال صور الشمول الاعتقادي عند أهل السنة والجماعة، أن الأدلة القرآنية قد استوعبت جميع الجوانب العقدية من ربوبية وألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات وجميع ما ينضوي تحتها أو يلحق بها.

٢- تنوعت هذه الصور بين شمول في تفصيل الإخبار عن الله تعالى والإنسان والكون، وشمول الاعتقاد بجميع أركان الإيمان ولوزمه، وشمول في بلاغها للناس كافة، وشمول الخطاب الاعتقادي، وشمول التكليف الجسدي والروحي.

٣- كان من أبرز ثمرات خاصية الشمول، التناسق في السلوك الإنساني، وطمأنينة القلب وتسليمه، وخلود هذه الرسالة وعالميتها

ثانيا: أبرز التوصيات والمقترحات:

توصي الباحثة بدراسة الخصائص العقدية الأخرى، كالتوازن، والإيجابية، والواقعية، وغيرها، وأن تبرز المقارنات بين تلك الخصائص الإسلامية وبين الأديان الأخرى المعاصرة اليوم، وتبين محاسن العقيدة الإسلامية وتجلية ما وقع عليها من شبهات، تحقيقا لتبليغ دين الله بوسائله المناسبة للعصر، وتفعيلاً لدور بحوث الدراسات الإسلامية في خدمة الإنسانية.

---

(٦٢٧) ينظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، العمراني: (٣/ ٧٣٠)، المذاهب الفكرية المعاصرة: د. غالب عواجي: (٢/ ٦٨١)

(٦٢٨) ينظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم: (٢٨/١)

(٦٢٩) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية: (٧٣/٦)

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ه – ١٩٧٥م.
- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي(المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.
- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: محمد مظهر بقا، الناشر: دار المدني، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- تجريد التوحيد المفيد، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، المحقق: طه محمد الزيني، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- التعريف بالإسلام، المؤلف: مجموعة من الباحثين، الناشر: مركز قطر للتعريف بالإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بقطر (ص: ٣٢٤)
- تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى : ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة : الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المـلَطي، العسقلاني (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر(د.ت).
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، ثم المناوي، الناشر: عالم الكتب، تحقيق: عبد الخالق ثروت، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د/ عابد بن محمد السفياني، الناشر: مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: د/ محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق : د. علي حسن ناصر, د.عبد العزيز إبراهيم العسكر , د. حمدان محمد، الناشر : دار العاصمة – الرياض، ط١ ، ١٤١٤ه.

- حاشية (الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب)، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الناشر: دار الزاحم، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الرد على المنطقيين، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ)، الناشر: مؤسسة الريان، ط٦، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- شرح الأصبهانية، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، المحقق: محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة دار المنهاج – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
- شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (المتوفى: ٢٦٤هـ)، المحقق: جمال عزون، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- شرح العقيدة السفارينية - الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ ه.
- شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، المؤلف: محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ.
- صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، الناشر : دار العاصمة – الرياض، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ه – ١٩٩٨م.
- طريق الهداية - مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، محمد يسري، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- العرش، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: عبد العزيز عز الدين السيروان، الناشر: دار قتيبة – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ه .
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.
- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م:
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، قيق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- لمعة الاعتقاد، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المؤلف: د. غالب بن علي عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية-جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- معجم مصطلحات العلوم الشرعية، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤٣٩ه-٢٠١٧م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- المفيد في مهمات التوحيد، د/عبد القادر بن محمد عطا صوفي، الناشر: دار الإعلام، ط١، ١٤٢٢هـ- ١٤٢٣هـ.
- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

دور العلماء في النوازل المتعلقة بالأوبئة-وباء كورونا نموذجا-

The role of scientists in calamities related to epidemics (the Corona epidemic as a model)

أ. طارق محمد بش - كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة - جامعة الملك سعود

Email :scis.ksu@gmail.com

ملخص:

إن ما مر به العالم أجمع في مشارق الأرض ومغاربها وما زالت تداعياته مستمرة إلى الآن تحت وطأة (فيروس كرونا) مرحلة لم يعهدها في تاريخه الحديث، مما يستوجب الحاجة الملحة لبروز دور لعلماء لتثبيت النفوس وتسكين القلوب من الفزع والمخاوف، وتكمن مشكلة البحث في إيجاد الحلول التي تواجه الأمة في ظل النوازل المتعلقة بالأوبئة، ويهدف البحث إلى إبراز دور العلماء خلال هذه المرحلة العصيبة، وقد خلص البحث إلى إبراز جملة من أدوار العلماء التي تساهم في معالجة هذه الأوضاع، ومنها: إرشاد الناس إلى هدي الكتاب والسنة في التعامل مع زمن الوباء والتداوي من الأمراض، والدعوة إلى التطعيم وأخذ اللقاح، وحث الناس على التداوي والأخذ بأسباب الشفاء، ومن ذلك تناول العلاج قبل حصول المرض، وإشاعة نور الأمل، وحسن الظن بالله، مع التيسير ورفع الحرج عن الأمة، وأن يساهموا في التخفيف عن الناس والشد من أزرهم، ورفع الحرج عنهم وهذا كله انطلاقًا من شريعتنا الغراء وعملاً بوصايا النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأحكام ما جاءت إلا لمراعاة أحوال المكلفين، كما أوصى الباحث بالعمل على تقنين حقوق العلماء، ورفعه ليكون شعاراً لا يقل أهمية عن كافة الحقوق، وتفعيل دورهم تدريساً وكتابة وتأليفاً ومشاركة في كافة وسائل التأثير (فضائيات، وسائل التواصل المختلفة، وغيرها)، وإبراز دورهم الفعال قي المجتمع.

الكلمات المفتاحية: العلماء- النوازل المتعلقة بالأوبئة-وباء كورونا -

Abstract

What the whole world has gone through in the east and west of the earth, and its repercussions continue until now under the weight of the (Corona virus), a stage that was not familiar with it in its modern history. facing the nation in light of the calamities related to epidemics

The research aims to highlight the role of scientists during this difficult stage, and the research concluded by highlighting a number of the roles of scientists that contribute to addressing these conditions, including: guiding people to the guidance of the Qur'an and Sunnah in dealing with the time of the epidemic and treatment of diseases, and the call for vaccination and taking the vaccine, He urged people to take medication and adopt the means of healing, including taking treatment before illness occurs, spreading the light of hope, and having good faith in God, with facilitation and relief from the nation's embarrassment, to contribute to alleviating people's burdens, stressing them, and removing embarrassment from them. All of this is based on our noble Sharia. IN accordance with the commandments of the Prophet, may God's prayers and peace be

upon him, because the rulings came only to take into account the conditions of the taxpayers

The researcher also recommended working on legalizing the rights of scholars, raising it to be a slogan no less important than all rights, and activating their role in teaching, writing and participation in all means of influence (satellite channels, various means of communication, etc.), and highlighting their effective role in society.

- Keywords: scientists - epidemics - corona epidemic

مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فالعلماء وَرثةُ الأنبياء، رفع الله منزلتهم في الدنيا والآخرة، يدعو لهم ويَستغفر من في السموات ومن في البر والبحر، فهم يعلمون الناس أمور دينِهم، وينفون عن دين الله تحريف الغالين وتأويل الجاهلين، وهم الكوكبة التي تبنى بها الأوطان وتعمَّر بها البلاد، ويكفي في بيان شرفهم وأهمية دورهم ما وصفهم الله به في مواضع من كتابه بالخشية والرفعة والأمر بالرجوع إليهم، وما خصهم به النبي صلى الله عليه وسلم من كونهم ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، وهذا الميراث هو الذي أبقى النبوةَ حاضرةً في مختلف الأعصار والأمصار

حتى بلغت ما بلغ الليل والنهار، ومن هنا نعلم فضل العلماء الذين لا يعرف قدرهم إلا من عرف مهمتهم وكبير أثرهم في المجتمعات، وتعود أهمية البحث إلى أهمية الموضوع لما مر به العالم خلال العامين الماضيين وما زالت آثاره مستمرة إلى الآن بظروف وبائية جد صعبة لم ير العالم مثلها منذ عقود طويلة، فقد انتشر بين الناس وباء يسمى بـ: " فايروس كورونا أو كوفيد ١٩" فساد الخوف، وتسابقت الدول بكل ما أوتيت من قوة وإمكانيات في شتى المجالات العلمية والصحية والاقتصادية للحد من هذه الجائحة، مما استوجب على علماء الأمة العالمين بواقعهم وما يحيط بهم من شدائد ومحن التصدي لهذا الوباء، والمساهمة منذ بداية الجائحة في تقديم المساعدة لأمتهم من خلال الفتاوى الموافقة للواقع والقائمة على اليسر، ومراعاة الظروف تثبيتا للنفوس، وإدخالا للسكينة والطمأنينة على القلوب، بالإضافة إلى دعمهم ومشاركتهم في الأعمال الخيرية، والتوعية العامة عبر وسائل الإعلام المختلفة، وصولا إلى حث المجتمعات لتعاطي التطعيم للحد من الوباء، ناهيك عن حث المجتمعات بالمساهمة بالتبرعات المادية لتخفيف المعانة عن مجتمعاهم.

ويهدف البحث إلى التعرف على دور العلماء زمن النوازل المتعلقة بالأوبئة، والاستفادة من هذا الدور لوضع توصيات عامة لمعالجة أوضاع الأمم من خلال جائحة كرونا.

ونبحث في هذه الورقة أهمية دور العلماء زمن النوازل المتعلقة بالأوبئة، وما هي حقوقهم تجاه أمتهم، وما جهودهم في دفع البلاء، وماهي إسهاماتهم الإيجابية حين تقع الشدائد والمحن

توطئة:

إن الله عز وجل، وتقدَّست أسماؤه، اختصَّ من خلقه من أحب، فهداهم للإيمان، ثم اختصَّ من سائر المؤمنين من أحب، فتفضَّل عليهم، فعلَّمهم الكتاب والحكمة وفقههم في الدين، وعلمهم التأويل وفضَّلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كل زمان وأوان، بِهم يَعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح، فَضلّهم عظيم، وخَطرهم جزيل، وَرثةُ الأنبياء، وقُرةُ عين الأولياء، حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة، يُذكِّرون الغافل، ويعلِّمون الجاهل، الطاعة لهم من جميع الخلق واجبة، والمعصية لهم محرمة، من أطاعهم رشد، ومن عصاهم عَنَد(٦٣٠)

رفع الله منزلتهم وبيَّن مكانتهم، ويكفيهم شرفًا وفضلاً اقترانُهم باسم المولى - سبحانه - واسم ملائكته في قوله :﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ١٨، قال القرطبي رحمه الله: هذه الآية دليلٌ على فَضْل العِلْم وشرف العُلماء، فإنَّه لو كان أحدٌ أشرف منَ العلماء، لقرنهم الله باسمه، واسم ملائكته .(٦٣١) ولقد وردت كثيرا من نصوص القرآن والسنة تبين فضل العلم والعلماء وتحث على طلبه، والاعتناء به، ونذكر منها عبى سبيل المثال قوله تعالى :﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ المجادلة"١١، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر" (٦٣٢) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن مثل العلماء في الأرض كمثل نجوم السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم يوشك أن تضل الهداة"(٦٣٣)، ونظرا لأثر العلم في حياة الناس فإن الله سبحانه وتعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستزادة من شيء إلا من العلم، فقال له سبحانه وتعالى :﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ طه: ١١٤. ولقد منع الله سبحانه المساواة بين العالم والجاهل؛ لما يختص به العالم من فضيلة العلم ونور المعرفة؛ ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ الزمر: ٩، وقال ابن القيم رحمه الله: في بيان فضل العلماء: "فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خُصُّوا باستنباط الأحكام، وعُنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النُّجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظَّلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب؛ قال الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ النساء: ٥٩؛ قال عبدالله بن عباس في إحدى الروايتين عنه، وجابر بن عبدالله، والحسن

---

(٦٣٠) انظر: أخلاق العلماء للآجري (ص: ١٦) بتصرف.
(٦٣١) تفسير القرطبي ٤١/٤
(٦٣٢) تفسير القرطبي ٤١/٤
(٦٣٣) رواه أحمد، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، رقم 5874

البصري، وأبو العالية، وعطاء بن أبي رباح، والضحَّاك، ومجاهد، في إحدى الروايتين عنه: أولو الأمر: هم العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وقال أبو هريرة، وابنُ عباس في الرواية الأخرى، وزيد بن أسلم، والسدي ومقاتل: هم الأمراء، وهو الرواية الثانية عن أحمد، والتحقيق أنَّ الأمراء، إنَّما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء."[٦٣٤]

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله -: "وقد كان النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وخلفاؤه الراشدون يَسُوسُون الناسَ في دينهم ودُنياهم، ثم بعد ذلك تفرقت الأمور، فصار أمراء الحرب يسوسون الناس في أمر الدُّنيا والدين الظاهر، وشيوخ العلم والدين يسوسون الناس فيما يرجع إليهم فيه من العلم والدين، وهؤلاء أولو أمرٍ تجب طاعتهم فيما يأمرون به من طاعة الله."[٦٣٥] والعلماء الراسخون هم وحدهم الذين يشخصون أمراضَ الأُمَّة، ويصفون لها الدواء، كما قال تعالى :

﴿ وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾النساء: ٨٣.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "هذا تأديبٌ مِنَ الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة، وما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة، عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر؛ بل يردُّونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنُّصح والعقل والرَّزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة أو فيه مصلحة، ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه، ولهذا قال :﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾؛ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السَّديدة وعلومهم الرَّشيدة، وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي إذا حصل بحثٌ في أمرٍ من الأمور، ينبغي أن يتولَّى مَن هو أهل لذلك، ويُجعَلُ من أهله، ولا يتقدَّم بين أيديهم، فإنَّه أقربُ إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن العجلة والتسرُّع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمُّل قبل الكلام، والنَّظر فيه هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان أم لا، فيحجم عنه؟"[٦٣٦]، وقال ابنُ القيم رحمه الله: "العالم بكتاب الله، وسنة رسوله، وأقوال الصَّحابة، فهو المجتهد في النوازل، فهذا النوع الذي يسوغ لهم الإفتاء، ويسوغ استفتاؤهم، ويتأدَّى بهم فرض الاجتهاد."[٦٣٧]، والنوازل: هي الوقائع والمسائل المستجدة، والحادثة المشهورة بلسان العصر باسم النظريَّات والظواهر."[٦٣٨]، وقال الآجوري رحمه الله:" فما ظنكم رحمكم الله بطريق فيه آفات كثيرة، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء، فإن لم يكن فيه مصباح وإلا تحيروا، فقيض الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم، فسلكوه على السلامة والعافية، ثم جاءت طبقات من الناس لابد لهم من السلوك فيه، فسلكوا، فبينما هم كذلك، إذ طفئت المصابيح، فبقوا في الظلمة، فما ظنكم بهم؟ هكذا العلماء في الناس". [٦٣٩]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله واصفا لمنزلة العلماء: "هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء؛ وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب" [٦٤٠]

---

(٦٣٤) إعلام الموقعين، ١٤/٢.
(٦٣٥) الفتاوى، ٥٥١/١١..
(٦٣٦) تيسير الكريم الرحمن"، ١١٢/٢-١١٤.
(٦٣٧) إعلام الموقعين"، ٢١٢/٤..
(٦٣٨) فقه النوازل"، بكر أبو زيد، ٨/١..
(٦٣٩) أخلاق العلماء. ص:٢٩
(٦٤٠) إعلام الموقعين ٩/١

العلماء، وفقه النوازل المتعلقة بالأوبئة- كورونا نموذجا-، وفيه:

التعريف بمصطلحات البحث:

نظرا لحداثة بعض المصطلحات زمن الأوبئة والجوائح والأمراض وما يترتب عليها من آثار، فنجد أن تعريف المسميات الجديدة يكون وفق ما يكون عليه المنشأ أو الأثر.

تعريف الوباء:

لغة :الوباء بالمد والقصر مرض عام وجمع الممدود أوبية وجمع المقصور أوباء [٦٤١].

اصطلاحًا :الوباء اسم لكل مرض عام[٦٤٢]، والمعنى اللغوي والاصطلاحي يتفقان، فالوباء مرض عام يصيب الكثير من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات، ويكون مخالفًا للمعتاد من الأمراض في الكثرة وغيرها، ويكون نوعًا واحدًا [٦٤٣].

وباء (جائحة) كورونا أو (كوفيد-١٩**):** فيروسات تسبب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي التي تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة، ظهرت بداية حالات الإصابة به في مدينة "ووهان" الصينية نهاية ديسمبر ٢٠١٩م على صورة التهاب رئوي حاد [٦٤٤].

ويجدر التنبيه إلى أنه وقع خلاف بين العلماء في اعتباره هل يعتبر طاعونا أم لا، وقد ذهب إلى أن" فيروس كورونا " في حكم الطاعون فضيلة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ المفتي العام للمملكة العربية السعودية، وفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد البدر، وفضيلة الشيخ سليمان الرحيلي حفظهم الله جميعا، وسبق أن أفتى فضيلة الشيخ عبد المحسن العبيكان في وباء أنفلونزا الخنازير بأنه في حكم الطاعون ومن مات فيه من أهل الإسلام كان شهيداً [٦٤٥].

حقوق العلماء:

العلماء هم صفوة الأولياء، وحراس الشريعة، وحماة الدين هم عليهم السلام، وقد وردت نصوص الشرع تبين فضلهم، وتعزز من مكانتهم، ؛ فقد قرنهم الله باسمه - كما قال - تعالى :- ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ١٨، قال الإمام ابن جماعة - رحمه الله تعالى:" بدأ سبحانه بنفسه وثنَّى بملائكته وثلَّث بأهل العلم، وكفاهم ذلك شرفاً وفضلاً وجلالةً ونبلاً"[٦٤٦]، وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول" :إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسُئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا."[٦٤٧]، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم توقير العلماء فقال "ليس منا من لم يبجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه" [٦٤٨]، فرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس منا)" وهذا تحذير شديد للأمة التي

---

(٦٤١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ١٠/ ٥٦٦، ومختار الصحاح، ص ٣٣٢، ولسان العرب، ١ /١٨٩.

(٦٤٢) انظر: حاشية ابن عابدين، ٣/ ٦٩، وشرح مختصر خليل للخرشي، ٥/ ١٣٣، وأسنى المطالب، ٣ /٣٨.

(٦٤٣) انظر: شرح مختصر خليل للخرشي، ٥ /١٣٣.

(٦٤٤) موقع الصحة العالمية-https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-coronaviruses، وانظر موقع وزارة الصحة السعودية .
https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/Corona/Pages/corona.aspx

(٦٤٥) الأحكام الشرعية المتعلقة بالوباء والطاعون، أبو عبد العزيز هيثم بن قاسم الحمري، ص ٨.

(٦٤٦) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص:٧١، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥، دار المنهاج، القاهرة.

(٦٤٧)رواه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ١/ ٥٠ (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٤/ ٢٠٥٨.(2673)

(٦٤٨) صحيح الجامع، 5443 :

تهاونت اليوم في حقوق العلماء فعلى الأمة أن تعيد النظر في معاملة العلماء وإعطائهم حقهم، فمن أخذَ بها وعملَ نجا، ومن أعرضَ عنها أوقعَ نفسَه في الهلاكِ والرَّدَى، ونظرا لجهلِ كثيرٍ من المسلمين كيفية التعامل مع علمائهم، فقد رأيت من المناسب قبل الكلام على دور العلماء زمن النوازل المتعلقة بالأوبئة أن نعرج على حقوقهم؛ لنعرف منزلتهم في الإسلام، وفضلهم على هذه الأمَّة، ولنجمع كلمة المسلمين، فإنَّ طريق الوحدة هو الاعتصام بالكتاب والسنَّة ولزوم جماعة المسلمين، والعلماءُ هم الأدِلاَّءُ على ذلك، فإذا أنزلناهم منازلَهُم، واعتبرنا أقوالَهُم تَوَحَّدَ الصفُّ، واجتمعت كلمةُ المسلمين، واستطاعت الامة مجابهة المصائب والشدائد، ومن هذه الحقوق:

١. **محبتَهم وموالاتَهم**: إن حب العلماء قربة وطاعة من أفضل القربات محبة الدين والإيمان؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم :ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله"(٦٤٩) ، فهذا الفضل في حق المؤمن تجاه أخيه المؤمن فما بالكم إذا كان عالما، فإن هذا الفضل يزداد، لأن إجلال أهل العلم إجلال لما يحملونه من شرع الله عز وجل، وقال تعالى:﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ التوبة: ٧١، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فيجبُ على المسلمين بعد موالاةِ اللهِ تعالى ورسولِه صلى الله عليه وسلم موالاةُ المؤمنين، كما نطق به القرآنُ خصوصاً العلماءُ الذين هم ورثةُ الأنبياءِ"(٦٥٠)

٢. **تعظيم العلماء وتقديرهم** من تعظيم شعائر الله؛ قال - تعالى ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ الحج: ٣٢، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: "شعائر الله أعلامُ الدين الظاهرة، ومعنى تعظيمها: إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، فتعظيم شعائر الله صادرٌ من تقوى القلوب؛ فالمعظِّم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه؛ لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله. (٦٥١)، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "من حق العالم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة، وعلى القوم عامة، وتجلس قدامه، ولا تشر بيديك، ولا تغمز بعينيك، ولا تقل: قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه في السؤال، فإنه بمنزلة النخلة المُرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء" (٦٥٢).

٣. **احترامَهم وتوقيرَهم وإجلالَهم:** توقير العلماء وإجلالهم من إجلالِ اللهِ تعالى وتعظيم شريعته، فهُم أَولَى الناس بالموالاة وأحقُّهُمُ بالمحبة في الله بعد الأنبياء، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المقسط"(٦٥٣)، ولقد كان السلفُ الصالحُ رحمهم الله يحترمون علماءَهم احتراما كبيراً، ويوقرونهم ويتأدَّبون معهم، فهذا ابنُ عباسٍ رضي الله عنه، كان يأخذُ بركابِ ناقةِ زيدِ بن ثابتٍ رضي الله عنه ويقول: "هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا".(٦٥٤)، ولذلك قال بعض السلف: من السُّنةِ أن يُوقَّرَ العالمُ. (٦٥٥)، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يدينون الله سبحانه ويتقرَّبون إليه باحترام العلماء الهداة، بلا غلوٍّ ولا جفاء؛ قال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته المشهورة: "وعلماء السلف من السابقين، ومَن بعدهم من التابعين، أهلُ الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكَرون

---

(٦٤٩) متفق عليه: أخرجه البخاري، رقم: ١٦، ومسلم، رقم: ٤٣

(٦٥٠) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص:٧١، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥، دار المنهاج، القاهرة.

(٦٥١) تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٣٨).

(٦٥٢) جامع بيان العلم وفضله، (١ / ٥٨٠)

(٦٥٣) رواه أبو داود، وحسنه الشيخ الألباني في" صحيح الجامع: ٢١٩٥

(٦٥٤) جامع بيان العلم وفضله، (١ / ٤٥٦)

(٦٥٥) البغويُّ في شرح السُنَّة، (١٣/ ٤٣)، البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى، ص ٣٨٢

إلا بالجميل، ومن ذَكَرهم بسُوءٍ، فهو على غير السبيل." [٦٥٦]، قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالى: "عليك أيها الطالب التحلي برعاية حرمة الشيخ، فإن ذلك عنوان النجاح والفلاح والتحصيل والتوفيق، فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه في جواب، متجنباً الإكثار من السؤال، ولا سيما مع شهود الملأ، فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل"[٦٥٧].

٤. **الرابع: إعذارهم وإحسان الظن بهم:** إن حسن الظن حصن حصين في حفظ تماسك الأمة الإسلامية، وأساس متين في دفع الغوائل التي تتربص بتفككها واندثارها، وإنَّ من حقّ المسلم على أخيه أن يجد له الأعذار، ويحسن الظن به، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا تظن بكلمة خرجت من فِي مسلم شراً؛ وأنت تجد لها في الخير محملاً"[٦٥٨]، وقال جعفر بن محمد رحمه الله تعالى: "إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره، فالتمس له عذراً واحداً إلى سبعين عذراً، فإن أصبته؛ وإلا قل لعل له عذراً لا أعرفه" [٦٥٩]، وعلماء الأمة هم أولى بأن يعذروا ويحسن الظن بهم، وأن تحمل أقوالهم وأفعالهم على أفضل المحامل وأحسنها فهم مصابيح الدجى، ومنارات الهدى، الذين يدلون على الخير، ويهدون بالحق وبه يعدلون.

٥. **الرجوعُ إلى العلماء والصدوُر عن رأيهم، خصوصاً في الشدائد والفتن:**

عند الفتن تشتبه الأمور، ويكثرُ الخلطُ وتزيغ الأفهامُ والعقول، فالواجب على الناس حينئذٍ الأخذُ برأي العلماء والصدوُر عن قولهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ النساء:٨٣.

٦. **الحذر من القدح في العلماء، وعدمِ الطعنِ فيهم:** فإن الطعنَ في العلماءِ طعنٌ في الشريعةِ والدِّينِ والدعوةِ التي يحملونها، وإيذاءٌ لأولياءِ اللهِ الصالحين، ومجلبةٌ لغضبِ اللهِ ربِّ العالمين، فقد قال تعالى في الحديثِ القدسي: (مَنْ عادَي لي وليّاً فقد آذنتُه بالحرْبِ)، فعلى الأمة الحذرُ من القدح في العلماء؛ لأن الطعن فيهم من سمات أهل البدع والضلال، قال الإمام أحمد: "إذا رأيتَ الرجلَ يغمزُ حمَّادَ بن سلمةَ فاتهمه على الإسلام، فإنه كانَ شديداً على المبتدَعة" [٦٦٠] فاحذر الحذر من الاستهزاء بالعلماء والطعنِ فيهم، وعلينا أن نحفظ ألسنتنا عن الوقيعةِ فيهم فلحومهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، والعلماءُ غيرُ معصومين من الخطأ، وأخطاؤهم قليلة بالنسبة لكثرة فضائلهم: فالعلماء في هذه الأمةِ هم خيارُها، فإذا كانوا كذلك فإنه يجبُ أن يُغتفَرَ قليلُ خطئهم في كثير صوابهم. قال ابنُ تيمية: "كلُّ أمَّةٍ قبل مبعثِ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فعلماؤها شرارها، إلا المسلمين، فإن علماءَهم خيارُهم،فإنَّهم خلفاءُ الرسول في أمته، والمحُيونَ لما مات من سنَّتهِ"[٦٦١] قال سعيد بن المسيّب: "ليس مِن عالمٍ ولا شريفٍ ولا ذي فضلٍ إلَّا وفيه عيبٌ، ولكن مَن كانَ فضلُه أكثر من نقصهِ، ذهَب نقصُه لفضله"[٦٦٢].

---

(٦٥٦) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٨٢) تخريج العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ

(٦٥٧) حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص:٣٥، الطبعة الخامسة، ١٤١٥ه، دار العاصمة، الرياض.

(٦٥٨) مداراة الناس، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ص: ٥٠، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

(٦٥٩) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، ابن عساكر، ٢٢ /١٤٩

(٦٦٠) الذهبيُّ في السير (٤٥٠/٧).

(٦٦١) رفع الملام (صـ١١- ١٢).

(٦٦٢) ابنُ عبد البرّ في الجامع (٤٨/٢).

٧. **الدعاء والاستغفار له بظهر الغيب، في حياته وبعد وفاته:**

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلاَّ قال الملك: ولك بمثل"(٦٦٣)، وعنه كذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل"(٦٦٤). قال أبو حنيفة رحمه الله: "ما صليت صلاة منذ مات حماد بن أبي سليمان، إلاَّ استغفرت له مع والديَّ، وإني لاستغفر لمن تعلمت منه علماً أو علمته علماً" (٦٦٥)، فإذا كان هذا من حق الأخ تجاه أخيه فما بالك إذا كان الأمر يتعلق بالعلماء، وأي معروفٍ أعظم علينا في هذه الحياة من معروف علمائنا الذين بذلوا أوقاتهم على ما يقرّبنا إلى رضوان الله تعالى بطاعته ويباعدنا عن سخطه بالبعد عن معصيته. نسأل الله تعالى أن يوفق علماء الأمة الى ما يحب ويرضى، وأن يحفظهم من كل سوء وأن يسدد أقوالهم، وأن يوفقهم لما فيه الخير للإسلام والمسلمين.

دور العلماء زمن الأوبئة والشدائد:

دور العلماء في زمن الوباء: إن العلماء هم ورثةُ الأنبياء، حماة الدين، هم أهل خشية الله، وشهداء الله في أرضه، شرَّفهم الله وأكرمهم بعِلْمه وحكمتِه لحفظ شريعته، وتبيان الحقِّ والهدى للنَّاس كافَّة، لاسيَّما إذا استفحلت الفتن وسادت الشدائد والمحن، والناظر في أحوال المسلمين، وفي ضَوء السنن الشرعيَّة والكونيَّة يجزم بأنَّ المحن والشدائد لا يُمكن أن تنكشفَ عن الأُمَّة، إلاَّ بالعودة إلى الكتاب والسُّنة على فهم سلف الأمة، ولا يكون ذلك إلاَّ بالارتباط بالعُلماء الرَّاسخين الذين هم ورثة الأنبياء فهم للناس نورا في للأرض يذكّرونهم حين ينسون، يوجهونهم، يُبصّرونهم بمختلف الوسائل والأساليب والطرائق المشروعة السمعية والمرئية والمكتوبة، ويزداد هذا الدور أهميةً في حياة الناس وقت الأزمات والشدائد والفتن، وفي هذا الوباء الكبير الذي تجلَّت فيه محاسنُ الإسلام وفضائله في صورٍ متعددة، وعلت فضائله في أشكال متنوعة مما استوجب على أهل العلم إلى توجيه الأنظار إلى تلك المحاسن والفضائل؛ لأنّ فيها تثبيتًا للمسلمين على دينهم وتعزيزًا لليقين بصحته في قلوبهم، ويمكن أن نوجز هذه الأدوار فيما يلي:

١. **إرشاد الناس إلى هدي الكتاب والسنة في التعامل مع زمن الوباء والتداوي من الأمراض:** محاسن الدين الإسلامي عامة في جميع مسائله ودلائله، وفي أصوله وفروعه، وفيما دل عليه من علوم الشرع والأحكام، وما دل عليه من علوم الكون والاجتماع، وقد شملت كل نواحي حياة الإنسان، سواء كان ما يتعلق بالمجال المعرفي والإيماني أو المجال الأخلاقي وغيرها من المجالات، فالدين الإسلامي دين رحمة وبركة وإحسان، فكما أنّه يهتم في تشريعاته بدين الناس فإنه يهتم أيضًا بما يتعلق بدنياهم وصحتهم وعافيتهم، وقد حث على منفعة الإنسان، فما عليه هذا الدين من الرحمة وحسن المعاملة والدعوة إلى الإحسان، والنهي عن كل ما يضاد ذلك، هو الذي صيره نورًا وضياءً للعالمين، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "والله لو عرفه الناس اليوم، ولو عرفه العالم على حقيقته لدخلوا فيه أفواجًا اليوم، كما دخلوا فيه أفواجًا بعدما فتح الله على نبيه صلى الله عليه وسلم مكة"(٦٦٦). ومقصود الشرع هو حفظ الضروريات الخمس، بأن يحفظ على الناس دينهم، وأنفسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، وكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "اتفقت الأمة، بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على هذه الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفس،

---

(٦٦٣) صحيح مسلم رقم: ٢٧٣٢

(٦٦٤) صحيح مسلم رقم: ٢٧٣٣

(٦٦٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي جـ٢/٢١٨).

(٦٦٦) محاسن الدين الإسلامي للشيخ عبد العزيز السلمان ص.(84-83)

والنسل، والمال، والعقل"[٦٦٧]. وكثيرة هي المحاسن التي يجب أن تستثمر في زمن هذا الوباء، بأدلتها من القرآن والسنة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: تعظيم العافية والحرص عليها، الحضّ على صحة البدن والاعتناء بالصحة، التداوي عند الحاجة والمرض، العزل الصحي في زمن الأوبئة المعدية، وغيرها كثير من المحاسن التي يتفرد بها الإسلام خاصة في زمن الأوبئة، ويمكن أن نتطرق إلى ما يتعلق بالتطعيم ضد الوباء بشيء من التفصيل:

٢. **الدعوة إلى التطعيم وأخذ اللقاح**: لقد كان للعلماء عبر مر العصور دورا بارزا في حث الناس على التداوي والأخذ بأسباب الشفاء، ومن ذلك تناول العلاج قبل حصول المرض مقابل المفسدة الكبيرة التي تندفع وهي هذه الأمراض التي تفتك بالإنسان أو تسبب له ضرراً بالغاً في صحته، وقاعدة الشريعة العامة في هذا أن أدنى المفسدتين يُرتكب من أجل دفع أعلاهما إذا كان لابد من موافقة إحداهما [٦٦٨]، وسنعرض بعض أقوال علماء العصر في هذا الموضوع على سبيل المثال لا الحصر:

أ. قال الشيخ ابن باز رحمه الله:" لا بأس بالتداوي إذا خشي وقوع الداء؛ لوجود وباء، أو أسباب أخرى يخشى من وقوع الداء بسببها، فلا بأس بتعاطي الدواء لدفع البلاء الذي يخشى منه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: " مَن تصبح بسبع تمرات من تمر المدينة، لم يضره سحر ولا سم "[٦٦٩] وهذا من باب دفع البلاء قبل وقوعه، فهكذا إذا خشي من مرض وطعم ضد الوباء الواقع في البلد أو في أي مكان لا بأس بذلك من باب الدفاع، كما يعالج المرض النازل، يعالج بالدواء المرض الذي يخشى منه "[٦٧٠].

ب. قال الشيخ عبد العزيز الراجحي حفظه الله:حكم التطعيم قبل وقوع المرض : جائز، كالتطعيم عن الحمَّى الشوكية، والكوليرا، والدليل على الجواز: أدلة منها: ما ثبت عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: " مَنْ تصبَّح بسبع تمرات من تمر المدينة : لم يضره سحر، ولا سم "[٦٧١] ، فهذا توقٍّ للمرض قبل نزوله، فهو من فعل الأسباب الجائزة، ومنها: ما أجمع عليه الناس، مِن الأكل، والشرب ليتقي شرَّ الجوع، والعطش، ولبس الثياب الصفيقة، وثياب الصوف ليتقي فيها شرَّ البرد، ولبس المجاهد للدرع، وأخذه السلاح ليتقي به شرَّ الأعداء، فهذا اتقاء للمرض قبل وقوعه، وقد اتفق عليه جميع الخلق"[٦٧٢].

ت. قال الشيخ سعد بن ناصر الشثري حفظه الله : "ومن المسائل المتعلقة بالأوبئة والأمراض المعدية: حُكم أخذ اللقاح الذي يعطى من أجل الوقاية من هذه الأمراض، فنقول: اللقاح الذي يُعطى على نوعين: النوع الأول: ما عرف أثره بالتجربة أنه يقي بإذن الله من هذا المرض، ومثل هذا له أحكام العلاج وهو نوع من أنواع العلاج؛ وذلك لدخوله في قوله صلى الله عليه وسلم:" تداووا"، فيأخذ حكم التداوي ، وبعض الفقهاء استشكل أخذ اللقاح وقال: "إن هذا اللقاح مرض مخفَّف يُنقل إلى الجسد ليتمكن الجسم من محاربة المرض الثقيل (ليتعود البدن على مقاومة المرض)، قالوا: فكيف نستجيز إدخال مرض إلى الجسد ؟ والأظهر: أن هذا العمل لا حرج فيه، بل هو من القربات؛ لأن إدخال الضرر هنا لا يترتب عليه ضرر، بل يترتب عليه مصلحة لوقاية متعاطي هذا اللقاح من المرض الشديد، فهذا دليل على عدم المنع من أخذ هذا اللقاح" [٦٧٣].

---

(٦٦٧) الموافقات، الشاطبي، ٣١/١.
(٦٦٨) انظر: الاشباه والنظائر للسبكي ٤٥/١
(٦٦٩) أخرجه مسلم، رقم: : ٤٧٠٢
(٦٧٠) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: ٢٦/٦.
(٦٧١) متفق عليه: صحيح البخاري، رقم: ٥٤٤٥، وصحيح مسلم، رقم ٢٠٤٧
(٦٧٢) انظر: فوائد في العقيدة، ص:١٨
(٦٧٣) انظر: محاضرة بعنوان " أحكام فقهية تتعلق بالأوبئة."
https://web.archive.org/web/20110604224336/www.al-adwa.net/?p=181

٣. **حسن الظن بالله والفأل الحسن:** إن من واجب العلماء في ظل الأزمات والشدائد أن يشيعوا نور الأمل، وحسن الظن بالله ويخبروا الناس بحقيقة الفجر السَّاطع الذي لا يأتي إلا بعد شيوع ظلمة الليل؛ لأنها تعطيهم دافعًا لتجاوز العقبات والمحن، وقد كان هذا حال سلف الأمة فلا تزيدهم الفتن والشدائد إلا ثبات وإيمانا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ الأحزاب: ٢٢، قال الماوردي: "الفأل فيه تقوية للعزم، وباعث على الجد، ومعونة على الظفر، فقد تفاءل رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم في غزواته وحروبه. (٦٧٤) ، وعن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي اللهُ عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: "يُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ "(٦٧٥) وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يَتَفَاءَلُ وَلَا يَتَطَيَّرُ، وَيُعْجِبُهُ الاسْمُ الْحَسَنُ"(٦٧٦)، ونبينا صلى الله عليه وسلم قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة من الآية: ٤٠، وأُوحِي إليه: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ الروم من الآية: ٦٠، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم حافلة بالتيسير على الناس وتبشيرهم بالفرج وبث الأمل التي تربط القلوب بالله تعالى، فالفألُ الحسن هو نهج الأنبياء عليهم السلام ومن سار على دربهم إلى يوم الدين من العلماء والمصلحين الذين يتعين عليهم تثبيت الناس على الحق وفي وتذكيرهم بالله وبعظمته، وأن الله تعالى قادر على كل شيء، والعمل على تعزيز الفأل الحسن، وحسن الظن بالله في قلوبهم؛ لأنه بالإضافة إلى ما فيه من اقتداء بالسنة النبوية، التي قد حثَّ النبي صلى اللهُ عليه وسلم عليه، فإنه يترتب عليه:

- جلب السعادة والسرور إلى القلوب، وذهاب الهم والحزن، وهذا مطلوب شرعًا، ففي صحيح البخاري مِن حَدِيثِ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي اللهُ عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ"(٦٧٧)
- فيه تقوية للعزائم، ومعونة على الظفر، وباعث على الجد والعمل، قَالَ تَعَالَى :﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ التوبة: ١٠٥. وقال صلى اللهُ عليه وسلم: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"(٦٧٨)
- لما ينشأ عن الاستقرار النفسي من أثر على تعزيز المناعة البدنية.

٤. **التيسير ورفع الحرج:** اختص الله تعالى أمة الإسلام بكثير من المزايا والخصائص التي لم يهبها لأمة سواها، ومن أعظم خصائص الشريعة الإسلامية التي ميز بها غيرها من الشرائع السابقة "اليسر ورفع الحرج"، وقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة على هذا الأمر، ومن هذه الأدلة على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿هو اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ... ﴾ الحج/٧٨، قال ابن كثير في تفسير الآية: " أي: ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فَشَقَ عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا، فالصلاة - التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين- تجب في الحَضَر أربعًا وفي السفر تُقْصَر إلى ثِنْتَين.... وتُصَلى رجالا وركبانا، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها...وكذا في النافلة في السفر إلى القبلة وغيرها، والقيام فيها يسقط بعذر المرض، فيصليها المريض جالسا، فإن لم يستطع فعلى جنبه، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات، في سائر الفرائض والواجبات.(2) ، ومن السنة فقد وردت أحاديث كثيرة تدل على هذه السمة، سواء كانت من أقواله أو أفعاله عليه الصلاة والصلاة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه

---

(٦٧٤) أدب الدنيا والدين" ص319
(٦٧٥) صحيح البخاري" برقم 5756، و"صحيح مسلم" برقم 2224
(٦٧٦) مسند الإمام أحمد (169/ 4) "برقم (2328، وقال محققوه: حسن لغيره.
(٦٧٧) صحيح البخاري برقم ٢٨٩٣
(٦٧٨) صحيح مسلم" برقم ٢٦٦٤

وسلم: "إن هذا الدين يسر، ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة".[٦٧٩]، ومن المعلوم أن من هديه صلى الله عليه وسلم أنه ما خُيّر بين امرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فعنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَت: " مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ".[٦٨٠]، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لا تشدِّدوا على أنفسكم فيشدِّد الله عليكم، فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصَّوامع والدِّيار؛ رهبانيَّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم"[٦٨١]، قال ابن تيمية: "ففيه نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التشدد في الدين بالزيادة على المشروع، والتشديد: تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب، ولا مستحب: بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم، ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه، في الطيبات؛ وعلل ذلك بأنَّ الذين شددوا على أنفسهم من النصارى، شدَّد الله عليهم لذلك، حتى آل الأمر إلى ما هم عليه من الرهبانية المبتدعة" [٦٨٢]. فواجب العلماء والدعاة في هذه المحنة أن يساهموا كثيرا في التخفيف عن الناس والشد من أزرهم، ورفع الحرج عنهم وهذا كله انطلاقًا من شريعتنا الغراء وعملاً بوصايا النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأحكام ما جاءت إلا لمراعاة أحوال المكلفين، يقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥، ويقول جل جلاله: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيكُم في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ الحج: ٧٨

٥. **إرشاد الناس لكيفية الخلاص من الوباء**: ينبغي للعلماء أن يذكروا الأمة أثناء المحن والشدائد بتحسين صلتهم وعلاقتهم بالله تعالى وبوجوب الالتجاء والتقرب إليه بالانكسار والتذلل، ووسائل التقرب والالتجاء إلى الله كثيرة، ولكن نذكر على سبيل المثال: الرجوع للقرآن الكريم فهو الوسيلة الأولى وهو مصدر للتثبيت والعون في الشدائد، مَن التزم به عصمه الله، ومن اتبع تعاليمه أنجاه الله، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، وكذلك بالأدعية المحصنة من الأمراض، وأذكار الصباح والمساء، والتوبة، والصدقة، وأنواع البر المختلفة، ومن بينها أيضا: اتخاذ الاحترازات والأسباب الوقائية من الوباء، وكذلك تذكير من ابتلي بالوباء بالصبر والاحتساب؛ لأن الصبر وقت وقوع الصدمة تكسر من حدتها، وتضعف قوتها، كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الصبر عند أول صدمة".[٦٨٣] مع استشعار أجر الصابرين كما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة -رضي الله عنهما- أنهما سمعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن، حتى الهم يهمه إلا كفَّر الله به من سيئاته»[أخرجه مسلم (٢٥٧٣)]، والوصب هو المرض، والنصب هو التعب.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، والتوصيات:

أولا: النتائج:

١. إن الناظر في أحوال المسلمين، وفي ضَوء السنن الشرعيَّة والكونيَّة يجزم بأنَّ المحن والشدائد لا يُمكن أن تنكشفَ عن الأُمَّة، إلاَّ بالعودة إلى الكتاب والسُّنة على فهم سلف الأمة، ولا يكون ذلك إلاَّ بالارتباط بالعُلماء الرَّاسخين الذين هم ورثة الأنبياء.

---

(٦٧٩) رواه البخاري، باب الدين يسر،١٦/١ برقم ٣٩، واللفظ له.

(٦٨٠) متفق عليه، البخاري باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ١٨٩/٤ برقم ٣٥٦٠، ومسلم، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم، ١٨١٣/٤ برقم ٢٣٢٧.

(٦٨١) رواه أبو داود، باب في الحسد، ٢٦٥/٧، وأبو يعلى، ٣٦٥/٦، برقم ٣٦٩٤. قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، ٢٩٦/١، له شواهد في الصَّحيح

(٦٨٢) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ٣٢٢/١.

(٦٨٣)أخرجه البخاري، رقم: ٧١٥٤، ومسلم، رقم: ٩٢٦

٢. محاسن الدين الإسلامي عامة في جميع مسائله ودلائله، وفي أصوله وفروعه، وفيما دل عليه من علوم الشرع والأحكام، وما دل عليه من علوم الكون والاجتماع.
٣. مقصود الشرع هو حفظ الضروريات الخمس، بأن يحفظ على الناس دينهم، وأنفسهم، وعقولهم ونسلهم، وأموالهم، وكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة.
٤. كثيرة هي المحاسن التي يجب أن تستثمر في زمن هذا الوباء، بأدلتها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: تعظيم العافية والحرص عليها، الحضّ على صحة البدن والاعتناء بالصحة، التداوي عند الحاجة والمرض، العزل الصحي في زمن الأوبئة المعدية، وغيرها كثير من المحاسن التي يتفرد بها الإسلام خاصة في زمن الأوبئة.
٥. إن ما مر به العالم أجمع في مشارق الأرض ومغاربها وما زالت تداعياته مستمرة إلى الآن تحت وطأة (فيروس كرونا) مرحلة لم يعهدها في تاريخه الحديث، مما يستوجب الحاجة الملحة لبروز دور لعلماء لتثبيت النفوس وتسكين القلوب من الفزع والمخاوف، ويتجلى دور العلماء في:

أ- إرشاد الناس إلى هدي الكتاب والسنة في التعامل مع زمن الوباء والتداوي من الأمراض.
ب- الدعوة إلى التطعيم وأخذ اللقاح.
ت- حث الناس على التداوي والأخذ بأسباب الشفاء، ومن ذلك تناول العلاج قبل حصول المرض
ث- إشاعة نور الأمل، وحسن الظن بالله؛ لأنه بالإضافة إلى ما فيه من اقتداء بالسنة النبوية، التي قد حثَّ النبي صلى اللهُ عليه وسلم عليهما، فإنه يترتب عليهما:

- جلب السعادة والسرور إلى القلوب، وذهاب الهم والحزن، وهذا مطلوب شرعًا.
- فيه تقوية للعزائم، ومعونة على الظفر، وباعث على الجد والعمل.
- لما ينشأ عن الاستقرار النفسي من أثر على تعزيز المناعة البدنية.

ج. من واجب العلماء كذلك في هذه المحنة التيسير ورفع الحرج عن الأمة، وأن يساهموا في التخفيف عن الناس والشد من أزرهم، ورفع الحرج عنهم وهذا كله انطلاقًا من شريعتنا الغراء وعملاً بوصايا النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأحكام ما جاءت إلا لمراعاة أحوال المكلفين.
ح. على العلماء إرشاد الناس لكيفية الخلاص من الوباء، وذلك بتحسين صلتهم وعلاقتهم بالله تعالى وبوجوب الالتجاء والتقرب إليه.
خ. دعوة الناس للأخذ بالاحترازات والأسباب الوقائية من الوباء.
د. تذكير من ابتلي بالوباء بالصبر والاحتساب.

ثانيا: التوصيات:

- العمل على تقنين حقوق العلماء، ورفعه ليكون شعاراً لا يقل أهمية عن كافة الحقوق.
- تفعيل دور العلماء تدريساً وكتابة وتأليفاً ومشاركة في كافة وسائل التأثير (فضائيات، وسائل التواصل المختلفة، وغيرها)، وإبراز دورهم الفعال قي المجتمع.
- إعطاء مواضيع النوازل، والقضايا الفقهية المعاصرة مزيد عناية لدى الجامعات والجهات ذات العلاقة.
- أن يدرج فقه النوازل، والقضايا الفقهية المعاصرة، ضمن مقررات الجامعات المتخصصة في الشريعة والدراسات الإسلامية.
- أن يعقد مؤتمرًا علميًا يخصص في قضايا النوازل والدراسات الإسلامية المعاصرة.

فهرس المصادر والمراجع:

١. أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، قام بمراجعة أصوله وتصحيحه والتعليق عليه: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية
٢. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م
٣. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، دار الكتاب الإسلامي
٤. الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م
٥. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
٦. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
٧. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م
٩. الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي"، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، ٢٧٦/٦.
١٠. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م
١١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
١٢. حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص:٣٥، ط٥، ١٤١٥ه، دار العاصمة، الرياض.
١٣. رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
١٤. رفع الملام عن الأئمة الأعلام، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
١٥. الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص:٧١، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥، دار المنهاج، القاهرة.
١٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م
١٧. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
١٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م
١٩. شرح السنة، المؤلف، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
٢٠. شرح مختصر خليل للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: ١١٠١هـ)، دار الفكر للطباعة – بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ
٢١. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الألباني، المكتب الإسلامي
٢٢. فقه النوازل، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م
٢٣. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤
٢٤. متن الطحاوية بتعليق الألباني، تخريج العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ
٢٥. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

٢٦. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المحقق: محمد بن سعد الشويعر، دار القاسم للنشر، ١٤٢٠
٢٧. معجم تهذيب اللغة، تحقيق: د. رياض قاسم، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠١م (ط١).
٢٨. معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ١٩٧٩م، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
٢٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م
٣٠. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، عبد الحميد هنداوي
٣١. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
٣٢. مداراة الناس، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ص: ٥٠، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
٣٣. المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت
٣٤. من محاسن الدين الإسلامي، عبد العزيز المحمد السلمان، مطابع دار طيبة، ٢٠٠٥م
٣٥. الموافقات المؤلف، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م
٣٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٣٧. مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤
٣٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت
٣٩. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩)، ج٤، ص ٢٤٦-٢٤٧المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة

مواقع إلكترونية:

١) الأحكام الشرعية المتعلقة بالوباء والطاعون، أبو عبد العزيز هيثم بن قاسم الحمري، شبكة الألوكة، https://www.alukah.net/books/files/book_١٢٠٨٦/bookfile/alwaba_waltaaeun.pdf
٢) فوائد في العقيدة، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية https://shamela.ws/book/ ٣٧٠١٠،
٣) محاضرة بعنوان " أحكام فقهية تتعلق بالأوبئة. " https://web.archive.org/web/20110604224336/www.al-adwa.net/?p=181
٤) موقع الصحة العالمية https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-coronaviruses، وانظر موقع وزارة الصحة السعودية https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/Corona/Pages/corona.aspx

التجديد الفقهي ـ فقه الاستشراف ضوابطه وضرورته المعاصرة.

jurisprudential renewal - the jurisprudence of foresight and its contemporary necessity

د. مبروك بهي الدين الدعدر- كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة- جامعة الملك سعود

Email:scis.ksu@gmail.com

ملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

في ظل المتغيرات المتسارعة التي يمر بها العالم اليوم، والتطورات العلمية المذهلة التي ساهمت في تغير أنماط الحياة، وطرائق المعاش، وطرائق التحصيل العلمي ووسائل الاتصالات والتواصل، لم يقف الفقه الإسلامي على موروثه الحضاري، وما ضاق ذرعًا بالمستجدات المتلاحقة، وما قعد عن الوفاء بمطالبها، دون معايشة هذه المتغيرات والتكيف معها، مراعيًا الأصول العلمية في التشريعات الإسلامية وقوانينها وقواعدها الفقهية، حيث المرونة والسعة والتكيف مع كل جديد، ليؤكد على أهم خصائص هذه الشريعة السمحة وقابليتها للتطبيق حية نضرة في كل زمن ومصر، وفي ظل كل الحضارات، لأن سنَّة التجديد أحد أصول الإسلام التي يشهد لها تاريخ العلماء والفقهاء بين الماضي والحاضر.

وفقه الاستشراف أحد وسائل العلماء والفقهاء للوقوف على حقائق الواقع، المدركين للمعطيات الجديدة ووسائل العلم الحديثة التي تمكنهم من استقراء المتغيِّرات المتسارعة، واستطلاع آفاق المستقبل فيما يستجد ويتوقع من خلال القرائن والدلائل اليقينية بدراية تامَّة، تُؤهلهم لإدراك مآلات الأحكام حال التغير وتسهم في سلامة وصحة الإفتاء حول القضايا الشرعية بدرجة من الشمولية وفق قواعد وضوابط أصول الفقه.

الكلمات المفتاحية :فقه الاستشراف، المآل، فقه الواقع، المصلحة، الضوابط.

Summary:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon our Prophet Muhammad and all his family and companions, and after.

In light of the rapid changes that the world is going through today, and the amazing scientific developments that have contributed to changing lifestyles, ways of living, methods of educational attainment and means of communication and communication, Islamic jurisprudence did not stop at its civilized heritage, and was not fed up with successive developments, and failed to meet its demands. Without experiencing these variables and adapting to them, taking into account the scientific principles in Islamic legislation, laws and jurisprudential rules, where flexibility, capacity and adaptation to everything new, to emphasize the most important characteristics of this tolerant Sharia

and its applicability, alive and fresh in all times and Egypt, and in the light of all civilizations, because the year of renewal is one of The origins of Islam witnessed by the history of scholars and jurists between the past and the present.

The jurisprudence of foresight is one of the means for scholars and jurists to find out the facts of reality, who are aware of new data and modern means of science that enable them to extrapolate the accelerating changes, and to explore the future prospects of what is emerging and expected through certain evidence and evidence with full knowledge, which qualifies them to realize the consequences of rulings in the event of change and contribute to the safety and validity of fatwas about Legal issues with a degree of comprehensiveness in accordance with the rules and regulations of the principles of jurisprudence.

Keywords: jurisprudence of anticipation, money, jurisprudence of reality, interest, controls.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

في ظل المتغيرات المتسارعة التي يمر بها العالم اليوم، والتطورات العلمية المذهلة التي ساهمت في تغير أنماط الحياة، وطرائق المعاش، وطرائق التحصيل العلمي ووسائل الاتصالات والتواصل، لم يقف الفقه الإسلامي على موروثه الحضاري، وما ضاق ذرعًا بالمستجدات المتلاحقة، وما قعد عن الوفاء بمطالبها، دون معايشة هذه المتغيرات والتكيف معها، مراعيًا الأصول العلمية في التشريعات الإسلامية وقوانينها وقواعدها الفقهية، حيث المرونة والسعة والتكيف مع كل جديد، ليؤكد على أهم خصائص هذه الشريعة السمحة وقابليتها للتطبيق حية نضرة في كل زمن ومصر، وفي ظل كل الحضارات، لأن سنَّة التجديد أحد أصول الإسلام التي يشهد لها تاريخ العلماء والفقهاء بين الماضي والحاضر.

وتكمن أهمية الموضوع في أن فقه الاستشراف أحد وسائل العلماء والفقهاء للوقوف على حقائق الواقع، المدركين للمعطيات الجديدة ووسائل العلم الحديثة التي تمكنهم من استقراء المتغيّرات المتسارعة، واستطلاع آفاق المستقبل فيما يستجد ويتوقع من خلال القرائن والدلائل اليقينية بدراية تامَّة، تُؤهلهم لإدراك مآلات الأحكام حال التغير وتسهم في سلامة وصحة الإفتاء حول القضايا الشرعية بدرجة من الشمولية وفق قواعد وضوابط أصول الفقه.

ويهدف البحث إلى بيان:

- ✓ أن التجديد في الفقه الإسلامي لا يعني التخلي عن موروثه الحضاري، بل ينشد التجديد مع المحافظة على الأصالة وفق الضوابط الشرعية الصحيحة.
- ✓ التأكيد على العلماء والفقهاء على مرّ العصور في اجتهاد متواصل، يتابع اللاحق السابق ويناقشه، بل ينقضه أحيانًا ويقيمه.
- ✓ أن نبراس الفقهاء في التجديد الفقهي يستلهم أصوله وفروعه وضوابطه من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لاستلهام الإعجاز التشريعي منهما، تأكيدًا على صلاحية الشريعة والفقه لكل زمان ومكان.

- ✓ أن التجديد الفقهي لا يتعارض مع العلوم المعاصرة وتطوراتها كعلوم التخطيط والاستشراف، إذ كان للفقه نصيب وافر في هذه الدراسات.
- ✓ أن الدراسات الفقهية المعاصرة لها شروطها وضوابطها، ومن أبرز الأسس التي يعتمد عليها فقه الاستشراف هو الواقع الذي يعكس الصورة الحقيقية التي سيؤول اليها الحكم في المستقبل.
- ✓ التأكيد على العلاقات الارتباطية بين فروع الفقه وأصوله، كفقه النوازل، وفقه التوقع، وفقه العواقب وفقه الاستشراف للنظر فيما قد يقع به من أحداث.

الفقه ومفهوم المعاصرة:

لقد مرَّت الشريعة منذ عهد الصحابة حتى يومنا هذا بأطوار كثيرة، فمن جمع القرآن الكريم على مصحف واحد، مرورًا بعهد التابعين في جمع السنة، ومن بعدهم من الأئمة الذين بذلوا واجتهدوا في استخراج المسائل واستنباطها، وما أعقبها من تطورات في مجال الفقه وما اقتضته طبيعة الزمان، وتطور الوسائل والأدوات وكثرة المستجدات، فلم يعجز الفقه ولا الفقهاء عن مواكبة التطور، وإيجاد الحلول لكل مشاكل المستجدات والمعاملات المتجددة ومسائلها المتنوعة، محافظًا على الثوابت، مستوعبًا المتغيرات بمرونة في غير تفريط، وبثبات في غير جمود، مستمدًا مادته من كتاب الله تعالى، وهدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

التعريف بالمصطلحات:

تعد التعاريف بوابة المادة التي سيتم دراستها، وهي خصيصة في كل العلوم لضبط تعاريفه ومصطلحاته، وضرورة لتحديد المفاهيم؛ دفعًا للبس، ورفعًا للإشكال، وتقوم بوظيفة مهمة في ضبط مسار البحث وضمان الحيد عن موضوع البحث.

التجديد:

التجديد لغة: (الجدَّة هي مصدر الجديد والجمع أَجِدّة وجُدُد، والجدّة هي نقيض البلى، والجديد ما لا عهد لك به)[٦٨٤]، والتجديد كذلك: إعادة الشيء إلى سيرته الأولى[٦٨٥] .

التجديد اصطلاحاً: أما التجديد في الاصطلاح الشرعي فهو اجتهاد في فروع الدين المتغيرة، مقيد (محدود) بأصوله الثابتة، أي: (إحياء ما أندرس من معالم الدين، وانطمس من أحكام الشريعة وما ذهب من السُنن، وخفي من العلوم الظاهرة والباطنة)[٦٨٦]، مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[٦٨٧].

التجديد الوارد في الحديث هو تجديد لفروع الدين التي مصدرها النصوص الظنية الورود والدلالة، مقيدا بأصوله التي مصدرها النصوص اليقينية الورود القطعية الدلالة، ويترتب على هذا أن التجديد المذكور في الحديث لا ينطبق على الوقوف عند أصول الدين وفروعه (التقليد)، ولا رفض أصول الدين وفروعه (التغريب) [٦٨٨].

---

(٦٨٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥٦٢/١ ـ ٥٦٣.
(٦٨٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور، تحت مادّة: (جدد).١١١/٣، الصحاح، للجوهري، ٤٥٤/٢.
(٦٨٦) انظر: فيض القدير، للمناوي، ١/ ١٠و ٢٨٢/٢. .
(٦٨٧) رواه أبو داود، باب ما يذكر في قرن المائة، ١٠٩/٤، رقم/٤٢٩١، وصححه السخاوي في "المقاصد الحسنة" برقم ١٤٩، والألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم/٥٩٩. والحاكم في المستدرك ٥٢٢/٤.
(٦٨٨) انظر: مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي د. صبري محمد خليل، ص١٢.

فالتجديد خطة واعية فردية أو جماعية لوضع هذا التجدد ضمن منظور معقول ومنسق، وبالتالي إعادة تنظيمه فكرياً ومن الداخل حتى يبقى فاعلاً [٦٨٩]، ويقوم به من له حنكة ردِّ المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق والدقائق والنظريات من نصوص الفرقان وإشاراته ودلالاته)[٦٩٠].

الفقه:

الفقه لغة: مطلق الفهم، وفهم الأمور الدقيقة، كما أنه فهم مراد المتكلم من كلامه، وفقه: الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به، ثم اختص بذلك علم الشريعة؛ وكل علم بشيء فهو فقه[٦٩١]، و(الفقه أخص من الفهم، وهو فهمُ مراد المتكلم من كلامه)[٦٩٢].

ووردت مادة) فقه) في القرآن الكريم عشرين مرة، إلا أن لفظ (التفقه) لم يرد بصيغة الفعل إلا في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ التوبة: ١٢٢، أما في المواضع الأخرى فورد الفقه على غير وزن (تفعل)؛ وهذا يعني أن التفقه يكون تأمل وبحث ونظر واختصاص، في حين أن (فقه)، فقد يراد به مطلق الفهم، أو يطلق على الفَهْم الدقيق[٦٩٣].

الفقه اصطلاحًا: تعددت طرائق واتجاهات الفقهاء في تعريف الفقه، فيرجع بعضهم إلى الجانب المعرفي وآخرين إلى ملَكة الاستنباط والتحليل والقياس والاستدلال، وجمع بعضهم بين الأمرينِ معًا.

وقديمًا عني الفقه بفهم كل ما شرعه الله لعباده من الأحكام، سواء كانت اعتقادية، أم سلوكية أخلاقية، أم شرعية عملية، فقيل: (معرفة النفس ما لها وما عليها) [٦٩٤]، وعُرف بالفقه الأكبر.

وقد اصطلَح على (الفقه) بأنه: (العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية)[٦٩٥]، وأضاف بعضهم: (العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسب من أدلتها التفصيلية) [٦٩٦].

وسوف نقف على دلالات التعريف خلال دراسة التجديد الفقهي بين الأصالة والاستشراف.

الاستشراف: الاستشراف لغة: فالشين والراء والفاء أصل يدل على علو وارتفاع، واستشرف: تشرف الشيء واستشرفه[٦٩٧]، اسْتَشْرَفَ للشيءِ: تعرّضَ، استشراف المستقبل: التطلّع إليه أو الحدس به [٦٩٨].

والاستشراف: الانتصاب، واستشرفت الشيء إذا رفعت بصرك تنظر إليه وبسطت كفك فوق حاجبك كالذي يستظل من الشمس[٦٩٩].

وعن النبي: "سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ". وأصله من الشرف العلو، كأنه ينظر إلى موضع مرتفع فيكون أكثر لإدراكه، واستشرف فلان: رفع رأسه ينظر إلى شيء.

([٦٨٩]) انظر: الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، د. برهان غليون، ص٧٣.
([٦٩٠]) انظر: فيض القدير، للمناوي، ١٠/١، عون المعبود، أبادي، ٣٨٩/١١-٣٩١.
([٦٩١]) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٤٢/٤. لسان العرب، ابن منظور، ٣٤٥٠/٥. القاموس المحيط، للفيروزابادي، ٤/ ٢٩١.
([٦٩٢]) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ١٦٤/١. التعريفات، للجرجاني، ١/ ٩.
([٦٩٣]) انظر: نظريات التعلم في الفكر التربوي الإسلامي، د. سعيد حليم، ص ٦٧.
([٦٩٤]) انظر: مقدمة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، ٤٠/١.
([٦٩٥]) انظر: ترتيب العلوم، محمد بن أبي بكر المرعشي، ص ١٤٤.
([٦٩٦]) انظر: تعريف الفقه الاسمي بهذا المعنى نفسه عند كلٍّ من: الجويني، الورقات، ص٩. المستصفى، الغزالي،١/ ١٢، المحصول، الرازي، ١٠/١، الأحكام، الآمدي، ٢٢/١، المقدمة، لابن خلدون، ص٤١٦.
([٦٩٧]) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٧١/٩.
([٦٩٨]) انظر: معجم اللغة العربية المعاصر، لأحمد مختار وآخرون، ١٧٧٣/٣.
([٦٩٩]) انظر: عماد عبد الكريم خصاونة وخضر إبراهيم قزق، السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل، مجلة المنارة، المجلد ١٥، ال عدد٢،٢٠٠٩م، ص ٢١٢.

أما الاستشراف اصطلاحاً:

فمع حداثة المصطلح، فإن التعريفات التي دلت عليه ترتكز على العلوم التجريبية أكثر من دلالتها على العلوم الشرعية، وعند من تخصصوا في دراسات التخطيط المستقبلية التي تتطلع لما سيكون محاولة لامتلاك أدوات وطرائق ممكنة تسهم أو تعين على تحسين وتوضيح صور مستقبلية محتملة.

وهذا بمثابة تأمل للواقع واستطلاع مبكر للقضايا في ضوء معطيات الحاضر وما يكون عليه من تحديات مستقبلية، نظرًا لطبيعة التغيرات والتطور والتحول المتسارعين، وهي دراسات علمية أساسها التخطيط لتحقيق غايات مرجوة ومتوقعة في مجال البحث، تكشف عن مشكلات محتملة الحدوث في بعض القضايا المعاصرة، قد تتطور في المستقبل فتضع لها حلولا لمواجهة هذه المشكلات، فالاستشراف: (سلوك يتطلب معرفة ومهارة ويستلزم عزيمة وإرادة ويهدف إلى جلب خير أو دفع ضر عبر أنشطة ذهنية معينة)[٧٠٠]. كما أنه: (الدراية بالممكنات المرتبطة بمعطيات التاريخ، والواقع الراهن، والسنن والقوانين النفسية، والاجتماعية، والكونية) [٧٠١].

وعلى هذا يمكن تعريفه بأنّه: (التعرّف على الأحكام الشرعية للمسائل التي يتوقع حصولها، أو تبيين الحكم الشرعي للمسائل التي يتوقع حصولها) [٧٠٢].

فقه الاستشراف وعلاقته بالتجديد الفقهي:

تكمن العلاقة بين فقه الاستشراف الفقهي في الجواب على الاستفسار: كيف نستشرف فقهيًّا والمستقبل من عداد الغيب، وما يكتنف ذلك من يقين أو عدم تأكد، والمسلم مطالب بالإيمان بالغيب؟

والحقيقة، أن العمل وفق المعطيات المعاصرة والتفكير باستشراف المستقبل من الأمور الفطرية في النفس البشرية، إلا أنها عند المسلم منضبطة بضابط الإيمان بالله والرضا بقضائه وقدره، وإن كان النظر في الماضي يسهم في معرفة الحاضر، فإنه كذلك يساعد على إصلاح المستقبل وفق معطيات معتبرة من أحداث وسنن كونية تسهم في الوقوف على مآلات الأمور وبعض خفاياها.

ويعد فقه الاستشراف من الموضوعات الحديثة، التي تبنى على سعة إطلاع وتوقع في الأمور الفقهية المعاصرة وما يمكن أن تؤول إليه، كما يبنى على تحقيق المقاصد الشرعية المعتبرة، وله اعتبار مهم في استنباط الأحكام وتنزيلها، وهو أحد المعالم المهمة في سعة اطلاع الفقيه.

وإن كان الاستشراف عني بالدراسات المستقبلية في العلوم المختلفة فإن الفقه الإسلامي أولى بهذه الدراسات الحديثة لاستشراف ما هو محتمل قادم والحد المشكلات المحتملة والمتوقعة وفق المعطيات والظروف التي يمكن تجاوزها، فيما يتحقق العلم به على وجه اليقين أو الظنّ الغالب، وبعيدًا عن الاستشراف الموهوم وما قد يترتب عليه من تنزيل أو استنباط أحكام في غير موضعها، لا سيما وأن الشريعة الإسلامية بسعتها ومرونتها وثوابتها ومتغيراتها اهتمت بالمصالح والمفاسد في الحاضر والمستقبل وقعدت لذلك القواعد الكثيرة، وطالبت بالنظر المستقبلي لمآلات الأمور، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا ٱللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الحشر ١٨، فمع المطالبة بتقوى الله، المطالبة بالنظر إلى الغد، ويكون بالوسائل المشروعة والنظر العلمي القائم على المعطَيات الملموسة،

---

(٧٠٠) انظر: **عن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة**، لأحمد صدقي الدجاني، ص١٤.

(٧٠١) انظر: **أهمية استشراف المستقبل وضوابطه**، د. محمد بشير، الندوة الدولية الخامسة للحديث الشريف، دبي، ٢٠١١م.

(٧٠٢) انظر: فقه التوقع، دعوة لاستشراف أحداث المستقبل ودرء للخلافات الفقهية، https://www.al-madina.com/article/16783، ٢٠١٠/٦/٤م

وأن قيمة اليوم هو فيما يقدمه للغد من عمل وحلول شرعية علمية لما يستجد في مستقبله كفرد وعلى مستقبل الأمة، وفي الحديث: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[٧٠٣].

إن الإيمان بالغيب هو الإيمان بالأمور الغيبية التي أخبَر بها الشرع، وهو أحد أركان الإيمان، وهذا لا خلاف فيه، أمّا الاستشراف الفقهي فهو مبني على معطيات واقعية للنظر في السُّنن الكونية وغيرها، كالأمر بالسير في الأرض، والنظر في عواقب مَن سبقنا؛ لأخْذ العِبَر ونحن نستشرف المستقبل، وهذا كثير في القرآن والسنة النبوية لكل مَن طلب، ولقد حفلت نصوص الكتاب والسنة بالحديث عن المستقبل، ومنه قوله تعالى: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ الروم: ٢ – ٤، ومن المستقبل حديث القرآن عن انتصار المسلمين على المشركين في غزوة بدر، كما في قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ القمر: ٤٥، وما ذكره القرآن من وقائع قبل يوم القيامة، وأشراط الساعة ، ولم تخل السنّة النبوية من الحديث عن المستقبل، فمنها ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم من تخطيط مستقبلي في كثير من الأحداث كالهجرة، ومنه إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بوفاة ابنته فاطمة بعده، وأنها أول أهله موتا بعده وماذا تعمل حينها[٧٠٤]، ومنه ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من سفر المرأة من الحيرة إلى مكة للحج لا تخاف إلا الله[٧٠٥]، وإخبار النبي بالفتوحات في حفر الخندق[٧٠٦]، ومنه أن يفيض المال حتى إن الرجل ليخرج بالذهب فلا يجد من يأخذه منه[٧٠٧]، وعندما أراد سعد بن أبي وقاص أن يوصي بجميع ماله منعه الرسول صلى الله عليه وسلم، قلت: فالشطر؟ قال: (لا، قلت: الثلث؟ قال: الثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيدهم) [٧٠٨]، فقد توقع الرسول صلى الله عليه وسلم الضرر على عائلة المورث فأمره أن لا يوصي بأكثر من الثلث، تفاديا للإضرار بهم، ونحو ذلك كثير في الهدي النبوي الشريف.

ولقد عنيت العلوم الشرعية، وفي الفقه والاجتهاد الفقهي خاصة، بالنظر في المستقبل بما عُرف بـ (الفقه الافتراضي)، مع الفرق بين الفرعين، إلا أن المذاهب الفقهية المعروفة قد اعتنت به وإن كانت النسب متفاوتة، فيما عُرف بـ (فقه التوقع)، وهو ما يدعو للاهتمام بالدراسات المستقبلية في العلوم عامة والشرعية على وجه الخصوص ومنها الاجتهاد الفقهي خاصة.

كما يرتبط فقه الاستشراف بالمقاصد الشرعية المعتبرة، إذ إن فقه المقاصد، والاجتهاد في اختيار الأحكام الملائمة للواقع، المحققة للمقاصد، المبصرة للعواقب والمآلات، يعتبر من أرقى أنواع استشراف المستقبل والتخطيط له في فقه المستقبل، لما تحمله معنى المقاصد من الغايات التي شرعت الأحكام من أجلها، وهي الأهداف التشريعية، وبيان الأهداف هي الدرجة الأولى من سلم الوصول إلى المستقبل[٧٠٩].

كما أن الحوادث المتجددة على مر العصور لا يمكن حصرها؛ فكان القياس أحد أدوات الاجتهاد؛ والقياس ركيزة من ركائز فقه الاستشراف، قال الشاطبي: (الوقائع في الوجود لا تنحصر؛ فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره) [٧١٠].

---

(٧٠٣) رواه أبو داود، باب ما يذكر في قرن المائة، ١٠٩/٤، رقم/٤٢٩١، وصححه السخاوي في "المقاصد الحسنة" برقم ١٤٩، والألباني في "السلسلة الصحيحة" رقم/٥٩٩. والحاكم في المستدرك ٥٢٢/٤.

(٧٠٤) انظر الحديث في: صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، ٢٠٣/٤ برقم ٣٦٢٣

(٧٠٥) انظر الحديث في: صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، ١٩٧/٤ برقم ٣٥٩٥

(٧٠٦) انظر الحديث في: مسند الإمام أحمد مخرجًا، مسند الكوفيين، من حديث البراء بن عازب، ٦٢٥/٣٠ برقم ١٨٦٩٤.

(٧٠٧) انظر الحديث في: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ الصَّدَقَةِ قَبْلَ الرَّدِّ، ١٠٩/٢٠ برقم ١٤١٤.

(٧٠٨) انظر الحديث في: صحيح البخاري، كتاب الوصايا، بَابُ أَنْ يَتْرُكَ وَرَثَتَهُ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَكَفَّفُوا النَّاسَ، ٣/٤ برقم ٢٧٤٢.

(٧٠٩) انظر: فقه الحالة، عمر عبيد حسنة، ص ٣٨.

(٧١٠) انظر: الموافقات، الشاطبي، ٣٨/٥.

إنّ الفقه: هو القدرة المنهجية على استنباط الحُكم الشرعي بقواعده وضوابطه الاستدلالية؛ فهمًا وتنزيلًا، وإلا فلا فِقهَ[٧١١].

إن التجديد الفقهي الذي ننشُدُه، تجديد يرجع بالفقه إلى حقيقته وماهيته، كما فهمه العلماء الربانيون، والفقهاء المتمرسون من السلف والخلف، تجديد يتجاوز النظر للفقه على أنه أقوال سابقة للعلماء والفقهاء في مسائل الشريعة المتغيرة على أنها ثوابت، وليس علينا سوى حفظ ما أنتجه هؤلاء الأوائل، وأنه عمل جاهز للحفظ، في حين أن: الفقه في الحقيقة: (مَلَكة يتأهل بواسطتها لاستنباط الأحكام من الأدلة الشرعية؛ وهو ممارسة، وتفكير، وتدبُّر، وإبداع، وتجديد[٧١٢].

كما أن الفقه اجتهاد ونظر وابتكار، وعلم مكتسب بالنظر والدليل، والدليل هنا ليس واحدًا، كما أن الأدلة ليست كلها على وِزَانٍ واحد، ومن قصد تجديد الدين بالعلم فأول العمل أمامه إنما هو تجديد مفهوم الفقه[٧١٣]، وليس مجردَ فروع منثورة في كتب الفقه ينقلها المتأخرون عن الأوائل، بل هو مَلَكة تترسخ في فؤاد العلماء والفقهاء لطول الممارسة وفهم النصوص والأحكام الشرعية، ودراسة فتاوى الأئمة واستنباطاتهم؛ ليتوَصَّل من خلالها إلى فهم الشريعة بأصولها، ومقاصدها، وقواعدها وبنيتها التشريعية، لهذا يعد الفقه أكثر العلوم الشرعية ارتباطًا بالواقع وبالإنسان، وهو أكثرها مراعاة لأحوال الزمان والمكان، فكان حريًا به هذا التنوع والتطور والمعاصرة والنظر المستقبلي.

---

(٧١١) انظر: مفهوم العالمية، من الكتاب إلى الربانية، د. فريد الأنصاري، ص ١٠٣/١٠١.
(٧١٢) انظر: عوائق تدريس العلوم الشرعية، د. سعيد حليم، ص ١٨.
(٧١٣) انظر: مفهوم العالمية، د. فريد الأنصاري، ص ١٠٢.

فقه الاستشراف وضرورته المعاصرة:

يعد فقه الاستشراف وما أطلق عليه فقه التوقع القائم على التأمل والنظر ودراسة المستقبل بناء على دلالات معاصرة ومعطيات تؤدي إلى نتائج، أحد الإسهامات العلمية في نضوج الفقه وتجدده على مر العصور، مما يسهم بدور حضاري فاعل ومؤثر في كافة شؤون الحياة المتجددة والمتطورة بشكل متسارع، واعتبارًا لكون الفقه أحد المراجع المهمة في حياة المسلمين في كافة شؤونهم.

فقه الاستشراف ومصادر التشريع:

إن منظومة التشريع في الإسلام هو مجموعة القواعد والأنظمة التي شرعها الله تعالى للناس في القرآن الكريم، أو في السنة النبوية، وهما المصدران الرئيسان للتشريع، ومصادر التشريع الإسلامي هي الأدلة الشرعية التي يستنبط منها الأحكام، فما ثبت فيه نص شرعي من كتاب أو سنّة، يقال لـه: شـريعة، أما ما تقرر باجتهاد الفقهاء في ضوء النصوص، يقال له: فقه.

ومصادر التشريع في الإسلام أو الأدلة المتفق عليها بين جمهور العلماء بالاستقراء، هي: الكتاب أو القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، وتعرف بالمصادر الرئيسة، وهناك مصادر تعرف بالمصادر الفرعية وهو تدور في فلك الوحيين ولا تخرج عنها، وهي مصادر استنبطها الفقهاء، وهي: الاستحسان، والاستصلاح أو المصالح المرسلة، والاستصحاب، والعرف، ومذهب الصحابي، وشرع من قبلنا، وسد الذرائع.

وسبق الإشارة إلى بعض النصوص في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة التي حثّت على أهمية النظر للمستقبل، كما في الحديث عن انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم منهم، والتأكيد على ما سيكون في قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ القمر: ٤٥، وفي السنة من الإخبار عن موت أبي لهب على الكفر، وتحدي القرآن له، وعاش عشر سنوات بعد التحدي لكنه لم يستطع تغيير تلك الحقيقة المستقبلية، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية، كما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [٧١٤].

وفي مجال الاجتهاد الفقهي على وجه الخصوص، نجد الكثير من أقوال العلماء، ونصوص الفقهاء تبنى على الاجتهاد كأحد القواعد الكبرى في الفقه الإسلامي، مما يؤكد أصول فقه الاستشراف، لما يحمله من دلالات المستقبل، فالفقهاء والمجتهدون يبحثون ويدرسون العلوم الشرعية لبيان الأحكام الشرعية فيما هو كائن حاضرًا، ولما يُعرض عليهم من وقائع؛ فيجتهد فيها، ويستخرج ما يظن أنه حكم الله فيها، ولما كانت النوازل والوقائع والمستجدات غير معلومة الحكم مسبقًا، فيجتهد الفقيه لاستنطاق واستنتاج وتنزيل الحكم الغائب، وينقله من عالم ما سيكون إلى الحاضر.

ولقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة منهج الاستشراف الفقهي، كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، لما بعثه إلى اليمن، فقال له: (بم تحكم يا معاذ؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟، قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟، قال: أجتهد رأيي، فقال عليه الصلاة والسلام: الحمد لله الذي وفق رسول رسوله لما يرضاه رسول الله) [٧١٥].

إنَّ الاجتهاد أحد عوامل الحيوية والديمومة في الفقه في كل عصر ومصر، معتمدًا على عدد من طرائق الاستدلال والاستنباط والتنزيل، من مصادر التشريع المعتبرة الأصلية منها والفرعية، ومنها:

([٧١٤]) صحيح البخاري، كتاب الصلح، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ، ١٨٦/٣ برقم ٢٧٠٤.

([٧١٥]) رواه أبو داوود، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، ٤٤/٥، وصححه ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" ١٣/ ٣٦٤، الحافظ في "التلخيص" ٤/ ١٨٢

المقاصد التشريعية وعلاقته بفقه الاستشراف: إذ تعد مقاصد الشريعة أحد أصول فقه الاستشراف، لأن فقه المقاصد، والاجتهاد في اختيار الأحكام الملائمة للواقع، المحققة للمقاصد، المبصرة للعواقب والمآلات، أحد أنواع استشراف المستقبل والتخطيط له أو علم المستقبليات، بالمصطلحات الحديثة أو من فقه المستقبل [٧١٦].

ويرتبط بين فقه الاستشراف بمقاصد الشريعة في تحقيق الغايات التي شرعت الأحكام من أجلها، كما أن مقاصد الشريعة أحد وسائل التجدد في الدين، وهي تكفل للشريعة حيويتها وصلاحيتها، بما تبين من حكم الشرائع؛ مما يجعل الدين صالحًا لكل زمان ومكان، وإيجاد الحلول الشرعية لما يستجد من نوازل وما يترتب عليها من مآلات.

القياس في الفقه وعلاقته بفقه الاستشراف: يعد القياس في الفقه أحد وسائل تنزيل الأحكام، وهو أحد الأصول المتَّفق عليها بين الأصوليِّين، وهي أربعة: القرآن، والسُّنة، والإجماع، والقياس، ومع تنوع التعريفات الخاصة بالقياس، باعتباره من فعل المجتهد، فقالوا إن القياس: (حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينـهما مـن إثبات حكم أو صفه لهما أو نفيهما عنهما)[٧١٧].

كما عرّف القياس باعتبار أصله، فقالوا إن القياس: (هو ردُّ واقعةٍ غيرِ منصوصٍ عليها إلى واقعةٍ منصوص عليها؛ لاتفاقهما في العِلَّة، وبالتالي الحكم)[٧١٨]، وهو (إلحاق حكم الأصل بالفرع لعلة جامعة بينهما، أو: إلحاق ما لم يرد فيه نص بما ورد فيه نص في الحكم، لاشتراكهما في علة ذلك الحكم)[٧١٩].

ويعد القياس أحد أبرز الأصول المهمة في معرفة الأحكام واستنباطها، لأنه مساواة فرع لأصل في علة الحكم أو زيادته عليه في المعنى المعتبر في الحكم، وقيل: (حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بجامع حكم أو صفة أو نفيهما)[٧٢٠].

والقياس هو أحد أدوات فقه الاستشراف، كأصل متجدد للكثير جدًا من الأحكام عبر العصور والدهور من خلال الاستفادة من النصوص التي حملت أحكاما لوقائع حاصلة، وإيقاع تلك الأحكام الحاصلة إلى أحكام متوقعة.

بل هو أحد ركائزه وأركانه الكبرى، فالقياس يساعد على استشراف الرؤية المستقبلية للأحداث والأحكام، وحاسمًا في حلِّ كثير من المشكلات، كما كان في تولي الصديق رضي الله عنه، وقالوا: رضيَه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا؟، قال الشاطبي: (الوقائع في الوجود لا تنحصر؛ فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره) [٧٢١].

فقه الاستشراف والمصلحة: إن من مقاصد الشريعة تحقيق المصلحة للمكلفين، ومبنى الشريعة على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها[٧٢٢]، والمحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة:

([٧١٦]) انظر: فقه الحالة، عمر عبيد حسنة، ص ٣٨.

([٧١٧]) انظر: البرهان في أصول الفقـه، للجويني، ٥/٢، الإحكام، للآمدي، ١٨٦/٣، والبحر المحيط، للزركشي، ٩/٧، وإرشاد الفحول، الشوكاني، ٨٩/٢، المحصول، للرازي، ٥/٥.

([٧١٨]) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج، للسبكي، ٣/٣. العدة في أصول الفقه، ابن الفراء، ١٧٤/١. روضة النـاظر وجنـة المناظر في أصول الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، ابن قدامه، ١٤٠/٢. الإحكام، الآمدي، ١٨٨/٣. شرح الكوكب المنير، ابن النجار، ص ٨.

([٧١٩]) انظر: الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، البابرتي، ص٢٠٤

([٧٢٠]) انظر: إرشاد الفحول، للشوكاني، ص ١٩٨.

([٧٢١]) انظر: الموافقات، للشاطبي، ٣٨/٥.

([٧٢٢]) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٠/ ٥١٢.

وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة[٧٢٣].

والمصلحة هي: (المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده، من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، طبق ترتيب معين فيما بينها) [٧٢٤]، وهي من تقدير المجتهد، بأن يرى المجتهد أن هذا الفعل يجلب منفعة راجحة؛ وليس في الشرع ما ينفيه[٧٢٥]، وتنقسم المصلحة أقسامًا عدة باعتبارات مختلفة، فمن ناحية اعتبار الشارع للمصلحة، نجد المصلحة المعتبرة: وهي المصلحة التي شهد الشارع باعتبارها؛ كمصلحة الجهاد، ومصلحة قطع يد السارق، ومصلحة النظر إلى المخطوبة وغيرها[٧٢٦]، والمصلحة الملغاة: وهي المصلحة التي شهد لها الشرع بالبطلان[٧٢٧]؛ مثل مصلحة المرابي في زيادة ماله، فقد ألغاه الشارع.

والمصلحة المرسلة: وهي المصلحة التي لم يشهد لها الشارع بالاعتبار، ولا بالإلغاء[٧٢٨]، ولكنها محققة لمقصود الشارع[٧٢٩]؛ مثل جمع القرآن في زمن الصحابة، فهذه مصلحة لم يرد فيها نص على اعتبارها أو إلغائها، وهي محققة لمقصود الشارع، فجمع القرآن حفظ للشريعة، وهي مقصودة للشارع[٧٣٠]

ولابد أن تكون المصلحة المرسلة مستندة إلى دليل قد اعتبره الشارع، غير أنه لا دليل يتناولها بخصوصها، وإنما يتناول الجنس البعيد لها[٧٣١].

كما تنقسم المصلحة من حيث قوتها في ذاتها، فمنها المصلحة الضرورية، وهي المصلحة التي تتوقف عليها حياة الناس، ويمثل لها بحفظ الضروريات الخمسة، قال: "وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح[٧٣٢].

المصلحة الحاجية: وهي المصلحة التي تحتاجها الأمة لاقتناء مصالحها، وانتظام أمورها على وجه حسن، ويُمثل لها بالبيوع، والإجارات، والقرض، والنكاح الشرعي، والرخص المخففة بالنسبة إلى لحوق المشقة بالمرض والسفر، وغيرها[٧٣٣].

والمصلحة التحسينية :وهي المصلحة التي تكون من قبيل التحسين والتزيين والتيسير لحياة الناس، ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات[٧٣٤]، قال ابن عاشور: (هي عندي ما كان بها كمال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنة مطمئنة

([٧٢٣]) انظر: المستصفى، للغزالي، ص١٧٤.

([٧٢٤]) انظر: ضوابط المصلحة، للبوطي، ص٣٧.

([٧٢٥]) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١١/ ٣٤٣.

([٧٢٦]) انظر: المستصفى، للغزالي، ص١٧٣، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، ليعقوب الباحسين، ص٢٤٦-٢٤٨، اعتبار مآلات الأفعال وأثرها الفقهي، لوليد الحسين، ١/ ٢٨٥.

([٧٢٧]) انظر: المستصفى، للغزالي، ص١٧٤.

([٧٢٨]) انظر: المستصفى، للغزالي، ص١٧٤، الاعتصام، للشاطبي، ص٦١١.

([٧٢٩]) انظر: ضوابط المصلحة، للبوطي، ص٣٤٢.

([٧٣٠]) انظر: اعتبار مآلات الأفعال وأثرها الفقهي، وليد الحسين، ١/ ٢٨٥، المصالح المرسلة وأثرها في المعاملات، عبدالعزيز العمار، ص١٠٩

([٧٣١]) انظر: ضوابط المصلحة، للبوطي، ص٢٣٠.

([٧٣٢]) انظر: المستصفى، للغزالي، ص١٧٤.

([٧٣٣]) انظر: الموافقات، للشاطبي، ٢/ ٢١-٢٢، مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، ص٣٠٦-٣٠٧.

([٧٣٤]) انظر: المستصفى، للغزالي، ص١٧٥.

ولها بهجةُ منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم، حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوبًا في الاندماج فيها أو التقرب منها)[٧٣٥]، ومن أمثلتها: ستر العورة، والتقرب بنوافل العبادات، وآداب الأكل، وغيرها من مكارم الأخلاق[٧٣٦]، وقد تكون المصلحة عامة، أو تخص فئة معينة دون فئة، أو تكون مصلحة خاصة، وجميعها لها اعتبارها في التشريع.

والمصالح بأنواعها في الفقه الإسلامي أحد ركائز الأصوليين، المصلحة هي التي لم ينص الشارع على حكم لتحقيقها، ولم يدل دليل شرعي على اعتبارها أو إلغائها)[٧٣٧]، مثالها المصلحة التي شرع لأجلها عمر رضي الله عنه اتخاذ السجون وتدوين الدواوين للجند، وهي مصلحة لم يرد فيها دليل شرعي بالتأييد والاعتبار أو بالإلغاء والإبطال[٧٣٨].

يقول ابن القيم: (فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة)[٧٣٩].

ولما كانت الأصول محصورة، والوقائع غير محصورة[٧٤٠]، و(نعلم قطعًا أنه لا تخلو واقعة عن حكم الله تعالى معزو إلى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم[٧٤١]، فلابد أن تبنى هذه الوقائع على تحقيق المصلحة للناس فيما يتوافق مع مقاصد الشريعة، وأهدافها الكلية؛ كي يتحقق خلود الشريعة، وصلاحيتها الدائمة لكل زمان ومكان[٧٤٢].

مما سبق يتأكد أن المصالح المرسلة هي إحدى أدوات فقه الاستشراف، ذلك أن الفقهاء جعلوا المصالح أحد المعايير الشرعية الحاكمة للظواهر الدينية والدنيوية، كما قال الشاطبي: (وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا) [٧٤٣].

فقه الاستشراف في اعتبار المآل: اعتبار المآل أحد أصول فقه الاستشراف، لأن اعتبار المآل للأحكام لا يقف عند الحكم الأصلي للمسألة، بل يسعى للوقوف على ما يترتب على هذا الحكم من نتائج؛ فإن وافق مقاصد الشريعة المقطوع بها؛ أجراه، وإلا اجتهد له في إيجاد حكم آخر، أو القريبة من القطع.

واعتبار المآل في الأحكام الشرعية يراعي المستقبل في الاجتهاد؛ فينظر لما يترتب عليه من نتائج مستقبلية للحكم، لأن (النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعًا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية، فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى المفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعا من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم مشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة)[٧٤٤].

([٧٣٥]) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، ص٣٠٧

([٧٣٦]) انظر: الموافقات، للشاطبي، ٢/ ٢٢-٢٣.

([٧٣٧]) انظر: علم أصول الفقه، خلاف: ص ٩٤، ضوابط المصلحة، للبوطي، ص ٣٢٩.

([٧٣٨]) انظر: الوجيز في الفقه الإسلامي، ص ٢٥٣.

([٧٣٩]) انظر: إعلام الموقعين، لابن القيم، ٣/ ١١.

([٧٤٠]) انظر: المنخول، للغزالي، ص٤٥٧.

([٧٤١]) انظر: البرهان، للجويني، ٢/ ١٦٢.

([٧٤٢]) انظر: أصول الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، ٢/ ٤٣.

([٧٤٣]) انظر: الموافقات، كتاب المقاصد، للشاطبي، ٩/٢.

([٧٤٤]) انظر: الموافقات، للشاطبي، ١٧٧/٥.

ويجمع اعتبار المآل للأحكام في الاجتهاد عددًا من المصادر الشرعية المعتبرة في الاجتهاد المتعلقة بفقه الاستشراف ومنها: سد الذرائع، وفتح الذرائع، وفي الحيل الشرعية، وفي الاستحسان، وذهب الشاطبي إلى أن الاجتهاد المآلي مبني على خمس قواعد، هي: (قاعدة الذرائع، وقاعدة الحيل، وقاعدة مراعاة الخلاف، وقاعدة الاستحسان، وقاعدة أن الأمور الضرورية أو غيرها من الحاجية أو التكميلية إذا اكتنفتها من خارج أمور لا ترضى شرعا، فإن الإقدام على جلب المصالح صحيح على شرط التحفظ بحسب الاستطاعة من غير حرج) [٧٤٥].

ومن جهة أخرى فإن المآل أحد العناصر المكونة للمقاصد مع التعليل والمصلحة، كما في العلاقة بين سد الذرائع وفقه الاستشراف للموازنة بين حكم واقع وآخر متوقعًا، كما في منع ما ظاهره الإباحة لما يفضي إليه من الفساد والتحريم، وذلك أن سد الذرائع يقوم بالموازنة بين حكم واقع، وآخر متوقع مستقبلا؛ فيغلب المستقبل على الواقع الحاصل، ومثاله: منع بيع العنب لمن يتخذه خمرا، هو حكم مستقبلي لمنع ما أصله حلال، خشية استعماله مستقبلا في حرام، وكذلك الحيل المشروعة، فهي أيضا قائمة على فقه الاستشراف لمنع المفاسد الخفية؛ ومنه: التحيل لمنع ظلم الظالم للمظلوم، أو التحيل للوصول إلى حق ممنوع مقرب به وغير ذلك.

الاستحسان: ويعد الاستحسان أحد مصادر فقه الاستشراف، وهو: العدول عن حكم ظاهر إلى حكم آخر؛ لمصلحة أقوى، حيث يدور على معان، منها: الأخذ بأقوى الدليلين عند التعارض، أو على الاستثناء والترخص من الحكم العام للمصلحة، أو مراعاة العرف أو التخفيف إذا كان في القياس غلو في الحكم[٧٤٦].

وتكمن العلاقة بين الاستحسان وفقه الاستشراف في كون الاستحسان يقوم على رفع الحرج والمشقة في المستقبل عن المكلف، فيتم العدول عن الحكم الأصلي إلى حكم آخر؛ رفعا للحرج، وجلبا لمصلحة أقوى، ومثاله: وقد استُثني عقد بيع السلم من بيع المعدوم، لما فيه من تحقيق مصلحة اقتصادية، ترخيصًا للناس، وتيسيرًا عليهم[٧٤٧]، وأجازه النبي صلى الله عليه وسلم؛ رفعا للحرج، وتيسيرا للناس.

فقه الاستشراف ضوابطه وضرورته المعاصرة:

إن المتأمل في واقع الفقه والفتوى في زماننا المعاصر قد يجد في كثير من الأحيان بطئاً شديدًا في سرعة الاستجابة للمتغيرات، وفي كثير من الأحيان تصدر الفتوى أو تكييف الأحكام والنظر بعد تغيُّر الوضع إلى وضع آخر جديد تخطاه محل السؤال، وذلك نتيجة غياب فقه الاستشراف والتوقع، يصاحبه بطء المبادرة حال ظهور المستجدات أو النازلة، مما يفاقم الأوضاع وتظهر الاجتهادات من غير المختصين، ومعها الاستجابات الخاطئة غير المبنية على أسس فقهية صحيحة؛ ويسبب غالبًا فراغًا فقهيًا، مما يؤدّي إلى ضعف أو تراجع ثقة العامة بالتشريع، فضلًا عن ملحوظات ظاهرة في الفتاوى والآراء الفقهية التي تأتي استجابة لحوادث عاجلة لا تكتمل فيها عناصر النظر الفقهي الصحيح، بل وتعطي أحيانًا صورة مغلوطة عن التشريع الإسلامي، وعدم مواكبة التطورات والتغيرات في الأزمنة والأمكنة، على الرغم من هذا ليس من دأب الفقهاء والعلماء الربانيين، فقد كان من دأب العلماء والفقهاء أن يفترضوا مسائل لم تقع أو لا يُتصور وقوعها أحياناً استيفاءً للتقييم العقلي، مما أثرى الفقه في كافة المجالات على مرّ العصور.

وفي ظل التطور المتسارع لوسائل العلم المختلفة في كافة مجالات الحياة، فإن المسلم من المنظور الحضاري الإسلامي، ليس مطالباً باستشراف المستقبل رؤية وتخطيطاً فقط، بل هو مؤتمن عليه أيضاً! ولعل في حديث النبي صلى

([٧٤٥]) انظر: الموافقات، للشاطبي، ١٧٧/٥-١٩٩.

([٧٤٦]) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، ٨/ ٩٨.

([٧٤٧]) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، ٣٦٠٣/٥.

الله عليه وسلم: (إن قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فإن اسْتَطَاعَ ألا يَقُومَ حتى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ) [٧٤٨]، مما يؤكد أن السنة النبوية تؤكد على أن المسلم يمكنه القدرة والتأثير وامتداد فعله حتى بعد الموت! وهو بعد مهم في الفقه الحضاري واستشراف المستقبل، لا ينفك عن فقه النص، وفقه الواقع، وفقه تنزيل النصوص على الواقع.

إن الإسلام يملك منظومة قيمية حضارية نفرّد بها على مدى العصور، كما يمتلك الإسلام قيمًا حضارية تواكب الحداثة الإنسانية الجديدة بل والمتوقعة في كافة مجالات الحياة العلمية والحياتية والإنسانية، ويؤكد ذلك أن كافة القيم المستحدثة كقيم التوازن والتناغم والقيم الكونية وقيم العولمة وغيرها مما ينادى به على أنها قيم حضارية معاصرة قد سبقهم الإسلام إليها بأكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان.

إن الإسلام لا يستشرف المستقبل من خلال نظرة عقلانية محضة، ولا يدور مع المصلحة دون اعتبار لمآلاتها، ولا بالرأي والهوى، دون قواعد أو ضوابط، وإنما هو محكوم، بمنهج رباني من لدن حكيم خبير، من قرآنٍ وسنَّة، بما يضعه من ضوابط وموازين تفصل له كل شأن من شؤون الحياة، حالاً ومآلا.

وفي ظل المستجدات العلمية المتلاحقة لا يسوغ للمجتهدين انتظار ما يجد من نوازل كي يبنوا أحكامهم الفقهية عليها، بل إن استحضار الواقع واستشراف المستقبل في الفقه الإسلامي يعد أمرًا ضروريًا، من خلال معرفة هذه المستجدات والاستعداد لها بأحكام فقهية صالحة تخدم المجتمعات الإسلامية ولا تحرمها من المستجدات الحديثة

إنَّ فقه الاستشراف لا يعد أمرًا حادثًا، بل يأتي مكملاً لفقه المقاصد وفقه الواقع وفقه الموازنات، وأن أدواته الاستنباطية تنطلق من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأصول الفقه الإسلامي، فالقرآن الكريم مليء بالحديث عن المستقبل، كما في قصة يوسف عليه السلام وما كان من التوقع من سني القحط، والاستعداد للمستقبل، وفي توجيه القرآن الكريم لعلاج المشكلات الأسرية في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ النساء ٣٥، وهناك العديد من الأمور التي ذكرها القرآن وتم اكتشاف بعضها وسيتم اكتشاف الكثير منها في المستقبل، وفي السنة النبوية كذلك الكثير من ذلك، ومنه: عن حذيفة بن اليمان قال: (كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني) [٧٤٩]، وكان حذيفة يسأل: فما أفعل إن أدركني ذلك؟ فكان يدله صلى الله عليه وسلم على ما يفعل، وهذا من افتراض ما قد يحصل والبحث عن حكمه، فالأمور والقضايا المستقبلية تستلزم وجود فقه الاستشراف واستنباط الأحكام الفقهية للقضايا المستقبلية التي يمكن حدوثها.

إن فقه الاستشراف يعمل على تكييف واقع الأمة ومستقبلها، واستنباط الأحكام الفقهية لما يستجد من نوازل، ويتعاطى مع كل جديد وفق أصول التشريع، ليكون تطبيقًا عمليًا لعالمية الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان، فهو واحد من منظومة مترابطة لعلوم أصول الفقه والقواعد الفقهية ومقاصد الشريعة.

إن فقه الاستشراف ينمِّي المَلَكة ويزيد الاستعداد، ويقوّي الذهن، وهو من مفاتيح تجديد الفقه وجعله مواكباً لحاجة الناس، وليس من أبواب الرجم بالغيب، وإنما فقه يجاري الواقع، ويستشرف المستقبل، منضبطًا بالقواعد الفقهية، ومما حثنا القرآن الكريم والسنة النبوية على تطبيقاتها والأخذ بها، وهو من سعة الفقه، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم حوادث قبل وقوعها؛ للعمل بها عند وقوعها، فعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: (قلت يا رسول الله! إنا نخاف أن نلقى العدو غداً، وليس معنا مُدَى، أفنذبح بالقصب؟ قال: ما أنهر الدم وذُكِر اسم الله عليه فكُلْ، ما خلا السن والظفر) [٧٥٠].

([٧٤٨]) رواه الإمام أحمد مخرجًا، في المكثرين من الصحابة، من مسند أنس بن مالك، ٢٩٦/٢٠ برقم ١٢٩٨١.

([٧٤٩]) صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، ١٩٩/٤ برقم ٣٦٠٦.

([٧٥٠]) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ ذَبْحِ الإِبِلِ وَالغَنَمِ فِي المَغَانِمِ، ٧٥/٤ برقم ٣٠٧٥.

إن الفقه اليوم في أمس الحاجة إلى فقه الاستشراف، وما يصاحبه من الدراسات المستقبلية التي اعتمدتها كافة العلوم التجريبية والنظرية المعاصرة كأحد وسائل المعرفة في التوقع، وما سيكون عليها من واقع، وأصبح اليوم واقعًا، ليكون أحد شروط الاجتهاد المعاصر، لما يموج به الزمن المعاصر من طفرات متلاحقة في كافة العلوم التجريبية والاقتصادية والإعلامية والتكنولوجية، وغيرها؛ مما يجعل فقه الاستشراف وإدراك مقاصده واحد من شروط الاجتهاد الفقهي المعاصر في النوازل والمستجدات التي تتعلق به، فليس من الصواب أن يقتصر الفقه على ما يعيشه الناس عامة والمسلمون خاصة اليوم، فالأحكام الشرعية تتعلق بالزمان ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً.

ضوابط فقه الاستشراف:

إنَّ العناية ببحث الأحكام الشرعية المتوقعة وحصول مقتضياتها من نوازل تستجد أو أوضاع تتغير؛ أحد أبرز المطالب في زماننا المعاصر؛ لذا كان من الضروري أن يكون له من الضوابط العلمية الأصولية نبراسًا يهتدى به، وقواعد عامة تكون مؤطرة لمنهجه، ويمكننا هنا محاولة استنتاج ذلك من خلال عدة طرائق ووسائل، منها:

- ✓ أهمية الاطلاع على الدراسات المستقبلية في مجالات الفقه والمستجدات، وأن تكون مصاحبة للدراسات المستقبلية في المجالات العلمية والتقنية وغيرها.
- ✓ العناية بدراسة توجُّه المجتمعات في ظل التطورات المتسارعة، والإعداد المسبق لدراسات مستقبلية فقهية، سواء كانت نوازل مستجدة، أو تغيرات قد تفرض تغيُّراً في الأحكام الشرعية، استعداداً لما يتعرض له العلماء والفقهاء لتلافي تأخير بيان الأحكام عن وقت الحاجة، مما يحتاج معه إلى ضوابط تمنع أن يكون نوعًا من التكلُّف المذموم، أو بحثًا عما لا فائدة منه، أو اتباعًا لأجندات لا تخدم تجديد الفقه وفق أصول علمية معتبرة.
- ✓ إنّ العمل في فقه الاستشراف عمل دقيق الاستعمال، وهو عرضة لزلل الأقدام، وتعثر الأفهام، فقد يصعب تقدير الاستشراف وما يؤول إليه، خاصة فيما كان من المسائل المعاصرة المتشابكة والمعقدة، وإذا كانت الأحكام خاطئة آل الأمر إلى تغيير في شرع الله، بإجازة الممنوع ومنع الجائز، فكان لابد من جملة من القيود والضوابط؛ ترشيدًا للنظر، وتجنبًا للزلل.

ومن هذه الضوابط:

١. أن يكون القائم بعملية الاستشراف من أهل الاختصاص، وصاحب كفاءة علمية وعملية معتبرة.
٢. أن يكون فقه الاستشراف قائم على البحث في المسائل التي يمكن وقوعها، أو هناك دلالات من الواقع تشهد بإمكان وقوعها حتى لا يكون هناك تكلّف في البحث عما لا يمكن أن يقع.
٣. عدم الجزم بنتيجة الدراسة، وهذا متبع في كل أمر لا نص للشرع فيه، والإجماع قطعي، فالباحث عليه أن يستند لما يعضد رأيه من دلائل وقرائن وبينات، أما الجزم بنتيجتها فلا يكون في غير القطعيات المأمور بالجزم بها.
٤. أن يكون مآل الاستشراف محققًا لمقصد شرعي، من جلب مصلحة أو دفع مفسدة.
٥. تحري المقصد الذي من أجلهُ شُرع الحكم الشرعي في الواقعة المراد النظر فيها، فإذا تبين عدم تحقق المقصد عدل بالحكم الأصلي إلى غيره، والتحري في أيلولة الواقعة المراد النظر فيها، ومدى تحقق المقصد الشرعي عند تطبيقها.
٦. أن يكون ما يؤول إليه الاستشراف منضبطًا معتبرًا شرعًا فلا يعتد بما فيه خلط أو التباس أو اعتمد على كونه مصلحة او مفسدة على العقل وحده.
٧. أن لا يؤدي الاستشراف إلى تفويت مصلحة أعظم، ولا تتعارض مع مصلحة قائمة متساوية معها، وأن لا يؤدي إلى مفسدة أكبر.

٨. العناية الجادة وسرعة دراسة وبحث النوازل والمستجدات التي وقعت فعلاً تقديماً للأهم فالمهم، ولا يتأخر الحكم فيسبب تدخلات من غير المختصين.
٩. لا يكون بحث الاستشراف الفقهي مسوّغًا في مقتضى العقل والمصلحة، ولا يتشاغل الباحثون عما هو واقع فيه فعلاً لمراعاة مُقْبل عليه لا يدري يصيبه أو لا؟ إلا إذا تحققت مصلحة قائمة أو متوقعه من بيانه.
١٠. الأخذ بقواعد التأصيل العلمي في قواعد وأصول الفقه الإسلامي في نظر استشراف المسائل الفقهية للحذر من التصوّر المغلوط للمسألة، وما يبنى عليها من أحكام.
١١. عدم التسرع في النَّشْر لقضايا فقه الاستشراف حتى يتأكد من حدوث الظاهرة ووجود دلالات على حدوثها، وحتى لا يكون سببًا في تنزيل الأحكام المستقبلية على وقائع معاصرة.
١٢. ضرورة مراعاة المستقبل في الحال والمستقبل في الحال، فلا يبنى حكم متوقع على حكم واقع، لما يطرأ عليه من تغير في طريقته أو أدواته أو أسبابه.

الخاتمة:

لقد لفت القرآن الكريم، كما لفتت السنة النبوية المطهرة انتباه الأمم إلى أن استشراف المستقبل يقوم على تحقيق المصالح التي ينتفع بها الناس في الدين والدنيا معًا، فيسعدون بها في الدنيا، ويكون لهم الثواب الجزيل في الآخرة، وأن استشراف المستقبل يقوم على قيم حضارية وأخلاقية تحقق المصالح وتدرأ المفاسد، فقدم الإسلام رؤية حضارية في بناء استشراف المستقبل على قيم المصلحة في بناء الإنسان وعمارة الأرض وتحقيق الأمن للأفراد والأوطان، ولم يكن اجتهاد الفقهاء فيما يتعرضون إليه من وقائع بعيدًا عن منهج الإسلام وصلاحيته عبر الزمان والمكان؛ فكان اجتهادهم وفقًا لتحقيق تلك المصالح الكلية منها أو الجزئية، العامة منها أو الخاصة، فهي مصالح تشمل الدنيا والآخرة، وتوازن بين الروح والمادة، والفرد والمجتمع، وتراعي وقتها الحاضر وتعمل لمستقبل أفضل، فقد قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمْع القرآن الكريم خشية ضياع القرآن بعد استشهاد سبعين من الحفاظ، مع عدم وجود نص يأمر به، إلا أنه كان نظرًا استشرافيًا جنت الأجيال وتجني الأجيال في المستقبل نتائجه، والأمثلة على فقه الاستشراف في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وفقه الصحابة رضي الله عنهم أكثر من تحصر.

ويمكن استخلاص بعض النتائج، ومنها:

١) أن الاستشراف أصل عظيم وركيزة نبوية، تدل على صدق الرسالة، وتحمل في طيَّاتها دروسًا وعبرًا تربي الأمة وتثبتها، وترسم لها ملامح المستقبل.

٢) أن للاستشراف دورًا بارزًا وأثرًا كبيرًا في بث الأمل للفرد والمجتمع.

٣) إن العمل بفقه الاستشراف ليس خوضًا الخوض في الغيب، وأن الاستشراف الفقهي لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر، بل هو مستند إلى قاعدة الأخذ بالأسباب، والوقوف على سنن الله في الكون.

٤) أن القواعد الأصولية المعتمدة في الفقه الإسلامي لا تضع حرجًا على وضع توقعات في قضايا مستقبلية طالما استندت إلى أدلة وقرائن وعلم وخبرة.

٥) أن النظر في مآلات المسائل وحيثياتها واستشراف واقعها ومستقبلها ضروري قبل استنباط الأحكام عليها.

٦) أن واقع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعمل الصحابة الكرام رضي الله عنهم بينت كثيرًا من الأمثلة التي تدعوا إلى الاستشراف الفقهي، كما أن بعض المسائل الفقهية التي أفتى بها الفقهاء أنما بنيت على استشراف واقع الفرد أو المجتمع.

ومن التوصيات:

- ✓ نوصي الجامعات والمراكز العلمية العناية والاهتمام بموضوع الاستشراف الفقهي في كافة التخصصات خاصة الإسلامية منها.
- ✓ أن يدرج فقه الاستشراف إلى أنواع الفقه المعروفة كفقه الواقع وغيره، ضمن مسارات تخصصات الفقه في الجامعات والأقسام المختصة بالدراسات الإسلامية.
- ✓ أن يعقد مؤتمرًا علميًا يخصص مجاله في بحث قضايا فقه الاستشراف.

المراجع والمصادر:

١) الإبهاج في شرح المنهاج، "منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنه ٧٨٥هـ، المؤلف: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت عام النشر: ١٤١٦هـ.

٢) الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، برهان غليون، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط١، ١٩٩١م.

٣) الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت٦٣١هـ) المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان، د.ت.

٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٥) اعتبار مآلات الأفعال وأثرها الفقهي، لوليد بن علي الحسين الناشر: دار التدمرية، ١٤١٣هـ.

٦) الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) تحقيق: سليم بن عيد الهلالي الناشر: دار ابن عفان، السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠١٤م.

٨) أهمية استشراف المستقبل وضوابطه: دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية :د. محمد بشير، بحث تقدم به إلى الندوة الدولية الخامسة للحديث الشريف، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١١م.

٩) البحر المحيط في أصول الفقه المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) الناشر: دار الكتبي الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

١٠) البرهان في أصول الفقه، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨ هـ) المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١١) ترتيب العلوم، محمد بن أبي بكر المرعثي، دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية بيروت، ١٩٨٨م.

١٢) التعريفات، للجرجاني علي بن محمد، مكتبة لبنان بيروت، طبعة جديدة ١٩٨٥م.

١٣) الردود والنقود شرح مختصر ابن الحاجب، المؤلف: محمد بن محمود بن أحمد البابرتى الحنفي (ت ٧٨٦ هـ) المحقق: ضيف الله بن صالح بن عون العمري، ترحيب بن ربيعان الدوسري، رسالة دكتوراة نوقشت بالجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، قسم أصول الفقه ١٤١٥هـ، الناشر: مكتبة الرشد ناشرون الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

١٤) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، ليعقوب الباحسين، دراسة أصولية تأصيلية (دكتوراة)، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٤/ ١٤٢٢هـ.

١٥) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

١٦) شرح الكوكب المنير المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (ت ٩٧٢هـ) المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

١٧) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.

١٨) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

١٩) صحيح مسلم: تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت من فقه الحالة، د. عمر عبيد حسنة، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.

٢٠) ضوابط المصلحة، للبوطي، محمد سعيد رمضان البوطي الناشر: مؤسسة الرسالة; سنة النشر: ١٣٩٣ – ١٩٧٣

٢١) العدة في أصول الفقه المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، بدون ناشر، الطبعة: الثانية ١٤١٠هـ.

٢٢) علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف دار القلم الكويت، ط١٢/١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
٢٣) عماد عبد الكريم خصاونة وخضر إبراهيم قزق، السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل، مجلة المنارة، المجلد ١٥، العدد ٢، ٢٠٠٩م.
٢٤) عن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة :لأحمد صدقي الدجاني، دار البشير، الأردن، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٢٥) عوائق تدريس العلوم الشرعية، د. سعيد حليم، سلسلة محاضرات بماستر تدريس العلوم الشرعية بالمدرسة العليا للأساتذة بفاس ٢٠١٤م.
٢٦) عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٢٧) الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلاميّ وأصوله بجامعة دمشق، كلّيَّة الشَّريعة الناشر: دار الفكر، سوريَّة، دمشق الطبعة: الرَّابعة د.ت.
٢٨) فقــه التوقــع، دعوة لاستشراف أحداث المستقبل ودرء للخلافات الفقهية، https://www.al-madina.com/article/16783، ٢٠١٠/٦/٤م
٢٩) فقه الحالة، عمر عبيد حسنة، الدار العربية للعلوم، ناشرون المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.
٣٠) فيض القدير، شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، مكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦م.
٣١) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر، ط٢/ ١٩٩٥م.
٣٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
٣٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٣٤) المحصول، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، ١٤١٨هـ، وطبعة دار الكتب العلمية، ط١/ ١٩٨٨م.
٣٥) المستصفى من علم الأصول، للغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) تحقيق :محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٣٦) المصالح المرسلة وأثرها في المعاملات، لعبدالعزيز العمار، السعودية، الرياض، دار كنوز إشبيليا، ١٤٣٢هـ.
٣٧) معجم اللغة العربية المعاصر، لأحمد مختار وآخرون، دار عالم الكتب الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م.
٣٨) معجم المعاني الجامع الموقع الرسمي، https://al-maktaba.org/book/31852/3582
٣٩) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٤٠) مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي د. صبري محمد خليل، أستاذ فلسفه القيم الإسلامية بجامعة الخرطوم، دار النهضة، مصر. د. ت.
٤١) مفهوم العالمية، من الكتاب إلى الربانية، د. فريد الأنصاري، دار السلامة للطباعة والنشر، سلسلة من القرآن إلى العمران ٣، ط٢/ ٢٠١١م.
٤٢) مقاصد الشريعة الإسلامية؛ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٨م.
٤٣) مقدمة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون، ط١/ ١٩٩٦م.
٤٤) المقدمة لابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين، المحقق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، سوريا، دمشق، ٢٠٠٤م.
٤٥) المنخول من تعليقات الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) حققه وخرج نصه وعلق عليه: الدكتور محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر دمشق، سورية الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.
٤٦) الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤٧) الموافقات، للإمام الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م مختصر ابن الحاجب طبعة الكلية الأزهرية ١٢٩٣ هـ
٤٨) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت د.ت.
٤٩) نظريات التعلم في الفكر التربوي الإسلامي، د. سعيد حليم، مطبعة آنفو برانت فاس، ط١/ ٢٠١٥م.
٥٠) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، المؤلف: الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ.
٥١) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، الشيخ الدكتور محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الرابعة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٥٢) الورقات المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ) المحقق: د. عبد اللطيف محمد العبد، إضافة المكتبة الوقفية، ٢٠٠٨م.

كتاب تاريخية الفكر العربي الإسلامي لمحمد أركون "دراسة نقدية إسلامية"

A book of historical Arab Islamic thought by Muhammad Arkoun " an Islamic critical study"

أ. عبدالرحمن بن فايز الأسمري-وزارة العدل - باحث دكتوراه - جامعة ام القري - المملكة العربية السعودية

Email: aba.aba04644@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:

يعتني هذا البحث بالمنهج الحداثي الذي يسلكه محمد أركون في نقده للتراث العربي الإسلامي والذي يستخدم فيه أدوات فلسفية غربية مثل التاريخية والألسنية والأنسنة ويطبقها على القرآن الكريم والسنة النبوية وطريقة الاستدلال عند المسلمين وكان البحث يعنى بمنهج أركون في كتابه تاريخية الفكر العربي خاصة، قمنا فيه بعرض موجزعن محمد أركون ونشأته وفكره وكتبه، ثم ذكرنا مشروعه الكلي ومنهجه في هذا المشروع والأدوات الفلسفية التي طبقها على التراث الإسلامي، ثم عقبنا ذلك بذكر الأفكار التي تصب في مشروعه الكلي الواردة في كتابه تاريخية الفكر العربي والأدوات الفلسفية التي استخدمها فيه مع إشارات نقدية له وإشارات للمنازع والمآلات التي ينزع إليها.

كلمات مفتاحية: التاريخية، أركون، القداسة، الفلسفة، منهج

Research Summary:

This research is concerned with the modernist approach adopted by Muhammad Arkoun in his criticism of the Arab-Islamic heritage, in which he uses Western philosophical tools such as historical, linguistic and humanism, and applies them to the Holy Qur'an, the Prophetic Sunnah and the method of inference among Muslims. Muhammad Arkoun, his upbringing, his thought and his books, then we mentioned his overall project and his approach in this project and the philosophical tools that he applied to the Islamic heritage, then we followed that by mentioning the ideas that flow into his total project contained in his book The History of Arab Thought and the philosophical tools he used in it with critical references to him and references to disputes and outcomes which tends to

Key words: A historical, Arkoun, Holiness, Philosophy, Curriculum

المقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

أي حافظون للقرآن في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص ومعانيه من التبديل.

هذه الآية وتفسيرها عند السعدي رحمه الله وغيره من المفسرين إضاءة مهمة في بحثنا ونور من وحي الله ذكر فيه حفظه لكتابه وشريعته منذ أنزله إلى يوم القيامة.

وكان من حفظ الله وصيانته لكتابه بيان الحق والرد على المخالف في مسألة مصدرية القرآن وقدسيتها إما بزعمه أنه إنما يعلمه بشر وإما بزعمه أنها أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً، قال عز وجل: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان:٦] .

وعلى هذا المنوال كان النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى يوم القيامة منافحين عن كتاب الله وشريعته.

ولأن بحثنا يتناول فكر أحد رواد الحداثة في تعامله مع التراث الإسلامي ونصوص الشريعة وخاصة القرآن، وإصراره على حصره زمانيًا ومكانيًا في إطار تاريخي، فمن المناسب الإشارة إلى الموقف المشكور للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في تصديه للفكرة القائلة بخلق القرآن، لماذا؟ لسببين:

١ – أن الله حفظ كتابه وحفظ الإسلام بتثبيته للإمام أحمد في هذه النازلة واستقر الأمر فيها على الحق وهو أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

٢ – أنه ظهر في العصر الحديث مشروع تأويلي حداثي يستمد فلسفته وأدواته التأويلية من المادية الماركسية، والفلسفات الغربية لتأويل التراث الإسلامي ونصوصه وخاصة القرآن الكريم ويستند – وهنا موضع الشاهد – إلى عقيدة خلق القرآن عند المعتزلة، ولكن ليس لاعتبار التنزيه لله عز وجل كما يعلن المعتزلة وإنما يأخذون به توظيفًا لمعنى أخطر وأبعد وأشمل وهو ترسيخ تاريخية القرآن والتاريخية أداة تأويلية غربية مفادها أمرين:

– أن القرآن أو أي نص مقدس، تشكل من الظروف الزمانية والمكانية والواقعية واللغوية في ظرف تاريخي معين وبناءً عليه يستبعد صدروه من جهة إلهية متعالية ومن ثم نزع القدسية عن هذا النص.

– أن هذا النص بهذه الكيفية ممنوع من الامتداد زمانيًا ومكانيًا فلا يتحكم ولا يسري إلا في ظرفه الذي تكون فيه ولا يسمح له بتجاوزه.

ومن هنا وجد الفكر الحداثي رافدًا من الفكر الاعتزالي باعتبار القرآن - عند الحداثيين – تشكل من لغة بشرية لها ظروفها الزمانية والمكانية الخاصة من سياسة واقتصاد واجتماع وغير ذلك فلا يجوز عندهم أن تكون الظروف الراهنة كتلك التي تشكل فيها النص.

أود التنويه هنا إلى أن ما سبق من ذكر استناد التأويل الحداثي للفكر الاعتزالي وهو جزء بسيط جدًا من مشروع كبير جدًا للقراءة الحداثية للتراث الإسلامي وليس موضوع البحث هذه الجزئية وإنما قصدت بيان أهمية دراسة هذا الفكر ببيان صورة من صوره وأثرها الخطير.

نحن هنا نتحدث عن كتاب لأحد أهم رواد الفكر الحداثي العربي وهو (محمد أركون) وكتابه تاريخية الفكر العربي الإسلامي، حيث تناول في كتابه الأفكار والعقل والمجتمع والنصوص الإسلامية، تناولها بالنقد التأويلي الحداثي الغربي، ولا تخطئ عين القارئ في هذا الكتاب سمة عامة سلكها فيه محمد أركون وهي هدم المبنى العلمي الشرعي للأفكار والعقل والنص الإسلامي مستخدمًا في ذلك أدوات النقد الغربية وإحلال المعاني أو النظريات التاريخية محلها وقد ذكر هو ذلك وأنه يستند إلى فكرة باشلار أنه "لا يتقدم الفكر العلمي إلا بتهديم المعارف الخاطئة الراسخة"[٧٥١].

وكون هذه الشبهات والمغالطات المطروحة باسم التاريخية، أو العقلانية، أو العلمية أو غير ذلك تطرح بديلاً عن المعنى العلمي الشرعي في هذا الكتاب وبكثافة فإنه جدير بالدراسة وعرض هذه الشبهات والنظريات ونقدها.

أهمية الدراسة:

١ – تأتي أهمية الدراسة لأنها تنقد فكرًا له رواج وانتشار في الأوساط العربية والإسلامية وله أثره السيء على ثوابت ومسلمات الدين.

٢ – فيها إشارة إلى الأصول الغربية للفكر الحداثي العربي وممثليه ومن ضمنهم محمد أركون مما يظهر عدم استقلاليتهم الفكرية والإبداع الفكري كما يزعمون.

منهج الدراسة:

منهج الدراسة منهج استقرائي تحليلي لكتاب محمد أركون وبعض المؤلفات التي كتبت عنه وعن فكره لاستنباط مشروعه ومنهجه ونقده.

محمد أركون، مشروعه، ومنهجه، وأدواته

أولاً: التعريف بمحمد أركون ومؤلفاته.

ولد محمد أركون[٧٥٢] عام ١٩٢٨م في بلدة تاوريرت ميمون بالجزائر وانتقل مع عائلته إلى بلدة عين الأربعاء (ولاية عين تموشنت) ودرس بها الابتدائية، ثم واصل دراسته الثانوية في وهران لدى الآباء البيض[٧٥٣] وهي جمعية أنشئت لخدمة مسيحيي البلاد ونشطت في مناطق البربر بعناية أكثر وفي مدينة وهران شمال غرب الجزائر.

وكانت قرية عين الأربعاء شرق وهران غنية بالمستوطنين الفرنسيين وعاش فيها صدمة ثقافية كما يذكر عن نفسه.

ودرس في مدرسة الآباء التبشيرية هناك ويشرح أركون مشاعره تجاه تلك المدرسة فيقول: "عند المقارنة بين تلك الدروس المحفزة في مدرسة الآباء البيض مع الجامعة فإن الجامعة تبدو كصحراء فكرية".

ودرس الأدب العربي والقانون والفلسفة والجغرافيا بجامعة الجزائر ثم قام بإعداد التبريز في اللغة والآداب العربية في

---

(٧٥١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، مركز الإنماء القومي، ط٢، ١٩٩٦م، ص ٥٤ – ٥٧.

(٧٥٢) محمد أركون: ويكيبديا.

(٧٥٣) الآباء البيض: ويكيبديا.

جامعة السوربون في باريس بتوجيه من المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ثم اهتم بفكر ابن مسكويه الذي كان موضوع أطروحته.

ويذكر أركون أنه ظل لا يعرف إلا اللغة الفرنسية واللغة الأمازيغية ولم يتعلم العربية إلى بعد خروجه من منطقة القبائل والتحاقة بمدينة وهران في الغرب الجزائري، ويذكر أنه عند دراسته للثانوية هناك بدأ تجربة المثاقفة المزدوجة وبدأ تعلم اللغة العربية وخالط المتحدثين بها وبدأ يكتشف المجتمع الفرنسي المستعمر (٧٥٤).

لم يكن مقتنعًا بأداء أساتذة جامعة الجزائر، وتعرض لموقف شعر معه بالإهانة عندما أراد أن يلقي محاضرة حول ظروف المرأة القبائلية حيث كان يرى في نفسه الأهلية لذلك بعد تخرجه من جامعة الجزائر عام ١٩٥٢م بشهادة ليسانس في اللغة والآداب العربية وكان يحاول تعويض شعوره بالنقص أمام عائلة مرموقة هي عائلة معمري في قريته إلا أن أمين القرية سلام معمري نهره بعنف لأنه لم يطلب الإذن ولأنه ليس أهلاً لذلك مما كان له أعمق الأثر على شخصية محمد أركون.

وهكذا رفض أركون كل شيء يدور حوله في المجتمع الجزائري ولم تكن رغبته إلا الذهاب إلى باريس ليكمل دراسته، ويتنقل بين الجامعات الفرنسية طالبًا أولاً وأستاذًا ثانيًا(٧٥٥). وتوفي في باريس عام ٢٠١٠م – ١٤٣١هـ ودفن في الدار البيضاء بناءً على وصيته.

مؤلفات محمد أركون:

له العديد من المؤلفات ومنها:

١ – الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي.

٢ – الألسنة والإسلام، مدخل تاريخي نقدي.

٣ – من منهاتن إلى بغداد ما وراء الخير والشر.

٤ – القرآن من التفسير بالموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

٥ – تاريخية الفكر العربي الإسلامي موضوع بحثنا.

٦ – نافذة على العالم الإسلامي.

٧ – الإسلام الأخلاق والسياسة.

٨ – الفكر الإسلامي قراءة علمية.

٩ – الفكر العربي.

١٠- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية.

١١- من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي.

١٢- نزعة الألسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي.

---

(٧٥٤) الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، كيحل مصطفى، دار الأمان، الرباط، ط ١، ١٤٣٢هـ، ص ٢٤.

(٧٥٥) انظر: المرجع السابق، ص٢٤ – ٢٦.

١٣ – الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.

١٤- الإسلام أوروبا الغرب رهانات المعنى وإدارات الهيمنة.

١٥ – قضايا في نقد العقل الديني.

١٦ – العلمنة والدين، الإسلام المسيحية الغرب.

ثانيًا: مشروع محمد أركون الفكري الكلي:

يكاد يخرج القارئ لأفكار محمد أركون بأن مشروعه الفكري الكلي مشروع معرفي يتعلق بنظام معرفي معين يراه هو الأصوب والأصلح ليحله محل نظام معرفي آخر يراه على غير الصواب في استمداد المعرفة وإنتاجها.

فيقول: **"ينبغي علينا أن نشتغل على زحزحة المشروعية الإسلامية وتفكيكها داخليًا من أجل التوصل إلى مشروعية أخرى كونية أو قابلة لأن تعمم كونيًا"**(٧٥٦).

إذن وحسب هذا النص من محمد أركون فإنه يعمل على زحزحة المشروعية الإسلامية وتفكيكها داخليًا وهذا يعني أنه سينقد الإسلام من الداخل، ولكن كيف سيكون هذا النقد هل سينقد النصوص الشرعية أو طريقة فهمها والاستدلال بها، أم هل سينقد مكانتها وقدسيتها ومصدريتها الإلهية؟

الحقيقة أن مشروعه ينقد كل هذه الأمور كما سيأتي معنا وفي ذلك يصرح أن برنامجه هو **دراسة شروط صلاحية كل المعارف التي تم إنتاجها ضمن الإطار الميتافيزيقي وأن كل هذه النواتج نتجت عن الظاهرة القرآنية** (٧٥٧).

هذا بشكل عام ويندرج تحته كذلك عدد من الأفكار من المقبول أن تكون مدرجة ضمن مشروعه الكلي ومن ذلك وفي سياق جهده لفرض نظام معرفي معين واقصاء آخر يقول علي حرب: **"ذلك أن رهان أركون الأساسي فيما بذله من جهود فكرية متواصلة هو إدخال التاريخية إلى ساحة الفكر العربي بما في ذلك النص القرآني نفسه"**(٧٥٨).

ويبين أركون أن مشروعه هذا لم يسبق له أن يطرح من قبل في الفكر الإسلامي سيما وأنه ممن حول مسار الموقف الحداثي من التراث من القطيعة إلى التواصل والنقد (٧٥٩).

فيقول: **"أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح عمليًا من قبل في الفكر الإسلامي؛ ألا وهي تاريخية القرآن، وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معينة حيث كان العقل يمارس آليته وعمله بطريقة معينة ومحددة"** (٧٦٠).

وقد يتبلور عند المفكر فكرة أو مشروع فكري يكون امتدادًا لنتاجه العلمي وقد حدث مثل هذا لمحمد أركون فقد قدم أطروحته للدكتوراة بجامعة السوربون في بداية الستينات حول موضوع: نزعة الأنسنة في الفكر العربي ثم تحولت هذه

---

(٧٥٦) النص القرآني في المقاربات التأويلية، حامد أبو زيد، ومحمد أركون عينة، د. عمار حلاسة، الجزائر، ضمن سجل بحوث مؤتمر النص الشرعي القضايا والمنهج جامعة القصيم، ١٤٣٨هـ، ص ٤٨١/٣.

(٧٥٧) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ص ١٣.

(٧٥٨) نقلاً عن كتاب: منهج محمد أركون في نقد الدين والتراث الإسلامي، دراسة تحليلية نقدية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة، عبد الله بن محمد المالكي، جامعة أم القرى، ١٤٣١هـ، ص ٢٨٠.

(٧٥٩) انظر: منهج محمد أركون، عبدالله المالكي، ص ٢٠، ٢١.

(٧٦٠) القراءة التاريخية للنص القرآني المشروع الأركوني نموذجًا، عرض ونقد، د. غنية بوحوش، جامعة الصديق بن يحيى، الجزائر، ضمن سجل بحوث مؤتمر النص الشرعي، القضايا والمنهج، جامعة القصيم، ١٤٣٨ه، ٦٥٦/٣.

الرسالة عام ١٩٧٠م إلى كتاب يعد النواة الأولى لمشروع أركون الفكري النقدي وهو كتاب: نقد العقل الإسلامي وغالب الأطروحات التي بلورها أركون بعد ذلك كانت بمثابة توسيع لهذه الأطروحة التأسيسية (٧٦١).

ثالثًا: منهجه في المشروع:

منهج محمد أركون في هذا المشروع هو إعمال الأدوات الفلسفية التأويلية الغربية في قراءة ونقد التراث العربي الإسلامي مثل أداة أو نظرية التاريخية أو الأنسنة أو الألسنة فتارة يستخدمها على النص الشرعي إما بتاريخية تحصره في زمان ومكان معين لا يتجاوزهما وإما بأنسنة تجعل الإنسان وحده هو مصدر المعرفة وتفسير النص بعيدًا عن مصدره الإلهي ومراده من النص وإما بألسنة تفتح الباب للتأويل اللانهائي واللامحدود وتفصل الدال عن المدلول مما ينتج عنه إنتاج المعنى وتوسعاته وانهدامه (٧٦٢).

قل مثل ذلك في استخدامه لهذه الأدوات مع الأحكام الشرعية أو سيادة الشريعة وقداسة النصوص أو مع الأحداث التاريخية في الإسلام ورموز الإسلام العظام.

وإعمال هذه الأدوات كمنهج له في نقد الفكر الإسلامي هو ما أطلق عليه اسم **الإسلاميات التطبيقية** فيقول: "إن الهدف من الإسلاميات التطبيقية ممارسة فكر إسلامي محرر من المحرمات العتيقة والميثولوجيا (٧٦٣) البالية ومن الإيديولوجيا الناشئة"(٧٦٤).

وكان محمد أركون ينقد على المستشرقين نقلهم للتراث الإسلامي بدون نقد ويقول إنهم ينقلون هذا التراث بشكل حرفي وبإخلاص، أطلق محمد أركون اسم الإسلاميات الكلاسيكية على هذه الطريقة في النقل عند المستشرقين وطالب بالانتقال من النقل الهجومي الافتخاري إلى الموقف المقارن وإخضاع القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن وللتحليل الألسني التفكيكي والتأمل الفلسفي المتعلق بإنتاج المعنى وتوسعاته وانهدامه (٧٦٥).

كما تجدر الإشارة إلى أن هناك أداة أو نظرية نجدها مشتركة في الاستعمال مع النظريات الأخرى وهي نظرية أو **مبدأ الشك** فتجده منهجًا مطردًا مع النظريات الأخرى فالتاريخية تشكك في الأحداث التاريخية من ناحية المنشأ والدوافع والأنسنة تشكك في المصدر المفارق كمفسر أو مصدر، والألسنة تشكك في كل الدلائل والمعاني وتوسعها ومن ثم تهدمها وهكذا نجد مبدأ الشك منهج مطرد من خلال هذه النظريات.

ولابد من الإشارة أن مبدأ الشك له علاقة بنظرية الأنسنة التي تستمد جذورها من فلسفة ونظرية موت الإله عند نيتشه ونجد أن أركون يحتفي بهذه النظرية كثيرًا ويرى أن نيتشه وماركس وفرويد هم من فتح باب الحداثة الفكرية في أوروبا فيقول:

"الواقع أن نيتشه ساهم مع كل من ماركس، وفرويد، في بلورة منهج الشك إلى أبعد حد"(٧٦٦).

---

(٧٦١) انظر مفاهيم أركونية، المشروع النقدي للعقل الإسلامي، محمد مستقيم، محاكاة للنشر، ط١، ٢٠١٣م، ص ١٣.

(٧٦٢) تاريخية الفكر، محمد أركون، ص ٥٤ ـ ٥٧.

(٧٦٣) الميثولوجيا: الميث أسطورة حكاية خرافية، قوى الطبيعة في صور كائنات شخصية ولأفعالها معنى رمزي، انظر موسوعة لالاند، ١٥٠/٢.

(٧٦٤) تاريخية الفكر، محمد أركون، ص ٥٨.

(٧٦٥) انظر: المرجع السابق: ص ٥٤ ـ ٥٧.

(٧٦٦) النص القرآن في المقاربات التأويلية، د. عماد حلاسة، سجل مؤتمر جامعة القصيم ٤٧٥/٣.

وهناك سمة ثالثة أثناء تطبيق أدوات النقد الحداثية تضاف لمنهجي التطبيقات الإسلامية، والشك وهي سمة أو **منهج نزع القداسة والسيادة عن النص الشرعي** ويسري ذلك على مصدر النص وتاريخ الإسلام ورموزه لأن هذه الأدوات النقدية لا يمكن أن تعمل عملها إلا بعد نزع القداسة والسيادة التي جعلها الله لنفسه ولرسوله وكتابه وشريعته.

ويرى أركون أن من الضروري لتطبيق التاريخية على القرآن الكريم إزالة عقبة في طريق هذا التطبيق وهي عقبة ومعوق التراث الأسطوري البعيد عن العقلانية والمنطقية فيقول عن الثقافة السائدة والخاصة بالمعرفة في القرنين الأول والثاني أن الأكثر أهمية يكمل في بيان كيف أن بُعد الغريب الساحر والمدهش أو البعد الأسطوري والرمزي والمجازي كان يتغلب آنذاك على المقولات العقلانية والمنهجيات المنطقية"(٧٦٧).

وجريًا منه على هذا المنهج نجده مثلاً يجرد النبي صلى الله عليه وسلم من صفة النبوة والرسالة فيقول: "وهذا الخطاب الشفهي رافق الممارسة التاريخية المحسوسة لفاعل اجتماعي يدعى محمد بن عبد الله" فاستبدل باسم النبوة والرسالة عبارة أو مصطلح آخر هو الفاعل الاجتماعي (٧٦٨).

ومن مناهج محمد أركون التي يستخدمها مع الأدوات الفلسفية الغربية لنقد التراث الإسلامي **منهج دراسة اللامفكر** فيه وهذا اللامفكر فيه عبارة عن مسلمات ومبادئ لا يمكن أن يفكر في بداهتها المسلمون ولكن محمد أركون يريد أن يفكر فيها أي أن يزحزح مفهومها الإسلامي ليحل محلها المفهوم الحداثي فمثلاً يرى محمد أركون أن اللامفكر فيه الأعظم بالنسبة للفكر الإسلامي هي التاريخية وذلك بسبب رد الفعل السني الذي أدى إلى تصفية الفلسفة التي تشمل على علم الكلام المعتزلي وبخاصة الأطروحة القائلة بخلق القرآن، وقد سار على هذا النهج جميع الأنظمة السياسية التي تعاقبت على أرض الإسلام(٧٦٩).

ويصنف أركون الخطاب الإسلامي إلى خطاب الإسلام السياسي، والحركات الإسلامية وخطاب الإسلام الكلاسيكي الذي يهتم بتاريخ التراث أي بمراحل تشكله في المجموعات النصية الصحيحة والخطاب الاستشراقي الذي ينقد مرحلة التشكل والتأسيس وأما الخطاب الرابع فهو الذي يتبناه محمد أركون وهو خطاب علوم الإنسان والمجتمع الذي يتناول بالدراسة كل اللامفكر فيه والمرمي والمطموس في الخطابات الثلاثة السابقة (٧٧٠).

ومنهج دراسة اللامفكر فيه وتفكيكه يصب في أداة الأنسنة الفلسفية حيث يقتحم الإنسان بفكره وعقله ومحسوساته تفكيك هذا اللامفكر فيه ونقده وفي المقابل فإن تضخم اللامفكر فيه ينسف مشروع الأنسنة للتراث لأن من صفات الموقف الإنساني أو الأنسنة الاعتراف بالتعددية المذهبية والثقافية، واللغوية وتلك صفة من الصفات الأساسية التأسيسية للموقف الإنساني وكانت هذه التعددية سائدة مقبولة، معترف بمنافعها في فجر الإسلام وضحاه"(٧٧١). وهذا حسب أركون

ولذلك نرى محمد أركون يثني على الطوائف المتعددة سوى أهل السنة والجماعة من منطلق اللامفكر فيه وبأداة الأنسنة فيقول: "هناك طوائف تحدث عنها مؤرخوا البدع في الإسلام، وهي تمثل جماعات إثنية ثقافية متميزة تبحث عن هويتها

---

(٧٦٧) القراءة التاريخية للنص القرآني، د. غنية المكي، سجل مؤتمر جامعة القصيم، ٦٦٤/٣.

(٧٦٨) المرجع السابق: ٣/ ٦٧٠.

(٧٦٩) انظر: مفاهيم أركونية، ص ٨٦.

(٧٧٠) انظر: الأنسنة والتأويل، كيحل مصطفى، ص ١١٨.

(٧٧١) الأنسنة والتأويل، كيحل مصطفى، ص ١٩

الخاصة ضد فكرة الذوبان في الوحدة الصارمة التي تؤسسها السلطة المركزية"[٧٧٢].

وفي نهاية هذا الجزء من البحث نستذكر مناهج محمد أركون التي استخدمها في مشروعه الكلي وهي:

١– التطبيقات الإسلامية.

٢– منهج الشك.

٣ – منهج نزع القداسة.

٤ – منهج دراسة اللامفكر فيه.

رابعًا: أدوات محمد أركون لتحقيق مشروعه:

استخدم محمد أركون عددًا من الأدوات النقدية الفلسفية الغربية لتحقيق مشروعه ونبدأ بذكرها الآن مستعينين بالله:

الأداة الأولى: نظرية التاريخية:

للتاريخية أساس فلسفي بدونه لا يمكن الاستناد إليها في الحكم على الأفكار وتفسير الظواهر، وهذا الأساس يقوم على جانبين هما:

١ – جانب الوجود ويقوم على إنكار كل ما يجاوز الواقع المادي المحسوس.

٢ – جانب المعرفة ويقوم على اعتبار الفكر وكل ما ليس بمادي مجرد انعكاس للواقع المادي [٧٧٣].

والتاريخية لا تقرأ النص باعتباره صادرًا من الله أو باعتبار ما هو مراده، وإنما تسعى إلى قراءة النص الأدبي – وهم ينزلون الوحي إلى مرتبة النص الأدبي – في إطاره التاريخي والثقافي حيث تؤثر الأيدلوجيا وصراع القوى الاجتماعية في تشكل النص وحيث تتغير الدلالات وتتضارب حسب المتغيرات التاريخية والثقافية [٧٧٤].

ويؤكد أركون أن قراءته تطرح مشكلة تاريخية القرآن وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معينة [٧٧٥].

ويؤكد هاشم صالح مترجم أعمال أركون هذا المعنى فيقول: أن كل شيء يتغير مع التاريخ حتى فكرة الله والتعالي والإيمان الأفكار الأكثر رسوخًا [٧٧٦].

التاريخية تنطلق من منطلق ماركسي يستبعد مجاوزة الوحي للزمان والمكان ويمنع تشكله من جهة مفارقه أو سابقة للنص وينقد الأديان بشدة، لأنها ذات فكر نزل من جهة مفارقة بامتياز بينما الفكر عنده نتاج للواقع سواء كان قوى إنتاج أو

---

(٧٧٢) تاريخية الفكر، محمد أركون، ص ١٣٥.

(٧٧٣) تاريخية القرآن في الفكر الحداثي العربي، أ.د. عبد الله بن محمد القرني، مركز تكوين للدراسات والأبحاث السعودية، ط١، ١٤٤١ه، ص ٢٥.

(٧٧٤) دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الدويلي وَ د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م، ص ٨٠.

(٧٧٥) انظر: تاريخية القرآن، القرني، ص ٢٣.

(٧٧٦) المرجع السابق، ص ٢٣.

عامل اقتصادي أو نظام علاقات [٧٧٧].

الأداة الثانية: نظرية الألسنة:

أو اللسانيات: بنحو عام علم اللغة المؤسس على مقارنة مختلف الألسن المعروفة [٧٧٨].

وكما أن الأنسنة تجعل الإنسان هو محور المعرفة ومنه وحده يكون التفسير وتحديد المعنى فإن نظرية الألسنة تجعل المعنى يولد من داخل اللغة نفسها وليس من الواقع.

ويعد دي سوسير صاحب التأثير الأكبر على نشأة البنيوية اللسانية والمؤسس لنظرية انفصال الدال عن المدلول وخلاصتها أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية محض تحكمية.

والتعبير بالدال والمدلول عوضًا عن التعبير باللفظ والمعنى يشير إلى بعد جديد في الألسنة الحديثة وهو ان العلامة اللغوية (الدال) ليس بالضرورة أن تدل على (مدلول) [٧٧٩].

وهذه الألسنية ذات التعدد للمدلول أو بالأصح تحريفه لها امتدادات أخرى من المناسب ذكرها هنا وهذا الامتداد هو الفكر الصوفي اليهودي، يقول امبرتوا إيكو: جاء في كتاب الزوهار [٧٨٠]:

"أنه في كل كلمة تسطع أنوار كثيرة" ويقول شولام بخصوص الصوفية القبالية: إن المتصوفة اليهود حاولوا أن يسقطوا في النصوص المقدسة أفكارهم الخاصة.

وتعود لا نهائية المعنى إلى الحرية في إمكان توليف الدوال التي لا ترتبط في النص على نحو ما إلا بصفة عرضية، ولكن يمكن توليف هذه الدوال بطرق شتى محققين انحرافات لا حد لها، حتى نستعمل عبارة متداولة اليوم [٧٨١].

ويطبق أركون هذه النظرية على القرآن فيقول: أن القرآن مجموعة من الدلالات والمعاني الاحتمالية المقترحة على كل البشر وبالتالي هي مؤهلة لأن تثير اتجاهات عقائدية متنوعة بتنوع الأحوال التاريخية وأن هذا القرآن نص مفتوح على جميع المعاني ولا يمكن لأي تفسير أو تأويل أن يغلقه أو يستنفذه بشكل نهائي [٧٨٢].

وهذه النظرية بما تحتوية من ضياع للمعنى تضاد مشروع التواصل الإنساني اللغوي إذ أنه يستند إلى اللغة، والتواصل اللغوي يدل على إنسانية مشتركة مبنية على ثقة في إمكان توصيل المعنى، ووجود العلاقة بين الذات والموضوع والفكر

---

(٧٧٧) ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، دراسة نقدية إسلامية، د. خالد السيف، مركز تأصيل، جدة، ط ٣، ١٤٣٦هـ، ص ٢٣٣.

(٧٧٨) موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، لبنان، باريس، ط٢، ٢٠٠١م، ٧٤٠/٢.

(٧٧٩) انظر: موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام دراسة تحليلية نقدية، د. محمد بن حجر القرني، مجلة البيان، الرياض، ١٤٣٤هـ، ص ١٧٩.

(٧٨٠) الزوهار: تعني الإشراق وهو أهم كتب التراث الكابالي وهو تعليق صوفي مكتوب بالآرامية على العهد القديم، انظر: كتاب الزوهار: ويكيبديا.

(٧٨١) السيميائية وفلسفة اللغة، امبرتو إيكو، ترجمة د. أحمد الصميعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٣٥٧ – ٣٥٩.

(٧٨٢) تاريخية الفكر: محمد أركون، ص ١٤٥.

والواقع وبين الدال والمدلول [٧٨٣].

الأداة الثالثة: نظرية الأنسنة:

مع بداية النهضة الأوربية وحركة الإصلاح الديني في القرنين الخامس عشر والسادس عشر حدثت ثورة مهمة في الفكر والمجتمع غيرت نظرة الإنسان إلى نفسه حيث أصبح هو مصدر المعرفة وله الحق في تفسير النصوص بكل حرية، والأنسنة عند أركون هي إحلال الرؤية الإنسانية العقلانية للعالم والإنسان بدل الرؤية اللاهوتية المغلقة، وهذا يقضي إعطاء الإنسان قيمة واعتباره غاية في ذاته ومصدرًا للمعرفة [٧٨٤]. وفي الفكر الغربي تزامن مع الإصلاح الديني التحول من الدين إلى العلم ومن الله إلى الإنسان [٧٨٥].

وهي كمفهوم ومذهب فلسفي تركز على الإنسان كمحور لتفسير الكون بأسره [٧٨٦].

وقد جعلت الأنسنة الدين مساويًا للأساطير انطلاقًا من اعتقادها أن كلاهما من صنع البشر وكذلك سائر الأديان وبالتالي فلا يوجد دين حق ودين باطل ولذلك أصبحت الأنسنة حتمية تقتضيها الطبيعة البشرية ولذلك فرضت الأنسنة العقل وأحلته محل التعاليم الإلهية وبذلك تتحول المعرفة اليقينية من مصدرها الإلهي إلى المصدر البشري ممثلة في العقل [٧٨٧].

ولتحقيق الأنسنة والتخلص من قدسية النص كان لابد لأركون أن يتخلى عن المصدر الإلهي للقرآن الكريم إذ يقول: **"وعلى عكس ما تظنه المسلمة التقليدية، التي تفرض وجود إله حي، متعال وثابت لا يتغير فإن مفهوم الله لا ينجو من ضغط التاريخية، وتأثيرها، أقصد أنه خاضع للتحول والتغير بتغير الأماكن والأزمان"**.

والأنسنة تعني رفض الشرائع السماوية ورفض إعطاء النص الديني المصدرية الإلهية ونزع سمة القدسية عنه لأن ارتباط النص الديني بالذات الإلهية المتعالية والمنزهة عن الخطأ يجعله نصًا هو الآخر متعاليًا [٧٨٨].

مشروع محمد أركون الكلي وكتابة تاريخية الفكر العربي الإسلامي

عمل محمد أركون على نقد الفكر الإسلامي عبر أدوات ومناهج ذكرناها سابقًا وكلها تصب في مشروعه الكلي في تغيير نظام المعرفة في الإسلام وفي كتابه تاريخية الفكر موضوع بحثنا نقد أمورًا عديدة في الفكر الإسلامي بهذه الأدوات والمناهج تخدم أيضًا مشروعه الكلي كما يلي:

أولاً: القراءة الحداثية للوحي والمصدر الإلهي:

تعني القراءة الحداثية لفكر ما تطبيق الأدوات والمناهج الفلسفية الغربية عليه من تاريخية وأنسنة وغيرها.

ولا عجب أن يوجه أركون أدواته النقدية للوحي لأنه صاحب مشروع فكري لتغيير نظام المعرفة عند أمة عريضة تخضع لهذا الوحي فتجده يتعامل مع الوحي أو مصدره تارة بالتاريخية وتارة بالأنسنة أو غيرها وسوف يلاحظ القارئ الكريم

---

(٧٨٣) انظر: موقف الفكر الحداثي، ص ٣٨٢.

(٧٨٤) مفاهيم أركونية، ص ١٣٢.

(٧٨٥) الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، كحيل مصطفى، ص ٥٦.

(٧٨٦) دليل الناقد الأدبي، ص ٤٦.

(٧٨٧) النص القرآني في المقاربات التأويلية، د. عماد حلاسة، مؤتمر جامعة القصيم، ٤٧٦/٣.

(٧٨٨) المرجع السابق: ٣/ ٤٧٥ – ٤٧٦.

أن كل استخدام لهذه الأدوات مع النص أو مصدره الإلهي فإن نتيجته إما استبعاد المصدر الإلهي وإما تحريف الدلالة وإما نزع القداسة وإما حصر لشريعة الله في زمان ومكان محدد فلا تتجاوزه فمثلاً في نقده لتجاوز الشريعة للزمان والمكان وإلماحة منه إلى أن الصحيح أن تبقى رهينة زمكان معين لا تتجاوزه فيقول: **"من التلاعب استمرار بنيوية وتماثلية معنوية ما بين الزمكان الأولي والأصلي الذي لفظت فيه الآيات والأحاديث لأول مرة وبين الزمكانات المتغيرة"**(٧٨٩).

وفي ظل استبعاد المصدر الإلهي للآيات يصنع أركون في مخيلته أحداثاً تاريخية ليقدمها كمصدر للنص بدلاً عن المصدر الإلهي وتبعًا لاستبعاد المصدر الإلهي فإن من آثار هذا الإستبعاد جعل الدلالة اللغوية متغيرة وغير ثابتة فتجد أنه يستخدم أداتين في موضع واحد فيقول: **"إن العلاقة اللغوية البحتة بين النص الرسمي المغلق والناجز والنهائي وبين الخطاب القرآني باعتباره قيل في ظروف أولية خاصة قد فقدت إلى الأبد بموت جيل الصحابة الذين شهدوا انبثاق الظاهرة القرآنية"** (٧٩٠).

فهو هنا يستخدم التاريخية على اللغة وأنه حصل تاريخيًا ما يغير دلالتها ويستخدمها مع القرآن نفسه فيصنفه إلى صنفين:

١ – الخطاب القرآني وهو الخطاب الشفهي الذي قيل ولفظ من النبي للصحابة وهو النص الأصلي الضائع.

٢ – النص الرسمي المغلق والناجز والنهائي ويقصد به النص الكتابي المتأخر المفروض من قبل سلطة سياسية وزيد فيه ونقص منه لأغراض سياسية (٧٩١).

هكذا القراءة الحداثية تستبعد المصدر الإلهي - دع عنك الإيمان بالله وكتبه – ثم يبتكر ويخترع أحداثًا معينة يعزو إليها تشكل النصوص.

ومن المهم هنا التنبيه على جملة الظاهرة القرآنية الواردة في كلام محمد أركون أعلاه فهي علاوة على بيانها لمنهجه في نزع القداسة واستبعاد أسماء أخرى للقرآن كالذكر والتنزيل فإنه يقصد بها كذلك إرساء معنى تاريخية القرآن وأنه ظاهرة ظهرت في مكان وزمان معين ثم ولّت وانتهت يقول أركون: **"ما الذي أقصده بالظاهرة؟ أقصد القرآن كحدث يحصل لأول مرة في التاريخ وبشكل أدق أقصد ما يلي: "النص التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تمامًا"**(٧٩٢).

ويستخدم محمد أركون أداة الألسنيات في تعامله مع القرآن سعيًا إلى الهدف الحداثي في لا نهائية التأويل فيقول: **"أن القرآن نص مفتوح على جميع المعاني ولا يمكن لأي تفسير أو تأويل أن يغلقه أو يستنفذه بشكل نهائي"**(٧٩٣).

علماً أن لا نهائية التأويل كما أنها ناتجة من نظرية الألسنيات فإنها كذلك تنتج أيضاً من أمر آخر هو استبعاد المصدر الإلهي، فاستبعاد المصدر الإلهي يبعد النص عن قوته وقدسيته وثبات معناه.

ومحمد أركون يعلم جيدًا أهمية أن يكون عالم الإسلاميات مختصًا بالألسنيات وتأتي هذه الأهمية من أن ظاهرة

---

(٧٨٩) تاريخية الفكر، محمد أركون، ص ٨٦.

(٧٩٠) المرجع السابق، ص ٢٢١.

(٧٩١) القراءة التاريخية للنص القرآن، د. غنية المكي بوحوش، سجل مؤتمر جامعة القصيم، ٦٦٦/٣.

(٧٩٢) القراءة التاريخية للنص القرآن، د. غنية المكي بوحوش، سجل مؤتمر جامعة القصيم، ٦٦٨/٣.

(٧٩٣) تاريخية الفكر، محمد أركون، ص ١٤٥.

الإسلام ارتبطت منذ نشأتها بكلام أصبح نصًا [٧٩٤] كما يقول.

وفي ظل اهتمام أركون بنظرية الأنسنة التي سبق أن ذكرنا أنها نابعة من نظرية موت الإله عند نيتشه – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – إذ أن الأنسنة منافية تمامًا للإيمان بإله مفروضة طاعته واتباع أوامره إذ أن هذه المكانة – عند توجه الأنسنة – تكون للإنسان فقط.

فيقول محمد أركون: **"إن الفلسفة تبحث عن تحديد أساس لها في كائن محدد هو الإنسان أما التيولوجيا – علم العقائد – فتهتم باللامحدود وهو الله وتتجاهل بأن هذا الاهتمام من قبل الإنسان"**[٧٩٥].

ويربط أركون تقدم الفكر العلمي بإخضاع القرآن للنقد فيقول: **"لا يتقدم الفكر العلمي إلا بإخضاع القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن وللتحليل الألسني التفكيكي، وللتأمل الفلسفي المتعلق بإنتاج المعنى وتوسعاته وانهدامه"** [٧٩٦].

ما هو الفكر العلمي الذي يريد أن يتقدم فيه أركون بشرط نقد القرآن؟ هل هو العلم التطبيقي التجريبي الذي كان العامل الرئيس في تقدم الغرب؟

الجواب: لا ولكنه يقصد نقد الدين بالدرجة الأولى لماذا؟

كان من دوافع أركون لنقد الفكر العربي والإسلامي ذلك التخلف على كافة الأصعدة الذي كانت تعيشه المجتمعات الإسلامية والعربية والتي نتج عنها تفشي الجهل وضعف الإنتاج العلمي فتوجه إلى البحوث الأكثر انقلابية وتفكيكًا لكل الدلالات والعقائد" ظنًا منه أن الإصلاح الديني هو الذي يخلع المشروعية لبقية أنواع الإصلاحات الأخرى، وهو الذي يشعرك بالطمأنينة إذا تم بشكل ناجح".

إذن هنا تصور واضح أن جذور التخلف عند أركون ليست هي الحالة الاقتصادية ولا السياسية أو الاجتماعية إنها في نظره بسبب الدين وحضوره القوي في المجتمعات الإسلامية [٧٩٧].

ثانيًا: القراءة الحداثية للتاريخ الإسلامي ورموز الإسلام:

من المعلوم بالضرورة أن التاريخ الإسلامي منذ فجر الإسلام كانت أحداثه بشكل عام يحف بها مسألة أهمية نشر الإسلام والدعوة إلى الله عز وجل وإقامة دينه.

ومن ناحية أخرى كان رموز الإسلام بدءً بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم من بعده الصحابة ومن بعدهم كان معلومًا بالضرورة أيضًا صدقهم وسموهم ونبلهم.

إلا أن القراءة الحداثية وبأدواتها الفلسفية تحاول أخذ هذه الأحداث وهؤلاء الرموز من قمة المعاني السامية إلى حضيض الصراع على السلطة.

ويصاحب هذه القراءة الحداثية بالضرورة سعي لنزع القداسة عن رموز الإسلام.

يقول محمد أركون: **"إن تعرية الحوافز الحقيقية للناس المتنافسين على السلطة في مجتمع ما يعني رفع الستارة عن**

---

(٧٩٤) انظر: المرجع السابق: ص ٥٧.

(٧٩٥) المرجع السابق، ص ٤٠.

(٧٩٦) المرجع السابق: ص ٥٤ ـ ٥٧.

(٧٩٧) انظر: منهج محمد أركون في نقد الدين والتراث، عبد الله المالكي، ص ٢٨.

الأصول الخادعة التي تختبئ وراء الشعارات الدينية"[٧٩٨].

إن القراءة الحداثية التاريخية تذهب إلى ما هو أبعد من مسألة الصراع على السلطة حيث ذهبت إلى أن أبو بكر جمع المصحف وحذف منه وأضاف فيه لغرض تمكين سلطته.

وهنا سؤال: ما هو الغرض من تشويه الرموز والتاريخ في القراءة الحداثية؟

الجواب: لأنهم امتداد للنظرة الإسلامية الشرعية الصحيحة في أمور كثيرة وأهمها عند القراءة الحداثية نظام المعرفة وتطبيقاته في الواقع فما من حدث إسلامي إلا وتدخل القراءة الحداثية للتشكيك فيه وتغيير وقائعه والطعن في أهدافه فمثلاً ينقد محمد أركون كتابات السيرة لابن إسحاق **بأنه تعمد التمويه والتعمية ضد الجاهلية لتشويه صورتها وليظهر الإسلام في صورة أفضل وأن هذه السيرة أو التاريخ كتب في عصر الفتوحات للسيطرة على المشروعية الدينية وممارستها والحفاظ عليها** [٧٩٩].

ولا يريد أركون هنا أو القراءة الحداثية الاعتراف بأن ما كتبه ابن إسحاق أو غيره ما هو إلا الحقيقة، ولكن هذه هي القراءة الحداثية التاريخية نعم هذه هي قراءتها وهي تحيين الحدث وربطه بظروف محيطة لا يتجاوزها مع الحرص على فصله عن كونه امتثال لنص له سيادة عليا أو طاعة لمصدر متعالي مفارق.

وينقد محمد أركون قيام دولة تستند إلى سيادة دينية ويقحم المثالب فيها إقحامًا فيقول: **"إن الدولة التي تستند إلى السيادة الدينية وتهدف إلى تعميم تطبيق الشريعة لم تفلح في أي مجتمع في إلغاء لعبة التضامنات والعصبيات القبلية"** [٨٠٠].

إن إلحاق الفشل بأي نظام سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي يقصيه أولاً من صفوف النجاح ومن ثم استحالة استمراره، وهذه القراءة الحداثية لأي نظام إسلامي بهذه الطريقة تهدف إلى تحيينه وحصره في زمن معين لا يتجاوزه ولا يمتد لما بعده، ومن ذلك زعم محمد أركون: **أن خلافة أبو بكر اكتسبت سلطتها بالقوة وليس قانونيًا أو شرعيًا وأن سلطة الخلفاء كان لها من يعارضها ويحتج بكل ما سبق بأنها خلافة زمنية صرفه** [٨٠١].

ونقد كذلك مكانة الصحابة كما أظهرها ابن حجر ونقد إظهارهم كشخصيات مثالية **وقرر أن تعظيم هذه الشخصيات يدعم الحساسيات من العقائد** [٨٠٢].

حساسيات العقائد هي الارتباط بالأصل الإلهي حبًا وطاعة عن طريق نص مكتوب فيه بشارة ونذارة والقراءة الحداثية عامة وعند أركون خاصة يدركون هذه الأمور وأن الأدوات النقدية لن تعمل ما لم تنزع القداسة عن الرموز.

وأما فيما يتعلق بطعنه في خلافة أبو بكر وأنها غير قانونية، فإنه لابد للقراءة الحداثية عند أركون أن تفتعل هذه المزاعم لتورخة الخلافة بزعم فشلها ولأنها خلافة مرتبطة بمصدر معرفي إلهي تستمد منه المعرفة والتطبيق وهذا غير مقبول عند الفكر الحداثي المادي.

---

(٧٩٨) تاريخية الفكر، محمد أركون، ص ١٩ – ٢٠.

(٧٩٩) المرجع السابق، ص ٨٤.

(٨٠٠) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٨٠١) المرجع السابق، ص ٢٨٢.

(٨٠٢) انظر المرجع السابق، ص ١٧.

ثالثًا: القراءة الحداثية للوعي والعقل الإسلامي:

ينتقد أركون في قراءته الحداثية الوعي الإسلامي بأنه لا يزال يمتثل وينتج المعارف المستنبطة من الشريعة. وينقد على العقل الإسلامي استناده إلى السيادة العليا وتعاليه بالوحي.

ففي نقده للوعي الإسلامي **يتسائل عن الرابط بين التسليم لله بالنفس وبين إدانة الربا ثم يقول: إن تفسيرًا تاريخيًا ينقذنا من تلك اليقينيات الانتفاخية التي ترسخ إسلامًا متعاليًا** (٨٠٣).

إذن وبناءً على نقد أركون فإن من يحرم الربا ويمتثل أمر الله فيه، فإنه يرسخ أو يلتزم إسلامًا متعاليًا ويقصد بالإسلام المتعالي دين الإسلام المعروف المرتبط بوحي الله كتابًا وسنة فهو متعالي من جهة كونه خاضعًا لجهة متعالية وهو الله تبارك وتعالى.

وارتباط من يقدم الطاعة لله تعالى عبر هذا الوحي المتعالي بالإسلام المتعالي هو المشكلة – حسب الحداثة وأركون – التي تستلزم معالجة تاريخية تستبعد المصدر للنص سواء كان هذا المصدر إلهي أو غير إلهي فالتاريخية تستبعد الجهة المفارقة للنص وتستبعد مراد المؤلف وتجعل المعول على الفهم هو الإنسان نفسه فقط وما يحتاجه وما يمليه عليه الواقع بل وفي نظرية تاريخية أخرى هي نظرية الألسنة تستبعد حتى الإنسان وفهمه وتجعل فهم النص مسندًا إلى اللغة نفسها وما تملكه من إمكانيات تأويلية لا منتهية، هكذا تريد الحداثة ويريد أركون أن يقرأ الوعي الإسلامي النص الشرعي ولذلك ينقد استمرار الوعي الإسلامي في استمراره بالقراءة الشرعية الصحيحة للقرآن فيقول: **"إننا نريد إلقاء نظرة تاريخية ونقدية على ملامح الوعي الإسلامي لكي ننقض فكرة الاستمرارية الخاطئة التي تقول باستمرارية منتظمة وثابتة لهذا الوعي منذ أن ظهر القرآن"**(٨٠٤).

وفيما نجده ينقد استمرار الوعي الإسلامي في الاستناد إلى الوحي نجد أنه في الجانب الأخر يثني على طريقة معرفية كونها مشابهة للتاريخية فيثني على الحقيقة المعرفية العقلانية كما هي عند ابن رشد إذ أنها عنده إنتاج للمعرفة من الواقع وباستقلالية تامة عن الجهة المتعالية التقديسية – الله - (٨٠٥).

وفي استبعاد للمعاني الإيمانية وما أوجبت الشريعة من حب النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وإبراز القدوات والاقتداء بهم ترى الحداثة ويمثلها هنا أركون أن هذه أمور لا ينبغي أن يكون لها مكان في الوعي الإسلامي لأنها تنمي النظرة التقديسية والمتعالية للوحي فيقول: **"إن الوظيفة الميثولوجية لجيل الصحابة شيء موجود وحاضر بقوة في الخطاب الإسلامي ويتساءل: "كيف يمكن تفسير مسألة أن صحابة النبي والتابعين كانوا قد رفعوا إلى مرتبة المفسرين المعصومين للوحي الإلهي؟ ام هل ينبغي علينا الاستمرار في الحفاظ على النظرة التقديسية والمتعالية للوعي المدعوم من قبل التراث الحي؟"** (٨٠٦)

ويعلم محمد أركون أن هذا الوعي يستند إلى عقل فكيف يقرأ محمد أركون والاتجاه الحداثي هذا العقل وكيف يشخصون طريقة عمله؟

إن العقل الإسلامي يجعل الذروة من التعظيم والتصديق والمحبة والطاعة لله عز وجل وكتابه ورسوله وهذه هي

---

(٨٠٣) تاريخية الفكر، محمد أركون، ص ١٢٦.

(٨٠٤) المرجع السابق، ص ١١٦.

(٨٠٥) المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٨٠٦) انظر: المرجع السابق: ص ١٢٦.

العقبة أمام المشروع الحداثي التاريخي فلذلك ينقد محمد أركون رسالة الشافعي لأنها تعيد إنتاج هذه المعاني وتؤصل لها ولا يقال إنها تؤسس لذلك لأن الأساس موجود قبل رسالة الشافعي فيقول: **"أن نظرة على الفصول المتضمنة في الفهرس للرسالة تكشف أنها تعالج موضوع أساسي مركزي واحد هو أسس السيادة العليا أو المشروعية العليا في الإسلام"** (٨٠٧).

إن تعظيم الله ورسوله وامتثال أوامر الله ورسوله التي جاء بها الوحي ينسف التاريخية المادية من جذورها لأنه يتضمن الرجوع إلى جهة مفارقة غيبية متعالية ولذلك ينقد محمد أركون أن يكون لهذا التعظيم لله ورسوله مكان في العقل الإسلامي – خدمة للتاريخية – فينقد الشافعي في تقديماته بتعظيم الله ورسوله: **"لأن ذلك يحصر العقل في مجال لا يمكن تجاوزه وأنه بهذا التعظيم ينتقل الاعتقاد إلى العقل"** (٨٠٨).

ويزعجهم كذلك الاستشهاد بآيات القرآن الكريم لأن الحداثي أصلاً يستبعد المصدر المفارق أو المصدر الإلهي ويعلم أن العقل الإسلامي يستشهد بالآيات على أساس من الإيمان بالمصدر الإلهي وفي هذا إزعاج كبير للحداثة ولمحمد أركون إذ يقول: **"إن طريقة التفكير التيولوجية تستخدم أولاً محاجات المشروعية والسيادة، التيولوجي لا يعير اي انتباه للتلاعب المبطن أو الضمني الذي يقوم به في كل مرة يستشهد فيها بآية من القرآن أو حديث الرسول"** (٨٠٩).

ويعلم محمد أركون أن العقل الإسلامي يرفض التاريخية ويذكر هذا، ولكنه في حماسه للدفاع عن التاريخية ذكر مآلها الخطير والضار على أي فكر تدخل عليه بالنقد وأنها تحط من قدره فقال: **"أن أي مذهب يسند نفسه على مفهوم العقل الأرثوذكسي المستقيم ويرفض تطبيق هذه التاريخية على نفسه، يقبل تطبيقها على المذاهب الأخرى من أجل الحط من قدرها ورميها في ساحة ما هو عابر وزائل وشاذ وخاطئ"** (٨١٠).

فهل يقصد أركون أن ذلك يحصل بتطبيق خاطئ للتاريخية من قبل العقل الإسلامي على غيره أم أنه فعلاً يقصد التاريخية ذاتها وأن هذا هو أثرها وأنطقه الله بذلك؟

بغض النظر عن قصد محمد أركون فإن التاريخية تجعل النص الشرعي حبيس ظرف معين لا يتجاوزه زمانًا ومكانًا وفي هذا حط من قدره يجعله عابرًا يمر كظاهرة في زمن محدد ثم يمضي إلى غير رجعة وتجعل كذلك المعنى أو الدلالة من نص معين اليوم، من الخطأ أن تكون هي نفسها ذات الدلالة والمعنى في السابق.

الخاتمة:

١ – الفكرة الحداثية التاريخية لا تقوم لها قائمة ولا تعمل أدواتها إلا بعد التخلي عن الإيمان بالله وشريعته.

٢ – فكرة نفي المصدر الإلهي للوحي مشابهة لفكرة قديمة بأن مصدره أساطير الأولين وكل أفكار الحداثة شبهات متجددة، ولكن دعواهم عريضة.

٣ – تعدد الدلالات وهدم المعنى كلها تصب في رفض النص ورده وليس لمعنى التأويل أو القراءة الحداثية إلا هذا المعنى.

٤ – دعوى الاستقلال الفكري وأهمية الفكر عند الحداثيين العرب أول ما يكذبها استمدادهم من الفلسفات الغربية

---

(٨٠٧) تاريخية الفكر، محمد أركون، ص ٦٨.

(٨٠٨) المرجع السابق، ص ٧٠.

(٨٠٩) المرجع السابق، ص ٨٥.

(٨١٠) المرجع السابق، ص ٩١.

وتصريحهم بذلك.

٥ – النظرية التاريخية وأدواتها يجمعها جامع استبعاد المصدر الغيبي الميتافيزيقي.

٦ – الحداثة في بعض نظرياتها مصادمة للفطرة الإنسانية، كنظرية موت الإله أو موت المؤلف ونظرية انفصال الدل عن المدلول مما يجعل عائق هذه النظرية في ذاتها.

٧ – نقمة الحداثة على العقل الإسلامي هي تمسكه ورجوعه إلى المصدر الغيبي المتعالي وهو الله.

٨ – لنا أن نتساءل عما هو اللا مفكر فيه عند الحداثة نفسها وما هي مسلماتها التي لا تفكر في تناولها بالسؤال والنقد.

٩ – الحداثة بأدواتها التأويلية والفلسفية كما أنها لا تعمل إلا بعد التخلي عن الإيمان بالله وشريعته فإنها كذلك لا يمكن أن تعمل إلا بعد نزع القداسة المحيطة بالشريعة من مصادر تشريع ورموز وإلا فإنها لن تتمكن من أداء عملها.

قائمة المصادر والمراجع:

١ – القرآن الكريم.

٢ – الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، كيحل مصطفى، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٢هـ.

٣ – تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، الناشر مركز الإنماء القومي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

٤ – تاريخية القرآن في الفكر الحداثي العربي، أ.د. عبد الله بن محمد القرني، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية، ط١، ١٤٤١هـ.

٥ – دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، ود. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م.

٦ – السيميائية وفلسفة اللغة، امبرتو إيكو، ترجمة د. أحمد الصميعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٧ – ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر دراسة نقدية إسلامية، د. خالد السيف، مركز تأصيل، جدة، ط٣، ١٤٣٦هـ.

٨ – القراءة التاريخية للنص القرآني، المشروع الأركوني نموذجًا، عرض ونقد، د. غنية بوحوش، جامعة الصديق بن يحيى، الجزائر، ضمن سجل بحوث مؤتمر النص الشرعي القضايا والمنهج، جامعة القصيم، ١٤٣٨هـ.

٩ – مفاهيم أركونية المشروع النقدي للعقل الإسلامي، محمد مستقيم، محاكاة للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١٣م.

١٠ – منهج محمد أركون في نقد الدين والتراث الإسلامي، دراسة تحليلية نقدية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة، عبد الله بن محمد المالكي، جامعة أم القرى، ١٤٣١هـ.

١١ – موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، لبنان، باريس، ط٢، ٢٠٠١م.

١٢ – موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام دراسة تحليلية نقدية، د. محمد بن حجر القرني، مجلة البيان، الرياض، ١٤٣٤هـ.

١٣ – النص القرآني في المقاربات التأويلية حامد أبو زيد ومحمد أركون عينة، د. عمار حلاسة، الجزائر، ضمن سجل بحوث مؤتمر النص الشرعي القضايا والمنهج، جامعة القصيم، ١٤٣٨هـ.

التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية

The Religious Rooting of the Concept of National Identity

د. حمود بن محسن الدعجاني - أستاذ الفقه المقارن المشارك - جامعة شقراء – المملكة العربية السعودية

Email: haldajani@su.edu.sa

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم الهوية الوطنية، والتأصيل الشرعي له من خلال الكتاب والسنة، والقواعد الفقهية. وأوصت الدراسة بتدريس مادة بمسمى (الهوية الوطنية) في التعليم الجامعي، لتأصيل وتعزيز مفهوم الهوية الوطنية، وغرس قيم الانتماء، والولاء الوطني، وقيم الوسطية والاعتدال.

الكلمات المفتاحية: الفقه الإسلامي، التأصيل الشرعي، الهوية، الوطنية.

Abstract:

This study aims to explain the concept of national identity, and it's jurisprudence rooting through (Holy Quran), Sunnah, and rules of jurisprudence. The study recommended the teaching of a subject called (National Identity) in the University Education, to promote and enhance the concept of national identity, and instill values of belonging, national loyalty, and the values of moderation.

Key Words: Islamic jurisprudence, legal rooting, identity, national

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فإن مكانة كل أمة تقاس بمقدار اعتزازها بقيمها وهويتها، وقد ساهمت وسائل التقنية الحديثة في مجال الاتصالات في سرعة انتشار التيارات والأفكار العقائدية، والأخلاقية، والاجتماعية، والسياسة المختلفة، ولهذا ظهرت الحاجة الماسة إلى تحصين الشباب بالعلم والوعي الكافي للتمييز بين الصالح والطالح، والحفاظ على هويتهم الوطنية، والاعتزاز بها، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتأصيل مفهوم الهوية الوطنية من خلال نصوص الكتاب والسنة، وقواعد الفقه الإسلامي.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة في الآتي:

١- مسيس الحاجة إلى بحث الموضوع ودراسته.

٢- التأصيل الشرعي للموضوع يقضي على المفاهيم المغلوطة، ويزيل الشبهات التي تثار حوله.

٣- أن تأصيل هذا الموضوع يعالج مشكلات أمنية وقعت بسبب الجهل والشبهات التي يثيرها أعداء الأمة في نفوس شبابها.

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

١- بيان قدرة الشريعة الإسلامية على استيعاب النوازل والمستجدات.

٢- تنبيه المؤسسات التربوية لأهمية التأصيل الشرعي للموضوعات المعاصرة.

٣- الرغبة في طرق هذا الموضوع لحاجة المجتمع لمثل هذه الموضوعات المعاصرة.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في عدم تأصيل مصطلح الهوية، فظن البعض أنه من المفاهيم الحادثة، والدخيلة على الإسلام، وأن الدعوة إلى تعزيز الهوية الوطنية، والانتماء للوطن دعوة جاهلية؛ لهذا فإن السؤال الرئيسي لهذه الدراسة هو التالي:

كيف نؤصل مفهوم الهوية الوطنية تأصيلاً شرعياً من خلال الكتاب والسنة وقواعد الفقه الإسلامي؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى إنجاز عدد من الأهداف كما يلي:

١- بيان تعريف التأصيل الشرعي باعتباره مركباً إضافياً.

٢- بيان تعريف التأصيل الشرعي باعتباره لقباً.

٣- بيان تعريف الهوية الوطنية باعتبارها مركباً إضافياً.

٤- بيان تعريف الهوية الوطنية باعتبارها لقباً.

٥- معرفة التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية من خلال القرآن الكريم.

٦- معرفة التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية من خلال السنة النبوية.

٧- معرفة التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية من خلال قواعد الفقه الإسلامي.

تساؤلات الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما تعريف التأصيل الشرعي باعتباره مركباً إضافياً.

٢- ما تعريف التأصيل الشرعي باعتباره لقباً.

٣- ما تعريف الهوية الوطنية باعتبارها مركباً إضافياً.

٤- ما تعريف الهوية الوطنية باعتبارها لقباً.

٥- ما التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية من خلال القرآن الكريم.

٦- ما التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية من خلال السنة النبوية.

٧- ما التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية من خلال قواعد الفقه الإسلامي.

حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية، وقواعد الفقه الإسلامي.

الدراسات السابقة:

وجدت بعض الدراسات والبحوث التي تتعلق بالهوية لكنها خلت من تأصيل مفهوم الهوية تأصيلاً شرعياً في بعضها، وبيان التأصيل الفقهي من خلال قواعد الفقه الإسلامي في بعضها الآخر، ومن هذه البحوث:

١. التراث والهوية، للدكتور: عبدالعزيز التويجري، من منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو- ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢. ركز على الهوية، ودلالاتها، ومعانيها، وامتداداتها في المحافظة على التراث، لكنه لم يؤصل هذا المفهوم تأصيلاً شرعياً.

٣. العولمة الثقافية وأثرها على الهوية، للدكتور: خالد القاسم، الأستاذ المشارك بكلية التربية، جامعة الملك سعود،

حيث ذكر الآثار السلبية للعولمة على الهوية، وسبل مقاومتها، لكنه لم يؤصل مفهوم الهوية تأصيلاً شرعياً.

٤. التأصيل الشرعي للانتماء الوطني للدكتورة مريم بنت راشد التميمي من جامعة الملك فيصل حيث بحثت تأصيل مفهوم الوطنية من خلال الكتاب والسنة والعقل لكنها لم تتطرق للتأصيل الفقهي من خلال قواعد الفقه الإسلامي.

٥. مفهوم الوطنية والتأصيل الشرعي الدكتورة سلوى بنت محمد المحمادي من جامعة أم القرى، وهو بحث مقدم الى ندوة الانتماء الوطني في التعليم العام التي عقدت في جامعة الإمام، وقد بحثت التعريف بمفهوم الوطنية في الإسلام وتأصيله من الكتاب والسنة، لكنها أيضًا لم تتطرق للتأصيل الفقهي من خلال قواعد الفقه الإسلامي.

منهج الدراسة:

اعتمدت في تحريري مباحث هذه الدراسة على أربعة مناهج رئيسة، هذا بيانها:

أولاً- المنهج التأصيلي: وذلك بتأصيل موضوع الدراسة من خلال الكتاب والسنة وقواعد الفقه الإسلامي.

ثانياً- المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع الآيات والأحاديث واستخراج القواعد الفقهية، لتدوين ما كان صالحاً للتطبيق في موضوع الدراسة.

ثالثاً- المنهج الوصفي: وذلك عند الدراسة الوصفية لموضوع الدراسة من خلال التعريف بالتأصيل الشرعي، والهوية الوطنية، وذكر ما يتعلق بهما من مطالب.

هذا بالإضافة إلى المنهج العلمي من خلال ما يلي:

١- عزو الآيات إلى سورها، وأرقامها.

٢- اعتمدت في الأحاديث الرجوع إلى صحيح البخاري الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وقد تلقته الأمة بالقبول.

٣- جعلت كل قاعدة فقهية عنواناً لمطلب وقمت بدراستها في أربعة فروع:

الفرع الأول- في بيان صيغ القاعدة.

الفرع الثاني- في بيان المعنى الإجمالي للقاعدة.

الفرع الثالث- في بيان مستند القاعدة من الكتاب والسنة.

الفرع الرابع- في بيان التطبيقات على القاعدة مما له صلة بموضوع الدراسة.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يديم على بلادنا نعمة الأمن والاستقرار والرخاء والازدهار، إنه سميع الدعاء، قريب الإجابة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد:

سأعرض في هذا التمهيد تعريف مفردات عنوان البحث، وهي التأصيل الشرعي، والهوية الوطنية في مطلبين على النحو التالي:

- تعريف التأصيل الشرعي، وفيه فرعان:

الفرع الأول- تعريف التأصيل الشرعي باعتباره مركباً إضافياً.

التأصيل الشرعي مركب إضافي مكون من كلمتين: (التأصيل) و(الشرعي) ولكل منهما معنى في اللغة والاصطلاح، فلابد من معرفة المعنى؛ لأن معرفة معنى المركب متوقفة على معرفة مفرداته، وسيكون ذلك في أربعة مسائل:

المسألة الأولى- معنى التأصيل في اللغة.

التأصيل مشتق من الأصل، والأصل في اللغة: ما يُبنى عليه غيره. (الزبيدي، د.ت، ص٩٥)، يقال: أصَّله تأصيلاً أي جعلت له أصلاً ثابتاً يُبنى عليه غيره، أصل الشيء: جعل له أصلاً ثابتاً يُبنى عليه. (الرازي، ٢٠١٤م، ص ٧٧).

المسألة الثانية- معنى التأصيل في الاصطلاح.
التأصيل مشتق من الأصل، وجمعها أصول، وهي في الاصطلاح الأدلة، قال الغزالي: (إن أصول الفقه عبارة عن أدلة الأحكام ومعرفة وجوه دلالتها على الأحكام من حيث الجملة لا من حيث التفصيل). (الغزالي، ١٤١٣هـ، ص٥).

المسألة الثالثة- معنى الشرعي في اللغة.
الشرعي مأخوذ من الشرع: وهو مأخوذ من الشريعة، والشِّرعة، وهي الطريق الظاهر المستقيم الذي يوصل إلى غاية ما. (ابن فارس، ١٤٢٣هـ، ص٢٦٢).

المسألة الرابعة- معنى الشرعي في الاصطلاح.
الشرعي مأخوذ من الشرع، والشرع في الاصطلاح: هو ما سنّه الله لعباده من الدين وأمرهم باتباعه. (ابن حزم، ٢٠١٠م، ص٤٦).

الفرع الثاني- تعريف التأصيل الشرعي باعتباره لقباً.
عرفت في الفرع الأول التأصيل الشرعي بجزئيه على أنه مركب إضافي.
وهنا نعرف (التأصيل الشرعي) بمعناه اللقبي: وهو استنباط المفهوم أو المصطلح من المصادر الشرعية ممثلة في الكتاب الكريم، والسنة النبوية الشريفة، سواءً ورد هذا المصطلح بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة. (العتيبي، د.ت، ص٨).

تعريف الهوية الوطنية

وفيه فرعان:
الفرع الأول: تعريف الهوية الوطنية باعتبارها مركباً إضافياً.
الهوية الوطنية مركب إضافي مكون من كلمتين: (الهوية)، و(الوطنية)، ولكل منهما معنى في اللغة والاصطلاح، فلابد من معرفة المعنى؛ لأن معرفة المركب متوقفة على معرفة مفرداته، وسيكون ذلك في أربعة مسائل:

المسألة الأولى- معنى الهوية في اللغة.
الهوية مأخوذة من (هُوَ.. هُوَ) بمعنى أنها جوهر الشيء، وحقيقته.
قال الجرجاني في كتابه "التعريفات": (هي الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق)) الجرجاني، ١٤٠٧هـ، ص٣١٤٠.(
وقال أبو البقاء الكفوي في كتابه "الكليات": (أن ما به الشيء هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتاً، وباعتبار كشخصه يسمى هوية، وإذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ماهية))أبو البقاء الكفوي، ١٩٩٥م، ص٩٦١.(

المسألة الثانية- معنى الهوية في الاصطلاح.
الهوية تجمع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية الوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى.)المنير، ١٤٢١هـ، ص ١٤٦.(

والهوية يمكن معرفتها من خلال عدة مكونات:

١. المكون الاجتماعي: ويشمل: العرق، واللون، والنوع، والانتماء، والتبعية لوطن معين.

٢. المكون الثقافي: ويشمل: الدين، واللغة، والتاريخ، والعادات، والتقاليد، والقيم الاجتماعية المشتركة.

٣. المكون السياسي: ويشمل: شكل الدولة الوطنية، ونظام الحكم، والمواطنة، والجنسية.)الطيب، ٢٠٠٥م، ص ٢٢.(

ويمكننا القول: بأن الهوية لأمة من الأمم، هي: (القدر الثابت، والجوهري، والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز هذه الأمة عن غيرها، والتي تجعل للشخصية الوطنية، أو القومية طابعاً تتميز به عن الشخصيات الوطنية، والقومية الأخرى).)التويجري، ٢٠٠٤م، ص ٤٦.(

المسألة الثالثة- معنى الوطنية في اللغة.

الوطنية مأخوذة من كلمة "وطن".

والوطن في اللغة: يطلق على مكان إقامة الإنسان، ومقره، وما ينتمي إليه وُلد فيه أو لم يولد.)ابن منظور، ١٤١٠هـ، ج١٣، ص ٤٥١.(

المسألة الرابعة- معنى الوطنية في الاصطلاح.

الوطنية اصطلاحاً:

هي تلك العاطفة القوية التي يحس بها المواطن نحو وطنه العزيز، وتلك الرابطة الروحية التي تشده إليه. لحقيل، ١٤٢٧هـ، ص ٣٠

الفرع الثاني: تعريف الهوية الوطنية باعتبارها لقباً

بعد معرفة الهوية الوطنية بمعرفة أجزائها على أنها مركب إضافي، يجدر بنا أن نعرف المعنى اللقبي (للهوية الوطنية).

ويمكن القول بأنها: علاقة تنشأ بين الإنسان والبلد الذي يولد فيه، أو يتخذه محلاً لسكناه وإقامته، بحيث تنشأ بناءً على هذه العلاقة الحقوق والواجبات المتبادلة على أساس من المسؤولية التي يرتبها الإسلام. مقدادي، ١٤٣٩هـ، ص ١٠

ومن خلال هذا التعريف يرى الباحث أن الهوية الوطنية لا تتعارض مع الإسلام، بل هي التزام يفرضه الإسلام على الفرد نحو بلده الذي يعيش فيه لا يتعارض مع انتماءه لأمته الواحدة لأنه انتماء إليها بمفهومها الأعم.

التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية من خلال القرآن الكريم

في هذا المبحث سأعرض عدداً من الأدلة من القرآن الكريم؛ مستنبطاً فقه الآيات فيما يتعلق بموضوع الدراسة.

الدليل الأول:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (البقرة:٢٦).

وجه الدلالة:

أن دعاء إبراهيم –عليه السلام- لمكة وأهلها يدل على حبه وانتمائه لهذا البلد الذي هو موطن أهله، ومستقر عبادته، فدعاؤه علامة لهذا الحب والانتماء والتبعية، وترجمة له، وتعبير عنه. (النجار، د.ت، ص١٦).

الدليل الثاني:

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة:١٤٤).

وجه الدلالة:

جاء أمر الله تعالى بتحويل القبلة إلى مكة متوائماً مع حبه وانتمائه صلى الله عليه وسلم لمكة.)التميمي، ٢٠١٢م، ص ٦.(

الدليل الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ (النساء:٦٦).

وجه الدلالة:

قال أبو حيان في تفسيره: (هذا دليل على مشقة الخروج من الوطن؛ لأن الله تعالى جعله معادلاً لقتل النفس). (أبو حيان، ١٤٢٠هـ، ج٣، ص ٦٩٦).

الدليل الرابع:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّه وَرَسُولَه وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنْ الْأَرْضِ﴾ (المائدة:٣٣).

وجه الدلالة:

يدل على ارتباط الإنسان بأرضه وبلده، ولو لم يكن كذلك ما جعل الله النفي من الأرض عقوبة لمن أفسد فيها. (التميمي، ٢٠١٢م، ص ٨).

الدليل الخامس:

قوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة:٨-٩).

وجه الدلالة:

أن الإخراج من الوطن، والمظاهرة عليه، توجب العداوة والحرب، وفي ذلك بيان أهمية الوطن، والعلاقة الوثيقة التي تربط المسلم ووطنه. (التميمي، ٢٠١٢م، ص:٨).

ويتضح مما سبق بيانه من فقه الآيات الكريمة: أن القرآن الكريم -الذي هو أصل التشريع ومصدره الأول- بيّن العلاقة الوثيقة التي تربط المسلم بوطنه، ودل على أهمية الهوية الوطنية، والانتماء إلى الوطن.

التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية من خلال السنة النبوية

في هذا المبحث سأعرض عدداً من الأدلة من السنة النبوية؛ مستنبطاً منها فقه الأحاديث فيما يتعلق بموضوع الدراسة.

الدليل الأول:

عن عائشة –رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: » اللَّهمَّ حبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا لِمَكَّةَ أو أشَدَّ، اللَّهمَّ بَارِكْ في صَاعِنَا، وَفِي مُدِّنَا، وصحِّحها لنا، وانقُلْ حُمَّاها إلى الجُحفةِ .«(البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث، برقم (١٨٨٩)، ومسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، برقم (١٣٧٦)).

وجه الدلالة:

في الحديث تعليم منه صلى الله عليه وسلم بأن ندعو لأوطاننا بالخير، والدعاء للوطن من مقومات الانتماء الوطني، ويعزز مفهوم الهوية الوطنية. (التميمي، ٢٠١٢م، ص: ١٠).

الدليل الثاني:

عن ابن عباس –رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل –رضي الله عنه- حين بعثه إلى اليمن: »إنَّك ستأتي قومًا أهلَ كتابٍ، فإذا جِئْتَهم؛ فادعُهم إلى أنْ يشهَدوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ... فأخبِرْهم أنَّ اللهَ قَدْ فرَض عليهم صدقةً تُؤخَذُ مِن أغنيائِهم فتُرَدُّ على فقرائِهم .«(البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، برقم (١٤٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم (١٩)).

وجه الدلالة:

أن على الأغنياء واجب كفاية فقراء بلدهم، وإخراج الزكاة فيهم، وهذا مما يعزز الشعور بالهوية الوطنية، وانتماء الإنسان لبلده الذي يعيش فوق ترابه. (مقدادي، ١٤٣٩هـ، ص: ٤٢).

الدليل الثالث:

عن أنس بن مالك –رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن جبل أحد: « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه .«(البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو، برقم (٢٨٨٩)، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، برقم (١٣٦٥)).

وجه الدلالة:

بيّن صلى الله عليه وسلم الحب المتبادل بين النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه، وبين جبل أحد. وهذا يظهر الانتماء للوطن، ويعزز مفهوم الهوية الوطنية. (التميمي، ٢٠١٢، ص: ١٠).

الدليل الرابع:

عن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَثَلُ المؤمنينَ في تَوادِّهم وتَراحُمِهم وتَعاطُفِهم، مَثَلُ الجَسَدِ؛ إذا اشتكى منه عُضوٌ تداعى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهر والحمَّى». (البخاري، ١٤٢٢هـ، ص١٠).

وجه الدلالة:

دل الحديث على أن الدين والعقيدة من أعظم المكونات الثقافية للهوية الوطنية.

ويتضح مما سبق بيانه من فقه الأحاديث الشريفة أن السنة النبوية والتي هي المصدر الثاني من مصادر التشريعي في الفقه الإسلامي دلت على أعظم مكونات الهوية الوطنية وهي العقيدة، وبينت ما يعزز مفهوم الهوية الوطنية وانتماء الإنسان لبلده الذي يعيش فوق ترابه.

التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية من خلال قواعد الفقه الإسلامي

سأورد في هذا المبحث ثلاث قواعد فقهية؛ مبيناً صيغ كل قاعدة، وشرحها الإجمالي، ومستندها، والتطبيق على القاعدة فيما يتعلق بموضوع الدراسة، وفق المطالب الآتية:

قاعدة: (حفظ الشريعة واجب)

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول- صيغ القاعدة:

قاعدة (حفظ الشريعة واجب) ذكرها العز بن عبدالسلام في كتابه "قواعد الأحكام". (السلمي، ٢٠٠٧م، ج: ٢٠، ص ٣٨٠) ، ونص الحنفية على قاعدة: (حفظ الدين وتقديمه على المقاصد الخمس للشريعة)، فقالوا: (يقدم حفظ الدين من الضروريات على غيره؛ لأنه المقصود الأعظم). (الخراساني، ١٤٣٨هـ، ج:٤، ص٨٩)، وذكرها الونشريسي بلفظ: (صون الدين واجب). (الونشريسي، ١٤٣٢هـ، ج: ٥، ص ٢٦٥).

الفرع الثاني- شرح القاعدة الإجمالي:

هذه القاعدة من القواعد التي أجمعت الأمة قاطبة على القول بها؛ فإن من المقرر في الشريعة أن الضرورات أو الكليات الخمس؛ لما أجمع جميع الشرائع، والعمل على وجوب حفظها، وفي مقدمتها حفظ الدين؛ فهو مقدم على غيره؛ لأنه المقصود الأعظم، وبه يوصل للسعادة الأبدية. (الخراساني، ١٤٣٨هـ، ج: ٤، ص ٨٩).

الفرع الثالث- مستند القاعدة:

يستدل لهذه القاعدة بما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ (التوبة:١٢٢).

وجه الدلالة:

أن الشريعة تحفظ بأهل العلم الذين يدافعون عنها، ويصدون عنها تحريف المعطلين، ومجازفة الغالين حتى تكون الشريعة بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك. (السلمي، ١٤٢٢هـ، ص ٢٢١).

عن ابن مسعود –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

»لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأَنِّي رَسولُ اللهِ، إلَّا بإحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بالنَّفْسِ، والثَّيِّبُ الزَّانِي، والتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفارِقُ لِلْجَماعَةِ .«(البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿**أن النفس بالنفس**﴾، برقم (٦٨٧٨)، ومسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، برقم (١١٦٧٦)).

وجه الدلالة:

يجب على الحاكم الشرعي أن يقيم الحدود، وأن يعاقب أهل البدع الداعين إليها؛ وذلك حفاظاً لبقاء الشريعة المطهرة، ومنابعها الصافية. (الزركشي، ١٤١٣هـ، ج:٤، ص ١٩٠).

الفرع الرابع- التطبيق على القاعدة:

١. أن حماية حوزة الدين وهويته أهم في الشرع من حفظ آحاد المسلمين؛ لأنه أقرب إلى مقصود الشرع؛ ولأن الشرع يؤثر الكلي على الجزئي. (الشوكاني، ١٤١٤هـ، ص ٤٠٤).

٢. أنه لا يتأتى حفظ الشريعة –وهو أعظم المكونات الثقافية للهوية الوطنية- إلا بالرد على الفرق والمذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة. (القرافي، ١٤١٨هـ، ج: ٤، ص ٣٤٨).

قاعدة: (وجوب طاعة الإمام فيما ليس بمعصية)

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول- صيغ القاعدة:

نص الحنفية على هذه القاعدة بصيغ مختلفة، إلا أنها متحدة المعنى، منها صيغة: (لا طاعة للأمير على جنده فيما هو معصية .((الشيباني، ١٤١٧هـ، ج: ١، ص ١٦٨). وصيغة: (طاعة الإمام فيما ليس بمعصية فرض .((الكاساني، ١٤١٨هـ، ج: ٧، ص١٤٠) ، وذكرها النووي بصيغة: (تجب طاعة الإمام في أمره ونهيه ما لم يخالف حكم الشرع سواءً كان عادلاً أو جائراً .((النووي، ١٤٠٢هـ، ج:١٠، ص ٤٧).

الفرع الثاني- شرح القاعدة الإجمالي:

تبين هذه القاعدة أن طاعة ولي الأمر وكل مسؤول تحت يده من تجب عليه طاعة واجبة، إلا أن هذه الطاعة ليست مطلقة، بل إن هذه الطاعة مقيدة بالأمر والطاعة في المعروف، أما في المعصية وما يخالف شرع الله، فلا طاعة في معصية الله تعالى، بل كل حق وإن عظم ساقط إذا جاء حق الله سبحانه وتعالى؛ لأن طاعة الله مقدمة على طاعة المخلوق. (ياسين، ١٤٢٩هـ، ج: ١، ص ٥٧١).

ويرى الباحث هنا أنه لابد من التنبيه على أمرين، هما:

الأول: أن عدم الطاعة في المعصية لا يسوغ للمرء نزع يده من طاعة الإمام مطلقاً، أو الخروج عليه، بل الواجب أن يطيعه في بقية الأوامر التي لا تخالف الشرع، ولا ينزع يداً من طاعة، ولا يخرج على إمامه.

الثاني: يستثنى من القاعدة مسألة الإكراه، فمن أُكره فلا إثم عليه، لكن لابد من توفر شروط وضوابط ذكرها أهل العلم في باب الإكراه. (السلمي، ٢٠٠٧م، ج: ٢، ص ٢٧٣).

الفرع الثالث- مستند القاعدة:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء:٥٩).

وجه الدلالة:

أمر الله تعالى في هذه الآية بطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تجب استقلالاً، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً، بل حذف الفعل، وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ إيذاناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن أمر منهم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلا سمع له ولا طاعة. (ابن القيم، ١٩٧٣م، ج: ١، ص ٤٨).

٢- عن عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: »السَّمْعُ والطَّاعَةُ علَى المَرْءِ"المُسْلِمِ فِيما أحَبَّ وكَرِهَ، مالَمْ يُؤْمَرْ بمَعْصِيَةٍ، فإذا أُمِرَ بمَعْصِيَةٍ فلا سَمْعَ ولا طاعَةَ .« (البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية، برقم (٧١٤٤)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم (٤٧٦٣)).

وجه الدلالة:

يدل الحديث على أن طاعة الإمام حق على المرء المسلم -وإن جار-، ما لم يأمر بمعصية الله، فإذا أمر بمعصية الله فلا طاعة له؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. (المناوي، ١٤١٥هـ، ج: ٤، ص ٢٦٢).

الفرع الرابع- التطبيق على القاعدة:

١. أن طاعة ولي الأمر من أهم الدعائم القوية لتعزيز وحدة الوطن، وهويته، وسلامته.
٢. أن رعاية حقوق ولاة الأمر في الطاعة والهيبة يؤدي لتمكنه من أداء واجباته على أكمل وجه، والمحافظة على الهوية الوطنية للبلاد. (الجرجاني، ٢٠١٦م، ص ٧٣).
٣. أن من الطاعة الواجبة لولي الأمر: ألا يتولى أحد ولاية إلا بإذنه، إلا كان ذلك من المنازعة في الأمر. (القنوجي، ١٤٢٢هـ، ص ٢٢٣).

قاعدة: (تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة)

وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول- صيغ القاعدة:

صاغها بهذا اللفظ: (تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة) ابن نجيم من الحنفية. (ابن نجيم، ١٤٠٣هـ، ص ١٥٧) ، والسيوطي من الشافعية. (السيوطي، ١٤١٤هـ، ج:١، ص٢٧٨) ، وصاغها ابن قدامة من الحنابلة بلفظ: (تصرف الإمام مشروط بما فيه المصلحة .((المقدسي، ١٤١٢هـ، ج:٩، ص١٧٩) ، وصاغها ابن القيم بلفظ: (اجتهاد الأئمة في كل زمان ومكان حسب المصلحة .((ابن القيم، ١٤١٧هـ، ج:٣، ص٩٨).

الفرع الثاني- شرح القاعدة الإجمالي:

هذه القاعدة ترسم حدود السياسة الشرعية في سلطان الولاة ونوابهم وتصرفاتهم على الرعية، فتفيد أن أعمال الولاة النافذة على الرعية يجب أن تبنى على مصلحة الجماعة وخيرها؛ لأن الولاة من الخليفة فمن دونه ليسوا عمالاً لأنفسهم، وإنما هم وكلاء عن الأمة في القيام بأصلح التدابير لإقامة العدل، ودفع الظلم، وصيانة الحقوق، وضبط الأمن، ونشر العلم، وتطهير المجتمع من الفساد، وتحقيق كل خير للأمة بأفضل الوسائل مما يعبر عنه بالمصلحة العامة، فكل عمل أو تصرف من الولاة خلاف هذه المصلحة يؤدي إلى ضرر أو فساد فهو غير جائز. (ياسين، ١٤٢٩هـ، ج:١، ص٥٣٥).

الفرع الثالث- مستند القاعدة:

١- قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:١٤٢).

وجه الدلالة:

١. تفيد الآية أنه إنما تم تنصيب الولاة في كل ولاية عامة أو خاصة للقيام بجلب مصالح المولى عليهم، وبدرء المفاسد عنهم. (السلمي، ٢٠٠٧م، ج:١، ص٨٩).
٢. عن معقل بن يسار –رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْها بنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رائِحَةَ الجَنَّةِ .«(البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، برقم (٧١٥٠).

وجه الدلالة:

يفيد الحديث وجوب حرص الوالي على رعيته، والنصيحة لهم في دينهم ودنياهم، ومن النصيحة لهم ألا يتصرف في شيء من أمورهم الدينية والدنيوية إلا بما فيه المصلحة العامة؛ لأن اعتناء الشرع بالمصالح العامة أوفر وأكثر من اعتنائه بالمصالح الخاصة. (النووي، ١٤٢١هـ، ج:٢، ص١٣٦).

الفرع الربع- التطبيق على القاعدة:

أن من أعظم تصرفات الراعي على الرعية، وأجلّها شأناً، هو الحفاظ على الهوية الوطنية للأمة، وصيانة تماسكها، وتقوية لحُمتها، والحرص على وحدتها. (الجدعاني، ٢٠١٦م، ص٧٩).

يجب على المسلم الالتزام بالأنظمة التي يعمل بها في كل بلد، والتي تنظم شؤون الناس وأمور حياتهم مالم تتعارض مع الشريعة الإسلامية، ولا يجوز لأحد التحايل على تلك الأنظمة. (ياسين، ١٤٢٩هـ، ج:١، ص٥٤٠).

ويتبين مما سبق من فقه القواعد الفقهية ما يلي:

١. أن حفظ الدين والشريعة –التي هي أعظم المكونات الثقافية للهوية الوطنية- واجب ومقدم على غيره من الكليات الخمس؛ لأنه المقصود الأعظم، وبه يوصل للسعادة الأبدية.

٢. أن طاعة ولي الأمر من أهم الدعائم لتعزيز وحدة الوطن، وهويته، وسلامته.

٣. أن من أعظم واجبات الإمام، وأجلّها شأناً، هو المحافظة على الهوية الوطنية للأمة، وصيانة تماسكها، وتقوية لحمتها، والحرص على وحدتها.

الخاتمة:

من أهم نتائج البحث وتوصياته ما يلي:

أولاً- النتائج:

١. مفهوم التأصيل الشرعي (هو استنباط المفهوم أو المصطلح من المصادر الشرعية ممثلة في الكتاب والسنة سواءً ورد هذا المصطلح بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٢. مفهوم الهوية الوطنية (هو علاقة تنشأ بين الإنسان والبلد الذي يُولد فيه، أو يتخذه محلاً لسكناه وإقامته، بحيث تنشأ بناءً على هذه العلاقة الحقوق والواجبات المتبادلة، على أساس من المسؤولية التي يرتبها الإسلام).

٣. أن مفهوم الهوية الوطنية مفهوم أصيل وليس حادث، فقد جاء ما يدل عليه من خلال المصادر الشرعية المجمع عليها بين علماء الأمة.

٤. أن الهوية الوطنية، والانتماء الوطني مما فُطر عليه الإنسان، ودلت عليه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وهذا يدل على أن من فقد الهوية الوطنية وحب الوطن فقد خالف الفطرة والدين.

٥. سعى أعداء الإسلام إلى إثارة الشبهات في نفوس شباب الأمة بالقول أن الهوية الوطنية، والانتماء للوطن هو دعوة جاهلية لا أصل لها من الدين، وتم الرد على هذه الشبهة من خلال هذا البحث، وتأصيل الهوية الوطنية من الكتاب، والسنة، وقواعد الفقه الإسلامي.

٦. أن من قواعد الفقه المقررة في الفقه الإسلامي: قاعدة (حفظ الشريعة واجب)، وقاعدة (تجب طاعة الإمام في غير معصية الله)، وقاعدة (تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة)، وهي من أعظم القواعد للحفاظ على الهوية الوطنية للأمة، وصيانة تماسكها، وتقوية لحمتها، والحرص على وحدتها.

٧. يلحظ المتمعن في اجتهادات الفقهاء واستنباطاتهم الفقهية، سعة علمهم، وبُعد نظرهم، ودقة استنباطاتهم؛ حيث جعلوا إخراج الزكاة في بلد المزكي أولى من غيره، وهذا يعزز الهوية الوطنية، والانتماء الوطني في النفوس.

٨. أن جمع الكلمة، والسعي لوحدة الصف، والاجتماع على طاعة ولي الأمر بالمعروف، هو نهج السلف الصالح، وعمل الأمة في جميع عصورها.

ثانياً- التوصيات:

١- عقد الندوات والمؤتمرات لتعزيز مفهوم الهوية الوطنية، وغرس قيم الانتماء والولاء الوطني في النفوس.

٢- إقرار تدريس مادة في الجامعات بمسمى (الهوية الوطنية) تُعنى بما يلي:

أ- التأصيل الشرعي لمفهوم الهوية الوطنية لإزالة الشبهات التي تثار حوله، كشبهة أنه من المفاهيم الحادثة والدخيلة في الإسلام، وأن الدعوة إلى تعزيز الهوية الوطنية، والانتماء الوطني دعوة جاهلية.

ب- تعزيز الهوية الوطنية في النفوس، وغرس قيم الانتماء والولاء الوطني، وقيم الوسطية والاعتدال.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (١٤١٧هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (١٩٧٣م)، إعلام الموقعين، دار الجيل، بيروت.
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (١٤٣١هـ)، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن حزم، علي بن أحمد (٢٠١٠م) الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ابن فارس، أحمد بن فارس (١٤٢٣هـ) مقاييس اللغة، اتحاد الكتاب العربي.
- ابن قدامة، عبدالله بن أحمد (١٤١٢هـ)، المغني، دار هجر، مصر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٠هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم (١٤٠٣هـ)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو حيان، محمد بن يوسف (١٤٢٠هـ)، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢هـ)، الجامع المسند الصحيح، دار طوق النجاة، بيروت.
- التميمي، مريم بنت راشد (١٤٣٣هـ)، التأصيل الشرعي للانتماء الوطني، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، جامعة الملك فيصل، المجلد (١٣)، عدد (١).
- التويجري، عبدالعزيز بن عثمان (٢٠٠٤هـ)، العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة.
- الجدعاني، حامد بن مدة(٢٠١٦م)،أثر القواعد الفقهية في تعزيزالوحدة الوطنية، كلية الشريعة والقانون،جامعة الجوف(٦١-٩٨).
- الجرجاني، علي بن محمد (١٤٠٧هـ)، التعريفات، دار عالم الكتب، بيروت.
- الحقيل، سليمان بن عبدالرحمن (١٤١٧هـ)، الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام، دار حافظ للنشر والتوزيع، الرياض.
- الخراساني، محمد بن أمين (١٤٣٨هـ)، تيسير القدير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاح الحنفية والشافعية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرازي، محمد بن مكرم (٢٠١٤م) مختار الصحاح، دار صادر، بيروت.
- الزبيدي، محمد بن عبدالرزاق (د.ت) تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، القاهرة.
- الزركشي، محمد بن بهادر (١٤١٣هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط٢.
- السلمي، عبدالعزيز بن عبدالسلام (١٤٢٢هـ)، تفسير القرآن، دار ابن حزم، بيروت.
- السلمي، عبدالعزيز بن عبدالسلام (١٤٢٨هـ)، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام (القواعد الكبرى)، دار القلم، دمشق.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (١٤١٤هـ)، الأشباه والنظائر، دار السلام، القاهرة.
- الشافعي، عبدالعزيز بن عبدالسلام (١٤١٤هـ)، الفوائد في اختصار المقاصد (القواعد الصغرى)، مكتبة السنة، القاهرة.
- الشوكاني، محمد بن علي (١٤١٤هـ)، إرشاد الفحول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- الشيباني، محمد بن الحسن (١٤١٧هـ)، السير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الطيب، عبدالجليل حسين (٢٠٠٥م)، الهوية والجنسية، رسالة ماجستير، جامعة الزعيم الأزهري، الخرطوم، ص(٢٢-٢٣).
- العتيبي، منصور بن نايف (د.ت) التأصيل الإسلامي للعملية الإدارية، مركز البحوث والدراسات النفسية، جامعة القاهرة، القاهرة.
- الغزالي، أبو حامد محمد (١٤١٣هـ) المستصفى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- القرافي، أحمد بن إدريس (١٤١٨هـ)، الفروق، دار الكتب العلمية، بيروت.
- القرطبي، محمد بن أحمد (١٤١٤هـ)، جامع الأحكام الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- القنوجي، صديق حسن (١٤٢٢هـ)، ظفر اللاضي بما يجب على القاضي، دار ابن حزم، بيروت.
- الكاساني، أبو بكر بن مسعود (١٤٢١هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الكفوي، أيوب بن موسى (١٩٩٥م)، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مقدادي، منصور محمود (١٤٣٩هـ)، التأصيل الشرعي لمفهوم المواطنة وأثرها في استنباط الأحكام، مجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٤٧).

- المناوي، محمد بن عبدالرؤوف (١٤١٥هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المنير، محمود سمير (١٤٢١هـ)، العولمة وعالم بلا هوية، دار الفكر العربي، بيروت.
- النجار، عبدالله مبروك (د.ت)، الانتماء في ظل التشريع الإسلامي، المؤسسة العربية الحديث، القاهرة.
- النووي، يحيى بن شرف الدين (١٤٢١هـ)، شرح صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت.
- الونشريسي، أحمد بن يحيى (١٤٣٢هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أفريقيا والمغرب في فقه النوازل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ياسين، كمال بن صادق (١٤٣٩هـ)، القواعد الفقهية عند الإمام العز بن عبدالسلام جمعاً ودراسة وتطبيقاً، رسالة دكتوراة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

التَّرْبِيَة الصِّحِّيَّة عِنْدَ ابْنِ الْقَيِّمِ الجَوْزِي وتطبيقاتها فِي الْوَاقِعِ الْمُعَاصِر

مناهل سليمان حسن هوساوي-جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية

المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية
١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٤٣هـ الموافق ١٧-١٩ يونيو ٢٠٢٢م

anannmbr1@gmail.com

أسئلة الدراسة

الأسئلة من موضوع الدراسة التالية :

٣. ما التربية الصحية للطفل عند ابن القيم الجوزي وتطبيقاتها في الو اقع المعاصر؟

الاهداف

الهدف الرئيسي للدراسة هو:

٣-.ما التربية الصحية للطفل عند ابن القيم الجوزي وتطبيقاتها في الو اقع المعاصر؟

الاهمية

أولاً: الجانب العلمي: تطوير والعمل على أنظمة التربية وطرقه ووسائله: بكل مجالاتها لمو اكبة التطورات المستحدثة في كل المجالات خاص المجال الصحي.

ثانياً: الجانب التطبيقي. قد تفيد الدراسة الباحثين، في البحث والتقصي عن رجال الفكر التربوي من التراث التربوي الإسلامي، واستنباط المبادئ والأسس وربطها وتطبيقها في الو اقع مع ما يتماشى في الوقت الراهن.

التوصيات

01 لابد من أجراء مزيد من البحوث حول كتاب تحفة المودود بأحكام المولود عند ابن القيم.

02 تكثيف الجهود في إبراز الفكر التربوية الإسلامي عند ابن القيم الجوزي في المجالات الأخرى.

المنهج

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي.

أقوال ابن القيم من كتاب تحفة المودود بأحكام المولود

التربية الصحية للمولود ختانه

ذكر ابن القيم في ذلك " الْخِتَان من محَاسِن الشَّرَائِع الَّتِي شرعها الله سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ وبجمل بهَا محاسنهم الظَّاهِرَة والباطنة فَهُوَ مكمل للفطرة الَّتِي فطرهم عَلَيْهَا "

•النوم المبكر للطفل ذكر ابن القيم في ذلك

"وبعوده الانتباه آخر اللَّيْل فَإِنَّهُ وَقت قسم الْغَنَائِم وتفرق الجوائز فمستقل ومستكثر ومحروم فَمَتَى اعْتَادَ ذَلِك صَغِيرا سهل عَلَيْهِ كَبِيرا""

العناية بالنمو الحركي وبدأ المشي للطفل.

ذكر ابن القيم في ذلك ذكر ابن القيم في ذلك "يمرن ويدرب على الْحَرَكَة وَالْقيَام قَلِيلا قَلِيلا إِلَى أَن يصير لَهُ ملكة وَقُوَّة يفعل ذَلِك بِنَفسِهِ"

تطبيقاتها في الواقع المعاصر

الطهارة والنظافة:

فوائد الختام من الجانب الطبي كما أوردته وزارة الصحة(١٤٤٠هـ):

- السهولة في غسل القضيب أثناء عملية الطهارة والتنظيف.
- الحد من خطورة الإصابة بالأمراض ونقل الأمراض الجنسية.

يعد السهر آفة العصر وهي الطريقة التي قد اعتاد عليها الناس في العصر الحالي، وبالتالي أصبح للطفل نصيب في السهر:

كما ذكرت وزارة الصحة (١٤٤٠هـ) فوائد النوم المبكر للطفل:

١-كما أن النوم له تأثير على الاستيقاظ مبكراً، ومدى الأداء المعرفي والتعلم، كما يكسب لطفل مفردات والسعادة.

٢-كما له تأثير في عملية نمو الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة، فالقيلولة جداً مفيدة في تقوية الذاكرة وتنمية المهارات الحركية.

ذكرت اليونسيف (١٤٤١هـ) في التطور الحركي للطفل:

١-لابد أن يكون هناك نوعاً في التوزان الحركي للطفل وبالتالي التطور للقدرة على استخدام العضلات الكبيرة اللازمة لجسم استعداداً للركض أو القفز، أو صعود السلالم.

٢-وبالتالي التدرج في تعليم الأطفال على حمل الاجسام الصغيرة، كتحريك العاب أو أمساك الرصاص، وفيها تطور لمهارات الحركة الدقيقة ونمو العضلات الصغيرة.

النتائج

- ✓الحكمة من الختان هو الطهارة والنظافة.
- ✓التغذية السليمة والجيدة للطفل التي تخلق توزان في مستوى العناصر المفيدة الموجودة في الجسم.
- ✓تعليم الطفل على المشي الصحيح والحركة، والحذرمن عو اقب الاستهانة بالاهتمام بالحركة والمشي للطفل.

المقترحات

01 أجراء دراسة في العناية الصحية للأم عند ابن القيم وأراءه التربوية فيها.

02 أجراء دراسة في الاستنباطات التربوية في التغذية الصحية للطفل.

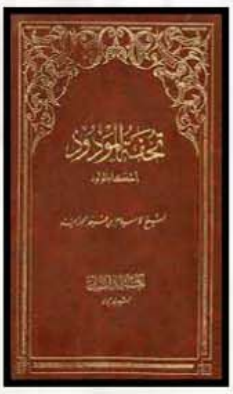

آداب الخلاف التربوي

سامي إبراهيم رزق الله الزهراني
محاضر في جامعة الباحة/ المملكة العربية السعودية
SA.REZQ@HOTMAIL.COM

المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الإسلامية ودورها في خدمة الإنسانية

أهداف الدراسة:

1- توضيح آداب الخلاف التربوي
2- الكشف عن الأساليب التربوية في آداب الخلاف

أهمية الدراسة:

تفيد الدراسة الفرد المسلم في تربية ذاته بآداب الخلاف وفق الرؤية الإسلامية الصحيحة المستندة على القرآن الكريم، والتي تحصل بتحقيقها المحبة والألفة.

توصيات الدراسة:

إقامة دورات تدريبية لإدارة الخلاف وآدابه، تقدم لتوعية المجتمع في التعامل مع الخلاف، وتوجه للمؤسسات التربوية.

القيام بدارسة كيفية تطبيق آداب الخلاف و إدارة الخلافات التعليمية وتوظيفها للعملية التعليمية.

نتائج الدراسة:

البحث عن النقاط المتباينة في بعض المواقف بين الأطراف واتخاذ الحوار وسيلة راقية لإنهاء هذا الخلاف، حيث يولد التفاهم ورؤية الحقائق من جانب اخر تكتمل به الحقيقة والوصول إلى حلول إيجابية.

• تصحيح الرؤية وإزالة الفهم الخاطئ عن الخلاف، الذي يظهر عند كثير من الناس.

• وضع القرآن الكريم منهجية رائعة في الخلاف مع الآخر، والتعامل معه وفق آداب وأخلاق تضبط مسار الخلاف، وتكفل نجاحه، وتسعى للرقي به إلى خلاف بناء مبني على نظرة واقعية تراعي المخالف من جميع جوانبه الفكرية والاجتماعية والدينية.

منهج الدراسة:

المنهج الاستنباطي
المنهج الوصفي التحليلي

أساليب الخلاف التربوي

1-أسلوب الحوار كأسلوب تربوي، يربي الفكر على تحري الحقائق، لثباتها في العقل وعرض الحقائق بطريقة حيوية وتجديد العواطف والانفعالات بمتابعة المتحاورين، تثبيت الحقائق في النفس وعمقها مما يدعو إلى العمل بها.

2-أسلوب الإقناع العقلي: يقوم الإقناع على الاستمالة للحق، وإيضاحه، والاستدلال عليه بما يكون سببًا للقبول والرضا والطمأنينة ومن المفيد في أي خلاف، فهم الطرف الآخر ومحاولة الوصول إلى إقناعه، فعملية فهم الآخرين تحمل في طياتها الحصول على نقاط القوة والضعف الموجودة فيه، ومعرفة مفاتيح الآخرين تسهم في عملية الإقناع الناجح.

3- أسلوب التدرج: الانتقال من حقيقة إلى أخرى إرسالًا لعنان الحوار، حتى يصل إلى الحقيقة التي يسعى إليها وإدراكها.

4-أسلوب التطبيق العملي: إن المعرفة تكتمل بالممارسة العملية في المقام الأول، لما فيها من الشمول وامتزاج القول بالعمل، فالآداب جانب تطبيقي ومارس في الخلاف وليس فقط معرفه.

أخلاقيات الخلاف

- الحلم
- الصبر
- الرفق
- اللين
- الموضوعية
- القوة
- العدالة
- الإنصاف
- المرونة
- المداراة

تعريف آداب الخلاف التربوي

- هي الآداب الفكرية والأخلاقية والسلوكية المتّبعة أثناء اختلاف وجهات النظر أو تعدد الآراء في التعامل مع الآخر، المبنية على الأصول الإسلامية والتربوية.

آداب خلاف العقائد والأديان

- عدم الإكراه في الدين.
- الوسطية - مجاراة الخصم لإيضاح الحق.
- الحوار بين الديانات المختلفة بإيجاد النقاط المشتركة.
- عدم التجريح للأديان الأخرى.
- البدء بالأهم والتدرج.

آداب الخلاف العلمي

- العلم بتفاصيل موضع الخلاف.
- الإخلاص والتجرد لله تعالى.
- الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ.
- الاتزان - الاعتراف بأفضال الآخرين.
- حسن تبليغ العلم.

آداب الخلاف الاجتماعي

- التكيف وقبول الخلاف.
- عدم إسقاط المخالف اجتماعياً.
- إزالة العنصرية.

آداب الخلاف الفكري

- حرية الفكر .
- احترام الرأي الآخر .
- عدم الاستبداد الفكري.

المضامين التربوية المستنبطة من آيات الاصطفاف في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المدرسة

الباحثة: جواهر عبد الله حسن الزهراني
كلية التربية - جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: jewels44@gmail.com

أسئلة البحث

السؤال الرئيس

ما المضامين التربوية المستنبطة من آيات الاصطفاف في القرآن الكريم؟ وما تطبيقاتها التربوية في المدرسة؟

ما الأسس التربوية المستنبطة من آيات الاصطفاف في القرآن الكريم، وتطبيقاتها التربوية؟

ما المبادئ التربوية المستنبطة من آيات الاصطفاف في القرآن الكريم، وتطبيقاتها التربوية؟

ما الأساليب التربوية المستنبطة من آيات الاصطفاف في القرآن الكريم، وتطبيقاتها التربوية؟

منهج البحث

الاستنباطي التحليلي

أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- التعرّف على الأسس التربوية المستنبطة من آيات الاصطفاف في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية.

2- توضيح المبادئ التربوية المستنبطة من آيات الاصطفاف في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية.

3- إبراز الأساليب التربوية المستنبطة من آيات الاصطفاف في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية.

فصول البحث

نتائج البحث

توصل البحث إلى عدة نتائج منها:

1. الاصطفاف بمعنى الوحدة والاجتماع جاء في ستة مواضع، هي: (سورة الكهف: آية 48)، و(سورة طه: آية 64)، و(سورة الصافات: آية 1و آية 169)، و(سورة الصف: آية4)، و(سورة النبأ: آية 38). 2.الاصطفاف في الإسلام هو حالة توحد ناتجة من تسوية الصفوف بالتقارب، والتكامل بين المصطفين امتثالًا وطاعة لقول الإمام، ويكون اصطفافًا ماديًّا، أو اصطفافًا معنويًّا.

3. تميز المسلمين في اجتماعهم واستواء صفوفهم في الصلاة عن باقي الأمم، وفي ذلك تنبيه على أن الله يحب اجتماع قلوبهم وتعاضدهم، وتكاتفهم مع بعضهم. 4. تعتبر المدرسة مؤسسة تعليمية وثاني مؤسسة تربوية اجتماعية بعد الأسرة مسؤولة عن التنشئة الاجتماعية، والتطور الحضاري في المجتمع الإنساني.

5. وظيفة المدرسة تحقيق أهداف المجتمع من خلال تعليم الطلاب، وتربيتهم بتقديم معارف ومعلومات ومهارات وقيم.

6. لابدَّ من إنشاء علاقة تعاون بين المدرسة من جهة والمجتمع المحلي للطالب من جهة أخرى؛ لما تتميز به المدرسة بأنها الأكثر كفاءة على إحداث تغيير في المجتمع؛ لأنها تقوم بدورها في التنمية الاجتماعية بطريقة علمية، وعملية مقصودة ومخططة في علاقة تبادلية نفعية.

توصيات البحث

1- تشجيع الباحثين وحثهم على إنتاج البحوث التربوية في آيات القرآن الكريم ومعانيه.

2- تعزيز موضوعات اجتماع الكلمة والوحدة الإسلامية والالتفات حول ولي الأمر، وجمع شمل المسلمين والبعد عن أسباب الافتراق وفتنة التفرق.

3- على المدرسة استغلال الأحداث والمناسبات لتعزيز وحدة المسلمين، والاستفادة من الأساليب التربوية الإسلامية وتفعيلها في تعزيز وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم.

مقترحات البحث

تتمثل المقترحات البحثية في:

1- التربية الجمالية في آيات الاصطفاف في القرآن الكريم.

2- دور القيادة المدرسية في تنمية مفهوم الوحدة الإسلامية لدى الطلاب.

3- أثر مواقع التواصل الاجتماعي في تعزيز الوحدة الإسلامية.

4- مدى فعالية أسلوب التشجيع للطلاب المواظبين صلاة الظهر في المدرسة الابتدائية.

عنوان الدراسة

الفكر التربوي عند القاضي عياض وتطبيقاته التربوية.

اسم الباحثة: هناء بنت حامد بن بخيت الجهني. إشراف: د. نايف بن حامد الشريف
ماجستير أصول التربية الإسلامية

أهداف الدراسة: تمثلت فيما يلي:

١-ابراز ملامح الفكر الديني ملامح الفكر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للقاضي عياض.

٢-ابراز ملامح الفكر التعليمي للقاضي عياض.

٣-ابراز التطبيقات التربوية المستنبطة من فكر القاضي عياض.

منهج الدراسة :

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي.

فصول الدراسة:

تكونت الدراسة من أربعة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول :

(الاطار العام للدراسة) وقد تضمن (مقدمة الدراسة, موضوع الدراسة, أسئلة وأهداف الدراسة, أهمية الدراسة, حدود الدراسة, منهج الدراسة, مصطلحات الدراسة, والدراسات السابقة والتعقيب عليها).

الفصل الثاني :

حياة القاضي عياض والعوامل المؤثرة في فكره (نسبه و مولده - نشأته - حياة القاضي عياض العلمية - مذهب القاضي عياض - شيوخ القاضي عياض وتلاميذه)

الفصل الثالث : الفكر الديني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي عند القاضي عياض.

المبحث الأول: معالم الفكر الديني (إخلاص القاضي عياض - سعة علم القاضي عياض في العلوم الدينية و الشرعية - مكانة القاضي عياض العلمية - موقفه من المذاهب: رأي القاضي عياض في اختلاف الأحكام والأقضية.

المبحث الثاني: معالم الفكر الاجتماعي (أخلاق القاضي عياض وشمائله - مكانة القاضي عياض الاجتماعية - هيبة القاضي عياض ووقاره - عفو القاضي عياض وحلمه - علاقة القاضي بشيوخه وتلاميذه وأفراد مجتمعه - خدمة القاضي عياض لمجتمعه ومساعدته

المبحث الثالث: معالم الفكر السياسي (مكانة القاضي عياض السياسية - المواقف السياسية للقاضي عياض - المناصب السياسية التي تقلدها القاضي عياض - نصح القاضي عياض ووعظه للحكام - آراء القاضي عياض وأقواله السياسية -

المبحث الرابع: معالم الفكر الاقتصادي (نظرة القاضي عياض إلى الحياة - زهد القاضي عياض وورعه - آراء القاضي الاقتصادية وأقواله)

الفصل الرابع : معالم الفكر التعليمي والتطبيقات التربوية

المبحث الأول: القاضي عياض معلماً ومربياً - اتجاه القاضي عياض ومرجعية فكره التربوي- نشاطات القاضي عياض التعليمية والتربوية – التدريس – التأليف)

المبحث الثاني: معالم الفكر التعليمي والتربوي عند القاضي عياض (أهمية المعلم في العملية التعليمية - اختيار المعلم الكفء - اختيار المشاهير من أهل العلم والدين - نقد من يأخذ عنه - علاقة المعلم بتلاميذه - النقد والتمحيص - وجوب طلب العلم - آداب طالب العلم - اخلاص النية لله تعالى - الأمانة العلمية - التدرج في التعليم - الحفظ والفهم - رعاية المتفوقين والموهوبين .

المبحث الثالث: من آراء القاضي عياض التعليمية (العدل في التعليم - الممارسة العملية للتعليم - الموضوعية - الاستمرارية في التعلم والتعليم - مراعاة الفروق الفردية - الثواب والعقاب)

المبحث الرابع: الأساليب التعليمية عند القاضي عياض (طريقة التدريس: مجلس العلم - السماع من لفظ الشيخ - القراءة على الشيخ – المناولة – الكتابة – الإجازة – المناظرة)

الخاتمة:

من أهم النتائج:

١-كان القاضي عياض معلماً ومربياً, تخرج على يديه العشرات من العلماء والمحدثين الأفذاذ.

٢-ساهم القاضي عياض في تعزيز الأمن الفكري وذلك بحماية المجتمع من المعتقدات الضالة.

٣-قام القاضي عياض بوظائف التدريس والقضاء والإفتاء والتأليف.

٤-كان للقاضي عياض دور مؤثر في جميع جوانب الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

٥-يمكن القول بأن المرجعية التعليمية والتربوية عند القاضي عياض, قد تمثلت بالأساس بالفكر التربوي للمذهب المالكي من جهة, وبالفكر التربوي الكلامي للأشاعرة من جهة أخرى.

٦- القاضي عياض, رغم مالكيته الشديدة, لم يكن متعصباً للمذهب المالكي, بالنسبة لبقية مذاهب أهل السنة والجماعة, بل كان كثيراً ما يوافق على ما جاء فيها, ويخالف قول مالك وأصحابه إذا كان الدليل خلافه

٧ - إن فكر القاضي السياسي كان نابعاً من الأسس والمبادئ الشرعية التي أقرها المذهب المالكي.

٨- أكد عياض على دور المعلم و أنه أساس نجاح العملية التربوية.

٩- عني عياض باختيار المعلم, وتحديد عناصر كفاءته

١٠ - وضع القاضي واجبات وآداب يجب أن يتحلى بها طالب العلم

من أهم التوصيات:

١- تقديم دراسات لبيان أفكار القاضي عياض وسبل توظيفها في الواقع التعليمي والتربوي.

٢-تخصيص دراسة مستقلة لكل مؤلف من مؤلفات القاضي عياض ودراستها دراسة تربوية مستفيضة.

٣-عمل دراسة لدور القاضي عياض في تعزيز الأمن الفكري وحماية المجتمع.

المؤتمرات القادمة:

مؤتمر مكة المكرمة للدراسات القانونية

المؤتمر الدولي للعمارة والتصاميم في ظل التطور الهندسي والفنون الحديثة

المؤتمر الدولي الثالث لمستقبل التعليم الرقمي في الوطن العربي

مؤتمر مكة الدولي الرابع للغة العربية وآدابها : اللغة العربية

المؤتمر الدولي الثالث للتعليم في الوطن العربي: مشكلات وحلول

المؤتمر الدولي الثاني للبحث العلمي ودوره في تحقيق التنمية المستدامة للمجتمعات

مؤتمر الموهبة والإبداع: المستقبل والتحديات

المؤتمر الدولي الثاني لتأهيل وتمكين القيادات التربوية لتحقيق التميز

www.kefeac.com